

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهـداء

إلى كل من يدرك قيمة البحث العلمي في تراثنا الشعبي إلى
كل من كرس وقته وجهده لأن يكون هذا العالم مساحة أفضل للعيش
ومزاولة الحياة.. إلى كل من حمل علمه مصباحاً ينير به ظلمات
الجهل والتخلف.. وإلى مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول
الخليج العربية بدولة قطر..

إلى أمي عوشة بنت حسين رحمها الله.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد البحثي المتواضع.

د. موزه عبيد غباش

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

في مستهل هذا الجهد البحثي المتواضع، والذي اعتبره مسئولية تاريخية وتوثيقية كبرى، يطيب لي أن اتقدم باحر واسمى آيات الشكر والتقدير لأسرة رواق عوشة بنت حسين الثقافي بدبي ولأعضاء جمعية الدراسات الإنسانية ممثلة حسب الترتيب الأبجدي للأسماء:

السيد/ راشد جمعة الهاورة - مدرس مواد اجتماعية بمدرسة سيف العربي - كلباء.

السيد/ عبدالحكيم المغنى - موظف بوزارة الدفاع - أبوظبى - سویحان.

السيد/ عبدالله الصغير - وزارة العمل - رأس الخيمة - أمين سر جمعية النخيل للفنون الشعبية.

السيدة/ فاطمة المغنى - مديره مركز التنمية بخورفكان.

السيدة/ فوزية طارش آرحمه - مركز الأحداث بالشارقة.

السيدة كلثم عبدالله - ديوان الحاكم - دبي.

السيدة/ نجاة حسن مكي - مشرفة فنية بوزارة التربية والتعليم.

السيدة/ ياسمين سلطان فرحان - مديره مركز التنمية - كلباء - الشارقة.

فقد ظلوا يعملون بذباب وعزيمة صادقة في سبيل التوثيق لتراثنا الشعبي لمجتمع الإمارات، ونتمنى لهم جميعاً المزيد من التوفيق في دفع الجهود الوطنية.

وشكر وتقدير عميقين أيضاً نتوجه بهما إلى أمهاتنا وأبائنا الأجلاء من جادت علينا ذاكرتهم بهذا المخزون الهائل من تراثنا الشعبي. فالتحية لهم جميعاً أولئك الرواة والراويات الذين أبدوا تعاوناً صادقاً، متعملاً الله بالصحة والعافية وتغمد - من رحل عنا - بالرحمة الواسعة.

كما اتقدم بشكر خاص جداً لمركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بدولة قطر الشقيقة على ما قدموه من جهود قيمة كانت ثمارها أن أنت إلى الوجود هذه الدراسة. فقد جاء مركز التراث الشعبي بالبذرة وال فكرة الرائدة ودفع بالمشروع قدماً إلى أن رأى النور على أيدي مجموعة منتقاة من الباحثين والباحثات ذوي الخبرة والتخصص في مجال التراث الشعبي. لقد كان الطريق صعباً وشاقاً، إلا أننا تمكنا من أن نجعله سهلاً وممهدأً بالمزيد من الإصرار والثقة والمثابرة والتكافل.

في الختام، لا يسعني إلا أن أعيد وأردد حقيقة واحدة هي أن العمل الوطني الأصيل لا يتم إلا بالتكافل والتالق والصدق ونكران الذات! وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...،

د. موزه عبيد غباش

٢٠٠١ - دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

إن العمل الوطني الأصيل لا يتم إلا بالتكلف والتآلف والصدق ونكران الذات. وهذا كان حال فريق البحث الذي عمل معى في إنجاز هذه المهمة البحثية الرائدة التي حافظت وستحافظ على الموروث الشعبي الإماراتي المخزون الأول للهوية الوطنية.

إنه ومنذ ظهور الطبعة الأولى في عام ١٩٩٤م، والطبعة الثانية في عام ٢٠٠٢م، وحتى الآن؛ أي: ما يزيد على سبعة عشر عاماً، والكتاب والمفكرون والباحثون في دولة الإمارات يطرحون السؤال حول «الهوية الوطنية» وحول التركيبة السكانية المختلفة، وحول مستقبل الشعب الإماراتي وحول وجوده وإمكانية تعايشه مع مجموعة الثقافات المحيطة به.

إن دراستنا هذه هي المسؤولة عن الإجابة عن تلك التساؤلات وهي الخزينة الأولى لنستمد منها قيمتنا وتاريخنا وعاداتنا وتقالييدنا ربما تكون هذه الخزينة الموروثة مليئة بالإيجابي والسلبي في بعض العادات ولكنها في النهاية هي اعتراف صادق بأن لنا عقلنا الخاص وذهنيتنا الثقافية الخاصة، وإنها في النهاية ترتبط بالموروث العربي كله.

تحية لقراءنا وتحية لدولتنا الغالية وهذه إحدى عطاءات
موزة غباش فليحفظها الزمن لنا...
وإنما على الله لمتوكلون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية :

تترزق في كل يوم الحاجة إلى البحث الجاد والعميق في مكنونات التراث الشعبي لكل مجتمع من المجتمعات .. وفي مجتمع دولة الإمارات فرضت ظروفه التاريخية والجغرافية نشوءه في منطقة اصبحت فيما بعد عرضة للهجرات المتباعدة ، من مختلف بقاع العالم لاسيما الآسيوي والعربي ، والتأثيرات الديمقراطية العربية.

ونسبة لتمدد تأثيرات تلك التحولات الديمقراطية التي جاءت كنتيجة للطفرة الاقتصادية والوفرة التي حققتها اكتشاف النفط في المنطقة ، نسبة لكل تلك العوامل، تبقى هناك حاجة ماسة ل تتبع تراث هذه الأمة ومحاولة الحفاظ عليه من التغيرات الإقليمية والعالمية المذهلة ، الثقافية والاجتماعية منها على وجه الخصوص.

هكذا ، ويتقاوم الزمان ، تتأكد لنا حقيقة جدوى داسة التراث الشعبي لمجتمع دولة الإمارات في الحفاظ على هوية الأمة وتماسكها وحمايتها من لضياع أو لذوبان داخل قيم وثقافات وتقالييد دخلة على مجتمعنا الإسلامي والعربي بمنطقة الخليج عامه وبدولة الإمارات على وجه الخصوص.

إن صغر دولة الإمارات العربية المتحدة من حيث المساحة ، جعل من مواطنها أكثر تعرضاً للهزات الثقافية أمام تيارات الهجرة القوية وتداعيات العولمة والكونية ، وحركة المعلومات الحرة، لكن ، وبفضل قوة رسوخ تاريخ وثقافة شعب الإمارات وعمق جذوره التاريخية والتراثية ، لا يكاد أحد يصدق أن هذه المساحة الجغرافية الضيقة تمتلك كل هذا الرصيد الضخم من المخزون التراثي الأصيل الذي مكن شعبها من الحفاظ على أنساب القيم وأعمر الحضارات الإنسانية.

د. موزه عبيد غباش
٢٠٠٣-٢٠٠٣
دبي -

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن مجتمع الامارات مجتمع يجمع ما بين الحداثة والقدم، يتعرض منذ بدء التوسع والتوحد لعدد من التحديات اهمها المشكلة الديمغرافية وأنصار الهجرة الآسيوية والعمالة الوافدة. من هنا جاء الاهتمام الاول البحث والتاكيد على الهوية العربية استناداً الى الجذور الحضارية لهذا المجتمع وعاداته وتقاليده الوطنية.

ولعلنا نستطيع أن نؤكد على أن المخزون التراثي الشعبي لو وظف وخدم بشكل موضوعي لاستطاع ان يؤصل في الإنسان العديد من القيم والقدرات العقلية التي سوف تتيح له العمل الجاد المنتج وتحقق له تنمية فاعلة. ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك؟ اذ لا بد من العثور على معادلة صحيحة توفق بين الاخذ من هذا التراث والانفتاح النسبي على التقدم المادي والتكنولوجي في العالم بقدر ما يمكننا من تحقيق تطلعاتنا تجاه ترسیخ معالم الدولة الحديثة والاصيلة في آن واحد.

كما أن من الضروري تعريف الاجيال الجديدة برموز التراث القديم وتعريفهم بالكثير من الاشياء التي استخدمناها الاباء والاجداد ولم تستمر الى وقتنا الحاضر وحياتنا المعاصرة بسبب التغيرات الحادة التي تشهدها المجتمعات في مختلف نواحي الحياة لا سيما الاساليب الحياتية وانماط المعيشة والاهتمامات والشؤون المختلفة على مستوى الافراد والجماعات.

فمع مرور الزمان وتتسارع ايقاع التغيير في المجتمعات، تأكّدت الحاجة الماسة والضرورية لانشاء ادارات متخصصة تعنى بالتراث وما يثار حوله من قضايا ودراسات مع التركيز على محاولة ابراز دور المكون التراثي في تغذية روافد الثقافة الشعبية وانماط الحياة البشرية، بصورة علمية وموضوعية وذلك من خلال اجراء مقاربات ووضع اسس قوية يمكن للاجيال القادمة ان

ترتكز عليها في محاولة بناء انماط جديدة من الحياة الاجتماعية والثقافية وغيرها بحيث تكون جديدة فقط في اطارها العام ولكنها مستوحاه في جوهرها وأصلها من ممارسات وانماط اجتماعية قديمة وراسخة وقوية.

ولا بد هنا من الاشارة لحقيقة ان العلوم الانسانية تتفق حول طائفة كبيرة من القضايا والاحكام الاخلاقية المتعلقة بادائها لبحوثها ونشرها لنتائج تلك البحث، ولكن ذلك لا يتضارب مع حقيقة اخرى وهي ان كل علم من تلك العلوم ينفرد ببعض القواعد التي يفرض على المشتغلين به اتباعها او مراعاتها والالتزام الدقيق بها.^(١).

ويقف علم الفولكلور او علم دراسة التراث الشعبي، موقفاً متميزاً بين تلك العلوم من وجهاً الضوابط الاخلاقية التي يتعمى ان يتلزم بها الباحثون فيه، سواء أكانوا جامعين للمادة او دارسين لما قام غيرهم بجمعها. وهذا الموقف المتميز راجع الى الظروف التاريخية التي نشأ فيها علم الفولكلور، كما انه راجع الى طبيعة المادة التي يتعامل فيها باحثوه.^(٢).

فمواد التراث الشعبي او عناصره هي نتاج حضاري لثقافة معينة، يحمل بصمات الاجيال المتعاقبة التي شاركت في انتاجه (او صنعه) وفي تناقله (او استخدامه) ، ولم يكن يمثل بالنسبة لها مجرد مفردات مادية او اشياء ولكنه ينطوي على وجود مادي بنفس القدر الذي ينطوي فيه على دلالات اعتقادية وقيم روحية.^(٣)

إذن فان علم الفولكلور انما هو علم ثقافي، يختص بقطاع معين من الثقافة (هو الثقافة التقليدية او الشعبية) يحاول القاء الضوء عليها من زوايا تاريخية، وجغرافية، واجتماعية، ونفسية. كما انه شأن اي علم اخر يؤتي عدداً من الثمرات العلمية التي تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية. فهو الى جانب القيمة العلمية النظرية، يقدم خدمة تطبيعية عملية لا يمكن انكارها.^(٤).

ولا شك ان من المهام ذات الطبيعة العلمية البحتة، تلك المتعلقة بالدور الذي تؤديه دراسات التراث الشعبي في القاء الضوء على المراحل التاريخية السابقة من حياة الثقافة والمجتمع. وسوف نتبين من استعراضنا للاتجاهات النظرية في علم الفولكلور ان كثيرا من الدارسين قد استخدموا مواد التراث الشعبي والحياة الشعبية في اعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة والتي لا يوجد عنها الا شواهد ضئيلة متفرقة، وهو ما يعرف باسم منهج اعادة البناء التاريخ HISTORICAL RECONSTRUCTION فالفولكلور يضطلع في هذه الحالة بدوره التقليدي كعلم تارخي يكمل المعرفة التاريخية ويعمقها ويوسّعها.^(٥).

فدراسة الفولكلور للتاريخ الثقافي لمجتمع من المجتمعات هي المدخل الاساسي والمقدمة التي (لا يمكن الاستغناء عنها) لفهم الثقافة الحالية والبناء الاجتماعي القائم. فإذا كنا نتفق على ان التاريخ هو بمثابة المعمل لرجل الاجتماع، فيه يرى المراحل التي اجتازتها الاشكال الثقافية والاجتماعية المائلة امامه، ومن خلاله يفهم مدلولات كثيرة من الممارسات والمواقف وال العلاقات والعمليات، فان دراسة الفولكلور خاصة في الجانب التاريخي منها هي اكبر عون يمكن ان يساعد دارس الثقافة والمجتمع^(٦).

الا ان علم الفولكلور لا يقتصر على القاء الضوء على تاريخ ثقافة معينة سواء البعيد او القريب، انما هو يسهم في تحليل علاقات التفاعل والتاثير المتبادل بين الثقافات المختلفة.. الخ^(٧).

لا اعتقد اننا بحاجة الى التاكيد على امكانية الانتفاع بالمعلومات التي يقدمها لنا علم الفولكلور انتفاعا علميا في حل بعض المشكلات التي تواجه الانسان في المجتمع. فقد انتبه الى تلك الحقيقة الجوهرية الغالبية العظمى من الدارسين الانثروبولوجيين على مدى تاريخ هذه الدراسات، وان اختلفت غایياتهم من وراء هذا الانتفاع العملي، كما سيتضح فيما بعد . بل انه حتى ذلك الفريق من العلماء الذين يحبذون البحث «النظري» او «البحث» الذي لا

يرتبط باي اغراض عملية، كانوا لا ينكرون ان ما يجرونه من دراسات يمكن ان «يسهم» على نحو او اخر في تحقيق الرفاهية الانسانية. واللاحظ ان معظم المشكلات الانسانية تنطوي على حدوث تغيرات في السلوك والاتجاهات، والنظم، والعلاقات الاجتماعية.^(٨)

لقد اكتشف يونس (عبدالحميد يونس) بوضوح ان التراث الشعبي - مادة هذا العلم وموضوعه - انما هو إرث مشترك لكل الطبقات وليس مقصورا على طبقة او جماعة او منطقة بعينها. لقد ادرك الحقيقة المستقرة عند رواد هذا العلم العالميين الذين علمونا ان «الحياة الشعبية توجد دائما حيث يخضع الانسان - كحامل للثقافة - في تفكيره او شعوره او تصرفاته لسلطة المجتمع والتراث. وان داخل كل انسان منا شد وجذب دائمين بين السلوك الشعبي وغير الشعبي. ومن هنا يتضح عند كل انسان موقفان مختلفان احدهما فردي والاخر شعبي او جماعي. فجميع افراد الامة - سواء أكانوا عمالا او فلاحين، او رعاة، او رجال اعمال او جنودا او محامين او اساتذة جامعيين - يشتراكون جميعا في خاصية كونهم «شعبا» على اعتبارهم حملة الاشكال الثقافية التقليدية. وما من جدال في ان كثافة هذا العنصر الشعبي وشدة تختلف حتما من فئة الى اخرى ولكن لا يوجد انسان بدونها على الاطلاق.^(٩).

ان مادة علم الفولكلور عند يونس عبارة عن عناصر ثقافية حية ومؤثرة وفعالة تسخير الشعب في تطوره مسايرتها لحياة الافراد في سلوكهم وعلاقاتهم. وهذه العناصر الثقافية تتسم بالمرونة فتسقط الحلقات الميتة او التي ماتت وظائفها، وتعدل الحلقات القابلة للتعديل، بحيث تسخير مراحل التطور، وتضيف حلقات جديدة تحس الجماعة بالحاجة اليها. وهي لا تضيفها الى تراثها الشعبي، الا بعد صمودها لاختبارات طويلة ومنوعة.. «فليس هناك بعث فيما يرتبط بالفولكلور ولكن هناك حياة موصولة ترتكز على تقاليد وخبرات وتجارب».^(١٠)

تجربة البحث في دورة الحياة لمهرجان الميلاد بدولة الإمارات:

لا يوجد ميدان من ميادين التراث الشعبي - بعد الادب الشعبي - حظي بمثل ما حظي به ميدان العادات الشعبية من العناية والاهتمام. وقد تمثلت هذه العناية وهذا الاهتمام في الدراسات الفولكلورية والسوسيولوجية العديدة من ناحية، وفي عمليات الجمع والتسجيل من ناحية أخرى. ولذلك وصل التراث الدائر حول العادات الشعبية الى الحد الذي اصبح معه من المستحيل على باحث واحد ان يلم به تماماً كاملاً.^(١١)

والعادة - فيما يتصل بتعريفها - ظاهرة اساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الانسانية. هي حقيقة اصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي فتصادفها في كل مجتمع تؤدي الى كثير من الوظائف الاجتماعية الهامة عند الشعوب .. الخ .^(٩١٢)

فالعادات الشعبية اذن ميدان من ميادين الدراسة يسهم في دراسته جميع العلوم التي تهتم بالانسان في مظاهر حياته الاجتماعية والتاريخية. وفي مقدمة هذه العلوم : علم الاجتماع، والميثولوجيا، وعلم الابيان، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، والفولكلور .. الخ فكل هذه العلوم تدخل العادات كموضوع من موضوعات البحث فيها.^(١٣)

ويمكننا أن نلخص السمات الرئيسية للعادات فيما يلي : العادة الاجتماعية او لا فعل اجتماعي، فليس هناك عادة اجتماعية خاصة بفرد واحد فقط. وإنما العادة تظهر الى الوجود حيث يرتبط الفرد بآخرين ويأتي افعالا تتطلبها منه الجماعة او تحفظه اليها. عندئذ فقط تكون بصدق «عادات اجتماعية» او «عادات شعبية» ومن خصائص العادة ثانيا ان تكون متوارثة او مرتكزة الى تراث يدعمها ويغذيها. وقد سبق ان اوضح ريل ئضرز صنع ان السلوك يتحول الى عادة عندما يثبت من خلال عدة اجيال، ويتوسع وينمو ومن ثم يكتسب سلطانا. ونلاحظ ثالثا ان معظم الدارسين قد قبلوا سواء

ضمناً او صراحة تعريف العادة كقوة معيارية، وكظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي بل الطاعة الصارمة.

فهي في ذلك رائدة للقانون. ومن هنا تعريف (فيكمان) للعادة بانها ذات طبيعة معيارية تستمد سلطتها رأسياً (اي تاريخياً) وافقياً (اي اجتماعياً) وكذلك يقول (توليس) ان «العادات متطلبات سلوكية تعيش على ميل الفرد لأن يمثل لأنواع السلوك الشائعة عند الجماعة، وكذلك على ضغط الرفض الجماعي لمن يخالفها». ونجد - رابعاً - ان العادة ترتبط كما المحتوا بظروف المجتمع الذي تمارس فيه. ونعني بهذا ان العادة مرتبطة بالزمن ، مرتبطة بتتابع وتعاقب فصول السنة. مثل رأس السنة الهجرية وعاشوراء ومولد النبي ورمضان والعيدان والاحتفال بموسم الحج .. الخ) او هي ترتبط بمواقيف او احداث معينة في حياة الفرد او المجتمع (الميلاد والزواج .. الخ) وهذا الارتباط بزمان ومكان معينين هو الدليل على القيمة الوظيفية العالية التي تتمتع بها العادات في المجتمع. والعادات اخيراً تتخذ اشكالاً او صوراً متعددة .^(١٤)

خطة البحث الميداني:-

لعل الجدل النظري المتوقع نشوءه عند تناول موضوع كدراسة العادات والتقاليد المتعلقة بدورة الحياة، لا يمكن حسمه دون استقراء للواقع والتعامل مباشرة مع التراث بعناصره المختلفة من ناحية، ومع حاملي التراث على اختلاف نوعياتهم واعمارهم وانتماءاتهم الاقتصادية والاجتماعية والقرابية والثقافية من ناحية أخرى. واتباع هذا المسلك يحقق غايتين ، اولاً : ان العمل الميداني سيمكن من جمع مادة تراثية هائلة، متصلة بموضوعات متعددة يجب تدوينها والحفظ عليها. وثانياً : ان تحليل هذه المادة التراثية سيساعد على فهمها ومدلولاتها الاجتماعية والثقافية بالنسبة للجماعات المختلفة والقطاعات المحلية (البدوية والريفية والحضارية) بالمجتمع وهذا الفهم

سيعطي فرصة كبيرة للحكم على مدى التغير الذي اصابها واثر بالتالي على نسق القيم من ناحية وهوية المجتمع من ناحية أخرى.

فجمع مواد التراث الشعبي وتوثيقها ودراستها، امر له اهميته القصوى فالتراث الشعبي عامل مهم من عوامل الحفاظ على الهوية والذات والقومية، كما انه ضروري لفهم ثقافة المجتمعات وتمييز التباينات بين مختلف مناحيها واوجه ممارساتها. فالتراث الشعبي اذن يمكن ان يكون مرآة عاكسة ونموذجا تاريخيا لكيفية نشوء وتنمية وتطور المجتمعات المادية والبشرية سواء.

ان المقصود بالمشروع الميداني - كما جاء في مرشد العمل الميداني لمركز التراث الشعبي بقطر - هو تنفيذ اعمال الجمع والتوثيق والتدوين وعناصر ومعطيات موضوع فولكلوري محدد من مواضيع التراث الشعبي، او مرحلة من مراحل هذا الموضوع، وذلك في مساحة جغرافية محددة، وخلال فترة زمنية محددة. ولا شك ان السير في هذا الطريق واتباعه في حاجة الى جرأة علمية محفوفة بالمخاطر، والى ايمان لا يتزعزع بفاعليه واهمية الجمع الميداني لعناصر التراث الشعبي الاصليل للحفاظ عليه، واخيرا الى مؤازرة ومساندة متعددة المسارات ومختلفة المصادر.

فالاهتمام بدراسات العادات والتقاليد إذن ينبع بصورة أساسية من أنها تعمل كأدوات للتنظيم التلقائي للمجتمع .. اذ لا يمكن تصور مجتمع منظم دون عادات اجتماعية فالعادات الاجتماعية - باجماع علماء الاجتماع هي الدعائم الاولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية.^(١٥) ... والعادات الاجتماعية او الطرق الشعبية ليست نسبية الى المجتمعات فحسب بمعنى انها تتغير من مجتمع الى مجتمع ومن مكان الى مكان ، بل هي ايضا نسبية الى الزمان ..^(١٦)

وي ينبغي ان ندرك - كذلك - ان العادات والتقاليد الشعبية هي أساساً

سلوك جمعي والسلوك لا يحدث من فراغ فله دوافعه وخلفياته ونتائجها، كما ان هنالك من ينفذه ومن يحث عليه ومن يتاثر به .. الخ (١٧)

لذلك تُعد العادات الاجتماعية بحق عاملًا جوهريًا من أكبر وأقوى عوامل التنظيم والضبط في علاقات الأفراد، سواء في داخل المجتمع ككل كبير متماسك، أو في داخل الهيئات الاجتماعية الخاصة. فهي تسهل لهم افعالهم وتحدد منطق الترابط والتعامل فيما بينهم. ويوضح ذلك «مكيفر وبيج» (المجتمع ص ٤١) بقولهما انه لا يرجى للنظم السائدة والروابط اي انتظام بمعنى الكلمة الا اذا ارتكزت واعتمدت على مركب معتمد من صنوف مختلفة من العادات واساليب السلوك. (١٨)

وان دور العادات في الضبط والتنظيم لا يقل شأناً واثراً عن دور القوانين الوضعية. فإذا اعتبرنا القوانين سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة فاننا نعتبر العادات سلطتها غير المكتوبة ودستوره المحفوظ في الصدور. ذلك الدستور الذي يوجه افعال الناس ويسيطر عليها في جميع العصور وفي كل مراحل الثقافة المختلفة وفي كل زمن ووقت، طوال اليوم من الصباح والمساء وتحيط به في كل مناسبة وفي كل معاملاته مع غيره في المجتمع، والانسان يخضع لها ويطيع اوامرها بشكل يفوق كثيراً حد التصور لهذه الحقيقة. فنحن فرتدي الملابس وفقاً للذوق العام المألوف في مجتمعنا، والسائل بين قومنا، كما اننا نختار انواع الطعام المناسبة لكل وجبة من وجبات اليوم حسب ما تقرره عاداتنا، ثم نعده ونهيئه ونقدمه للاكل، بل نأكله ايضاً بطرق تقليدية معينة تملّيها علينا ثقافتنا واوضاعنا الخاصة بنا وآل جانب ذلك فاننا نعمل اعمالنا اليومية ونؤدي واجباتنا، ونقوم بمسؤولياتنا المختلفة متبوعين في ذلك الطرق السائدة في مجتمعنا كذلك نقابل بعضنا ببعضنا ونحي بعضنا وفقاً لآداب السلوك التقليدية القومية .. الخ (١٩)

والعادات الاجتماعية او الطرق الشعبية متنوعة منها ما يتناول عادات

الناس في تناول الطعام والشراب، وفي الملبس والمسكن، وكذلك في الوان النشاط الأخرى المرتبطة بالخطبة والزواج والميلاد والوفاة والامور الجنسية وصلات القرابة والعمل واستخدام الالات والصناعة والانتاج والفن والتعبد والترويح عن النفس.. الخ. فالطرق الشعبية هي التي تتحكم الى حد بعيد في نوع المسكن والملابس والماكولات التي يأكلها القوم .^(٢٠)

كما يؤكد الدكتور محمد عبده محجوب، فان الاسرة ونظم « الزواج، و« القرابة»، تحمل اهمية كبيرة في العلوم الانسانية والطبيعية ايضا .. فهي تجذب بحوثا نظرية وتطبيقية في علم السكان والاقتصاد والتشريع وعلوم الوراثة والطب والصحة العامة وغيرها، بجانب موقعها الهام في ثبت موضوعات ومجالات البحث في علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.^(٢١)

تحتوي خطة البحث الميداني عادة على عناصر أربعة أساسية وهي :

- ١ - الاهداف : وهي لا تخرج أبدا عن نطاق الفائدة المجتمعية وتنمية المجتمع فهدف هذه الدراسة هو تقصي جوانب التراث الشعبي لمجتمع الامارات بالتركيز على العادات والتقاليد المرتبطة بدورة حياة الانسان في مرحلة الميلاد مع الاشارة الى مرحلتي الزواج والوفاة.
- ٢ - المجال البحثي : ويشير الى النطاق الجغرافي او البشري (كالقبيلة او العشيرة او البدو او الحضر مثلا) الذي جرت فيه الدراسة. فقد شمل الجمع الميداني كل او معظم احياء البلاد ممثلة في مناطق الحضر والريف والبدو) كذلك المجال الزمني ويشير الى الفترة الزمنية التي استغرقتها البحث الميداني.
- ٣ - منهج البحث : وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع البيانات عن طريق الرواة والجامعين.
- ٤ - طريقة او وسيلة جمع البيانات: إذ قام هذا البحث على استخدام الدليل

العلمي والمقابلة والتسجيل والتدوين ثم صياغة التقرير النهائي.

والمعروف بصورة عامة ان دراسة العادات والتقاليد المتصلة بدورة الحياة والعناصر المبنية عنها، تتم بطريقة علمية تستند الى حقائق علم الفولكلور النظرية، وتسير وفق اجراءاته المنهجية المتعارف عليها، وتلتزم بأساليب التحليل المتعددة والمرتبطة بموضوع الدراسة. كما ينبغي ان تتوافر لها بعض المقومات الاساسية وعلى رأسها توافر فريق بحث مؤهل تاهيلا عالياً ومتعرس مهنياً في العمل الميداني، بالإضافة الى توافر الامكانيات المادية التي تسهل سير العمل وتلبي كل الاحتياجات المتصلة به.

وقد تضمن البحث الميداني المراحل التالية:

١ - المرحلة التمهيدية

٢ - المرحلة الاستكشافية

٣ - مرحلة جمع المادة وتحليلها وتفسيرها.

وقد تضمنت هذه المراحل عناصر عدّة لعل اهمها:

- وضع تصور معين للبحث وبالذات تحديد المواد التراثية التي سيتم جمعها.

- طرح الاجراءات المنهجية المتصلة بجمع المادة الميدانية، وخاصة دليل العمل الميداني.

- اختيار الباحثين والباحثات الذين يشاركون في جمع المادة الميدانية

- اختيار مجتمعات الدراسة ونوعية الاخباريين والاخباريات.

- بيان اساليب تحليل المادة الميدانية التراثية وتفسيرها.

وقد تمت صياغة الموضوعات وعناصرها في دليل العمل الميداني، بعد مناقشات مطولة، وتبادل الافكار مع الزملاء المشتغلين بالدراسات الفولكلورية. كما تدرّب على استخدام دليل البحث مجموعة من الباحثين والباحثات - على

فترات متباعدة - من ذوي الخبرة العالية التي مكنتهم من استخدام الدليل وتطبيقه ببراعة فائقة كانت ثمرتها ذلك الكم الهائل من المادة الفولكلورية والانثropolجية التي اشتملت عليها دراستنا في مرحلة الميلاد محور هذه الدراسة وفي مرحلتي الزواج والوفاة اللتين ستنتم الاشارة لهما بايجاز. وقد تم اختيار أعضاء هذا الفريق وفقاً لبعض الخصائص واهملها: أن يكونوا من مواطني دولة الامارات العربية المتحدة ومن ذوي الشهادات والدرجات العلمية، وكذلك من يقطنون في مدن الدولة المختلفة ليستطيعوا تغطية جميع فئات المجتمع بالدراسة الميدانية.

بعد مرحلة جمع البيانات، كانت هنالك حاجة حتمية لتبسيب وتصنيف المادة حسب الموضوعات والمحاور المحددة، وقد استغرق ذلك شهوراً باكملها. ثم تبع ذلك مرحلة كتابة التقرير النهائي وتحليل وتفسير المادة وتحليل ما اشتملت عليه كل مرحلة من محاور متعددة، وهو في مضمونه تحليلاً يراعي النظرة التكاملية المتضمنة للأبعاد السوسيولوجية والاقتصادية والثقافية للمادة التراثية المقدمة، بالإضافة إلى التركيز على الموروثات والأمثال، والأقوال، والحكمة، والاغاني، والنذور، والتجارب الخاصة (الراويات) المرتبطة بكل محور على حدة في كل من المرحلة الدراسية الحالية ومرحلة الزواج التي انفرد بتفاصيلها وتوسيع في عرض جوانبها المختلفة كتاب دورة الحياة لمرحلة الزواج. وقد وجّب الالتزام بهذا التحليل الشامل بهدف ربط المادة التراثية بسياقها الثقافي والاجتماعي، أياماً منا بحقيقة أن تفاعل الإنسان مع بيئته هو الذي يخلق الاستجابات أو يفرز المعتقدات الخاصة به. وكان هذا التحليل إضافة من جانبنا كما فرضته في نفس الوقت طبيعة الدراسة العلمية للموضوع. يضاف إلى ذلك تركيزنا على أبعاد الثبات والتغيير للمادة للعلمية المقدمة والمرتبطة بمعارض العادات والتقاليد لمجتمع الامارات العربية المتحدة وكان هدفنا من ذلك ربط الماضي بالحاضر، وأظهار اشكال التغيير الثقافي في مضمون هذه العادات والاهم اثر ذلك على هوية المجتمع الثقافية.

ولا نزعم اننا قد تمكنا من جمع كل عناصر التراث الشعبي في مجتمع الامارات فيما يتعلق بمرحلة الميلاد والزواج فذلك فوق طاقة الباحث، بل فريق من الباحثين الذين يعملون بلا توقف خلال فترة زمنية اطول. ولذا فقد اكتفينا بدراسة احدى عناصر التراث الشعبي الممثلة في العادات والتقاليد لدورة الحياة، بالتركيز على المرحلة الاولى وهي الميلاد، قيد الدراسة الحالية. وهنا يطرح التساؤل لماذا تلك العناصر على وجه التحديد؟ الاجابة البديهية هي :

اولاً : ان العادات تمثل الواحة من الوان التراث الاجتماعي فهي تمد الفرد بسلسلة متكاملة الحلقات من المشكلات التي انتهت الثقافة من حملها على ايدي الاجيال السابقة، وبذلك تغنيه عن اجهاد نفسه في استيضاح موقفه إزاء الاحداث الاجتماعية الجارية التي تمس جميع مظاهر النشاط الحيوي والاجتماعي.

وثانياً : ان العادات والتقاليد تمثل كتلة من السلوك البشري تؤدي الى اثارة العجب من اي سلوك يصدر عن الفرد مهما كان ذلك السلوك خارجا عن المألوف، والاهم من ذلك هو الدور الذي تلعبه في الخبرة والعقيدة وفي الاشكال المتباينة التي تتحلى فيها كل منها.

فيما يتعلق بدورة الحياة فقد اخذنا بفكرة باول جوليック Paul Gulick الذي يذهب الى ان مفهوم دورة حياة الاسرة يعد اطارا للعمل لفهم الاسرة وخصائصها ومكوناتها من ناحية حيث انها تمر بمراحل عديدة منها الميلاد، والزواج والوفاة. كما يمكن من فهم السياق الاجتماعي الذي يحيط بها والركائز الثقافية التي ترتكز عليها من ناحية اخرى.

مرحلة الميلاد :

فيما يتعلق بمرحلة الميلاد كاولى واهم مراحل دورة الحياة فقد تطلب دراستها تحديد العناصر والموضوعات المتصلة بها، وقد تمثلت فيما يلي: الحمل، الولم، الولادة، ما بعد الولادة، المشاهرة، اخفاء نوع المولود، ولادة

**التوائم، تسنمية الطفل، الرضاعة والفطام، الحمل الكاذب، العقم، الاجهاض،
الختان، ثم التنشئة الاجتماعية.**

ولعل موضوع الحمل هو المحور الاساسي لقياس مرحلة الميلاد للانسان في اي مجتمع من المجتمعات، اذ يمثل بدء الحياة. ونحن لا نهتم فقط بالعادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المشخصة او العيانية التي تؤلف اصلا مادة الفولكلور والانثروبولوجيا، ولكننا في دراستنا له نسعى الى ربط هذه المادة العلمية بسياقها الاجتماعي، والمؤثرات التي تركت بصماتها على هذه الممارسات والعادات ومن ثم التوصل الى عامل التغيير والثبات من مجموع عناصر هذه العادات، وذلك يقيناً مما بان هذه العناصر والابعاد الثقافية تشكل الانسان ككائن ثقافي في مجتمع الامارات، فدراسة بعدي التغيير والثبات انما تحدد لنا الى اي مدى استطاع الرواية التعبير عن القيمة الجديدة التي تتلاءم مع واقع الحياة، وهل استطاع الانسان في الامارات ان يغزل قيمه الجديدة في النسيج التقليدي السائد والذي يحظى بقبول الناس. ولقد عالجنا موضوع الحمل من خلال الموضوعات التالية: بدء الحمل، ردود فعل الاهل لحمل المرأة، الاتجاهات نحو انجاب الذكور والإناث، التحريريات المرتبطة بالحمل، غذاء الحامل، الوضع الصحي للمرأة اثناء الحمل، واخيرا مجموع الممارسات المرتبطة بكل مراحل الحمل. ولعل هذه هي الموضوعات التي تكشف لنا عن الواقع الاجتماعي الثقافي الذي كانت تعيشه المرأة الحامل منذ اول حمل لها وحتى آخر حمل والاتجاهات السائدة نحوها.

هذا بجانب الاعلان عن الحمل والذي يعتبر احد العناصر الرئيسية في دراسة مرحلة الميلاد وذلك لانه يتضمن عدداً من الاعتبارات والمؤثرات العميقه جداً في ثقافة اهل الامارات كالخوف من الحسد او اكتشاف الحمل الكاذب او الاجهاض او غير ذلك من الامور ذات الصلة. اما الوهم والذي يعرف بأنه اشتفاء المرأة لشيء معين (طعام او سواه) او كراهيته له في فترة بداية الحمل، فيعتبر من الامور التي ترتبط بها العديد من المعتقدات

والممارسات لمرحلة الميلاد في مجتمع الامارات.

فقد اولت الدراسة محاور الموضوع جميعها نفس الاهتمام والبحث المعمق فكشفت عن العديد من الممارسات والطقوس المتعلقة بمراحل ما قبل وبعد الولادة.

وهنالك مرحلة المشاهرة (المدارسة او الحسد) والوقاية منها ولعله لم يوجد هنالك مقابل دقيق للكلمة باستخدامها الحالي، ولكن تم الاتفاق على كلمة الدارس ومشتقاتها «مدرسنة، مدارس، مدروس، دارس، مدارس ميت، مدارس عرس، الدراسي».

كذلك مرحلة اخفاء نوع المولود كانت تعتبر من الممارسات التي يحرص عليها المحيطون بالمرأة الواضحة فالأهل يقبلون باخفاء مولودهم لحمايته من العين والجيران يقبلون فهم يدركون انهم سيعرفون ذلك لاحقا والأهل يقبلون به لأنهم يعزمون ايضا على اخفاء مواليدهم.

اما ولادة التوائم في مجتمع الامارات فتعتبر ظاهرة نادرة او قليلة الحدوث بالنسبة للاسرة الاماراتية وهي تكشف لنا العديد من الممارسات والعادات والمعتقدات السائدة في المجتمع آنذاك ومنها استخدام التوائم لعلاج بعض الامراض اعتقادا بانهما يحملان قوة روحية او غيبية خاصة، وقد يكون هذا الاعتقاد نابعا من حيرة الانسان وعدم فهمه آنذاك للاسباب التي أدت بالمرأة الى ولادة التوائم. فدائما عندما يصعب تفسير ظاهرة ما في مجتمع الامارات تستخدم نفس الظاهرة للعلاج والكشف والتيمن فنسبة لان التفسير الطبي لم يكن واردا في تلك المرحلة، توقعت الدراسة ان تجد ممارسات عديدة تؤكد عجز الانسان عن معرفة اسباب وعلة ولادة التوائم. وهذا ما يمكن ان نسميه التفصيات المدهشة والمثيرة حول هذه الظاهرة من عادات وتقاليد مرحلة الميلاد.

هذا بجانب محور تسمية الطفل الذي له دلالاته الاجتماعية والثقافية

العديدة.

وفيما يتعلق بمحور الرضاعة والغطام فهناك شبه اتفاق تام على ان مرحلة الرضاعة تستمر عامين بعد ولادة الطفل وذلك للمبدأ العام، اما ما كان يتوارد عن ان الانثى ترضع اقل من الذكر فقد كان مردّه حسب اقوال الاخبارية الى ان ذلك كان للدلالة على اهمية الولد، وان البنت تفطم سريعاً املاً في ان يتم الحمل بالذكر. على ان اهمية انجاب الذكور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالظروف الاقتصادية والسياسية للحياة القبلية في الماضي حيث كانت الموارد شحيحة والتنافس والتصادم والنزاعات القبلية كثيرة.

وكانت هنالك معرفة بفوائد او اضرار عدد من الاطعمة فكان ينصح باكل التمر وغيره كما من الناحية الاخرى كان ينصح بعدم اكل البياح (سمك البوري) لدسامته لدرجة قد تؤدي لموت الطفل، فكان هنالك مثل تهكمي يقول :

لي بغـ يـت الـراـحـة

كـل عـلـيـه بـيـاـحـة

وللرضاعة ممارسات ومعتقدات كثيرة نجد تفصيلاتها بين ثنایا تصفيات الدراسة .

اما الحمل الكاذب فهو يعبر عن صراع نفسي واجتماعي تظهر له اعراض مرضية تماثل اعراض الحمل الحقيقي وتتعدد تسمياته في اللهجة العامية كان يقال «فشت حامل» «حمل فاسد»، «حمل هواء»، «حمل ابليس»، «لاف دل طرة»، - بلغة البلوش، «حمل النوq» الذكور وهذه سخرية بالحامل.

فيما يتعلق بمحور العقم فقد شاع في المجتمع وصف المرأة غير المنجبة بالعاقد (او العاجز بقلب القاف جيماً او العاجز) ثم جاءت تسميات عجينة، معجر، عجيمة، عقيرة .. الخ وتفاصيل اخرى.

كما تأتي ظاهرة الاجهاض كغيرها من المراحل التي تتعلق بها عدداً من

المعتقدات والممارسات المختلفة. ومن مسمياته الشعبية «مودرة» وذلك بمعنى ترك المولود يسقط، و «طراح» و «المتبوعة او توابع» اعتقاداً بأنّ الجنان تتبع المرأة حتى تسقط الجنين وغير ذلك.

ثم تأتي عادات الختان «الطهارة» و «الظهور» وكلها متراوفات عربية شائعة.

واخيراً محور التنشئة الاجتماعية والتي تبدأ من غرفة نوم الطفل حيث كانت الام عادة هي التي تنظف الطفل وتُسبحه (اي تحممه) ثم تقوم بتغيير ثيابه وتقمصه (اي تلفه بالقماط) وتحمله على حجرها وتهزهزه قبل ان تحمله الى سريره الخاص الذي كان يعرف بالمنزل، ثم تقوم بارضاعه والمهواة عليه (الربت على جسمه بايقاع مع ترديد كلمة (هو) وتذكر اسم الله عليه وتهز منزه حتى ينام).

وكلما كبر الطفل شيئاً فشيئاً يبدأ فصله عن امه تدريجياً الى ان يفطم من الرضاعة ثم عندما يصل الى سن تجعل الآبوبين يطمئنان على نومه بعيداً عنهمما يتم ابعاده بحيث يرقد في جانب اخر. فقد اشارت اخبارية الى انه بشكل عام لم يتم الفصل في النوم للابن الطفل وابويه ولا بين الاخوة والأخوات، فالكل ينام مع بعض في الكرين (الخيمة) وأشارت اخبارية اخرى الى ان الاسرة كانت تنام في خيمة واحدة الاطفال في جانب الزوجان في جانب اخر.

كما يتم الفصل بين البنات والولاد في «الرقاد» (النوم) اذ تقول احدى الاخباريات «مب زين البنت ترقد وبا الولد وهو ريال» واخرى تقول: «البنات بروحهم والولاد بروحهم .. البنت لين كبرت وبلغت تستحي حتى من اخيها وامها بعد» اذن فقد كانت هنالك عوامل دينية توجب التفريق في المضاجع حسب الحديث الشريف وكذلك العامل الانساني الغريزي الذي يتطلب التفريق بين الابناء في النوم.. على ان العامل الاقتصادي كان يحدد طبيعة وسعة

البيت او الخيمة اذن فان شخصية الطفل تتأثر بصورة متفاوتة في درجاتها ونوعها تبعا للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بذلك.

ذلك فيما يتعلق بمرحلة الميلاد وسنورد بعض التفاصيل العامة حول مرحلتي الزواج والوفاة بين ثنايا الكتاب.

وفي الختام ناتي لنؤكّد على ان انجاز اي دراسة علمية لا يتم دون مواجهة صعوبات وتفاقم بعض المشكلات، ووجود بعض العثرات ويمكن القول بان الدراسات الميدانية عموماً تواجه نفس الصعوبات التي يتعلّق بعضها بالنواحي العلمية والبعض الاخر يتعلّق بمجتمعات الدراسة والثالث يتعلّق بالعمل الميداني عموماً. لكن هذه المشكلات جميعها تم التغلب عليها أثناء هذه الدراسة بفضل حماس الباحثات ومؤازرة مركز التراث الشعبي وايماننا المتزايد باهمية الحفاظ على كنوز هذا التراث بدولة الامارات، وحماسنا الذي لا ينقطع في النزود عن هوية هذا المجتمع.

ونأمل في النهاية ان تكون قد وفقنا في ايضاح صورة حقيقة ملامح التراث الشعبي لمجتمع الامارات كما تعكسه العادات والتقاليد المتعلقة بدورة الحياة لمراحل (الميلاد و الزواج ثم الوفاة) التي ستكون موضوع بحث للمرحلة الاخيرة استكمالاً لذلك الجهد الذي تكلّل بإنجاز المرحلتين السابقتين وباستكمال المراحل الثلاث من دورة الحياة، تكون بذلك قد جمعنا وحللنا كل مظاهر التراث الشعبي لمجتمع الامارات مكملين المشروع الذي يتبنّاه مركز التراث الشعبي منذ سنوات في دراسة دورة الحياة في مجتمعات الخليج كلها...

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ،،،

د. موزه عبيده غباش - ٢٠٠١

الحواشي والمراجع:

- ١- د. علياء شكري، «أخلاقيات البحث العلمي في مجال التراث الشعبي قضية وطنية»، في: (د. علياء شكري وأخرون، «دكتور محمد الجوهرى، دراسات في علم الفلكلور»، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، ج.م.ع. الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ص ١١٧).
- ٢- أعلاه، ص ١١٨.
- ٣- أعلاه، ص ١١٨.
- ٤- د. محمد الجوهرى، «علم الفلكلور: الموضوع والمنهج»، في: (د. علياء شكري وأخرون، د. محمد الجوهرى، دراسات في علم الفلكلور»، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، ج.م.ع. الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ص ١٥).
- ٥- أعلاه، ص ١٥.
- ٦- أعلاه، ص ١٥.
- ٧- أعلاه، ص ١٥.
- ٨- أعلاه، ص ١٨.
- ٩- د. محمد الجوهرى، «عبد الحميد يونس رائدًا عظيمًا لعلم الفلكلور العربي»، في (د. علياء شكري وأخرون، د. محمد الجوهرى، دراسات في علم الفلكلور»، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: الهرم، ج.م.ع. الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ص ١٠٣).
- ١٠- أعلاه، ص ١٠٤.
- ١١- د. محمد الجوهرى، «علم الفلكلور.. الموضوع والمنهج (مرجع سابق)»، ص ٤١.
- ١٢- أعلاه، ص ٤٢.
- ١٣- أعلاه، ص ٤٣.
- ١٤- أعلاه، ص ٤٣.
- ١٥- د. فوزية دياب، «القيم والعادات الاجتماعية، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية»، دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٨٠)، ص ١٠٧.
- ١٦- أعلاه، ص ١٣١.
- ١٧- د. سيد حامد حربين، «تصنيف ودراسة عادات وتقاليد دورة الحياة البشرية: المنظور الحضاري والإطار العلمي»، (ندوة جمع توثيق العادات والتقاليد المرتبطة بدورة حياة الإنسان في دول مجلس التعاون: أبوظبي، ٤-٥ أكتوبر ٢٠٠٢)، ص ١٨.
- ١٨- فوزية دياب (مرجع سابق)، ص ١٠٨.
- ١٩- أعلاه، ص ١٠٨.
- ٢٠- أعلاه، ص ١٢٨.
- ٢١- د. محمد عبده محجوب، مقدمة «أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة»، (السلسلة السوسيو أنثروبولوجية، الكتاب الأول، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، ١٩٨٥)، ص ١٣.

الفصل الأول
الترااث الشعبي
والتنمية
Folklore
And Development

التراث الشعبي والتنمية

التقديم :

ربما حان الوقت للتفكير في ايجاد علاقات مباشرة ، وغير مباشرة بين اكبر قضيتين تشغلان المحافل العلمية في الوقت الراهن ، الا وهما قضيتا التنمية المستقلة ، والتراث (التراث الشعبي بالتحديد). فلقد طالت الحقبة التي ركزت الدراسات فيها حول موضوع التنمية ، واهمية الانطلاق بها من خلال خصوصيات الشعوب الأذلة في النمو متبنية فكرة إلغاء التبعية و التخفيف من حدة التحديث الغربي الذي لم ينجح على مستوى التطبيق في اغلبية دول العالم الثالث. إذ عانت الدول من برامج التحديث وادى ذلك إلى إعادة إنتاج التخلف بدلاً من التخلص منه . فاصبح التراث إذاً يمثل مخرجاً ومرتكزاً لتنطلق منه عملية التنمية لعلها تجد الأرضية الخصبة لنمو مشاريعها الاقتصادية ، والاجتماعية والثقافية . ومن هذه الفكرة تنطلق هذه الدراسة لتباحث عما يمكن استخلاصه من اعتبارات ايجابية من التراث الشعبي لمجتمع الإمارات العربية المتحدة ليخدم عملية التنمية المنشودة .

وربما حان الوقت لاتخاذ موقف محدد ، ورؤيه جديدة من هذه القضية.

إن التنمية المنشودة التي يجب أن يتبناؤها مجتمع حديث كاليإمارات لا بد أن تكون تنمية شاملة تسعى لترسيخ اسس مجتمع جديد ينمو كل شيء فيه من البداية. وربما الحديث عن التنمية بعد مرور اثنين وعشرين عاماً على بروز هذا المجتمع على الخريطة الدولية يكون حديثاً متاخراً، رغم اننا لا ننكر أن هناك تغيرات شاملة حدثت في هذا المجتمع واننا بهذا نصل إلى حقيقة مفادها أن هناك بناءً قد تم ، ودولة اسست على مبدأ الوحدة والاندماج منذ عام ١٩٧١، وأن هناك مؤسسات قد رسخت ، ولكن ينقص كل ذلك النظام ، فلم تتحدد حتى الآن الأنظمة التي سوف تدار بها تلك المؤسسات ، والتي تحقق

للمجتمع أو لذلك البناء الجديد معاييره التي يستند إليها.

فلم يأخذ البناء السريع للمجتمع ، والتخطيط له حقه من الدراسة الواقعية . وهذا سنتوقف قليلاً لنسائل عن القضية التنموية في مجتمعنا هل تبنت لها معايير جديدة .. ونظريات قوية متلائمة والبيئة الجديدة (سواء كانت البيئة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الجغرافية).

ولن نتعجل الإجابة على هذه التساؤلات ، إذ قدمت العديد من الدراسات والأبحاث حول التنمية بكل أبعادها في الإمارات ، ولكن حتى الآن لم تأخذ تلك الدراسات طريقها للمخططين ، والمهتمين بالتنمية وربما لن يكون في وسع هذا البحث أن يناقش ما تم من مشروعات للتنمية ، وما لم يتم ، إنما نستطيع أن نصل إلى حقائق يشعر بها الجميع الآن .. أهمها أن التنمية البشرية لم تتضمن معالجتها بعد في هذا المجتمع .. من هنا نسائل لماذا؟ لماذا يعاني الإنسان في مجتمعنا اليوم من الفشل في تأدية دوره الاجتماعي على مستوى الأسرة، أو الوظيفة العامة؟ وكذلك الفشل في استغلال طاقاته من أجل انتاجية عالية في العمل، ثم الفشل في المشاركات العامة والمساهمة في بناء المجتمع على المستوى التطوعي.. لماذا بربت هذه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؟. لماذا نعاني اليوم من فشل في نظامنا الاجتماعي؟ لماذا نلاحظ هذا الخلل في منظومة القيم؟ لماذا بربت قيم الاستهلاك محل الانتاج، وقيم البذخ بدل الترشيد وقيم الاتكالية بدل الاعتماد على الذات؟. وإلى آخره من هذه القيم التي تغيرت وأثارت مشكلات جمهه على مستوى الفرد والمجتمع. إن المجتمع في مرحلة بناء وتأسيس وما أحوجه في هذه المرحلة إلى قيم قوية سواء أكانت القيم الاجتماعية، أو الأخلاقية أو قيم العمل والانتاج .. وكثيرة هي التساؤلات التي ستحاول هذه الدراسة البحث عن إجابة لها..

ونخرج من هذا أماماً تحدّيحتاج إلى وقفه متأنية نعيّد النظر فيها

عن مسوغات هذا التحدي . فنقول بداية لنبحث في تراث وحضارة هذا المجتمع .. فلربما كان هناك موروث يغذي الحياة فيما من جديد .. ويبعث بقيمه السالفة لتبعد النساء في الحياة الحاضرة. ونحن بهذا لا نبتعد عن حقيقة أن التنمية في الإمارات لم تنبع من واقعه ، ولا من اختيارات افراده، ولا من إطار تراثه وقيمته وميراثه الشعبي الوطني . بل جاءت من خارجه ، من معايير مادية رأسمالية أعيد انتاجها هنا ضمن المنظومة العالمية .. فاعيد انتاج التخلف فيه خلال مرحلة طويلة من الانسلاخ عن جسد الأمة العربية في فترة الاستعمار البريطاني التي امتدت عام ١٨٨٢ إلى ١٩٧١ فلقد سادت ثقافة غربية في هذا المجتمع . تناجمت الأذن والثقافة الجديدة فيه (ثقافة الآسيويين والأوربيين) مما أدى إلى ضياع الهوية العربية فنجد المجتمع اليوم أمام لحظة حاسمة يبحث فيها عن هويتها!! وهذا ما يتفق وما تطرق إليه السيد ياسين حول هذه القضية وأهمية البحث عن التراث.

إذ يقول في هذا الصدد :

«في اللحظات الحاسمة من تاريخ الأمم والشعوب تثور تساؤلات شتى حول هويتها القومية وجذورها الحضارية وتقاليدها الوطنية . وإذا طبقنا هذه الحقيقة على التاريخ المعاصر للأمة العربية ، فإنه يمكن القول أن هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧ من ناحية ، وحرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ من ناحية أخرى تمثلان هذه اللحظات الحاسمة التي أدت إلى ظهور وبلوة عديد من التساؤلات عن العرب في الماضي والحاضر والمستقبل ، عن السلبيات والإيجابيات ، عن عدم الفاعلية السياسية والعسكرية من خلال الإقليمية والتجزئة ، وعن الانجاز السياسي والعسكري من خلال التنسيق والوحدة ، وبعبارة مختصرة عن فاعلية وشخصية القومية العربية ، وقدرتها على التفاعل الخالق مع المواقف المصيرية التي تتعرض لها الأمة العربية في الوقت الراهن ، وعن محصلة هذا التفاعل من سلوك قومي عربي»^(١).

ولعل هذه المقوله العميقه تدفعنا إلى البحث في نفس الاتجاه عما إذا كانت هناك حالة ذاتية خليجية تبحث في مقدرات تراثها من قيم وعادات وتقالييد وممارسات ومعتقدات .. تنسحب هذه الحالة الخليجية إلى الإمارات كتجربة خاصة .. إذ بدأ بالفعل البحث عن الذات من خلال التراث ، وتحديدًا التراث الشعبي ، ولقد انصب البحث في المرحلة الأولى على الجمع والتوصيف والتصنيف .. أما الآن فالمرحلة الثانية تأخذ بعدهاً جديداً لا وهو تحليل هذا التراث ، وتوظيفه بما يخدم القضية الإنسانية الكبرى لا وهي التنمية .. وتحديدًا التنمية البشرية ..

فإمارات كمجتمع يجمع بين الحداثه والقدم .. يتعرض منذ بدا التوسع والتوحد فيه لمؤثرات جديدة تشكل مشكلات حادة أهمها المشكلة الديمografية ، والعجز السكاني أمام الخطر الخارجي المتمثل في الهجرة الآسيوية الحادة جداً .. من هنا جاء الاهتمام الأول وهو البحث والتاكيد على الهوية العربية استناداً إلى الجذور الحضارية لهذا المجتمع وعاداته وتقاليده الوطنية . فاصبحنا نبحث اليوم عن إجابات لتلك التساؤلات التي تطرح على المستوى العربي .. فعندما نبحث عن مصير التنمية العربية .. نجد التساؤل الذي يطرح نفسه لا وهو : ماهي الوسائل التي تكفل للعرب عبور الفجوة بين التخلف والتقدم ؟ وهل يكون ذلك باحتذاء النموذج الغربي في السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها احتذاءً كاملاً ، أم يكون بإحياء التراث العربي باعتباره يصلح كنموذج حضاري للتنمية والتحديث، أم أن الحل يكمن في محاولة التوفيق بين النموذج الغربي والتراث ؟

كل هذه التساؤلات تمثل كما يراها السيد ياسين جوهر الأصالة والمعاصرة^(٢) ونحن نبحث في قضية التراث في الإمارات لندور حول نفس تلك المحاور وإلا بماذا يمكن أن نبرر حديثنا حول جدوى التراث الشعبي في التنمية في دولة الإمارات العربية المتحدة ؟

إننا إذن نتطلع إلى أن يكون للإمارات نموذج للتنمية يستعين باصول من حضارته السابقة وخاصة ما يتمثل في الجانب الإنساني والقيمي منها ، الذي يخدم الركيزة الأساسية في هذه التنمية وهو الإنسان ، ثم ينطلق باطر تحديثية يستقىها من معطيات التقدم المادي في العالم .. بحيث تتكامل هذه العملية .. في إطار يلغى عنها صفة التبعية ويعطيها الاستقلالية التي هدفت إليها كل المجتمعات على مستوى العالم

ونستطيع أن نؤكد أن المخزون التراثي الشعبي لو وظف وخدم بشكل موضوعي يستطيع أن يبيث في الإنسان هنا العديد من القيم والقدرات العقلية التي سوف تتيح له العمل الجاد المنتج وتحقق له تنمية فاعلة . ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك ؟ إذ لا بد من العثور على معادلة صحيحة توفق بين الأخذ من هذا التراث والانفتاح على التقدم المادي في العالم .. ولعل ذلك من التحديات التي تحتاج إلى عملية كبيرة.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الوطن العربي يصبح التمسك بالتراث القومي ، الذي تشكل الموروثات الشعبية أبرز عناصره ، مطلباً ملحاً للدفاع عن التراث ، ولكن ما هو هذا التراث ؟

فلقد كثرت الرؤى حول التراث ولكننا نشير هنا إلى تعريف (محمد أركون) الذي يعتبر التراث سنة الآباء ، وإطاراً من الأحكام والشرائع ، ومعلومات عملية تجريبية شعبية ، ومجموعات أدبية فكرية علمية مكتوبة ، خاصة بالطبقات المدنية العالمية ؟ تختلف عن التراث الشعبي الشفوي ، والتراث - أخيراً - تصورات للماضي مبررة لما تحلم به الجماهير لحاضرها ومستقبلها^(٣) ونحن إذ نتبيني هذا التعريف الشامل للتراث إنما فقط لأنه يحقق لنا ثلاثة أبعاد نسعى للتوفيق بينها وهي الماضي والحاضر والمستقبل، هذه الأبعاد هي التي تشكل لنا العلاقة الجدلية بين (الماضي أي التراث) (والحاضر - أي المجتمع) - (المستقبل أي التنمية) ففي هذا الإطار

سوف تسير الدراسة ، وضمن هذه الفروض سوف تحاكم قضيتي التراث والتنمية ، وتحقيق ذلك الحلم (الهدف من الدراسة) إنما يحتاج منا إلى فهم واع للتراث ، فهم يجمع بين العمل المتصل والوعي بقضية أن التراث ليس هو بتصورات فقط، بل - ربما قبل - ذلك هو أسلوب للحياة ، وأدوات وأساليب للانتجاج ، بجانب القيم والعادات والتقاليد.

أما عن الموروثات الشعبية العربية والخليجية فهي كل ما صدر عن الشعب العربي والخليجي بجميع فناته وطبقاته من إبداع ، ومن شعائر وطقوس ومراسم ومعتقدات وما صدر عنه من عادات وتقاليد . كلها تشكل ثقافة عقلية ومادية خاصة تمثل روحه وحكمته وإبداعاته المختلفة على مر الزمان ، مثل اللغة ، الموسيقى ، الأشعار ، الأهازيج ، الأزجال ، الرقص ، الحكايات ، السير ، الملحم ، الأغاني ، الأمثال ، الأزياء ، الحلي ، الطب ، الصناعات ، الحرف ، العادات والتقاليد وغيرها ، مما عبر عنه الحس ، وتفاعل بالتبادل والتدخل والالتحام والاحتكاك والصراع مع الثقافات المجاورة ، وتواتر عبر الأجيال حتى وصل إلينا^(٤)

ويحتاج كل ذلك إلى إلقاء الضوء على بعض التعريفات الخاصة بكل عنصر من عناصر التراث . فالأدب الشعبي : تدخل ضمنه كل فنون القول التي توارثت مشافهة : اللغة المحلية وصوتياتها وعلوم صناعتها ، الأشعار ، الأزجال ، الأحادي ، الخرافات ، السير ، الملحم والحكايات ، ثم الأمثال.

أما عن العادات والتقاليد : يندرج ضمنها كل ما له علاقة بالممارسات الشعبية التي كرسها الشعب عرفاً وعادة متوارثة كالتنظيم الاجتماعي والتنظيم الاقتصادي وتفسير المعالم والقوانين التي تسير وفقاً لها ظهر الكون وأشكال السلوك^(٥) فالعادة الشعبية هي نمط السلوك الذي يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم ويميل إلى الثبات بمرور الوقت بل والانتقال الوراثي . ويرى محمد الجوهرى أن العادات ذات قوة معيارية وتنوع بتنوع

ظروف المجتمع والعمر والنوع ، والمهنة ^(٦).

فنون الموسيقى والغناء والرقص : وهذا المحور من أوسع المحاور لاشتماله على ثلاثة فنون كل منها عالم قائم بذاته ، لكن هذه الفنون لا تأتي إلا مجتمعة ، فيؤدي الرقص بمصاحبة الغناء على أنغام الموسيقى ، ونستطيع أن نعتبر الألعاب الشعبية ضمن هذا المحور ^(٧) . وتقوم هذه الفنون ببلورة وترجمة مشاعر الأفراد ورغباتهم وهمومهم وأحزانهم وأفراحهم ومشاكلهم تجاه مختلف قضايا حياتهم المباشرة وغير المباشرة . وهي كذلك أدلة رفض ورغبة في التغيير والتعبير عن روح الجماعة وعن الذوق الشعبي والقيم الجماعية .

الحرف والصناعات الشعبية : وهذا محور أساسي في الفلكلور العربي لأنه يشكل جانب الإبداع في الثقافة الشعبية ، ويغطي جميع إبداعات الفنون التشكيلية والتطبيقية التي منها على سبيل المثال : تشكيل المعادن وصناعة وتشكيل الفخاريات ، العمارة ، النجارة ، أعمال الحفر على الخشب ، الأزياء وأعمال النسيج ، التجميل والزينة وصناعة وتشكيل الزجاج ^(٨) .

الأفكار والمعتقدات : هي مجموع المعلومات والمعارف المتراكمة في أذهان الناس عن حياتهم والبيئة المحيطة بهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، والتي تشكل الإطار المرجعي لكل مظاهر سلوكهم ، والفرق بين الأفكار والمعتقدات على المستوى الشعبي فرق نسبي ، حيث تمثل الأفكار الشعبية المعلومات والمفاهيم الأقل تقلباً والأكثر قرباً من وقائع الحياة اليومية ، ومتطلباتها الضرورية والمحاطة بالاحترام والالتزام الاجتماعي ^(٩) .

وهناك العديد من الدراسات التي اعتبرت المعتقد سلاحاً قمعياً جماعياً ضد الأفراد ، فنرى مثلاً عبد العزيز شرف يرى أن هناك مجتمعات متختلفة قد تؤمن بمعتقدات صارمة تمنع مخالفتها على الإطلاق . وويرى أن المعتقد (اجتماعياً) يبرز كالرأي العام الاجتماعي ^(١٠) .

الحكم والأمثال : وهي التعبير اللفظي المقتضب والمتداول بغير تبدل أو تغيير في لفظه الحرفي ، والتي تمثل بما تنطوي عليه نصوصها والفاظها من استخلاصات للتجربة ، واستقرار للواقع ، وترامك للخبرة والمعاناة التاريخية، وهي قد تشبه القواعد والخطوط النظرية للسلوك العلمي (١١) .

أما لو تحدثنا عن كيفية نشأة هذه المفردات للتراث الشعبي فنجد أنها تنبع من البيئة الاجتماعية والجغرافية التي يعيش فيها الإنسان فهناك تنوع في هذه البيئات بالنسبة لمجتمع الإمارات إذ نجد البيئة الصحراوية والزراعية والبحرية ، وكذلك الجبلية .. فالتراث الشعبي إذن هو نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته ، ونتيجة لاستجابات وردات أفعاله ومعتقداته ، فكل نوع من تلك البيئات تنتج تراثاً بتفاعل الإنسان معها ومعرفته بظروفها ، إنما تظل الأهمية الكبرى للبيئة الاجتماعية التي تسهم في خلق المعتقدات والتصورات حول الحياة والوجود . فمن الضروري إذن فهم تلك البيئة الاجتماعية على أساس أنها البناء الاجتماعي والسياسي الذي يفهم من خلاله تراثهم الشعبي. وبجانب تلك التعددية البيئية في الإمارات ، نلاحظ كذلك التعددية الثقافية حيث تزدهر في ثقافة المجتمع بعض الثقافات الفرعية كثقافة البلوش، والأفارقة والتي أفرزت العديد من أشكال الممارسات الشعبية التي أصبحت اليوم تمثل جزءاً هاماً من التراث الشعبي في الإمارات.

ومن هنا عندما ننطلق في حديثنا عن البيئات المتعددة لمجتمع الإمارات وما أفرزته تلك البيئات من موروثات عميقة الأثر اليوم في حياة الإنسان في هذا المجتمع .. إنما نود التوقف عند خصوصية تاريخية لهذا المجتمع .. إذ بجانب ذلك التعدد والتنوع في بيئاته الجغرافية والطبيعية نجد كذلك تنوعاً في ظروفه التاريخية والاجتماعية .. فلقد مر المجتمع بمراحل تاريخية تميزت بشيء من التحول والتقلب في الظروف الاقتصادية، إذ عاش أبناء هذا المجتمع في بدايات هذا القرن حياة منظمة اجتماعياً واقتصادياً . وفي المرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى كان المجتمع يعيش في حالة من الرخاء

الاقتصادي خلقت تنظيمياً اقتصادياً لأبنائه أثر في ايجاد وإفراز تراث شعبي أدبي وشفاهي تمثله الشعب في حياته واستخدمه في رموزه وأشعاره ، وكذلك تقدموا في مجال تطبيقاته من الحرف والصناعات اليدوية ، وتطوروا في مجال البحر والأسفار والتجارة .. ثم توالت مرحلة أخرى تغيرت فيها هذه الحياة فمر المجتمع بفترة حوضر فيها بظروف الحرب العالمية الثانية فاحتضنت المنطقة بالجماعة والأمراض والوفيات بالجملة ، والركود الاقتصادي والقسوة المعيشية المضنية : مما دفع أبناء الإمارات إلى الاندفاع نحو البحر ومحاولة محاصرة هذه الأزمة الاقتصادية ، واستطاعوا في شكل من التضامن الاجتماعي مقاومة هذه الظروف .. وتحدى المقابلات التي أجراها عبدالله عبدالرحمن مع العديد من الشخصيات والرموز الوطنية عن هذه المراحل ، وعن كيفية مقاومتها (١٢).

ثم تلت تلك المرحلة مراحل أخرى بين مد وجزر في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما يعكس تراثاً تبرز فيه صور المعاناة والاصرار والقوة، وصور أخرى تعكس المقاومة والرفض والتحدي للظروف السياسية والبيئة الاجتماعية .. مما أصبح اليوم يمثل مخزوناً نفسياً يعبر عن العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية التي عرفتها منطقة الإمارات ويوجد على مستويات عدة منها مثلاً على المستوى النفسي ، ومنها على مستوى التدوين في المكتبات والمخازن والمساجد والدور المختصة بالتراث ، أو على مستوى المخطوطات ، فللتراث الشعبي في الإمارات إذن دلالات اجتماعية وسياسية إذ كان وراء ذلك التوازن والاستقرار السياسي الذي عاشه المجتمع في بعض المراحل ، وربما عبر في مراحل أخرى عن عدم التوازن ، وذلك هو الدور الذي يلعبه التراث دائماً فهو في النهاية تجسيد وانعكاس للواقع المادي والموضوعي. وخاصة بالنسبة للمعتقدات كاحد عناصر ذلك التراث .

كل ذلك نستطيع أن نعتبره الصورة الحقيقة للجهد الإنساني المتضمن للحقائق المادية والفكرية من حياة شعب الإمارات . وربما نستطيع ان نذهب

في تحليلنا لهذا التراث إلى أبعد من ذلك اعتماداً على رأي محمد عابد الجابري .. الذي يؤكد فيه أنه لا يجب أن نرى التراث على أنه بضاعة تم انتاجها دفعة واحدة وخارج التاريخ بل هو جزء من التاريخ ، وهو حركة الفكر وتطلعاته خلال مراحل معينة من التطور.

ننطلق مع الجابري من هذه الأهمية للتراث ونجد ضرورة أن يتم التعامل معه تعاملاً علمياً وأن نعيه على مستوىين مستوى الفهم ، ومستوى التوظيف أو الاستثمار. ففي المستوى الأول علينا أن نحرص فعلاً على استيعاب تراثنا ككل بمختلف منازعه ومراحله التاريخية ، أما على المستوى التوظيفي فمن الطبيعي أن نتجه أكثر وأكثر إلى أعلى مرحلة وقف عندها التقدم (١٣) . وربما يجد البعض أن في ذلك الرأي بعداً أبعد مما يتحمله التراث الشعبي ، وأن الجابري كان يتحدث عن التراث العربي الإسلامي بشكل شامل ، ولكي نواجه ذلك باننا نسعى فعلاً إلى فهم تراثنا الشعبي بنفس العمق والتبصر حتى نستطيع أن نخلق إمكانية التوظيف أو الاستخدام له ، أي انتقاء العناصر الإيجابية من ذلك التراث وإدخاله كعناصر رئيسية لخطط التنمية في هذا المجتمع .

وفي هذا المجال نتحاور قليلاً مع طيب تيزيني (١٤) أيضاً في اتجاهه للفصل بين التراث والموروث . إذ يرى أن التراث هو أشمل من الموروث، وأن الموروث من وجهة نظره هو مجموعة من النتاجات الفكرية والسياسية والعمانية التي أصبحت بحوزة الفعل التوريثي، أي أصبحت بين الوارث واعياً أو غير واع ، وبالتالي فالموروث أصبح جزءاً من الحاضر ، أما التراث فهو أشمل من الموروث لأنه يشتمل على أمرين ، الأول هو الماضي ، والثاني هو الحاضر مستمراً . إذن التراث في نظر (تيزيني) له حضوره في الماضي أما الموروث فله حضوره في الحاضر وربما لا يبدو أن هناك خلافاً بين ما نتبناه من فكر حول قضية التراث والموروث وبين طيب تيزيني إلا في التعمق الفلسفى الذى تبرر عليها آراؤه .. والتي تستطيع وجهة نظر (حسن

حنفي)^(١٥) ان توصل فيما بينها عندما قال إن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو «إذن قضية موروث. وفي الوقت نفسه قضية معطى، على العديد من المستويات» في الوضع الراهن.

ونخرج من ذلك الحوار بان التراث الشعبي لا زال المخزون الأول لفلسفة الشعوب ولقيمها ، وعاداتها ، وحتى لتطبعاتها. وخاصة التطبعات التنموية التي نركز اليوم عليها . او التطبعات القومية الكبرى في حالة إذا امتد حديثنا إلى الأمة العربية كلها فالتراث هو الذي يجب أن يجسد أرقى حالة من التماسك ، والشعور بالهوية، ضمن الجماعة ومطابقة ذلك مع الأهداف المستقبلية المطلوبة سواء لجهة التوحيد القومي لشعوب الأمة العربية في إطار من العلاقات الديمقراطية المحلية والروابط الإنسانية المتقدمة^(١٦).

ومن هذا الهدف العام تنطلق دراستنا هذه بأهدافها الخاصة التي تتحدد فيما يلي :

- ١ - تحليل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لعناصر التراث ، وتحديد علاقاتها لعمليات التغيير والتنمية ، وتطويع هذه الجوانب لخدمة خطط التنمية .
- ٢ - محاولة لتطوير نظم اجتماعية أكثر استجابة لمطالب عامة الناس وتحقيقاً لمطامحهم في الرخاء.
- ٣ - توظيف التراث للمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية في مجتمع الإمارات، واستخدامه لمقاومة أشكال التدخل الثقافي الأجنبي.
- ٤ - البحث عن كيفية تطوير المهن الحرفية المنطلقة من الموروث الشعبي.
- ٥ - البحث في إمكانية استخدام الموروث من أجل مزيد من الولاء الاتحادي والاندماج السياسي والدفع برؤية جديدة لهذه الوحدة الإماراتية وذلك بتاكيد الشخصية التاريخية له.

٦ - ايجاد علاقات اكثر ديناميكية بين عناصر التراث الشعبي والواقع المجتمعي، وخاصة في بعث القيم والمبادئ التراثية لخدمة تصدعات البنية الاجتماعية الحالية في الإمارات ، انطلاقاً من أن التراث يشكل علاقة حركية بين ماضي الأمة وحاضرها.

فأهداف الدراسة إذن تتحدد في إحياء الماضي وإحياء يسري به في جسم الحاضر ويكون ذلك بالمحاكاة في الاتجاه العام لذلك التراث وليس في خطوات سيره ، وكذلك المحاكاة في الموقف ، ومحاكاة في النظرة ، ان نستطيع تطوير ذلك التراث الشعبي ليكون منبعاً لإبداعات الإنسان في الحضارة ، والمحاكاة أيضاً للقيم التي تمكنا من قياس ما يصح وما لا يصح في مشروعنا التنموي ، خاصة وأن القيم كثيرة تلك التي كانت تنظم حياة مجتمع الإمارات في الماضي ، وسوف تكون الإشارة إليها واضحة من خلال عرضنا لصور وعنابر التراث ، ومن خلال تقييمنا العام له.

فهذه الدراسة إذن تعتبرها محاولة مبدئية لتحديد العلاقة الاجتماعية والتاريخية الجدلية العلمية بين الماضي ممثلاً بالتراث من جهة ، وعملية التنمية المعاصرة في دولة الإمارات العربية المتحدة . ومن المهم في بدايات هذه الدراسة أن نلمح إلى أن هناك صراعاً قد ساد فترة طويلة في هذا النوع من الدراسات تحدد ذلك الصراع بالتناقض ما بين النظرة الرسمية للتراث والنظرة الشعبية له . وكذلك التناقض ما بين وجهتي نظر تطرف كل منها تطرفاً عنيداً في استخدام التراث^(١٧) . فهناك من يرى ضرورة ترك التراث ويعتبره حجر عثرة في طريق التنمية وهناك آخرون يرون ضرورة التمسك به بشكل متحسن بحيث لا يمكن التغيير في المجتمع إلا وفق مفاهيم ذلك التراث، ومعاييره ودراستنا هذه تتجه نحو التوازن في الرأي.

وترى أن كلا الرأيين أو الاتجاهين السابقين يحملان نوعاً من الإيجابية ولكنهما لم يصلا إلى الحقيقة كلها إذ أن الوصول إلى الحقيقة لا يمكن أن

يتحقق ، لذلك تلتئم هذه الدراسة البحث عن الموقف المتوازن من التراث ، الموقف الذي لا يرى التراث على انه الحافز فقط للاندفاع إلى التنمية ، ولا هو التراث العباء المعطل لها ، بل نعتبره الرافد القيمي والسلوكي لكل مشروعاتها^(١٨) . وللوصول إلى ذلك الموقف المحدد علينا أن نقوم بإجراء تحليل ونقد اجتماعي شامل لتوجهات التراث السابقة ، علينا أيضاً أن نكشف عن كل الأبعاد السياسية والقبلية التي يتضمنها ، كل ذلك من أجل الوصول إلى توجه اجتماعي وعلمي ناضج يساعد بالفعل في الدفع بحركة التغيير الاجتماعي والتنمية في هذا المجتمع.

أما عند الحديث عن التنمية - كمحور رئيس في هذه الدراسة فنجد أمامنا كماً هائلاً من التراث النظري حولها بدرجة لا يتسع لها هذا البحث ، ولذلك سنجاول التركيز على مفهوم واحد لها يتبنى هذا المفهوم التنمية البشرية بالتحديد.

يرى - أسامة عبدالرحمن - أن الإنسان هو محور التنمية الفعلي وهو الوسيلة والغاية في نفس الوقت . ولا يمكن بأي حال من الأحوال - أن يكون هناك تنمية دون اطلاق قدرات هذا الإنسان وطاقاته وحشدها واستثمارها الاستثمار الأمثل في سبيل بلوغ غايات التنمية الفعلية ومراميها . ويقول كذلك إنه رغم أن هذه التنمية تمثل مطمئناً لدول العالم الثالث ، إلا أن مسارها في هذه الدول غالباً ، كان مساراً مغلوطاً بحيث حكم على تلك التنمية فيها إلى حد كبير ، عملية تلقائية متلاحقة القفزات والإنجازات ، وفي الوقت الذي لا تزال الدول المختلفة مشدودة إلى التخلف محاصرة في ردهاته ، وأفضى بها المسار المغلوط للتنمية إلى جعلها رهينة مزالق ومؤازق عديدة^(١٩) .

وتاكيداً على ذلك - وتركيزنا على الإنسان - كقضية رئيسة في مجال التنمية فإنه لن يكون لهذا الإنسان دور في التنمية إلا عندما يكون مشاركاً ومنتجاً لها . وذلك لا يتحقق إلا عندما تتحصل الفرص لينطلق هذا الإنسان

بقدراته العقلية كلها .. وكذلك عندما تتحقق لهذا الإنسان كل حقوقه حتى تترسخ لديه مشاعر الانتماء والحماسة ، والعمل الدؤوب .. ويمكن تلخيص حقوق المواطنـة كما يحددها . أسامة عبدالرحمن . في الحرية والمشاركة في صنع القرار من منطلق تأكيد مسؤوليته المجتمعية وانتماهـه.

وببناء على الارتباط في هذا البحث ما بين التراث والتنمية فإننا ندعم ذلك الرأي بأن تستند التنمية الإنسانية فيه على تراثها ، وخاصة على القيم المتضمنة في ذلك التراث . وقيم الحرية ، والمبادرة ، والتفكير المستقل ، وعدم الخوف من العقاب ، وإتاحة الفرصة للرضا بنتائج العمل ، وإعطاء العقل دوره للمحاكمة على أساس موضوعية ، بجانب قيم العدالة والمساواة فكل هذه من لوازـم التنمية. ولعل تلك القيم لا تتعارض واحتياجات الإنسان فحقوق الفرد وواجباته ركائز أساسية متربطة ضمن الإطار الاجتماعي والمقبول لدى القاعدة المجتمعـية العريضة ، فاحتياجات الإنسان تتركـز في حقه في الأمان ، ويتحقق ذلك بسيادة الشرع والقانون العادل، وضمان الحرية الفكرـية ، وصون الحقوق الأساسية وتحقيق التنمية ذات المحصلة الاقتصادية المـتوازنة والظروف الاجتماعية المنصفـة (٢٠).

فهـذا هو إطار التنمية والمفهـوم الذي تتبـنـاه الـدرـاسـة ، والتـي تـسـعـى لـتقـرـيبـ العـلـاقـةـ بيـنـهـ وـبيـنـ مـضـمـونـ التـرـاثـ الشـعـبـيـ بـحيـثـ يـخـدـمـ كلـ مـنـهـماـ الآـخـرـ.

فـبرـامـجـ التـنـمـيـةـ يـمـكـنـ أنـ تـتأـثـرـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ بـطـبـيـعـةـ التـرـاثـ الشـعـبـيـ ، وـماـ تـتـضـمـنـهـ عـادـاتـ النـاسـ وـمـعـنـقـدـاتـهـمـ وـنـظـرـاتـهـمـ إـلـىـ الكـوـنـ وـالـحـيـاةـ وـطـرـيـقـةـ حـكـمـهـ عـلـىـ الـأـشـيـاءـ . وـأـيـ خـطـةـ لـلـتـنـمـيـةـ لـأـتـرـاعـيـ مـثـلـ هـذـاـ بـعـدـ لـأـدـ وـأـنـ تـنـتـهـيـ إـلـىـ طـرـيـقـ مـسـدـودـ ، اوـ إـلـىـ نـتـائـجـ مـحـدـودـةـ جـدـاـ مـاـ تـرـمـيـ إـلـيـهـ فـيـ اـحـسـنـ الـأـحـوـالـ ، مـهـمـاـ توـفـرـتـ لـهـاـ مـنـ الـعـوـافـلـ الـاقـتصـاديـةـ الـكـافـيـةـ وـالـإـطـارـ السـيـاسـيـ الـمـنـاسـبـ . لـهـذـاـ يـجـبـ أـنـ يـتـكـاملـ وـبـنـسـبـةـ صـحـيـحةـ كـمـاـ يـقـولـ دـ.

الحسيني (٢١) - الإيمان بالتراث والاندفاع نحو التقدم لكي نضمن انتظام إيقاع التطور الثقافي والاقتصادي . ذلك ان البرنامج الإنمائي الذي يتضمن بناء مستشفى عام ، ومن أحدث طراز في منطقة ريفية دون مراعاة مدى استجابة المواطنين لهذه الظاهرة، والاستفادة منها ، استناداً إلى أي افتراض نظري مسبق بأن المستشفى مفيد للمواطنين ، وعليه فإنه لا ينتظر من يعارض أو يرفض الفائدة لنفسه ، فإن المشكلة تبدا حينما يبدأ المجتمع نفسه بمحاصرة هذه الظاهرة - المستشفى، الجمعية التعاونية ، المبيدات الحشرية . الخ - وإثارة الشكوك حولها والرفض المباشر وغير المباشر لما يمكن أن تؤدي إليه من تغيير حقيقي في حياة الناس نحو الأفضل ، وذلك تحت وطأة مختلف المشاعر والأطر المرجعية في حياة الأفراد التي تقضي مثلاً باستحالة السماح للمرأة بأن تكشف عورتها لرجل أجنبي - الدكتور مثلاً - والارتفاع لبعض الأمراض المزمنة ، وعدم الرغبة في التخلص منها باعتبارها محنة المؤمن في هذه الحياة الدنيا والتي سوف يؤجر على احتمال عذابها يوم القيمة (٢٢).

ونستطيع أن نقدم العديد من النماذج لمظاهر التراث والسلوك الشعبي التي تمثل أحد المعوقات الرئيسية أمام التنمية في الإمارات :

- النظرة الدونية إلى المرأة في الإمارات.
- احتقار العمل اليدوي .
- ممارسة الطب الشعبي وعدم الاعتراف بالطب الحديث.
- الاستهلاكية في عادات وممارسات الزواج وما يمثله ذلك من هدر للإمكانيات الاقتصادية.
- الانتماءات القبلية وعرقلة ذلك للإنتماء الوحدوي بين الإمارات.
- العلاقات الاجتماعية المفقودة في الفئات الاجتماعية الطبقية المختلفة ، وخاصة علاقات الزواج والتحريمات المفروضة عليها.

- المعتقدات الغيبية حول بعض الامراض او المظاهر مما يؤثر على تنمية الإنسان وتفسير بعض الحالات المرضية وممارسة الزار للعلاج أو الكي بالنار (٢٣).

وعموماً قد تكون هذه العناصر من الممارسات الشعبية ذات مضامون اجتماعي سلبي بالنسبة لبرامج التنمية ، ولكن نفترض انه قد تحوي هذه العناصر السلبية القدرة على المرونة لتكيفها من جديد في خدمة التنمية ، ونؤكد هنا اننا لا يجب ان ننظر إلى هذه النماذج من السلوك والتراث الشعبي على أنها مقاييس ثابتة غير قابلة للتغيير ، بل على العكس من ذلك نستطيع اخضاعها لمؤثرات التغير التي تمر بمجتمع الإمارات في هذه المرحلة ، ونوظفها لصالح اتجاه هذا التغير بشيء من الدراسة والتحليل الناضج.

فالتراث الشعبي إذاً طرف أساسي لا يمكن تجاهله في أي خطة تنمية، خصوصاً وأن تغيير ظروف المجتمع نحو الأفضل هو الهدف النهائي للتنمية ، وعندما يشارك أفراد المجتمع في التنمية فإنه يستطيع أن يتقبل نتائجها ويقتنع بها ، ويتحمل أخطاءها . وان تأكيد مبدأ المشاركة للأفراد في العملية التنموية إنما تؤكده قيم الماضي . والمشاركة الجماعية في العمل الاجتماعي ، والنشاطات الاقتصادية كانت إحدى الدعائم الرئيسية التي أعطت مجتمعنا تلك الاستقرارية في ظل الظروف القاسية التي تحدثنا عنها في بداية الدراسة . بالإضافة إلى أن ذلك العمل الجماعي كان يدور في ظل إطار من نظام التكافل الاجتماعي الذي تمثل في رموزه الرئيسية لا وهي (نظم الفزعـة . والشوفةـة . والطران) (٢٤) حيث كانت هذه الانظمة هي المحدد الرئيس لنشاط المجتمع وحركته وديمومته وقوته في مقاومة ظروف التحدي التي مرت عليه.

وفي هذا السياق تتأكد أهمية أبعاد ومسارات التراث الشعبي . وتتأكد أيضاً أهمية أن ينقل هذا التراث إلى حالة تثقف عامة لكل أفراد المجتمع بحيث تركز في هذه الحالة التثقيفية على إحياء ما كان مفيداً وذا جدوى

وبطريقة غير قسرية ، بل اختيارية تحقق للأفراد غایاتهم الحضارية.

وعندتناولنا للتراث الشعبي سيتحدد ذلك بالحديث عن هذا التراث في شكل دورات اجتماعية للحياة التي كان يعيشها الإنسان في هذا المجتمع ، وسوف ينصب الحديث عن الدورة الثلاثية للحياة البشرية وهي مراحل الميلاد، والزواج، والموت والعادات والأعراف المرتبطة بهذه المراحل ، والتي تعكس الواقع الاجتماعي . ثم دورة الحياة الزراعية وتنقسم إلى مرحلة الحراثة وإعداد الأراضي ، ومرحلة الزراعة ، ثم مرحلة الحصاد ، وما يرتبط بهذه المراحل من عادات وأعراف تنظم تلك الحياة الزراعية ، وتنظم علاقة الإنسان بالزراعة ، رغم أن الزراعة لم تكن هي النشاط الأولي للإنسان في الإمارات ولكنها كانت تشكل أحد أنشطته التي تمارس في بعض المواسم عندما ينتهي موسم الغوص .. والذي ستفرق له جانباً أيضاً بكل ما يتعلق به من عادات وتقاليد ومعتقدات تعكس أهمية ذلك النشاط بالإنسان ، وأهمية البحر عموماً كمصدر رزق وإلهام في ذات الوقت لكل النشاطات الفكرية والذهنية لهذا الإنسان. هناك أيضاً الممارسات والعادات في بعض المواسم الأخرى كالاعياد . عيد الأضحى وعيد الفطر . وكذلك العادات حول بعض الرياضات الشعبية كالصيد بالصقور وسباق الهجن وعادات نزول الأمطار.

التراث الشعبي في الإمارات :

هناك العديد من التصنيفات لعناصر التراث الشعبي على مستوى الدراسات الأنثروبولوجية ، فهناك مثلاً تصنيفات وضعها (فابس) وأخرى وضعها (بوبكارت ولاوفر) . أو تصنيف (دروش) وتصنيف محمد الجوهرى الذي وضع ضمن الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفي في جمهورية مصر العربية وجاء على النحو التالي :

١ - المعتقدات والمعارف الشعبية .

٢ - العادات والتقاليد الشعبية .

٣ - الأدب الشعبي وفنون المحاكاة .

٤ - الفنون الشعبية والثقافية المادية (٢٥) .

وكما أسلفنا فسوف تتخذ هذه الدراسة : محور التراث الشعبي في شكل الدورات الحياتية التي تتخذها حياة الإنسان ، أو حياة الزرع ، أو الغوص ، أو المواسم والأعياد والمناسبات و الرياضيات الشعبية .

دورة الحياة البشرية :

١ - عادات الولادة :

تعتبر هذه المرحلة هي الأولى بالنسبة لدورة حياة الإنسان وبالتالي فهي تحتوي على العديد من الممارسات الشعبية ، التي يمكن تبني الإيجابي منها ، ويمكن التخلص عن السلبي من مضامينها. تبدأ هذه المرحلة من ظهور أعراض الحمل الأولى على المرأة حتى نهاية الأربعين بعد الولادة . تمتنع المرأة في الأسبوع الأول عن ممارسة الحركة الكثيرة خوفاً على الجنين من السقوط ، ولكنها بعد تلك الأسبوع تمارس عملها في المنزل أو الحقل . ويساعدها أفراد أسرتها على القيام بأدوارها داخل المنزل ، ويشجعونها على كثرة الحركة حتى تسهل عليها عملية الوضع ، وأثناء الولادة تتم الاستعانة بالداية لمساعدتها على تحمل الآلام ، وخروج الطفل وقطع الحبل السري ، وتنظيف المرأة نفسها والمولود . وربما أثناء الولادة تساعد الداية الأم على أن تأخذ الوضع المستقيم حتى تسهل عملية الولادة خاصة ، وأن هذه الداية هي التي قامت بالكشف على المرأة والتعرف على وجود علامات الحمل في بدء المرحلة . وهنا نلاحظ أن من العادات في مجتمع الإمارات ما يختلف عن غيرها من المنطقة العربية إذ أنهم في هذه المرحلة لا يؤمنون بالحسد ، ولا توجد عندهم رموز للتفاؤل أو للتشاؤم حول حمل المرأة ، ويعتبرون ذلك خرافات لا علاقة لها بالواقع ، وتسمى المرأة المولود (حمل إمغال). ولكنهم يعتقدون في ظهور علامات الوحش على جسم المولود في حالة عدم تمكن الأم

من الحصول على ما تشتته من مأكولات أو غيرها أثناء الحمل . (وفي فترة الوحم بالتحديد). وتقوم الداية بعد نجاحها في توليد المرأة بدفع المشيمة ، وهناك اعتقاد يسود حيث أن هذه المشيمة سوف تلتقي بالمرأة نفسها عند سدرة المنتهي يوم القيمة فيقال في لحظة الدفن (بسم الله الرحمن الرحيم وكلناك يا حفرة إلى أن التقى معك عند سدرة المنتهي لهذا الدم) وأيضاً بالنسبة لدفن مشيمة ما بعد الولادة هناك اعتقاد راسخ عند بعض القبائل يرون فيه أن المشيمة يجب أن تدفن وهي في حالة اعتدال وليس مقلوبة أي كما كانت في رحم الأم ، وذلك حتى تستطيع المرأة أن تنجب مرة أخرى .. أما عند قطع الحبل السري للطفل فيقال (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يجعلك في الدنيا نافعاً ، وفي يوم القيمة شافعاً لأمك وأبيك).

وهناك إيمان أيضاً بأن حمى النفاس أسبابها الحسد ، ومن المعتقدات المشهورة أيضاً في فترة ولادة المرأة ورضاعتها لابنها (المدارس) (أو المدارسة) ، والمقصود بها المشاهرة في المجتمعات العربية الأخرى حيث يعتقد أن كلمة مشاهرة ليست موجودة على الإطلاق في مجتمع الإمارات بل قالوا إنها جاءت مع القبائل الفارسية التي عاشت في المنطقة . أما المدارسة فالمقصود بها عدم إنجاب المرأة وهي عروس في حالة ما إذا دخلت عليها إمرأة والدة وأكلت من طعامها . أو أن تمنع زبارة العروس لصديقتها العروس التي تزوجت معها في نفس اليوم وذلك حتى لا تتغزل عن الانجاب.

أما عن كيفية فك (المدارسة) ، فذلك يتم بأن تؤخذ المرأة التي تعرضت لهذه الحالة إلى قبر إنسان ميت ومقتول بالخطأ ، ويطوفوا بها القبر ويقولوا (يا مذبوج بلا يرمة فك الدراس عن الحرمة). ويعتقد كذلك أن الكلاب أيضاً تتعرض لظاهرة (المدارسة).

وهناك من الأفكار والمضامين السلبية في هذه المرحلة منها مثلاً إذا

أنجبت الأم انتى أساء ذلك للأب واخفى المولودة حتى لا يتعرض للإهانة من الأهل والأقارب أما إذا أنجبت له ذكرأ فإن ذلك يكون من أسعد الأخبار بالنسبة له .. وتعتبر هذه من الرواسب المتبقية من عصور الجاهلية ، وتسود اليوم المجتمع العربي ولها من التفسيرات والتحليلات الكثيرة في كتب الأنثروبولوجيا والفالكلور.

يوم قالوا لي بنية أظلمت الدنيا عليه

ويوم قالوا لي غلام اشتد عودي واستقام

أما عن عادات الطعام في هذه المرحلة فنجد الاهتمام بالأم والوالدة والمرضعة ، ويسعى الأهل لتجهيز أكلات متعددة أهمها الفراخ الصغيرة ، واللحوم . وتعد لها مشروبات خاصة لاثناء الرضاعة منها مثلاً (الحريرة).^(٢٦)

وتقدم الهدايا للمرأة بمناسبة ولادتها ، وتذبح الذبائح للتعبير عن الفرحة بذلك . وعلى المرأة التي تتلقى الهدايا أن تردها في مناسبات مشابهة في المستقبل ، وهذه قاعدة واجب احترامها ومراعاتها . وقد تعبير عن التأمين الاجتماعي . وتكون هذه الهدايا عبارة عن ملابس للطفل أو الطفلة أو الحلويات أو الذهب عند الفئات المقتدرة . ويختن المولود إذا كان ذكرأ بعد خمسة عشر يوماً أو عندما يكبر قليلاً وتقام الحفلات لذلك .

ب - عادات الزواج :

بالنسبة لعادات الزواج في الإمارات نجد الزوج هو الذي يتحمل كل شيء من المهر ، وإعداد المنزل وتأثيثه ، والتركيز هنا على بعض العادات التي تعكس فكرة التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع . حيث يقوم أفراد المجتمع بالمساعدة في اتمام الزواج وحفلاته ومراسمه ، ويقدمون الهدايا ، من الأغنام أو النقود . وللزواج مراحل فهناك الخطبة أو الشبكة ثم الجهاز ، والحناء والزفاف . وهناك العديد من الأغاني خاصة بالفلاحين (مجتمع القرية) ،

وآخرى خاصة باعراس الصيادين ، واخرى بالزواج عند الحضر (مجتمع المدينة) . والبدو. ولكن لا يحتفل بكل مرحلة من مراحل الزواج بل يكتفى بالاحتفال بالزفاف ، أو أحياناً بتوصيل الذهب اي جهاز العروس ، والاحتفال لا يكون مقصوراً على ليلة الزفاف ، بل ان الفرق الشعبية تبدأ ممارسة واداء فنونها قبل الزفاف باربعة عشر يوماً او عشرة أيام عند الآثرياء ، او بثلاثة أيام لمتوسطي الحال او ليلة واحدة قبل الزفاف عند الطبقات الفقيرة . ومن العادات ان يشارك في إحياء العرس جميع فئات المجتمع (٢٦).

ونتيجة لهذه المشاركة يستطيع كل فرد إقامة احتفالات عند زواجه دون تكاليف تذكر بالنسبة له بفضل هذا التضامن الأخوي الاجتماعي الملزم.

ومن الأغاني والرقصات المصاحبة للأعراس والزواج : «العيالة»

وهي من الفنون العربية الأصيلة وتمثل الرقصة القومية . وتلاحظ في أغاني الأعراس نزعات فيها المديح ، والتدفين وتسجيل المعارك القبلية .

دران ياللي سعد في الجو ما جاها

طير عجلان شاقتني مضاريبه

عقب ما هي عيوز اتجدد صباحها

زينه يا عرب قامت تماريبه

ج - عادات وأعراف الموت :

الموت هو المرحلة الثالثة في دورة الحياة البشرية ، وتنقارب عادات الموت من عادات الزواج والفرق الوحيد هو ان اهل الميت لا يتوجهون بالدعوة لأحد كما في حالة الزواج ، وإنما يقومون بعملية الإشعار عن الوفاة . وتنتوقف أعمال الناس في يوم الوفاة ليحضروا الجنازة ويدفنوا المتوفي، ويتواجدون من أجل المواساة ، وحفر القبر وتطهير الميت وتكييفه حتى لا يتكلف أهل الميت إلا بقيمة الكفن . ومن الممارسات انه في هذا اليوم لا يتناول

أفراد القرية طعام الغذاء في منازلهم إلا بالتجمع في بيت الميت بعد أن يحضروا الطعام من بيوت الأقارب والجيران . ثم تبدأ مراسيم دراسة القرآن لمدة ثلاثة أيام في بيت الميت . والملحوظة على عادات الموت في مجتمع الإمارات أنه يسير بشكل هادئ دون المبالغة في التعبير عن الموت ، وتلبس الملابس الملونة حيث لا يرتبطون باللون الأسود أو الأبيض مثلاً كما هي الحال بالنسبة للشعوب العربية الأخرى . ولكن هناك ممارسات أخرى تختص بها المرأة في حال وفاة زوجها فتقعد بالمنزل مدة أربعة شهور وعشرة أيام تسمى (أيام العدة) ، تحرم المرأة فيها من الزينة وترتبط بلبس اللون الأخضر أو الأسود ، وتمتنع من مقابلة أي محرم من الرجال، وتمتنع من النظر إلى المرأة والمناظر الجميلة كنوع من الوفاء متضمن هذه العادة ، حتى وإن كانت ظاهرة دينية إلا أن الحرمان من الخروج يعد نوعاً من العادات الخاصة بالمرأة، وتحرمها من ممارسة انشطتها حتى وإن كانت تعول منزلاً وأطفالها . وقد يوجه المجتمع لهذه المرأة الإهانة إذا لم تستكمم عدتها أو حاولت التزين أثناءها .

عادات وأعراف دورة الحياة الزراعية :

أولاً : مرحلة الحراة وإعداد الأرض :

يتحدث السيد محمد سعيد سالم^(٢٨) عن هذه المرحلة وهو مزارع فيقول، أولاً يتم شراء الأرض كتمهيد لعملية الزراعة ثم يذهب صاحب الأرض فيحضر (شبك) من الحديد حتى يسود الأرض لحمايتها ، بعد ذلك تبدأ عملية حفر الأرض وتهيئتها للزراعة في البداية تكون الحراة عادية ثم يثنى بالحرث من أجل استصلاح الأرض ، حيث تخلط بالسماد ثم يقوم المزارع بعمل «نيشان» وهو كلافلنج توضع فيه البذور خاصة للبطيخ والشمام والطماطم.

أما زراعة (الجت) أو البرسيم فيتم عمل (يائب) في حدود (٢٠٠ يلبة)

بطول ١٠ أمتار وعرض ٦ أمتار يبذر فيها البذر، وبين الجانبين من اليلبة
يوضع (عامد) أي حاجز حتى يتسمى للزراعة شرب ما يرويها من الماء.

اما عن النخل فعندما يفسل تكون المسافة بين النخلة والاخري في حدود ٨ امتار حتى يتسعى لها الامتداد . وكذلك الحال بالنسبة للمانجو (المهمبا) واللومي (اي الليمون).

اما عن زراعة الطماطم فإنهم يحفرون لها حفرة ثم تخلط بالسماد ، وترمى البذور وتروى بالماء الذي يأتيها عن طريق (الري بالماكينة) . ولا بد أن يكون الماء عذباً ونقياً. وينطبق ذلك على زراعة البطيخ والشمام واللفاف. ويشير كذلك إلى الطريقة المتبعة في إعداد الأرض لزراعة القمح (الضييف أو البر) (٢٩) فنقول:

بعد أن يعد (الحب) أي البذور، وتحضر الأرض للزراعة التي لا يوضع لها السماد لأنها حار وقد يؤدي إلى تلف المحصول واحتراقه، فقط يقومون بري البذور في الأرض ويخلطونها بالتراب عن طريق (الهياسة) وهي عبارة عن شiran تقدّرها الرجال ليقوموا بتسوية الأرض بعد خلطها بالبذور.

ويواصل الحديث: ثم (تَقْرِزُهُ فلابه) ورقب وبعد ٤ أشهر من (القراءة) يبدأ القمح في النمو حيث يسحق (العرور) ويتسوي (قضيم) فتخرج القضية (أي الثمرة) من العور أي رأس القمح، ثم تتم عملية الحصاد حيث ينادي صاحب المزرعة أصدقائه لمساعدته في الحصاد ويبذؤون في ذلك وهم يرددون:

حشنا الصيف حشناه بحديدتين مسنونه

يَرْحَنِي الدَّاسُ فِي يَدِيٍّ

وبعد أن يحصد يجمع ويربط (بحلال) من سعف النخل «ويسوا وقور» وبعد ما نوصره سوى كعبة تحمل ٢٠ وكن، وبعد ١٠ أيام أو ١٥ يوم نسوى «بيور»، في الأرض للدواسة وتاتي بعد ذلك مرحلة (التوقير) أي الحفظ، حيث

تقام له المداويس ويستخرجون منه (وشام) والوشام عبارة عن هدية من يساعد المزارع وله الحق في أن يدوسه أو يصفيه إلى حب لأولاده.

وهناك طريقة (الرصد) التي يرصد المزارع من خلالها الطيور حتى لا تغير على المحصول وتتفذى عليه ، ويقوم المزارع بعمل (مجلع) من الحديد والخشب لصيد الطيور عند اقترابها من المحصول . ويفضل ان يحصد القمح وقت هبوب الرياح حتى تساعده على تصفيية الشوائب وتنقية القمح منها فيفرز الحب عما يشوبه من قشور.

أما الأوقات المفضلة للزراعة فبالنسبة للنخيل مثلاً يفضل ان تزرع (او تُؤسل) فسل ست المساريج (وهي نجم احمر يطلع عند شروق الشمس) ، وعند ظهوره يبدأ قص النخيل وزرعه .

أما اللومي فعندما تدخل السبعين من فصل الشتاء يفسل . وتخالف مدة نضج الثمرة من شجرة إلى أخرى فالقمح مثلاً يحصد بعد ٤ أشهر وعشرة أيام. والشعير بعد ثلاثة شهور ومثله الطماطم.

أما النخل فليس له وقت محدد قد يتاخر بعد ثلاث سنوات او سنتين.

ويشتراك في عملية الزراعة ما لا يقل عن الثاني عشرة شخصاً يتم استدعاؤهم بواسطة صاحب المزرعة الذي يطلب المساعدة من أصدقائه الذين يلبون له النداء ولو استغرق العمل شهوراً طوالاً.

وعن طريقة الري يقول : تروى الأرض عن طريق الأفلاج او مياه الأمطار، او حفر الآبار واستخدام الماكينة في ذلك ، أما السقي عن طريق الأفلاج فيتم «بالمنيور» حيث يحضر ثور ويوضع على ظهره (المقاله) التي تنقل الماء ، ثم يغرف بالدلو من الأرض ويصب في حفرة أعدت لذلك فيشتراك الرجال في عملية السقي. وعندما لا يصبح (المنيور) يقولون نخل فلان (ما صاح منيورها) وعندها يصبح في وقت الفجر للصلاوة وهذا يضرب مثل حيث يقال :

(المنيور يصبح والماء شالته الريح).

صاحب تلك المرحلة الزراعية رعاية الزرع واستمرار صيانته وحمايته وما يحتاج إليه من جهود أثناء النمو ، ويسود نوع من المشاركة الجماعية في القيام بكل أنشطة الزراعة إذ غالباً ما تجتمع الأسر خاصة من البنات والشباب للعمل كل يوم في أرض إحدى الأسر سواء في ذر البذور أو في مرحلة الحصاد التي يشترك فيها الرجال والنساء، وأحياناً يؤجر آخرون للمساعدة وهم (البيادير).

ومن المناسبات في المناطق الشرقية من الدولة والباطنة «النوروز» وهو موسم يجتمع فيه أهل كل بلد في يوم من الأيام ليتفرجوا على صراع الثيران، وذلك بعد وزن التمر في المستودعات وهي ما يطلق عليها (البخارير) ويؤذن بانتهاء عمل العمال وتجدد التعاقد معهم أو مع غيرهم للقيام بفلاحة النخيل.

ومن العادة أن لكل ثور (بيدار) أجيراً يقوم بسقي الأرض والنخل والأشجار وهي المعروفة (بالسوaci) ولها أحواض وجداول يصل منها الماء إلى النخيل وغيرها وينزعون الماء من الآبار (بدلو) له في أعلى (عرقاه) وهما حطباتان يشد في وسطهما الحبل ويسمى (الكُرْ) وبعضهم يسميه (الرشاء) يرفع الحبل على المنور وفي وسط المنجور (حطبة) أي خشبة طرفاتها في جذعين من الحطب يقال لهاما (التركيبة) وينتهي الحبل إلى وصلة يقال لها مشدودة في جذعين يقال لهاما (اليامعة) ينفصل عنها حبلان يمران بجانب الثور يقال لها (البداؤن) يتصلان بحطبة يقال لها (الوي) على عنق الثور مشدودة بحبل يقال له (الغبط) وحبل آخر في رقبة الدلو يقال له (الماصر) وبعضهم يقول الرشا يمر على حطبة تدور يقال لها الوارة ويلتقي الحبلان عند اليامعة وتصب الماء على موضع يقال له الصدر وهناك جذعنان يقال للواحد منهما (الناحب) يكونان على يمين (البيدار)

أي المزارع ويسار الثور يقال له (المربيل) ينزل منه الثور إلى منخفض يقال له (الخب) وعند انتهائه يقال له (المنسم) فإذا أفرغ الماء من الدلو رجع إلى المربيل وهكذا حتى ينتهي العمل ومدة العمل يقال لها (الغبط)، والعمل نفسه يقال له (اليازره)، وهناك بعض الأشعار التي تساعدهم على عناء مشقة سقي الزرع هذه، وتساعدهم على استعادة النشاط ومن أمثلة ذلك (٣٠).

منيور قلبي حايف	قطع غزال هدوء
لو بضرب بالرهایف	عن وصلهم ما توب

ويقال أيضاً :

والقلب يریتَ وادی	لي من نحا مارد
لا تعذلني هبادي	قلبي جدام شد

ولقد ركزنا على هذه العادات لما لها من علاقة بالعمل والنشاط في الإمارات، ولما تحتوي عليه من مضامين ايجابية للنظام الاجتماعي واستكمالاً لذلك نجد أن هناك أدواراً أخرى يقوم بها المزارع (البيدار) منها مثلاً إطعام الثيران، والسهر في ليالي الصيف، ولا يلون جهداً في ذلك ويعطون الثيران السمن مع البيض وحل السمسم ويغذونها لليوم (النوروز) ولا يستطيع مالك الثور أن يعارض البيدار وإذا فعل لا يجد عاماً فإذا كانت صبيحة ذلك اليوم ذهبوا بها إلى البحر لغسلها ثم وضعوا عليها الطيب فإذا كان بعد الظهر اجتمع الناس وجيء بالثيران فربط كل ثور في نخلة أو شجرة وقام العقيد المسؤول فعادل بين الثيران ثم أطلق الثور على الثور الآخر وتناطحاً والناس ينظرون فإذا بلغ الأمر نهايته أمر بفصل الثيران فيخرج أربعة رجال يكون دورهم هو الإمساك بالثيران وإيقافهم، وجاء لكل ثور صاحبه فأخذته . وتعبر هذه اللعبة عن الانتهاء من عناء العمل، وكذلك عن المنافسة بين المزارعين.

اما إذا كان هناك خلافات تحصل أحياناً بين البيادين، هذا الخلاف

يسمى الثار او (الزماط)، هنا الثوران إذا أطلقها يتركان حتى يقفوا بنفسيهما وهذا أمر يؤذن بالتعادل او هرب أحد الثورين عن الآخر وهذا يعد نصراً ويوضع على المنتصر الزعفران (٣١).

العادات العامة والمواسم :

درج افراد مجتمع الامارات فيما قبل المرحلة الراهنة على الكثير من السلوكيات والعادات التي شكلت نظام الشوفة، اي نظام التكافل الاجتماعي في الوقت الحاضر.

من هذه العادات يقوم الناس بتفقد احوال جيرانهم واقاربهم والنظر فيما يصلح المقرض بقرضة إلا بعد عام على اقل الاحوال ، وقد يتاجل اعواماً ومن يسأل عن ذراهمه بعد عام فلا لوم عليه ، الويل من ارادها قبل العام منذ بدء القرض.

كذلك سادت في تلك الفترة علاقات المودة والرحمة فكانوا يتوبدون إلى بعضهم بذكر القرابة والجوار او الاسفار، وملعب الصبا والمدارس التي درسوا فيها ، ويأخذ كل واحد حاجته من بيت جاره او قريبه، او من مزرعته ويركب ناقته وحماره بغير استئذان سابق. وتتكرر اجتماعاتهم في الصباح والمساء على القهوة العربية ، اما الزيارات فتكون في الأعياد والمناسبات ، ومن العادات انهم كانوا يفتحون اسواقهم حتى الفجر ثم يسعى الناس إلى المصلى ثم يعودون لذبح الضحايا في عيد الأضحى ويتوافرون إلى المغرب وينامون بعد صلاة العشاء مباشرة ويسمونها (الموتة الصغرى).

اما في رمضان فهناك العديد من العادات التي تمتد ممارستها حتى في المرحلة الراهنة .. بحيث يمر الطوافون في كل ليلة على بيوت القرية او المدينة عند السحر ويضربون الطبول لايقاظ الناس للسحور . وفي الأيام الأخيرة من رمضان يمر هؤلاء (المسحراتية) على البيوت بعد العصر ويتبعهم الأطفال لتدفع لهم أجورهم الرمزية عوضاً عن عناائهم وإيقاظهم الناس بغير شرط محدد.

وهناك مناسبة أخرى في النصف من شعبان يتصدق الناس فيها بالعيش (الرز) والتمر والطحين، والدرهم ويمر الأطفال في الشوارع وعلى المنازل ليحصلوا على بعض الحلويات أو المكسرات (النخي) أي الحمص وحبة الخضرا ويجتمع أهل المنزل بعد المغرب لقراءة (سورة يس) ثلاث مرات ثم يدعون بداعٍ ليلة النصف من شعبان ، ويسمى هذا اليوم (حق الليلة).

العادات المتعلقة بالمرأة:

كانت للمرأة اوضاع اجتماعية متعددة فهي التي تدير منزلاً ، وهي صاحبة الرأي في تربية ابنتها ، والمرأة التي لا تعتمد على خدمها وغيرهم لها مقام عظيم في مجتمعها . تقوم بتحضير المأكولات ، وإعداد الوجبات بنفسها . وتعتني المرأة بالضيف عناء خاصة وتكرمه بحسب استطاعتها، وتتقيد المرأة بعادات أهلها في اللباس والخروج من المنزل وزيارة الجيران فخروجها من المنزل لم يكن إلا للأرحام كأم وخالة وأخت ، ولا تخرج في زيارة عامة إلا بعد أن تلد الأولاد في بيت زوجها ثم تملك حق الزيارة في العزاء والتهنئة . ولا تملك الحرية المطلقة إلا امرأة ذات شخصية مرموقة لشخصيتها البارزة وأخلاقها النادرة ، فلا يتصرف أفراد العائلة إلا بعدأخذ رأيها ، ومن النساء الطبيعية الشعبية التي تصنف الدواء بحسب الداء (٣٢) .

ولنساء الحي أو الفريق أو الحارة اجتماعات في المناسبات كالعرس والعيد وعلى قهوة الصباح، ويقمن بمساعدة بعضهن بعضاً في المناسبات في الأعراس أو الختان، وفي المنطقة الشرقية من الدولة والباطنة يساعدن في جمع الحنطة أو الذرة كل يوم في مزرعة إحداين ويقطعن الحب من الأرض وينشدن بأصوات عذبة بعض الأشعار أثناء العمل منها مثلاً (٣٣) :

تلبي يا طوي المحصنه وابك على شيخ وردها السفه

العادات المتعلقة بالنظام السياسي :

لكل أهل أو حارة أو عشيرة زعيم يقوم بقيادة الجماعة أما لكونه من

سلالة زعمائهم ، أو لعلمه أو لكبر سنّه وخبرقه وكرمه ، وحسن خلقه.

له إدارة العشيرة وحل مشاكل أفرادها وينوب عنهم لقضاء حاجاتهم عند حاكم الإمارة ، إن حدث أمر أضر بحقوقهم ولو وقع الضرر على فرد واحد هاجر أبناء العشيرة إلى منطقة أخرى. وعند ذلك يسارع أهل البلد الذين هم جزء من سكانها إلى الحاكم يطالبوه بإرضائهم . وبعد الذهاب إليهم ومصالحتهم يعودون إلى منازلهم وتسمى هذه (المشية) أي عملية الصلح.

وتتجدر الإشارة إلى بعض العادات المتّبعة في حالة حدوث الخصومة بين أفراد القبائل الذين لا تضبطهم إدارة مركزية وهم الرحل الذين يسكنون خيام الشعر . والذين اكتسبوا الكثير من السمات الشخصية من حياة الصحراء فيوصفون بقسوة القلوب وقوّة الإرادة ، فلا خضوع بل حسن خلق في لباقة ومحبة ، كلامهم صريح ، ولغتهم فصيح ، شبابهم رجال لا يعرفون القبيح من الأعمال . يحمون الجار ويدافعون عن الأخلاق في قبيلتهم . لهم نظام قبلي يتقيدون به ويعطون سلطة الفصل في الخصومات إلى رجل ذي شخصية يقال له (السالفة). يترافقون إليه في الحقوق والدعوى وفي الحوادث ونظام الحروب فإذا اعتدى أحد على إبل طرف آخر لمطالبته بحق مالي يسمى هذا (الوخيد) يقوم الطرف الثاني بالطلب ويجتمعون بأهل الرأي فإذا لم تحصل التسوية سلمياً ترافعوا إلى السالفة ^(٣٤).

العادات المتعلقة بنشاط الغوص :

الغوص هو البحث عن اللؤلؤ في أيام الصيف يسافرون في سفن متنوعة منها مثلاً (سباق وصماء وبقارة) وت تكون رحلة الغوص من الغاصة والسيوب والبلاسة والمجدمي والنواخذة.

وتتنوع أعمالهم فالسبب مثلاً يقوم بالإشراف على الغوص عند غطسه في الماء ومساعدته في الخروج من قعر البحر ، والبلاسة يقومون بخدمة السفينة والمجدمي الطباخ .

المرحلة الأولى يقال لها الصيف ثم مرحلة الغوص وتستغرق ثلاثة أشهر تقريباً ثم مرحلة الربدة ومدتها عشرون يوماً فقط وهناك مرحلة (القفال) تمتد بين الفترتين إلى ٣ أو ٤ شهور فينتهي فيها الغوص ، ويقوم التجار بممارسة القنص ، والصيد بالصقور التي كانت لها عاداتها الخاصة أيضاً . وكان لهذه السفن عقيد إذا عادت السفن معه ، وللغوص أعراف وعادات يحكم بها السلامة وهو الخبير في شؤون الغوص ، ويستطيع الفصل في المشكلات المتعلقة بتوزيع أرباح رحلة الغوص أو سداد ديون التجار أو رغبة أحد الغواصين في الانتقال إلى نواхذا أو سفينة أخرى.

وكذلك هناك العادات المتعلقة بصيد السمك وبرحالت التجارة التي تستخدم لها سفن البوم والبلغة والجالبوت والسبنوق والرحلات كانت إلى (افريقيا ودار السلام والجزر الخضراء وببلاد الصومال وجزيرة سقطرة).

ولقد واكبت الأغنية الشعبية نشاط الغوص في أوج ازدهاره ورواجه وأيضاً في فترة كساده واحتفائاته وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية واكتشاف اليابان لللؤلؤ الصناعي - فامدنا الشعر الشعبي بتجسيد لتلك المأساة ومثال على ذلك:

تجارنا عقب المعرفة جفونا
زال الشتا وهم ماسقةونا
ما اردي عسر بهم ولا جفونا^(٣٥) الله
عليهم وان نووا التعاكييس

ومن الوظائف الهامة التي يجب الإشارة إليها في نشاط الغوص عمل السكوني : وهو الذي يتولى قيادة السفينة . إذ يأخذ مكانه في مؤخرة السفينة الشراعية واقفاً خلف مقودها الدائري الكبير، موجهاً مسيرة السفينة بواسطة رياح الجنوب أو الشمال ، الغرب أو الشرق . ويعتمد على السكوني

اعتمداً كاملاً في تلك المهمة أي توجيه النواخذة والغواصين إلى مغاصات اللؤلؤ أو إلى محطات وبلدان أجنبية بعيدة كافريقيا ، والهند ، وفارس وعدن والعراق ويعتمد على قراءة (الديرة) أي البوصلة الكبيرة كوسيلة للارشاد.

الواش : تاجر اللؤلؤ.

الكراني : المدير المالي للتاجر ويتناقضى الفى روبية سنوياً إلى جانب الدلة أي نسبة من المبيعات.

المحاسب : يقوم بدور التحصيل والتدوين وعمليات تقويم العائدات ومقارنتها برأس المال والمصاريف والتکاليف.

الصناعات والحرف اليدوية :

تعددت الصناعات اليدوية وكان أهمها صناعة السفن والتي استخدمت لها أدوات وإمكانيات بدائية ويدوية كالمنشار والمطارقة والدواة التي تضبط بها المسافات والمقاسات والمجدع وهو أداة لثقب الأخشاب وكانت هذه الصناعات أقل خطورة من أنشطة الغوص والسفر والتجارة ، فكان الآباء حريصين لتوريثها لأبنائهم . وهناك أيضاً حرف صناعة الخشب وشباك الصيد ، أدوات الصيد ، صناعات الحداوة والنجارة ، والخياطة وكل احتياجات الإنسان في تلك الفترة كان يتم تجهيزها يدوياً ، ويشارك في القيام بها النساء والرجال.

الأعياد واحتفالاتها :

عندما يطلع الهلال ويثبت العيد كانت الفرحة تعم بين الناس كباراً وصغاراً في الزمن القديم ، وخاصة الأطفال الذين يفرجون بقدوم العيد وبالعيدية ، ويبذلون في تجهيز ملابسهم الجديدة منذ الليل استعداداً لارتدائها في الصباح الباكر للذهاب لتأدية صلاة العيد مع أبائهم . ثم يعودون بعد الصلاة ليطوفوا بالمنازل بيتاً بيتاً يجمعون العيدية في بهجة

وسعادة وكانوا يرددون:

باكر العيد بنذبح لبقره وبنعشي خماس طويل المخمره

اما الناس فكانوا لا يخلون على الاطفال بشيء إذا كانت العيدية قدماً تتراوح بين الروبية والروبيتين ياخذها الاطفال بكل رضا وامتنان ، مكملين المسيرة إلى منزل آخر. أما الرجال فيستقبلون العيد بنوع آخر من الاستعداد حيث يبدأ الرجل في إعداد ملابسه قبل العيد بفترة طويلة ، وعلى الطريقة القديمة فيصبغها إن كان لا يوجد عنده ملابس جديدة . تصبغ الملابس بالورس^(٣٦) حيث يدق مع الزعفران والجوز والهيل وتوضع على النار مع قليل من الزيت ، ثم توضع الثياب في إناء فتصبح جديدة وكانها أحضرت من الخياط لتوها. ولقد كانت المنازل تعج بالزوار من الأهل والجيران بمجرد الانتهاء من صلاة العيد لتبادل التهاني بهذه المناسبة . ولعيد الأضحى احتفالات خاصة ، حيث يقوم الناس فيه بشراء اللحم في جماعات تتالف وتقوم بالغناه في يوم (المشوي) ويقومون بتتبيل اللحم (بالخل) وهو نوع من البهارات يحتوي على الفلفل والزعفران والهيل والبزار والجرفة والتمر حتى يعطي نكهة خاصة للأكل ، وكان الرجال يرددون عند اخراج (الوخيفة) اي (الذبائح) :

«طلع يطرب وييهه مغرب»

أو (عيد العود شايبيهم كله من قرايبهم)

وكان للنساء دور في هذه المناسبة فكن يقمن بإعداد الأكلات الخاصة بـ العيد أهمها الهريس^(٣٧) ، التريد ، والبلاليط ، والعصيد . بالإضافة إلى استقبال الزوار والأقارب . أما ملابس النساء فقد كانت المرأة تقضي أيام العيد بثوب واحد حيث يأتي الصباح فيذهبن لاعداد شعرهن بالكثير من الأدوات والعطور الخاصة، وتجديل الشعر ولفه بما يسمى (العكفة). وبعد «العقوص او العكفة» يلبسن الثياب الخاصة بـ العيد والمكونة من كندورة

مخورة وصروال اخضر وشيلة ثذوة.

وعندما يحين وقت الغداء يجتمع الأهل والجيران في منزل أكبرهم سنًا في الحارة أو المنطقة لتناول الغداء في منزله ثم يذهبن مع الرجال لتناول الغداء ، كل في ركن خاص به في المنزل. وتدور السوالف^(٣٨) بينهم عن الحياة والأعياد وال العلاقات الاجتماعية ، وكانت الفتيات يستقبلن العيد بالرقص والغناء ابتهاجاً بقدومه فهي أيام لا تتكرر ولا تأتي سوى مرتين في العام فيفرحن فيها أشد الفرح. حيث يتجمع الرجال وينتظمون في حلقات منتظمة ليقيموا الأغاني والأفراح العربية بمشاركة النساء والأطفال ، حيث يرقصون العيالة والرزفة والعرضة وغيرها من الفنون الشعبية الأخرى.

والملاحظ على هذه الممارسات والعادات البساطة ومحدودية التكاليف مما يعني عدم وجود القيم الاستهلاكية التي نلاحظها في المرحلة المعاصرة ، ثم نلاحظ التالف والعمل الجماعي الذي تفتقد إليه أنواع الأنشطة الاجتماعية الآن.

الاستخلاصات والنتائج :

لقد حاولنا في هذه الدراسة البحث في كيفية ايجاد العلاقة التاريخية والجدلية ما بين التراث الشعبي والتنمية في الإمارات ، فلقد كان توظيف التراث في المشروع التنموي هو أحد الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة باعتبار ان الانطلاق من الموروث الروحي للأفراد سوف يهبي لهم العديد من أساليب التفكير، وأساليب السلوك والقيم ، وتحديد احتياجات الأفراد ، والتفكير في إمكانية الاستجابة لهذه الاحتياجات بما يتلاءم و الواقع المعاش. فالاعتماد على الموروث إذن يعطي التنمية الدلالة الواقعية لهذا المجتمع.

فإذا كانت الوحدة وترسيخ الاندماج بين الإمارات إحدى متطلبات التنمية السياسية، فالاعتماد على الميراث الشعبي الذي يمتلكه أفراد مجتمع الإمارات يستطيع أن يمدهم بذلك الانتماء ، ويقلل مشاعر الانتماءات القبلية ، او الإقليمية ، خاصة وان ذلك التراث تكون بفعل حركة السكان وتفاعلهم مع

الظروف الاقتصادية التي مرت بمجتمع الإمارات . فالانتماء بقوة إلى تراث ثقافي وحضاري يستطيع أن يرسخ الانتماء بين أفراد المجتمع المكونين له ، ويكون انتماؤهم متيناً يصعب الفكاك منه.

بالإضافة إلى أن ترسيخ النظام السياسي يحتاج العودة إلى تراث الشورى وروح الجماعة، والقرار المشترك الذي كان يمارس في المجتمع القبلي القديم . خاصة وأن هناك تراثاً إسلامياً يدعم ذلك النظام ، فالسياسة الإسلامية في لحظة ظهورها كانت تلبي مصالح الغالبية في المجتمع الجاهلي، ومن هنا كانت الشورى هي الروح الجماعية المضادة لآلية تجاوزات في حقوق الأفراد.

ذلك على المستوى السياسي ، أما على المستوى الاجتماعي فلقد استعرضنا الكثير من العادات والممارسات المحيطة بمراحل الحياة البشرية الميلاد والزواج والوفاة وتوصلنا إلى أن هناك ممارسات إيجابية وأخرى سلبية ولكنها قابلة للتغيير والتعديل بما يخدم التوجه التنموي.

فلاحظنا كيف يعيش المجتمع حالة من التضامن الاجتماعي التي ترافق تلك الدورة الحياتية وتجسد ذلك في حركة حالة المعاناة التي تمر بها النساء أثناء الوضع ، أو المعاناة في حالات الوفاة وغيرها من المواقف الاجتماعية التي يعمل فيها الأفراد بالآفة والفرزعة للإغاثة ، وربما لا يستطيع الإنسان المعاصر أن يقاوم حدة القلق والخوف المرتبطة بتلك المواقف مثلما كان عليه الوضع في المجتمع القبلي في الإمارات.

كل تلك العادات نستطيع استلهام الإيجابي منها وتعزيزه عند وضع السياسات الاجتماعية التي تشكل أحد بنود التنمية البشرية الهامة .. فهذه القيم تستطيع أن تلعب دوراً اجتماعياً لتنمية بنية المجتمع ، وإعطاء الإرادة لأفراده مقاومة شتى أشكال المشكلات الاجتماعية أو الاقتصادية أو أحياناً النفسية.

وفي هذا الجانب يبدو من الضروري أن نتحدث عن العديد من

المضامين السلبية التي تكمن في دورة الحياة البشرية خاصة تلك النظرة التي يميز فيها أفراد المجتمع بين الذكور والإناث، وحالة الرفض لولادة الإناث واستنكار ذلك لما يمثله من إهانة للرجل وتقليل من رجولته .. في هذا الصدد يجب أن نتبع الموروث الديني وان نحارب هذه النظرة طالما سعينا منذ البداية لاختيار طريق التنمية البشرية التي تعتمد على صون حقوق الأفراد ، والمساواة وتكافؤ الفرص.

فالتاريخ الإسلامي مليء بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة . فالإسلام حركة اجتماعية سياسية لها رؤيتها للمجتمع وللمسائل المختلفة أهمها قضية النظرة للمرأة.

بسم الله الرحمن الرحيم «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم». من سورة التوبية.

واية أخرى «وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى».

وفي آية أخرى «فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعض من بعض» . من سورة آل عمران.

وربما من دواعي الاهتمام بالسياسات الاجتماعية علينا أن نرفض الموروث الشعبي الذي هيأ للرجل الفرصة في تعدد الزوجات وأضعف ذلك من بنية الأسرة في الإمارات وربما استمرت هذه الظاهرة الاجتماعية حتى الآن.. لذلك هنا يجب أن نعي بعض هذه السلبيات في الموروث الشعبي .. وان نقوم بذلك بواسطة الاستناد إلى حقائق احتياجات التنمية ، وضرورة التخلص عن بعض المظاهر السلبية التي بالضرورة تعنى هدراً إنسانياً ومادياً يضر بالتوجه الاجتماعي للتنمية.

وهناك من الأحاديث الشريفة ما يستنكر هذه الفعلة الاجتماعية فيعتقد الرسول ﷺ عادة تعدد الزوجات بقوله «خير الرجال الذي يكرم الحرة ، ولا

يجمع الضرة» .

لا تقل دورة الحياة الزراعية عن مثيلاتها من دورات الحياة البشرية التي تحدثنا عنها سابقاً ، بل تعد هذه الدورة من أكثر المحكّات الحياتية التي تبرّز نمط التعاون والمشاركة الجماعية في العمل ، واستخدام الآلات وتنظيم الزراعة بحسب مواسم تتناسب وجهد العمل وثمراته ، إذ أن ذلك يعبر عن أكبر مقومات الحياة الاقتصادية في المناطق الزراعية من رأس الخيمة والعين وغيرها من المناطق الزراعية ، وتعبر مظاهر السلوك والعادات المتّبعة في هذه المرحلة عن احتياجات الإنسان المزارع .. إذ بالعمل المشترك يستطيع أن يؤكد ويجسد ذاته في مواجهة ظروف الحياة القاسية ، وكذلك ضد التسلط الذي من الممكن أن تتعرّض له هذه الفئات (المحدودة والفقيرة غالباً) من الفئات الأخرى الأكثر قدرة مادية.

تؤكّد إذن تلك الاستخلاصات من مظاهر السلوك والعادات والتقاليد والأعراف أنها تستطيع أن تكون المخزون الاستراتيجي لوضع أبعاد التنمية البشرية والاقتصادية والحضارية ، خاصة التركيز على مضامين تغليب مصالح الجماعة على الفرد ، والعدل والمساواة ، وتكافؤ الفرص في التوظيف والحياة ، وإلغاء الحواجز الطبقية بين الأفراد ، وتثبيت مبدأ الاحترام لكل الأعمال على أن تتجلى الصور الإنسانية الكبرى لذلك . وبذلك كله تستطيع خطة التنمية أن تتحوّل نحو التغيير الجذري الشامل لمجتمع الإمارات.

ولا يفوتنا في نهاية الدراسة أن نؤكّد على حقيقة أن التراث الشعبي في الإمارات بكل عناصره واقعي في الشكل والمضمون ، ويخلو من الكثير من الخرافات ، ان العادات وجدت لخدم واقع حياة الإنسان في مجتمعنا ولم تخرج عن إطار تلبيتها لتلك الحاجات وبالتالي جاءت واقعية . ومما يثبت واقعية الموروث الشعبي في الإمارات أن الإنسان هنا لم يقدس محتويات بيئته كما فعلت الشعوب الأخرى فنجد مثلاً على ذلك أن الصقر من أمثلة

الحيوانات والطيور التي تحتل مكانة هامة في الحياة الاجتماعية والثقافية ، بحيث أصبحت تمثل رموزاً فنية تدل على الصبر والقوة . بحيث استخدمت للصيد والتنقل والغذاء فكانت تمثل محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن كل ذلك لم يصل إلى درجة التقديس.

وهناك صفة أخرى متعلقة بالتراث الشعبي في الإمارات وهي خلو هذا التراث من الصور الخرافية والأسطورية المتطرفة كما هو الوضع بالنسبة للتراث الشعبي عند الشعوب الأخرى، كالشعب المصري أو اليوناني مثلاً أو الهندي . فيما عدا بعض التصورات حول الجن والعفاريت وإيمان الناس بأن الجن قد تتدخل في حياة بعض الأفراد ، وتبدو عليهم بعض السلوكيات الشاذة أو غير الطبيعية ، إن ظاهرة الاعتقاد بوجود الجن يدعمها الدين الإسلامي ولكن الناس المؤمنين بها يستخدمونها في تفسير بعض الأمراض، ويحاولون استخدام الطب الشعبي لعلاجها مما يؤدي إلى بعض التأثيرات الشعبية مما يؤكد بقاء بعض أشكال التخلف الفكري وعدم استيعاب الطب الحديث عند أغلبية أفراد المجتمع وذلك يعطل بعض جوانب التنمية الصحية. إنما فيما عدا ذلك لا نجد أسطورة شديدة التوأمة بين مضامين هذا التراث .. رغم وجود الأسطورة في بعض قصص الأطفال منها مثلاً (جنيه البحر) وأم الدوايس ولكن كل ذلك لم يعكس أية تأثيرات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للناس.. بالإضافة إلى خلو هذا التراث من الاعتقاد بالأولياء وزيارتهم وتعطيل الحياة الاقتصادية الناتج عن هذا الاعتقاد كما يحدث عند شعوب أخرى والتي لازالت تعتقد بقدرات خارقة لهؤلاء الأولياء.

وعموماً ، لا نستطيع أن ندعى أننا توصلنا إلى كل الحقيقة المرتبطة بالعلاقة ما بين التراث والتنمية ، ولكننا تطرقنا إليها في محاولة هي الأولى من نوعها على مستوى مجتمع الإمارات ، ولقد بان واضحًا وجلياً مدى حاجة هذا الموضوع إلى الدراسة والبحث الأكثر تعمقاً ووعياً بجوانب التراث ، وبأشكال التنمية المنشودة .

الحواشي والمراجع

- ١ - انظر : السيد ياسين ، الشخصية العربية بين تصورات الذات ومفهوم الآخر . ط٣ (بيروت: دار التنوير، ١٩٨٢ ص ١١).
- ٢ - السيد ياسين وأخرون ، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية . الطبعة الأولى أغسطس ١٩٨٥ ص ١٢.
- ٣ - محمد أركون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المرجع السابق ص ١٤.
- ٤ - علي عبدالله الخليفة ، عناصر الأصالة في الثقافة القومية ، حملة التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العدد الخامس والستين ، السنة الخامسة عشرة ١٩٨٤ ، ص ١٠٥.
- ٥ - علي عبدالله الخليفة . المرجع السابق ص ١٠٦.
- ٦ - حمود العودي «تراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية» (دراسة تطبيقية على المجتمع اليمنى) دار العودة . بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٦ ص ١٢٦.
- ٧ - علي عبدالله الخليفة . المرجع السابق ص ١٠٧.
- ٨ - علي عبدالله الخليفة . المرجع السابق ص ١٠٧.
- ٩ - حمود العودي . المرجع السابق ص ١٢٦.
- ١٠ - عبدالله العزيز شرف . (وسائل الإعلام وهندسة العادات والتقاليد ، مجلة المنهل - العدد ٤٦٢ السنة ٥٤ المجلد ٤٩ أبريل ١٩٨٨ ، ص ٨-٣).
- ١١ - حمود العودي . المرجع السابق . ص ١٢٧.
- ١٢ - عبدالله عبد الرحمن ، مقابلة مع سعاده محمد بن حميد البسطي النائب الثاني للمجلس الوطني جريدة الاتحاد الخميس ١١ أغسطس ١٩٨٨ . وغيرها من المقابلات تضمنها كتاب «الإمارات في ذاكرة ابنائها (الحياة الثقافية العامة)» الجزء الأول منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ١٩٨٩ ص ٥٠.
- ١٣ - فرحان صالح ، جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث ، ورؤى نقدية ، دار الحداثة ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، ص ٩-٨ .
- ١٤ - المرجع السابق ص ١٠.
- ١٥ - فرحان صالح ، جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث ، ورؤى نقدية «دار الحداثة» ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، ص ٩-٨ .
- ١٦ - المرجع السابق ص ١٠.
- ١٧ - حمود العودي . المرجع السابق ص ٧٠.
- ١٨ - موزة غباش ، التنمية الريفية البدوية في دولة الإمارات . بحث منشور بمجلة كلية الآداب العدد الخامس . جامعة الإمارات (باللغة الانجليزية) ١٩٨٩.
- ١٩ - اسامه عبد الرحمن - الإنسان العربي والتنمية : حقوق الإنسان ركيزة محورية لـي انطلاقه تنموية . مجلة المستقبل العربي العدد ١٣١ يناير ١٩٩٠ . مركز دراسات الوحدة العربية ، ص ٤.
- ٢٠ - اسامه عبد الرحمن . المرجع السابق ، ص ٧ .
- ٢١ - حمود العودي . التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية المرجع السابق ص ٨.

٢٢. هناك العديد من الأمثلة التي فشلت فيها مشروعات التنمية نتيجة عدم ملائمتها لتصورات الأفراد في بعض مناطق الدولة فمثلاً بعض مشاريع توطين البدو نتيجة عدم استيعاب الجماعات البدوية للمنازل الاسمنتية والعودة إلى بيوت الشعر مرة أخرى.
٢٣. وهناك العديد من المظاهر السلوكية التي تحتوي على عناصر سلبية لا نستطيع حصرها كلها في هذه الدراسة إنما نشير إلى أهمية أن تخصص لها دراسات اجتماعية وانثروبولوجية متخصصة في المستقبل.
٤. انظر موزة غباش : تنمية الخدمات الاجتماعية . فصل ضمن دراسات مجتمع الإمارات . غير منشور . جامعة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٨ ، ٥٠ ص.
٥. انظر محمد الجوهرى : التراث الشعبي ، وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٣.
٦. ترتبط عادات الولادة بوجود الداية والطبيبة الشعبية التي تقوم ليس فقط بمهام التوليد بل .. تعالج الأمراض الأخرى . منها مثلاً (المسح) (الكى) ، (الترفينع) أي تعديل وضع اللوزتين ثم تقوم بعملية (التوطية) أي تدوس بقدمها الأجزاء المتكسرة من القدم ، وأيضاً تستطيع علاج عسر الولادة وتعديل وضع الجنين بواسطة المسح على بطん المرأة.
٧. يحتفظ عادة بالحبيل السري لاستخدامه لعلاج عين الطفل عندما يتعرض لآية الام فيها او رمد كلمة يرمي : اي جريمة اي قتل بدون ذنب.
٨. الحريروة : مشروب ساخن يقدم للمرأة أثناء فترة الرضاعة لتنظيف المرأة ولأنه يساعد على نزول الدم الفاسد ، وهي تعد من البيض وحبة الحمراء . والدهن البلدي الطازج.
٩. انظر رفعت محمد خليفة دويب ، اغاني الاعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وزارة الاعلام والثقافة ، الدائرة الثقافية .
- القرازة : تهيئة الأرض للزراعة عن طريق عمل الأفلاج لرمي البذور فيها .
١٠. تمت المقابلة في مدينة العين مع السيد محمد سعيد سالم الحابري ، وهو من أشهر المزارعين . بتاريخ ٢٥/١/١٩٩٠ ، وتم تسجيل الحديث باللهجة العامية.
١١. الصيف هو القمع.
١٢. انظر: الشيخ محمد بن احمد بن الشيخ حسن « العادات والتقاليد في دولة الامارات العربية المتحدة » ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص ٦٣ - ٦٤ .
١٣. انظر : الشيخ محمد بن احمد بن الشيخ حسن ، المرجع السابق ص ٦٥ .
١٤. الشيخ محمد بن احمد بن الشيخ ، المرجع السابق ص ٧٠ .
١٥. انظر : رفعت محمد خليفة دويب ، اغاني الاعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة ، دولة الإمارات وزارة الاعلام والثقافة الإدارية الثقافية ١٩٨٢ ، ص ٣٠ .
١٦. المعاني وراء تلك الأغنية تعكس نوع الدهشة والاستغراب و موقف تجار اللؤلؤ (اصحاب رؤوس الاموال) بعد عشرتهم الطويلة مع الغواصين ، اظهروا لهم الجفاء الآن . فلم يدفعوا لهم أجورهم ، ويتساءلون هل ذلك بنية حسنة ام لسبب ازمة حقيقة.
١٧. الورس : نوع من النباتات.
١٨. الهريس : نوع من الاكل تشتهر به منطقة الخليج ويكون من القمح واللحم والدقيق.
١٩. السوالف : أي الحكايات والنواود

الفصل الثاني
التراث الشعبي
بين الأبعاد النفسية
والاجتماعية والبيئية
Folklore
The Psychological, Social,
And Environmental
Dimension

التراث الشعبي بين الأبعاد النفسية والاجتماعية والبيئية

تقديم :

نعتبر هذا البحث في التراث هو بحث في روح شعبنا وتاريخه لأن روح الشعب هي تلك الحركة الخفية التي توجه سلوك الفرد نحو الجماعة، وتحرك الجماعة نحو هيكل من النظام يختلف من مجموعة من القيم والمعايير التي تتسم بالثبات والمرونة.

ونجد أن هذه القوة الخفية الموجهة لفكر الشعب وثقافته، بل وسلوكه يقابلها نظم فكرية وثقافية محسوسة وملمودة تدار من خلال المؤسسات الثقافية الرسمية التي توجه حركة الثقافة في مستوى آخر^(١).

هناك من سار بعيداً في النظر إلى التراث وعلى وجه الخصوص (الفولكلور) منه أذ يقول: «الكسندر كراب» يريد الفولكلور أن ينشئ من جديد التاريخ الفكري للإنسان، لا كما تمثله كتابات الشعراء والمفكرين المرموقة، بل كما تصوره أصوات العامة الأقل مهارة.

«فالفولكلور» في رأي «كраб» إذاً سيعيد كتابة التاريخ الفكري للإنسان من خلال عامة البشر وليس نخبتهم أو خواصهم..

فماذا يريد أن يقول لنا التراث الشعبي إذاً، وما هي قضيته الجديدة، والقديمة في ذات الوقت وما هي قضيتها نحن معه؟ وماذا نريد من «الموروث الشعبي أو الثقافة الشعبية»؟ وماذا يريده منها؟ أسئلة كثيرة يتطلب الرد عليها تحديد أهداف واضحة لجميع الدراسات التي تشهد لها منطقتنا اليوم. ويحدد بما في هذا الصدد أن نحدد أهداف هذه الدراسة، التي تضع التراث الشعبي الإشكالية الأولى لها، ومن ثم البحث في أبعاد هذا التراث النفسية والاجتماعية وأخيراً البيئية.

فليس جديداً ان نتحدث عن الموروث والتراث الشعبي فلقد سبق لنا وقدمنا أربع دراسات في هذا المجال، إنما المستجد علينا هو الذهاب الى الاعماق النفسية للإنسان الممارس لهذا الموروث. فربما نستطيع اكتشاف العلاقة الوطيدة بين التركيبة النفسية للإنسان في مجتمعنا وما هي محتوياتها. والى أي درجة يمثل الموروث الشعبي جزءاً منها، وبالتالي الى أي درجة يمكن ان يكون هذا الموروث بناءً خاصاً لشخصية الإنسان الخليجي، او على وجه الخصوص الإنسان الإماراتي فالكشف عن هذه العلاقة النفسية بين الميراث الشعبي وبين الإنسان هو كشف عن شخصية هذا الإنسان وربما تكون هي هذه الاضافة العلمية التي تقدمها هذه الدراسة.

ثم بعد ذلك ننتقل الى الاشكالية الثانية وهي العلاقة الاجتماعية بين الموروث الشعبي والانسان، او بمعنى آخر الابعاد الاجتماعية للموروثات الشعبية بجميع انواعها..

نبحث اذاً في اشكالية جديدة ربما نستطيع توضيحها قليلاً اذا قلنا ان الموروث الشعبي بجميع اشكاله وعناصره يمثل التكوين الثقافي للمجتمع والنظم الاجتماعية تمثل التكوين الاجتماعي لنفس المجتمع.. فما هي اذاً العلاقة بين هذين التكوينين والى أي منهما يكون التأثير الاقوى هل للثقافة ام للنظم الاجتماعية؟.

في هذا الصدد نحن امام قضية مستترة بحاجة الى الكشف والتعمق فماذا يمكن ان يقدم الموروث الشعبي للمجتمع بجميع انظمته الاجتماعية؛ سواء أكان النظام الاجتماعي كالأسرة والقبيلة ونظام الزواج منه، والعلاقات الاجتماعية وجميع عناصر البنية الاجتماعية. ثم ما هي كذلك العلاقة بين الموروث الشعبي وبين النظام الاقتصادي؛ وكيف عبر النشاط الاقتصادي لأبناء هذا المجتمع في يوم ما عن مصدر خصب لبروز الثقافة الشعبية والعادات والتقاليد والمعتقدات والامثال الشعبية والقصص الشعبية ، كل هذه

الموروثات تلاحمت مع الصحراء والبحر، فالبحر والصحراء كانا مصدر الالهام للانسان في مجتمع الامارات ومثله كان الانسان الخليجي ايضاً. فالعلاقة اذاً خصبة بين النظام الاقتصادي وحركة الإنسان الإنتاجية، وبين موروثه الشعبي.

ثم ننتقل الى البُعد الثالث او الاشكالية الثالثة لهذه الدراسة وهي البُعد البيئي للموروث الشعبي وربما يكون هذا الاهتمام بالبيئة هو الجديد في هذه الدراسة.

فهل هناك علاقة بين الموروث والبيئة؟ ثم ما هي هذه العلاقة؟
وإضافة الى ذلك اي بيئة نهدف الحديث عنها؟ هل المقصود البيئة الطبيعية «الصحراء والبحر والجبال، والحر والبرد والامطار»، ام نقصد البيئة الاجتماعية «الانسان وعلاقاته وانظمته»؟ علينا إذاً ان نحدد ببراءة تلك العلاقة ومن هم اطرافها؟ وهذه هي ثالث اهداف هذه الدراسة.

لكن هل نكتفي باهدافها النظرية تلك؟ ام نحن مطالبون بتقديم اهداف عملية تطبيقية اخرى تكمل بها الشروط العلمية التي يجب ان تخضع لها جميع الدراسات، وهي محاولات الكشف عما يمكن ان تقدمه دراستنا من نتائج، وماذا يمكن ان يفيد منها القارئ؟.

اذا كانت ثقافة اي امة تتكون من شقين اساسيين : احدهما الشفاهي وهو المتميز المستمر، والمأثر بين الناس ونستطيع ان نعتبره هو نفسه مادة البحث الفولكلوري والآخر هو المدون والثابت، والذي يعتبر مادة للبحث التاريخي.

واذا كان الجانب الشفاهي يمثل الثقافة لأفراد المجتمع، وان مجتمعاتنا العربية يمثل فيها الجانب الشفاهي الشق الاكبر من ثقافتها وتاريخها، وبنائها الفكري ^(٢) فهل يساعدنا ذلك التوجّه الى تحقيق هدف الربط بين المأثر الشعبي في مجتمعاتنا الخليجية، وبين البناء الفكري لها. انتا

سنحاول تحقيق ذلك من خلال تقديم مادة علمية مستقاة من الميدان، يتحدث فيه الناس البسطاء عن قصصهم وأساطيرهم وعاداتهم ومعتقداتهم وقيمهم وطرق علاجهم، واغانيهم ورقصهم. إننا سننضع في هذه الدراسة نماذج لكل تلك الموروثات وسنوضح إلى أي مدى قام بناوئنا الفكري على هذه الموروثات وإلى أي مدى ارتقبت الاعماق النفسية لهذا الإنسان بالموروثات الشعبية.

وسنحاول توظيف هذا القول وهذه العلاقة من أجل اتخاذ الموروث معياراً جديداً لقياس البنية الثقافية وتطورها الحضاري ومقاييساً أيضاً لوضع برامج التنمية فيما إذا كانت مجتمعاتنا تهدف حقاً إلى التغيير المنظم. فهدفنا إذاً هو محاولة «لتوظيف هذه المادة في الحياة الاجتماعية، وفي مسيرة التطوير في المجتمع».

هل يمكن لهذه الدراسة الموجزة أن تقدم شيئاً ولو قليلاً من ذلك المخزون التراثي الكامن وراء الهوية والذات، والخصوصية والاصالة؟ وربما لا تغالي في ذلك، بل لا نرفع الشعارات إننا بالفعل أمام رغبة للبحث عن الهوية الذاتية لمجتمعات الخليج وتحددت هذه الرغبة من خلال ما نقرؤه ونسمع عنه بل وأحياناً نعيش. إننا نعيش مرحلة الخوف من اندثار الموروث، وضياع الهوية وغلبة الوافد من الثقافات. إننا في مرحلة الضياع، أفلًا يستحق ذلك مشروعية جمع شتاتنا الثقافي الذي يواجه اليوم اعاصير التغيير ورياحه؟.

وربما تكون هذه الرغبة هي نفسها وراء هذا الاهتمام بالدراسات التراثية وهذه الصحوة العلمية التي بدأت منذ السبعينيات وتضاعف انتاجها العلمي خلال الثمانينيات وهانحن معكم نستكمل هذه الجهد في التسعينيات.

إن مجتمعاتنا تعيش حالة الخوف على الهوية الثقافية وتعيش كذلك رغبة صادقة في تحقيق وحدة ثقافية عربية واسلامية واحدة، تترك مساحات لتعديديات ثقافية ذات خصوصيات محلية، تعبّر ربما عن الابداعات الخاصة

لكل شعب من شعوب الامة العربية.

لن تكون السابقين في هذا الميدان فهناك تجارب مجتمعية قديمة قدمتها لنا الدراسات الفولكلورية اثبتت فيها دور الفولكلور والثقافة الشعبية في تحقيق الاهداف الاستراتيجية الكبرى في حياة الشعوب. فعندما طرحت قضية «الفولكلور» والفنون الشعبية الزائف وأهمية الكشف عن مناهج تحدد الاصلية للثقافة الشعبية، وتنقي الزائف منها، اهتماماً خاصاً أولاه الشعب الامريكي لدراسة فولكلوره فهناك محاولات لتقسيمي ذلك الموروث الذي ادى مثلا الى نمو الديمقراطية في هذا المجتمع. اذ تعتبر الديمقراطية الظاهرة الاجتماعية والسياسية الكبرى في المجتمع الامريكي».

وإن اهتمام الامريكيين بالفولكلور ناتج كذلك من تنامي الاحساس بالقومية الامريكية وتزايد النفوذ الامريكي في الشؤون العالمية، ونجاح الامريكيين في فرض ثقافتهم، وتراثهم السياسي على كثير من الامم الأخرى، فاحسوا ب مدى ضرورة ان يقفوا هم انفسهم على حقيقة فولكلورهم، الذي استطاع ان يوجد نقطة الولاء القومي للخليل السكاني الامريكي والذي ادى بهم الى الاندماج.

فهذه تجربة تؤكد فاعلية الدور الذي تقدمه الثقافة الشعبية في تحقيق الوحدة والاندماج، بل معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية الأخرى من خلال هذه الثقافة بل هذا الموروث الشعبي، الاصليل منه وليس الوافد او الزائف^(٣) ونحن لا ننسى في هذا الصدد ان استخدامات الفولكلور ممكن ان تمتد لتكشف لنا عن حقيقة العديد من القضايا الاجتماعية التي لم تترسخ بعد في مجتمعاتنا العربية، واولها قضية المشاركة الاجتماعية.

ربما لن نأتي بالجديد في مفاهيم الدراسة سوى اننا سنقدم توضيحاً شاملـاً لـمفاهـيم التـراثـ الشـعـبـيـ، ونـشيرـ هناـ الىـ انـ هـنـاكـ الكـثـيرـ منـ التـدـاخـلاتـ فيـ استـخدـامـاتـ هـذـهـ المـفـاهـيمـ فـيـ الـبـحـوثـ المـهـمـةـ بـالـتـرـاثـ.

فنجد مثلاً مفهوم «الموروث الشعبي» ثم نجد «المأثور الشعبي» نجد كذلك «الفولكلور»، «الثقافة الشعبية»، «والثقافة المادية الانثوجرافيا والانثولوجيا»، فماذا تعني كل هذه المفاهيم؟ بالإضافة إلى أن هناك عناصر كثيرة تدخل ضمن هذه التعريفات الكبرى وسنحاول توضيحها خلال هذا الاطار.

ونشير في هذا الصدد أيضاً إلى أن التداخل نلاحظه ليس فقط في استخدام المفاهيم، بل نجده كذلك في تصنيف عناصر التراث.

بالرغم من أن هناك تصنیفات كثيرة لعناصر التراث قدمها كل من «ريتشارد فايس، وبوبكارت» إلا أنها ستعتمد على تصنیف «دورسون، محمد الجوهرى» على أساس أنهما يمثلان تلك التصنیفات المتفق عليها بين المعاملين بالتراث.

«دورسون» يقدم تصنیفاً رباعياً مقسماً إلى : الأدب الشعبي، الحياة الشعبية أو الثقافية المادية، العادات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية فنون الإداء.

ثم نجد تقسيم محمد الجوهرى المتفق مع دورسون من حيث عدد الأبواب لمواد التراث، إلا أنه يختلف معه من حيث المضمون في معظم الأبواب تقريرياً فقد رأى أن يقسم موضوعات التراث إلى أربعة أقسام جاءت على النحو التالي:

- المعتقدات والمعارف الشعبية.

- العادات والتقاليد الشعبية.

- الأدب الشعبي.

- الثقافة المادية والفنون الشعبية

ونرى هنا أن محمد الجوهرى يولي المعتقدات الشعبية اهتماماً أكبر ثم غير محمد الجوهرى من تقسيمه هذا وقسم التراث إلى ستة أقسام:-

- العادات والتقاليد.

- المعتقدات الشعبية.

- المعارف الشعبية.

- الأدب الشعبي.

- الفنون الشعبية.

- الثقافة المادية.

وبهذا يكون قد دمج الفنون الشعبية مع الثقافة المادية، والمعارف الشعبية مع المعتقدات، ولكن اين يمكن ان نضيف العلاج الشعبي، فنرى اذا ضرورة اعادة النظر في تلك التصنيفات..

وبهذا يكون قد دمج الفنون الشعبية مع الثقافة المادية، والمعارف الشعبية مع المعتقدات ولكن اين يمكن ان نضيف العلاج الشعبي فنرى اذا ضرورة اعادة النظر في تلك التصنيفات.

ويقدم لنا «هاني العمد»^(٤) اضافة جديدة لتصنيفات التراث وناتي مسلسلة يبدأها بـ : (المعتقدات، العادات والتقاليد، الأدب، الموسيقى والفنون الجميلة، الطب الشعبي، الصناعات والفنون اليدوية، حملة التراث الشعبي، تاريخ التراث ونقده، المسح والاحصاءات). اذ يرى هاني العمد ان كثيراً من الباحثين قد تجاهلوا ثلاثة موضوعات رئيسة، يشكل كل باب منها وحدة قائمة بذاتها هذه الموضوعات هي : حملة التراث الشعبي وتاريخ التراث ونقده ومسح والاحصاءات.

والسؤال الان هو اي التصنيفات نستطيع استخدامه في هذه الدراسة؟

اننا سنقدم نماذج من العناصر التراثية المصنفة تحت موضوعات المعتقدات والعادات والتقاليد، والادب والاغاني الشعبية التي يمكن ان تندرج تحت موضوع الموسيقا والفنون الجميلة، او الادب الشفاهي. ثم نقدم نموذجاً او اثنين للطب الشعبي، اما عن بقية موضوعات ذلك التصنيف فانه لا يتسع

المجال في هذه الدراسة المصغرة له ويمكن احاله ذلك الى دراسات اكثـر شمولية.

ناتـي الان لنقدم بعض تصـورات العلماء حول عـناصر الموروثـات الشعبـية فنجد مثلاً «الـنـديـزـنيـ» وهو اـشـهـرـ الانـثـرـوـبـولـجـيـنـ الفـولـكـلـورـيـنـ الـاـمـريـكـيـنـ يـقـدـمـ قائـمـةـ تـصـلـحـ عـيـنـهـ لـاهـمـ المـوـادـ التـيـ صـارـ يـشـمـلـهـاـ معـنـىـ الفـولـكـلـورـ فـيـ ايـامـنـاـ هـذـهـ^(٥).

٤١ - الطـبـ الشـعـبـيـ	٢١ - الخـازـيـرـ	١ - الاـسـاطـيرـ
٤٢ - (ما يـكـتـبـ عـلـىـ القـبـورـ وـالـسـيـارـاتـ وـالـيـافـطـاتـ وـالـجـدـرانـ)	٢٢ - الـودـاعـ	٢ - نـدـاءـاتـ الـبـاعـةـ
٤٣ - الاـشـعـارـ وـالـاغـانـيـ الشـعـبـيـةـ	٢٣ - الـمـجاـمـلـاتـ	٣ - طـرقـ الطـبخـ
٤٤ - عـبـاراتـ التـحـيـةـ	٢٤ - التـعاـوـيـذـ	٤ - الموـسـيقـىـ الشـعـبـيـةـ
٤٥ - اـغـانـيـ وـالـعـابـ الـاطـفـالـ	٢٥ - الرـقـصـ الشـعـبـيـ	٥ - المـقاـهـرـهـ
٤٦ - (ما يـقـالـ لـطـردـ الحـيـوانـاتـ اوـ استـدـعـائـهاـ)	٢٦ - المـسـرـحـ الشـعـبـيـ	٦ - الـاـمـثـالـ
٤٧ - اـغـانـيـ الكـبـارـ فـيـ تـعـلـيمـ الـاطـفـالـ	٢٧ - الشـتـائـمـ وـالـمـسـبـاتـ	٧ - الـاـسـوـارـ
٤٨ - (ما يـقـالـ عـنـدـ العـطـسـ وـالـسـعالـ وـالـتـأـوبـ)	٢٨ - الدـعـاءـ	٨ - بـيـوـتـ الـحـيـوانـاتـ
٤٩ - اـسـمـاءـ الـاـماـكـنـ وـالـمـوـاقـعـ	٢٩ - الـمـعـنـدـاتـ الشـعـبـيـةـ	٩ - التـرـانـيمـ
٥٠ - الـاحـتـفـالـاتـ الشـعـبـيـةـ فـيـ الـموـاصـمـ وـالـمـنـاسـبـاتـ الـمـخـتـلـفـةـ)	٣٠ - الـاجـابـاتـ	١٠ - الـكـنـيـاتـ
	٣١ - التـقـليـدـيـةـ الـمـقـنـنـةـ	١١ - التـبـرـيـكـاتـ
	٣٢ - انـمـاطـ الـبـيـوـتـ	١٢ - الـلـعـنـاتـ
	٣٣ - الـالـفـازـ	١٣ - الـرـمـوزـ
	٣٤ - الـمـصـطـلـحـاتـ	١٤ - الـنـكـاتـ
	٣٥ - التـشـابـيـهـ	١٥ - الـاـيمـانـ
	٣٦ - الـاسـتـعـارـاتـ	١٦ - الـخـرافـاتـ
	٣٧ - الـمـلـابـسـ الشـعـبـيـةـ	١٧ - القـصـصـ الشـعـبـيـ
	٣٨ - الـرـمـوزـ	١٨ - انـمـاطـ التـطـريـزـ
	٣٩ - الفـنـ الشـعـبـيـ	١٩ - الـاـيمـاءـاتـ
	٤٠ - المـلـاحـمـ الشـعـبـيـةـ	٢٠ - الـمـعاـيـرـةـ

نعود لنناقش مفاهيمها الرئيسية في هذه الدراسة وهي : الموروث الشعبي والماثور الشعبي ونتساعل لماذا يحدث هذا الخلط في استخدامها؟ لا يمكن ان يكون الموروث الشعبي هو نفسه التراث الشعبي الذي يتضمن كل محتويات وعناصر التراث؟ ثم يمكن استخدام الماثور الشعبي للتعریف بتلك العناصر التراثية الماثورة لدى العامه، او الشائعه والاكثر تفضيلا في استخدامات الانسان في حياته اليومية.

ولكن الاجدر ان نعرف التراث نفسه، ورغم معرفتنا بالكثير من تلك التعريفات التي قدمها علماء الانثروبولوجيا والمفكرين في العصر الحديث الا اننا سنختار بعض تلك الاراء منها مثلا تعريف «محمد اركون» الذي يرى «ان التراث سنة الاباء واطار من الاحكام والشرائع، ومعلومات تجريبية شعبية، وجموعات ادبية فكرية علمية مكتوبة، خاصة بالطبقات المدنية العاملة. تختلف عن التراث الشعبي الشفوي - والتراث اخيراً تصورات للماضي معبرة لما تحلم به الجماهير لحاضرها ومستقبلها^(٦) ، اما «علي عبدالله الخليفة»^(٧) فيرى ان الماثورات الشعبية العربية والخليجية هي كل ما صدر عن الشعب العربي والخليجي بجميع فئاته وطبقاته من إبداع ومن شعائر وطقوس وومراسم ومعتقدات وما صدر عنه من عادات وتقالييد: كلها تشكل ثقافة عقلية ومانوية خاصة تمثل روحه وحكمته وإبداعاته المختلفة على مر الزمان، مثل اللغة، الموسيقى، الاشعار، الاهازيج، الازجال، الرقص، الحكايات، السير، الملحم، الاغاني، الامثال، الازيء، الحلبي، الطب، الصناعات، الحرف، العادات، والتقاليد وغيرها مما عبر عنه الحس، وتفاعل بالتبادل والتدخل والالتحام والاحتراك والصراع مع الثقافات المجاورة، وتواتر عبر الاجيال حتى وصللينا.

في مجال الفصل بين التراث والموروث نتحاور قليلاً مع «طيب تيزيني» وفي اتجاهه للفصل بين التراث والموروث اذ يرى ان التراث هو أشمل من الموروث وان الموروث من وجهة نظره هو مجموعة من النتاجات الفكرية

والسياسية والعمانية التي أصبحت بحوزة الفعل التوريثي اي أصبحت بين الوارث واعياً او غير واع وبالتالي فالورث اصبح جزءاً من الحاضر، اما التراث فهو اشمل من الموروث لانه يشتمل على امررين - الاول هو الماضي والثاني هو الحاضر مستمراً.

إذن «التراث» في نظر (تيزيوني) له حضوره في الماضي، اما الموروث فله حضوره في الحاضر وربما لا يبدو ان هناك خلافاً بين ما نتبناه من فكر حول قضية التراث والموروث وبين (طيب تيزيني) الا في التعمق الفلسفى الذى تبرر عليه آراؤه .. والتي تستطيع وجهة نظر (حسن حنفى) ان توصل فيما بينهما عندما قال .. وعلى العديد من المستويات «في الوضع الراهن ونخرج من ذلك الحوار بان التراث الشعبي لا زال المخزون الاول لفلسفة الشعوب ولقيمهما وعاداتها وحتى لتطبعاتها»، وخاصة التطلعات التنموية والقومية الكبرى فالتراث في نظره هو الذي يجب ان يجسد حالة التماسك والشعور بالهوية^(٨).

تنضح اذاً معالم الفروق بين مصطلحي التراث والموروث، وهذا ما نهتم بتحقيقه في هذه الدراسة، ولكن ماذا عن الفولكلور.. نعلم ان مصطلح الفولكلور صار يشمل الفنون القولية بجميع اشكالها، والموسيقى والرقص، والمعتقدات والعادات والتقاليد والمعرفة والافكار والعواطف والسلوك وكذلك مما يدخل في صنع المنتجات المادية الشعبية وتزيينها واستعمالها. ومن هذا التعريف للفولكلور يتضح لنا انه مجرد مرادف لكلمة الموروث الشعبي.

اما عن مصطلحي الانثوجرافيا والاثنولوجيا، فنجد توضيحاً شاملاً يقدمه «حسين فهيم»^(٩) اذ يعرف الانثوجرافيا بانها كلمة معربة تعنى علم وصف ثقافات الشعوب او علم الاقوام فالانثوجرافيا ما هي الا الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة، ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والتأثيرات الشعبية لدى جماعة معينة او مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.

وتتعدد الانثropolجيا كمصطلح يستخدم للدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الانثروغرافية بهدف الوصول الى تصورات نظرية او تعليمات بصدق مختلف النظم الاجتماعية والانسانية من حيث اصولها وتنوعها وبهذا تشكل المادة الانثروغرافية قاعدة أساسية للبحث الانثropolجي.

فالانثروغرافيا والانثropolجيا مفهومان مرتبطان ويكملا كل منهما الآخر. وهما يشكلان مجالين دراسيين هامين في إطار مجال الدراسات العامة للانثروبولوجيا التي يقصد بها ذلك النسق المعرفي والمنهجي لدراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً.

وبهذا يكتمل اطارنا المعرفي والمفهومي لهذه الدراسة وربما يجدر بنا الان توضيح المنهجية التي سارت عليها هذه الدراسة مؤكدينبداية انها لا تختلف كثيراً عن ادوات ومناهج البحث الاجتماعي اذ نشهد في الاونة الاخيرة حواراً علمياً يحاول البعض الفصل فيه بين مناهج الانثروبولوجيا وادواتها، ومناهج علم الاجتماع وادواته. ونحن لا نجد ان هذا ممكناً فالمعرفة الإنسانية واحدة، وبالتالي يجب توحيد مناهجها وادواتها. فالمنهج في دراستنا هذه يعتمد على التسجيل والوصف والتحليل لكثير من انساط الممارسات الشعبية، وسوف نقدم نماذج الموروثات بما يتسع مجال البحث في هذه الورقة، وسيكون هذا التقديم مشتملاً على رؤية خاصة تتواافق مع أساليب البحث التراثي المعاصر في جمع مواد المأثورات الشعبية وتوثيقها.

ورغم اننا نعي ضرورة استبقاء المنهج المتواافق مع الجانب الشفاهي من الموروث الشعبي او الذي اصطلاح على تسميته المأثورات الشعبية من واقع التراث العربي، وان لا يستند الى نظريات وافده فهناك ضرورة للاخذ بالمنهج التاريخي لاستقراء العوامل التي ساعدت على تكوين هيكل وبنية الثقافة الشعبية، الا اننا في دراستنا هذه لم يتسع اطار البحث لذلك، واعتمدنا على نفس المنهج الذي استخدمناه في دراسة سابقة لنا حول «جمع

وتصنيف العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد في مجتمع الامارات^(١٠) بحيث تحقق لنا الاستقراء التاريخي للمادة التراثية، بالإضافة الى ما تضمنته دراستنا السابقة من مسح شامل للماضورات الشعبية لمجتمع الامارات والتي نستمد نماذجنا التطبيقية في هذه الدراسة منها. ثم انشأنا انموذجاً منها بالتحليل والكشف عن التغيرات الحادثة على ذلك الموروث فتم استخدام التفسير اسلوباً اثنولوجياً حللنا به جميع تلك المادة الإثنوجرافية التي احتوتها مرحلة الميلاد في مجتمع الامارات، اما عن الادوات البحثية فقد تم استخدام الملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة واستخدمنا دليلاً خاصاً بالمقابلات التي تمت ثم قمنا بعد عملية الجمع بالتصنيف العلمي للمادة التراثية ومن ثم توثيقها.

يقسم موروثنا الشعبي بالاعتقاد بالسحر، وهذا الاعتقاد راسخ كمعتقد غيبي يعبر عنه برغبة في إثبات قوة الإنسان في احداث تأثيرات معينة باستخدام الحجاب او التعويذة او الطقوس الخاصة.

اما في الدين فنجد عالماً من الارواح والجان والشياطين يثبتها القرآن الكريم والسنة الشريفة ونستشهد هنا ببعض الاحاديث التي وردت مؤكدة وجود الشياطين والجان.

الحديث الاول ورد في عدة روايات ...

رواية الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وورد في سنن البيهقي وهي احاديث صحيحة عن جابر رضي الله عنه وقد جاءت كما يلي :

- ١ - كفوا صبيانكم عند العشاء فان للجن انتشاراً وحفظه».
- ٢ - إن كان جن الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم .. واغلقوا الابواب، واذكروا اسم الله تعالى وان الشياطين لا تفتح باباً مغلقاً، وخمروا انفاسكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليه شيئاً واطفئوا مصابيحكم».

٣ - «كفووا صبيانكم اول العشاء فانه وقت انتشار الشياطين».

الحديث الثاني ...

«ما من مولود يولد الا وتمسه الشياطين».

ورد في مسند الإمام أحمد ومسلم في كتاب الفصائل لعيسيى بن مريم ويقول عنه السيوطي جلال الدين انه صحيح وقد ورد في صحيح مسلم كذلك.

رواية اخرى ...

«ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخاً من نحسته
الشيطان الا ابن مريم وامه. (نفس المسند)

وإذا كان للراوح والإيمان بالقوة الخارقة سند في الدين فإنه إذاً يمثل معتقداً قوياً وراسخاً، نستطيع أن نفسر من خلاله الممارسات الشعبية الشائعة في مجتمعنا العربي فنستطيع أن نثبت أن قيمتنا وعاداتنا وتقالييدنا، ومعتقداتنا وأغلب الموروثات الاجتماعية تقوم على هذه الفكرة الغيبية تتقدمهم جميعاً ظاهرة الإيمان بالحسد والعين. ورغم أننا نؤمن تماماً بوجود الحسد كعامل من عوامل فشل العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا إلا أننا لا نقبل باستخدامه كأساس لتفسير كافة المشكلات التي يتعرض لها الإنسان.

إن عجزنا أمام مشكلاتنا العامة والخاصة جعلت أغلب الفئات الاجتماعية لا تؤمن بتفسير مشكلاتها إلا من خلال «الحسد» ولقد ثبتت دراسة سابقة لنا أن «الحسد» يكاد يكون المحرك الأول أو الأليمة الأولى التي تقوم عليها كل علاقاتنا وإن «الحسد» كشعور انتشر بين المتعلمين وغير المتعلمين، الكبار والصغار، الرجال والنساء بل والشباب وكذلك الأطفال. فلقد استطاعت عمليات التنشئة الاجتماعية أن ترسخ من هذا الشعور لدى الإنسان سواء كان صغيراً أو كبيراً.

أنا أمام ظاهرة اجتماعية نفسية كبيرة ترتبط ببعض مكونات

الشخصية العربية التي يمثل الخوف أحد ابرز صفاتها. انه الخوف من المجهول، الخوف من الفقر، فقدان الاهل، فقدان الوطن، فقدان المال وربما الكثير من اشكال الخوف الذي يعيشه هذا الانسان.

وإذا كان الایمان بالغيبيات سمة من سمات المجتمعات البدائية والمختلفة فكيف نفسر اليوم انتشارها بين ابناء المجتمعات المتقدمة فالجميع اليوم يؤمنون بهذه الظاهرة التي لا تختلف فيها المستويات التعليمية عن تلك غير التعليمية، بل لا تختلف فيها المستويات الطبقية بل يتساوى الغني والمتوسط والفقير، وقد تزداد لدى الاغنياء بشكل اكبر وضوحا.

إن المجتمعات الانسانية اليوم تعيش حالة «الخوف والشك» وهذا ما يفسر لنا بروز هذه المعتقدات وانتشارها بين العامة والخاصة، يتضح البعد النفسي المتصل بالتأثير الشعبي بصورة جلية اذا في العادات والمعتقدات والطقوس ذات الطابع الديني والغبي، لا سيما فيما يتصل بالممارسات التي تؤمن الحماية من الشر والحسد والمرض والعقم. كما يتصل بالوسائل والاساليب التي تنكرها الجماعات والتي يخترنها الوجдан الشعبي ويلجأ لها عند الضرورة للتصدي لتلك الاشياء. وسنقدم بعض القصص التي جاءت على لسان بعض الخبراء التي قمنا بمقابلتها للاستشهاد على تلك المعتقدات والmorphes، والتي سنتتبع فيها بعض الممارسات التي تتم خلال دورة الحياة وبالتحديد مرحلة الميلاد. اذ تكثر في هذه المرحلة كما لاحظنا من الدراسة الميدانية الكثير من الممارسات التي تؤمن بالشر والحسد والمرض والعقم ونستطيع ان نركز عليها من خلال وجودها كوقاية، او كعلاج وسواء نجحت ام اخفقت تلك الممارسات او الطقوس الوقائية والعلاجية في درء الشر والمرض، او في دفع الهم والغم. فهي لا محالة تخلق جواً من الطمأنينة والاستقرار النفسي دون توفر الاقتناع والقناعة والایمان المطلق.

فمثلاً يدخل ضمن الجانب الوقائي الدور الذي تؤديه كل من :-

- الاحجبة والحروز.

- الاولياء.

- طقوس الاخشاب.

- طقوس العبور (من مرحلة الى اخرى من مراحل الحياة)

اما بالنسبة للجانب العلاجي فالاعتقاد والعقيدة والثقة المطلقة في العلاج والمعالجة هي اساس الشفاء من المرض، وسنتناول هذا الامر من منطلق الطب الشعبي ومن زاويتين:

- الامراض العضوية.

- الامراض النفسية.

ثم نحاول ابراز البعد النفسي للمأثور الشعبي من عدة انماط فنية وادبية تتصل بالاحداث الاجتماعية، والقومية الهامة التي ارتبطت بالفرد والمجتمع الاماراتي. اذ كثيراً ما دعت الحاجة الى توظيف البعد النفسي للترااث من اجل بث الثقة وشحذ النفوس وابراز حالة الاستنفار. ولكن هذا لا يمنع من ان يكون لاستخدام بعض الموروثات الشعبية بشكل خاطئ رد فعل معاكس اذ يؤدي الى حالة من الاحباط النفسي لدى الفرد.

وفي محاولتنا التعرف على اعمق الظاهرة الفولكلورية تلك المرتبطة بالایمان بالحسد والعين، تمت مقابلة العديد من المخبرات لتقصي الحقيقة حول هذا الایمان، ونقدم هذه القصة الواقعية التي ترويها السيدة موزة حمد. مقيمة في منطقة البحرين الجنوبي بمدينة العين. حدثتنا عن ظاهرة الحسد الذي اعتقادت به وصدقته بأنه موجود نظراً لمرورها بتجربة معينة فقدت خلالها خمسة من ابنائها كما تقول وت Rooney لنا فماذا قالت هذه السيدة :-

كنا نقيم في منطقة (الطريف) بسلطنة عُمان منذ زمن طويل، وكانت اعمل في منزلي كاي امراة اخرى ترعى شؤون اسرتها وابنائها وذات يوم

ذهبت الى «البر» اسوق الغنم للمرعى و كنت قد رزقت بولد، وكان هذا الولد يذهب الى «المطوع»، صباح كل يوم ليتلقي علوم القرآن، كما كانت تسكن بجوارنا امراة مسنة لديها ابنة واحدة وقد اصيب زوجها بمرض عضال وكان يختضر بسبب شدة المرض وعندما رأت ابني قالت :«ان شاء الله يبكيوا على المر ويطير على الحلو»، وكانت هذه السيدة جدة زميل ولدي الذي كان يبلغ الثالثة عشرة من عمره انداك رحمة الله ومضت ليلة على كلمة السيدة تلك، وعندما جن الظلام في ليلة حالكة السواد قام ولدي من نومه يبكي وجعاً في راسه وحاولت تهدئته وقمت بعمل بعض الوصفات الشعبية له، حتى الصباح ذهبت لتسريح الغنم وعندما عدت وجدته على نفس الحال وقد ازداد الالم ثم صار يصرخ وهو لا يرى امامه لقد عُمِي ولدي في ليلة واحدة مع انه لم يكن يشكو من اية اعراض قبل ذلك، وبعدها بدقاائق تقينا وتوفي امام عيني وانا لا اعرف ماذا افعل وعندما تقينا خرج من بطنه «عود سمر» وهو نوع من النبات الشوكى الذي ينمو في الطقس الحار ويكثر في عُمان، تعجب الناس مما حدث وفجأة جاءت ابنتي الكبرى وقالت لي :«بان السيدة فلانة جارتنا قد جاءت ورأت اخي وهو يتالم وقالت لي «ان اخوك ما فيه معاليق»، اي انه الان دون اعضاء داخلية وهي المعدة بما يتبعها من اجهزة اخرى وقالت لها انه سيموت، وكان زوج ابنته قد نهض من مرضه ومات ولدي بسبب «سحرها له» وفدوه «بولادهم».

وتروي السيدة ذاتها حكاية اخرى عن احد ابنائهما الذي من الله عليه بالشفاء وعاش وهو الان في احدى المؤسسات الكبرى في الدولة فتقول:- ولدي الذي كبر الان ويعمل بمؤسسة كبيرة بدولة الامارات كان قد تعرض في صغره لحالة حسد من السيدة ذاتها التي سحرت ولدي الاول الذي حدثكم عنه وتوفي، اما حالة الآخر فانه اصيب فجأة بحالة ضحك واصبح كالجنون من دون سبب، ولا يركز على شيء صار يسير كالنائه الذي فقد عقله، وعندما تطورت حالته وساعت كثيراً، استدعينا المطوع الموجود وكان يدعى «حبيب بن

حامد، وجاء المطوع الى منزليا وعندما قام بفحص ابني وحالته قال بأنه مسحور ووصف المرأة التي سحرته وطلب منا ان نحضر «سبعة اثار من ريلها» اي سبعة علامات من وقع قدمها عندما تمشي. تقول السيدة : - قمنا باحضار «الاثار»، «وحور عليه المطوع» اي قام بصنع حرز له من العين بحيث لو حاول اي امرىء حسده وسحره لا يستطيع فهو قد حصنه بالحرز وقرأ عليه القرآن وعاش ولدي والحمد لله وهو الان متزوج ولديه ثلاثة ابناء .. وكذلك الحال مع ثلاث من بناتي توفين ايضاً بسبب الحسد..

بعض المعتقدات والطقوس الخاصة بمرحلة الحمل والولادة لدى المرأة..

يبرز في مرحلة الميلاد الموروث الشعبي المرتبط بالمرأة والطفل، وربما تكون هذه المرحلة من اكثرا المراحل اهمية بين مراحل (دوره الحياة، الميلاد، الزواج، الوفاة) ان مرحلة الميلاد للانسان او للطفل انما تمثل مرحلة ميلاد المجتمع لذلك تكثر فيه الطقوس والممارسات والمعتقدات والعادات والتقاليد وتكثر فيها الاغاني الشعبية تلك المهنية للولادة او المعبرة عن الفرحة بالطفل الجديد او المستخدمه لتنويم الطفل، تبرز في هذه المرحلة ايضا اختلاف النظرة الى الطفل الذكر والطفلة الانثى. وتبدأ فيها سلسلة التفاوتات والتفضيل للذكر. ربما كانت البداية لهذه النظرة قد جاءت قبل ميلاد الطفل بل عند تكونه جنينا في رحم الأم. فيعرف من حركته ومن لون وجه امه ما اذا كان ذكرأ ام انثى ^(١١) وسبق لنا ذكر ذلك بالتفصيل في الدراسة السابقة.

ولا يتسع المجال في هذه الدراسة لذكر جميع تلك الممارسات فلذلك سنستشهد ببعض النماذج المعبرة عن هذه الطقوس وتلك المعتقدات وجميعها ما يؤكد البعد النفسي والاجتماعي للتراث الشعبي ومنها منع المرأة الحامل من رؤية انسان معروف عنه قوة العين ولو حدث اي لقاء بين المرأة الحامل وواحد من هؤلاء المشهورين بحسدهم وعيونهم الحارة سواء كانت امراة ام

رجالاً تبدأ الممارسات نحو حماية هذه المرأة فمن العادات مثلاناً يكبّروا «الله أكبر»، أما تلك المرأة أو ذلك الرجل.

وإذا أكلت هذه المرأة الزائرة من بيت الحامل فهي عادة ما تغسل يدها في آناء به ماء يسمى «الغسول» فيؤخذ هذا الغسول وتمسح به المرأة الحامل.

أو ان تُجمع «اثار اقدام المرأة الزائرة» ذات العين الحاره كما يطلق عليها تجمع لها «سبع خطوات» يؤخذ هذا التراب ويمسح به جسم المرأة الحامل.

ومن العادات والممارسات ايضاً ان تؤخذ نواة التمر الذي أكلته المرأة في بيت المرأة الحامل، وتحرق النواة تحت الحامل في المبخر.

وفي محاولات اخرى لحماية المرأة الحامل من العين والحسد، نجدهم يأخذون اثر رجلها من التراب ويغسلونه بالماء ويُعطى الماء للمرأة الحامل لشربه.

نستطيع الاستشهاد كذلك ببعض المعتقدات في فترة الولم، عندما يبدأ الولم في الثلاثة الشهور الاولى للمرأة الحامل تبرز في هذه النماذج من المانورات الشعبية الكثير من الابعاد النفسية والبيئية، فيبرز مثلاً البعد النفسي عندما تتوجه المرأة اذ يبدأ الاحساس بنوع الحمل هل حمل بذكر، ام بانثى فيقال مثلاً انه اذا كانت بشرة وجه الام تميل الى البياض فهذا يعني انها حامل بذكر، اما اذا مالت بشرتها الى السواد فهي حامل بانثى. ففي الحمل بالذكر «الوجه منور» اي يشع من وجهاها النور. كذلك اذا شعرت المرأة الحامل بالكسل والنعاس فهي حامل ببنت والعكس يحدث عندما تشعر بالنشاط والحيوية فهي حامل بذكر.

ومن الاقوال الشعرية المستخدمة للتعبير عن هذا الشعور النفسي تجاه المرأة الحامل.

(بـشـرونـي بالـغـلام فـزـ قـلـبي منـ المـقام : بـشـرونـي بـالـبـنـية ظـلـمـتـ الدـنـيـا عـلـيـ)

او يقال لها «غـرـبـلـجـ اللـهـ حـامـلـ بـبـنـتـ».

وكل ذلك ذكر في الدراسة السابقة، وجاء في هذه الدراسة ليعبر عن
الابعاد النفسية والاجتماعية للموروث الشعبي.

ويبدو الموروث المرتبط بالبنية اكثر وضوحا في الهدية التي توهب
للدايه بعد نجاحها في عملية التوليد، ففي الطبقات المتوسطة والفقيرة يهدون
اليها «جـفـيرـ عـيشـ» او «قـفةـ تـمرـ» او كـيسـ منـ الـأـرـزـ او سـلةـ منـ التـمـرـ، وهذه
بالفعل ما جادت به تلك البيئة الصحراوية الفقيرة. ولكن الحال يختلف عند
بعض الاسر الغنية الذين يقدمون المال مقابل جهد الدايه وغالبا ما يكون
مبالغ زهيدة.

اما عن المعتقدات والارتباطات النفسية التي تبرز اثناء قطع الحبل
السري فهي بالفعل مثيرة للتأمل اذ يرى سكان الامارات قدما ان الحبل
السري يمثل سر الحياة او الارتباط، وربما كان هذا الاعتقاد يجد ما يؤيده
بيولوجيا. فهذا الحبل كان القناة الموصولة بين الجنين والام وهي فعلا سر
حياته، ولكن ماذا يمارس من عادات حول هذه الفكرة «فكرة كينونة الانسان»؟.

ووجدنا كذلك التشابه في نوعية المواد المستخدمة لحفظ وتحنيط السره
من التعفن «كـالـثـمـدـ وـهـيـ مـادـهـ سـودـاءـ تـسـتـخـدـمـ لـلـكـحـلـ» او الـبـيـاسـ والـزـعـترـ
والـلـحـ وـ غالـباـ ماـ كانـ الـلـحـ الدـوـاءـ الشـعـبـيـ لـاغـلـبـ الـامـراضـ فيـ تـلـكـ الـمـرـحـلـةـ.

ثم وجدنا كذلك اسلوبا قياسيا متفقا عليه في حالة قطع السرة بعد
الولادة مباشرة، وهو ان تلف السرة على اربعة اصابع وتقطع، اي الاتفاق
على طول السرة المقطوعة ثم عقد السرة ثلاثة عقد (كل عقد تبعد عن الثانية)
مما يعني التأكيد على الاحتفاظ بالسره.

دفن السرة (ليظل سر الانسان مدفونا لا يصل اليه احد) او حفظه

بالمسجد او في المدرسة عند المطوع او يستخدم لعلاج العيون.

لا يقل الاهتمام بالمشيمة عنه بالسرعة فلقد لاحظنا ان سرة الطفلة الانثى تدفن بجانب «التنور» فرن الخبز حتى تصبح ربة بيت وسرة الطفل الذكر تدفن في المسجد ليصبح الطفل راعي مساجد او مطوعاً وتطلق بعض الامثال الشعبية عندما يضيع انسان شيئاً فيقال له (عنبوك مضيع سرك) وهذا يتعمق المعهد بالربط بين المشيمة والقدرة الانجابية لدى المرأة، فالمشيمة تمثل الاستمرارية في عقلية الانسان في الامارات. انه معتقد جبري وعنيفي في ذات الوقت، وهو كذلك غموض البيئة الصحراوية والبيئة البحرية، بالإضافة الى ما تمثله كثرة الابناء من غزو لانسان، اي من قيم الاصالة وكبر حجم القبيلة والعامل الاقتصادي الذي لا يمكن التغاضي عنه.

فكيف تحفظ المشيمة ؟

تدفن في مكان آمن بالمنزل بعد ان ترش ببعض الاعشاب والملح واثناء الدفن يجب ان لا تقلب حتى لا تقلب قدرة المرأة على الانجاب مرة اخرى اي لا يصيبها العقم، او تجفف المشيمة وتستخدم كبودرة لعلاج العيون للاطفال من بعض امراض الرمد. والاكثر من ذلك انها تستخدم كحجاب او حز لانسان تعرض لمشكلة كبيرة، او قضية قانونية يلجأ فيها الى المحاكم فالمشيمة تحفظه وترفع شأنه.

اما عن الممارسات فيما بعد الولادة فتبرز في قيم النظافة والوعي بمستلزمات صحة الطفل، وتترسخ فيها قيم الرعاية الوالدية، وعدم الاعتماد على الاخرين ولربما كان ذلك من ايجابيات المرحلة التي اولى فيها الطفل رعاية خاصة وتنشئه تختلف بالضرورة عن عمليات التنشئة او التطبيع الاجتماعي التي تشهدها مجتمعاتنا اليوم، اذ الذي يطبع التربية على الامهات البديلات وكان ذلك من ابرز قيم الاعتماد والاتكالية التي تعيشها مجتمعات الخليج اليوم فلقد همشت الامومة بل والابوة كذلك وصار الطفل ابن المربيه

الاجنبية والمدرسة والشارع والتليفزيون.

تنظيف المولود او المولودة والتربين والحاقة:

واستخدمت في كل ذلك مواد من البيئة فشهداً الملح والياس والنيل والمحلب والكركم والمتر والحبة الحمراء والصبر والبضاعة رحل الحلو وحل حليق والتمر الهندي، الظبي، وبنت الذهب، والزبدة، والزعتر والطحين. فتستخدم هذه المواد للتنظيف والتزيين بجانب قراءة القرآن عليه اثناء عمليات التنظيف لحمايته من الجان ومن العين وتطلب زيارة احد الرجال «حسني السمعه» ومن له خبرة وشجاعة ويعطى «الطفل ليلقنه النصائح المعبرة عن ثقافة ذلك المجتمع وعناصر وقيم التنشئة فيه « ان يكون الطفل صالحا وباراً بوالديه، المحافظة على الصلاة، المعاملة بالحسنى للاخرين، التواضع والبر بالحران..

ونختار بعض اناشيد الطفولة لما تعكسه من موروث غنائي ذي خصوصية محلية، ولما تعكسه ايضاً من معالم البيئة الاجتماعية التي عاشها الإنسان في المرحلة السابقة.

امکانات ایره الطوبیان

تترس الخرس والوعياني

ماه میانی

وبالغ ملزم

لی صد لی جو فانی

لني ق زوم وي ع

لی هادن الـ
لانی

فماذا تعكس هذه الاقوال المؤداة اثناء تنويم او تغسيل الطفل. انها تعكس ادوار كل من الرجل والمرأة تعكس كذلك حركة تنقل الاسرة الاماراتية صيفا وشتاء طلبا للرزق. توضح قيم حب الابناء فالثروة في تلك المراحل ثروة الابناء وليس ثروة المال.

أبيات من الشعر تقال ايضا عند تنويم الطفل:

ارقد يا وليدي رقدة هنية
ورقدة الغزلان في البرية
فديتك حـ بـ ابـي الله
الـ اـ هـ وـ
يا مـ عـ بـ وـ دـ يـا مـ وـ جـ وـ دـ
يـا رـاعـيـ الـ كـرـمـ وـ الـ جـ وـ دـ
مـ حـ مـ دـ النـ شـ مـ يـ
يـضـ رـبـ عـلـىـ الـ خـ شـ
يـا مـ اـ خـ دـ جـ سـ مـ يـ
وـ رـبـاعـ تـ جـ سـ مـ
وـ مـ حـ مـ دـ الـ وـافـي
عـلـىـ اللـهـ طـرـوـةـ
يـقـ خـيـ الـضـعـنـ صـافـي
وـ مـ سـ يـ بـرـ بـشـ وـقـهـ
وـ تـظـلـلـ بـلـاسـ
عنـ وـاهـيـ الدـوـقـهـ
(١٢)

يَا يَكْهَةَ الْحَمَّا
عَصَمَةَ عَلَى التَّسَاءِرِ
انْكَانْ قَدْرَكَ عَوْدَ
عَنْدَ تَسَاءِرِ بَاهِرِ
يَصْرُمْ فَتَاهِهَ
وَفِي دَهْ طَاهِرِ
يَقْفَلُ عَلَى الْبَخَارِ
وَيَدْدَافِلَاتَ وَنَهِ
وَيَهْدَدُ الْحَرْمَهَ
وَيَقْوِلُ مَاعَ وَنَهِ
وَلَانْبَيِ الْغَواصِ
هَلِي يَحْجُ فَنْ طَاسِ
نَنْفِي لَهُ مَانْعَ وَرِ

ثم ننتقل الى مادة اثنوجرافية اخرى تعبر عن بعض المعتقدات الخاصة بالمحافظة على شعر الطفل. فوجدنا ان شعر الولد او البنت يوزن اما مع الفلوس او مع الذهب وتوزع بعد ذلك على الاطفال ثم يدفن الشعر في البحر او في مكان ذي ظل بارد بحيث يعتقد ان ذلك يخفف التعب والارهاق على الطفل.

(x) معاني الكلمات : ١ - يكه : اللؤلؤ الغالي/ الحاير : المحتار/ عصه : صعبه/ التاير: التاجر/
باير: فاسد/ منعور : الشجاع (البدوي)/ البخار: مخزن الغذاء.

ولقد سادت هذه العادة الشعبية (وهي وزن شعر الطفل) خاصة بعد ان عرفت على انها سنة عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] ويصاحب هذه المناسبة (الحقيقة)^(١٣) اي الاحتفال بمرور سبعة ايام من ولادته وتحسب هذه الايام السبع بدقة متناهية، اذ لو ولدت المرأة بعد ظهور الشمس فلا يحسب ذلك اليوم كذلك يحتفل بعد الاربعين يوما به ويسمى ذلك الاحتفال «بالطلع».

ومن الجدير بالذكر هنا الاشارة الى بعض الاقالات الشعبية المستخدمة في هذه المناسبة اذ تعبر كذلك عن بعض موروثاتنا الشعبية المائية، والتي تقدم كذلك صورة عن البيئة الطبيعية ومحتوياتها. اذ يقدم (الهريس والعرسيه، والخبيص والساكوا والارز والقرص والحلوى).

ثم ننتقل الى بعض الممارسات الشعبية التي تعبّر عن بعض الابعاد النفسية والاجتماعية المرتبطة بالحمل والانجاب لانثى اذ نلاحظ ان الاسرة في الامارات قدّيما كانت تخفي نوع المولود عن الاهل والجيران ولذلك اسباب عديدة اهمها مثلاً ان المولود الذكر يُخفي خوفاً من الحسد وتخفي المولودة الانثى خوفاً من العار.

اما عن الابعاد البيئية للموروث الشعبي فنجد البيئة الطبيعية بكل ما تمتلكه من امكانيات يعبر عنها في الممارسات الشعبية، والعادات المرتبطة بفترة الحمل والولادة.

فنجد مثلاً ان الاطعمة التي تشتتها المرأة الحامل في فترة الولم كلها مما تقدمه لها بيئتها الطبيعية والزراعية، فكثيراً ما تتوجه المرأة «بالحبيب» وهو لحاء جذع النخل من الداخل او تتوجه «بالترني» وهو نوع من الليمون المتوفر في البيئة الاماراتية، وكذلك في عمان.

هناك ايضاً استخدامات الادوية الشعبية فهي كلها مستخدمة من بيئة المجتمع الطبيعية. ففي علاج المرأة او الرجل او الطفل نجد الاعشاب الشعبية هي المستخدمة في هذا العلاج. اذ ذكر من خلال دراستنا الميدانية العديد من

انواع هذه الاعشاب منها مثلاً : (الورس، وحل الحليق، والتمر الهندي، والظبي، وبنت الذهب، والزبدة، والزعتر والطحين).

كذلك نجد اثناء استدعاء الدايه للقيام بعملية التوليد للمرأة المقبلة على الولادة فهي تستخدم (التراب او الرمل) يسمى «الصرار» اذ تضنه تحت المرأة عندما يحمي الطلاق اعتقاداً منها بان هذه العملية تساعدها على الولادة بالإضافة الى وضع «الحطب» يسمى «الرايله» اي قطعة من الخشب او من جذع بعض الاشجار لتشد عليها المرأة بقبضتها لتحمي طلقها. ونظرة فاحصة لهذه الاستخدامات نجدها مما جادت به البيئة الاماراتية.

نجد كذلك اعتقاداً بعدم الاعلان عن موعد ولادة المرأة خوفاً من تعرضها لمشكلة اثناء الولادة، فيقال مثلاً لا نخبر الناس حتى لا «يشلون ويعها» اي حتى لا يتناقل الناس هذا الخبر، فيفترط الطلاق اي ينقطع الطلاق وتتأخر في الولادة او تتعرسر. وربما تكون هناك اسباب اخرى لاخفاء موعد الولادة اهمها فشل الدايه مثلاً وخوفها من اعلان هذا الفشل وتعرض مستقبلاها المهني للخطر.

حمى النفاس :

ترتبط حمى النفاس كظاهرة مرضية قد تتعرض لها المرأة الوالدة بالكثير من اشكال الطقوس والمعتقدات، والتي وجدنا انها يمكن ان تكشف لنا عن الكثير من الابعاد النفسية والاجتماعية فاختبرنا بعضنا من تلك الممارسات.

تعتقد المرأة ان حمى النفاس ناتجة من الحسد، او دخول الجن الى جسدها فتمسك المرأة النفسي سكيناً بيدها (خاصة اذا قامت بأى عمل بالمنزل)، او يوضع تحت رأسها الداس (اي المنجل). والبعض منهم يمتنع عن شرب الماء لمدة سبعة أيام، واذا كان الجو حاراً صيفاً يوضع بجانبها ماء ليلطف الحرارة اعتقاداً بأن الماء يسبب ارتخاء في الرحم، ومن الممارسات والطقوس ايضاً منع الزوج من الدخول عليها، او منع بعض الاقارب من

الدخول خاصة اذا كان قادما من جنازه، او مشاركاً بالدفن في المقبرة. فذلك قد يسبب لها العجز التام عن تكرار الانجاب (وتسمى هذه الحالة الانحباس).

كذلك تمنع الزيارة لامراتين في حالة نفاس، واذا حدث ذلك تأخذ المرأة الزائرة شيئاً من منزل الاخر ليخفي المراتين من حالة الدراس.

كذلك تمنع الارملة من زيارة المرأة في النفاس وتمتنع ايضاً العروس حتى لا تتعرض لحالة الدراس او المشاهدة.

ومن المفردات الشعبية المستخدمة للنفاس نجد (حمى الولادة، حمى الدر، حمى الملح، حمى الأربعين، حمى اللبن، حمى حليب الثدي، حمى الدبا، حمى الثلاثية «اذا جاءت بعد ثلاثة ايام»، حمى السابعة، حمى ام دلهم «تكسر العظم وتشرب الدم»، حمى الذرية، حمى المراضع، حمى تحت الحصاء، وحمى المثانah).

اما عن الاسباب المؤدية لحمى النفاس فيعتقد انها قد تكون بسبب كثرة شرب «الحريروه» او وقوع المرأة (التخرطيفه) او اسباب نفسية اي يتهدأ لها اشياء غريبة فتختاف وتتسخن، او لاسباب الحسد لدخول امراة ذات عين حارة، ورأتها ترضع ابنها فتعجبت منه واصابتها بالحسد، يتوقف الحليب نتيجة لذلك وتصاب الام بالحمى.

اما عن اشكال العلاج المستخدم لحمى النفاس فيعتمد بالدرجة الاولى على الاعشاب، كالفوطن، واليعده، والزعتر، او بقراءة القرآن او باستخدام الماء الساخن. اما عن إصابة المرأة بحمى النفاس بعد زياره احدى النساء لها فيختلف العلاج هنا اذ تبدأ طقوس جديدة باخذ آثار الرمل من أقدام المرأة الزائرة وتبخر به المرأة المريضة، او باخذ نواة التمر التي اكلتها الزائرة ووضعها في الماء ومسح ثدي المرأة بهذا الماء حماية لها من العين.

مرة اخرى تظهر معالم البيئة الطبيعية لمجتمع الامارات في الادوية المستخدمة لعلاج العين او الحسد وهي الخطف، والسويدا، والشب، وكلها

يمكن ان تحرق وتبخر به المرأة النفسياء. ولقد وجدنا نوعاً آخر من موروثات العلاج للامراض النفسية كالقلق مثلاً الذي يصيب المرأة بعد الولادة يتراكم ذلك العلاج على إثارة الانتباه للمرأة القلق او المكتئبة بواسطة مؤثرات معينة يتوقع منها استجابة ايجابية للتخلص من تلك الحالة (يحضر منخل غضف، اي منخل مصنوع من نبات الغضف الذي يشبه النخيل، ويقوم المعالج بتذويب مادة الرصاص في ماء، ويغلى على النار، ثم يوضع في وعاء كبير به ماء بارد على مسافة معينة من رأس المرأة المريضة، ثم يوضع فوق الوعاء المنخل المعد وبعد ان يبرد الرصاص يوضع في المنخل وخلال هذه العملية ينزل الرصاص من فتحات المنخل اصواتاً عالية تلامسته الماء البارد فيثير انتباه المرأة ويعتقد ان ذلك يساعدها قليلاً للخروج من حالة القلق هذه او الاكتئاب او العصابة او الوسواس).

ومن تحليل هذه المادة الانثوجرافية ذات الخصوصية المحلية لمجتمع الامارات وجدنا انها تعكس ذرجة من درجات المواجهة للامراض النفسية ارتبطت هذه المواجهة ببساط معطيات البيئة وببساط معطيات الثقافة والوعي في تلك المرحلة ثم اننا نشاهد درجة من التشابه بين هذه الوسيلة العلاجية الشعبية وبين جلسات الكهرباء المستخدمة حديثاً في الطب النفسي لعلاج نفس هذه الامراض.

بالاضافة الى ما قدمناه سابقاً من بعض العادات والتقاليد حول ولادة الطفل في مجتمع الامارات نقدم هنا صورة اخرى لكيفية تغسيل الطفل وتزيينه في الايام الاولى من حياته اذ برزت لنا من خلال المقابلات الميدانية بعض الممارسات المحلية المرتبطة بالتصورات الخاصة بتنشئة الطفل في الامارات والتي تعكس درجة الرعاية التي اولاها افراد المجتمع للطفولة. من هذه الاساليب (وضع الطفل في إناء كبير (طشت) وتضع الام او الجده ارجلها بداخل الطشت، ويوضع الطفل فوق ارجلها وتقوم امراة اخرى

بصب الماء على رأس الطفل بطريقة حسابية خاصة. اذا كان الطفل قد اكمل سبعة أيام يسكب على رأسه سبع طاسات «مكيال للماء»، أما اذا اكمل ١٤ يوماً تسكب أربع عشرة «طاسة»، و اذا كان قد اكمل اربعين يوماً تسكب اربعين طاسة بالإضافة الى استخدام اعشاب السدر اثناء هذه العملية. ولم نستطع تفسير لماذا تحسب أيام الطفل بشكل محدود والهدف منه الدقة في رعاية الطفل بحسب أيام عمره حتى لا يتعرض لایة مضاعفات قد تنتج من تقديم اشكال من الرعاية تفوق احتياجاته (العمرية)

اما عملية تكحيل عين الطفل بالکحل الاسود ورسم الخطوط على حاجبيه فهي ممارسة شعبية لها ايضاً بعض المعتقدات اذ يفسر تكحيل الطفل في وقت المغرب ليكون هذا الكحل حارساً له من العين ومن الجن ويتخذ الكحل احياناً شكلاً متميزاً اذ يرسم بين حاجبي الطفل (+) وتسمى هذه العلامة بكره وقعود وهما تسميتان لنوعين من الجمال صغيرة السن ويظهر هنا في هذه الممارسة نوع من الارتباط بالابل والجمال لما لهذا الحيوان من ارتباط خاص بالانسان في الامارات. اما عن العطور المستخدمة لتهيئة الطفل وتنويمه فهي (المسك، المخمرية، دهن العود، نبات الياس). لقد عكست لنا هذه الموروثات الخاصة بمرحلة الميلاد وبالتركيز على الام والطفل والولادة الكثير من الابعاد النفسية والاجتماعية والبيئية التي حاولت هذه الدراسة التركيز عليها. فالثقافة الشعبية التي كانت اطاراً لهذه الموروثات في مجتمع الامارات رغم بساطتها وربما بدائيتها الا انها قدمت صورة من التكيف بين الانسان ومجتمعه تغلب فيها الانسان على البيئة في بعض مواقفه معها، وتغلب البيئة على الانسان في بعض المواقف الاخرى عندما عجز الانسان الاماراتي عن تفسير ظواهره الاجتماعية ونستخلص ايضاً من مظاهر السلوك والعادات التي ارتبطت بتلك المرحلة انها قد خلت في الشكل والمضمون من الكثير من الصور الخرافية والاسطورية المتطرفة كما هو الوضع بالنسبة للتراث

الشعبي عند الشعوب الأخرى. فيما عدا بعض التصورات حول الجن والغفاريات والتي ستنظر كثيراً في الجزء القادم في هذه الدراسة وهو الذي سيقدم الطب الشعبي والزار ك أحد اشكال العلاج الشعبي.

الطب الشعبي :

«الزار» لعلاج الامراض النفسية والعضوية:

يعرف الزار بأنه أحد اشكال العلاج الشعبي لبعض الانواع من الامراض النفسية، والعضوية. او تلك الامراض النفسية ذات الاعراض الجسمانية كالصداع النصفي او امراض المعدة والتي يطلق عليها علمياً «الامراض السيكوسوماتية»، ولقد قمنا باختيار هذا النمط من العلاج الشعبي لسبعين اولهمما انتشاره بشكل كبير في المجتمع العربي عموماً، وفي مجتمع الامارات على وجه الخصوص، اما السبب الثاني فهو كون الزار يمثل حالة متفيدة من حالات معاناة الانسان من الامراض النفسية، التي لا يجد لها علاجاً يستطيع شفاؤه فيلجأ مضطراً الى الزار ليتخلص من امراض القلق والصداع والتتوتر، ويخضع المريض في هذا النوع من العلاج لاشكال من التعذيب النفسي والجسدي على السواء. لقد قدمت «فاطمة المصري» (١٤) دراسة شاملة عن الزار اتفقنا معها فيما تراه من ان الانسان العصبي او البدائي ليس سوى انسان لم تتطور حياته النفسية والعقلية بعد. ولم تنضج ولم تصل الى ما هي عليه من نضج لدى الانسان الحديث. وهو كذلك لم يصل الى القدرة على التكيف من الناحيتين الشخصية والاجتماعية.

ولقد اثبتت فكرة العلاج بالزار كما تراه نفس الكاتبه من المذهب الانيمي الذي جعل لكل الكائنات ارواحاً، وأمن بقدرة هذه الارواح على المساعدة لشفاء المرضى. وللدلالة على ذلك قمنا بزيارة الى احد البيوت التي تمارس فيها حفلات الزار، وتمت مقابلة قائد الفرقة الذي يطلق عليه (ابو الزار) ويقوم بتقديم هذا العلاج الشعبي، واعتمدت المقابلة على دليل مصغر

تبعدنا من خلال استئنافه تاريخ هذا العلاج في مجتمع الامارات وكل ما يتعلق به من ممارسات شعبية، عادات، ومعتقدات واستطعنا تسجيل الحفلة المعد لها في تلك الليلة، ونقدم بالإضافة إلى ذلك الاغاني المستخدمة في حفلة الزار، والتي تعبر في اغلبها عن ذلك المذهب الانيمي أي مخاطبة الارواح، والتضرع لهم لعلاج المريض.

بدأ الزار في الامارات في مرحلة قديمة جداً. حددها المبحوث بانها قبل النفط، وقبل ظهور المستشفيات. وهنا نجد أحد شروط ومصداقية الوجود الفعلي للموروث الشعبي وهو عدم القدرة على التحديد الزمني لظهوره في المجتمع، وكذلك عدم القدرة على تحديد من هو اول شخص قام بمارسته لأول مرة ولا شك ان للزار جذوراً ثقافية في غير مجتمع الامارات، ربما تكون جذوراً ثقافية افريقية، اذ ترى فاطمة المصري ان اصل الكلمة الزار ليس من اصل سام ولكنها دخلت الى اللغة الإثيوبية الامهرية من لغة «الجلاد» وهي قبائل وثنية تخضع للحكم الإثيوبي ^ظ.

أما عن ماهية الزار فهو كما أجاب «ابو الزار» جان يزور شخصاً ما هو يختاره. وهنا اتفق هذا التعريف مع ما قدمته دراسة فاطمة المصري من ان الزار بما يعنيه من طقوس لفظ امهرى معناه عند الاحباش شر ينزل بانسان ما. اما معنى الكلمة العربية فهو سمي بالزار اشتقاقة من الزيارة ويقال من تصيبه هذه الحاله (منزار) وعن أنواع الزار هناك الزار الكافر والزار المسلم. أما عن امراض الزار فهي الضيقه، أي الاكتئاب او الالم الرأس والقلب او حالات عدم القدرة على المعاشرة الزوجية.

تقام حفلة الزار في منزل الشخص المريض نفسه حسب رغبته فإذا كان الزار بمنزل المريض فإنه يقتصر على الغناء والتصفيق البسيط ولا يزيد عدد الاشخاص المشاركين بالغناء عن اربعة او ستة اشخاص، ولكن اذا اقيم الزار خارج المنزل اي في الصحراء الخالية فتزداد حركة المشاركين وتزداد دقات

الطبول، كما ترتفع الاصوات عالية ويشحذ ذلك من همة المعالج والمريض وتتيسر عملية استدعاء الجن والتفاوض معهم.

اما عن كيفية وصول الزار الى المريضة اثناء ممارسة تلك الطقوس فنجد ان الغناء العالى والتصفيق يدخلان راس المريض او المريضة فيقال شعبياً، يدخل لهبوب، اي يدخل الهوى والطرب الى رأس المريض، ويفسر كذلك بدخول الريح او الروح او الجن عندها يفقد المريض السيطرة على نفسه فيشارك مع المحلفين بهز الراس «التعيش» بسرعات متفاوتة، تبدا قليلاً فتزداد مع ازدياد الغناء والتصفيق حتى يتعب المريض ويتصبب عرقاً، هنا يتكلم الزار او الجن المخاوي للمريض ويبدأ بتقديم طلباته، وهنا نلاحظ التغير في صوت المريض اثناء تقديمها للطلبات اذ يصبح الصوت مبحواً وخاضعاً. وللزار محددات مكانية وزمانية فيفضل الليل لمارسة طقوسه خاصة اذا كانت المريضة امراة فظلمة الليل تسترها امام المشاركين في الحفلة فهي قد تتعرض للسقوط من شدة الرقص ويقع غطاء رأسها او البرقع اي غطاء الوجه او قد ينكشف جزء من جسمها فتتعرض للحرج والخجل، ويتعارض ذلك مع الموروث الديني لقيم مجتمع الامارات، وتبرز من خلال طقوس الزار بعض التناقضات بين فكرة (الحرام) كموروث اسلامي وبين فكرة (العيوب) كموروث ثقافي، فبينما يحرم رقص المرأة امام الرجال، فقد اجيز لها الرقص في الثقافة الشعبية ولكن حرم عليها الكشف عن الوجه والشعر. أما عن محددات الزار الزمنية فيمكن ان يمارس في كل شهور العام عدا شهر رمضان المبارك، و ايام الجمعة، و ايام الاعياد الدينية. ومن خلال هذا وبعد الزمني يتتأكد لنا مدى انتشار هذه الظاهرة بين افراد المجتمع. فعادة لا يوجد العدد الكافي من المعالجين وفرق الزار مما يؤدي الى زيادة الطلب على العرض في سوق العلاج الشعبي.

وبالنظر الى المدة الزمنية التي تستغرقها الحفلة الواحدة فنجد أنها تتراوح بين اربع الى ست ساعات وقد تكرر لنفس المريض ثلاث مرات في

الاسبوع الواحد الى ان يستطيع ابو الزار السيطرة على المريض سيطرة كاملة تؤدي به الى النعיש والبكاء والخضوع لتنفيذ ما يطلب منه من طقوس اخرى سياتي نكرها فيما تبقى من هذا التحليل.

اما عن نسبة انتشار هذا العلاج بين الرجال والنساء فجاءت اجابة «ابو الزار» محايدة اذ يرى انه لا احد يحب الزار، ولكن يضطر المريض الى ذلك عندما يفشل علاجه بالمستشفيات واحياناً تقوم بعلاج الاطفال بواسطة الزار، وكذلك الشباب والشيوخ من يلجا اليها. ×

وبمتابعة هذا التحليل وجهاً سؤالاً حول الاجر المدفوع للمعالجين بالزار فجاءت الاجابة بان الاجر يرتبط بالمستوى الاقتصادي والطبيقي للمرضى المؤمنين بهذا النوع من العلاج، وبالطبع الاغنياء يدفعون اجرأ مضاعفة عن الفقراء خاصة وان اغلب الممارسين كانوا من الاغنياء ثم إننا وجدنا ان المعالج لا يستلزم مبلغاً معيناً بل يعتمد على تقدير المريض واهله، واحياناً لا يدفع شيئاً سوى تجهيز وجبة العشاء للمشاركين في الزار. وهم ما يطلق عليهم «الجوفة»^(١٦) والتي تتكون من شخصيات عديدة «الكودية»، وهي المرأة التي تقوم بالواسطة بين المريض والاسياد، او قد يكون رجلاً ويسمى الكودي. الشخصية الثانية «المنشدة» وهي التي تقوم بالغناء، ثم عدد من العازفين يستخدمون الات بدائية وهي (الطنبورة، الرق، والطلبة، الصفارة، والبندير) وعن كيفية توزيع الاجور المستحقة على جميع المساهمين في الزار يكون نصيب رئيس الفرق هو الاكبر، وتوزيع البقية من المال على الجوفة كل حسب مكانته ودوره في حفلة الزار.

× اثبتت الدراسات العلمية حول الزار، وبعض الندوات التي اقيمت في الوطن العربي الى فشل بعض الاطباء في علاج بعض المرضى النفسيين فاضطروا الى ارسالهم الى المعالجين الشعبيين لتطبيق العلاج بالزار عليهم وعلى الوجه الآخر وجدنا من نتائج تلك الدراسات عجز المعالجين الشعبيين عن معالجة بعض مرضاهم فلجوا حينها الى تحويل مرضاهم الى مستشفيات حديثة. وتثبت لنا هذه النتائج حقيقة استطاع ان يقدمها لنا هذا الموروث (الزار) وهي عجز الانسان في بعض المواقف عن المواجهة لبعض الخواص المرضية التي تنتشر اليوم في المجتمعات المختلفة منها والمتقدمة على حد سواء.

لقد كان البخور احد اهم عناصر حفلة الزار وتتعدد انواع البخور بحسب نوع الزار او الجان، فالشيطان يبخر باللبان، والعود للسيد الاكبر، والعنبر للجنية بالإضافة الى استخدام ماء الورد ليشرب منه المريض والمعالجون كذلك.

اما عن اسماء الاسياد فهي كثيرة : (الشيطان، سيف، الجن، الجنية، الريحاني، الدرعي، النمرود، نوبان، واخيراً الحبشي). وربما كانت طريقة التعرف على اسم السيد هي الاساس في هذا العلاج فاثناء الرقص والغناء ونعيش المريض ينادي ابو الزار «من أنت؟»، فيرد المريض بصوت غريب «أنا الشيطان» فيرحب به ابو الزار ويبادره بالسؤال ماذا ت يريد وما هي اسباب المرض الذي يعاني منه هذا المريض؟ هي منك؟ فيرد مثلاً بنعم ويبادره بسؤال آخر ماذا ت يريد منه؟ فيقدم الشيطان طلباته، ويستجيب له ابو الزار بقوله (سنلبي لك طلباتك لكن بشرط الشفاء) وهذا يحدد ابو الزار توقيتاً معيناً لحفلة اخرى يوحى بها لاهل المريض باهمية تكرار هذا العلاج على ان تلبي الطلبات في الحفلة الثانية. ومن هنا تبدأ ممارسة هذا العلاج كعادة من العادات الاجتماعية التي لا يستطيع المريض التخلص منها بسهولة فيحدث ما يشبه حالة الادمان على هذا النوع من العلاج.

طلبات الارواح تتتنوع من سيد الى آخر ومثال على ذلك : الشيطان يطلب عصا وكندورة «جلباب» وكذلك سروال او خاتم فضة، او خاتم مطلي بالذهب او يطلب خزام المقصود به العقال او يطلب «افتح» وهي كالخواتم تلبس في اصابع القدم، او يطلب «حقب» وهو حزام من فضة يلبس تحت الملابس. اما الجنية فتطلب الشيله وغالباً ما تكون سواه وهي غطاء لرأس المرأة او تطلب الحناء او كندورة مدهونة باعشات الورس والزعفران ليكون لونها اصفر. اما الطلب الاكثر صعوبة فهو شرب الدم او شم الدم، او القيام بضيافة كبيرة تستمر مع حفلة الزار نفسه، احياناً تذبح الذبائح واحياناً يكتفي بالحلويات والمكسرات والفاكهه، وكانت المفاجأة بالنسبة لنظرية ابو الزار لهذا النوع من

العلاج بـان يعتبره نوعا من الفنون التي تطرب الانسان فالطرب والتجاوب مع الغناء ودق الطبول والرقص وتلبية الطلبات تعبر عن اساليب شعبية استطاعت ان تخلص الانسان من بعض همومه وقلقه.

نماذج من اغانى الزار :

- × وهو ناديت الزار، وهو ناديت سيف، وهو يا مابيت، وهو ناديت مابيت، وهو ياديره، وهو ناديت الزار، وهو من كل داد من الحور والسيوح، وهو من كل دار، وهو يا نمرود، وهو يالدرعي، وهو يالهيمان، وهو يا شيطان.
- × وألوه ياه والوه، دويه يا مرورد، هي يا ماما، يوسيف هي يا ماما، واتورد يوسيف، هي يا ماما، واتورد يا سيف، هي يا ماما، ورودية.

× اغنية الجنية:

الجنية كفاك الله، بليتني بلاك الله، بليتني بلاك الرب، بليتني كفاك الرب،
جنية عطاك الجنان، عظيم باسم الله يالريضية، ويتنزل يا شيخ الجنان
بسم الله بالرضية، وتنزل يا شيخ الجنان.

× اغنية الشيطان :

شـيـطـانـ بـنـ تـوـهـ جـايـ

مـجـدـمـ الـرـيـاحـ تـوـهـ يـاـيـ

شـيـطـانـ بـنـ هـيـمـانـ تـوـهـ يـاـيـ

مـقـدـمـ الـرـيـاحـ ظـهـ رـجـايـ

يـيـناـكـمـ زـائـرـينـ نـحـنـ الشـيـاطـينـ

مـسـتـعـرـضـينـ

يـيـناـكـمـ زـائـرـينـ نـحـنـ الشـيـاطـينـ

مـسـتـعـرـضـينـ

يـاهـ الجـنـيـ يـورـيـحـانـ
يـوبـ بالـجـنـىـ عـلـىـ الشـيـطـانـ
شـمـالـوـهـ يـاـ شـيـمـالـ
وـانـتـ الـزـارـ يـوـهـ رـيـحـانـ
جـنـيـ وـرـدـ مـنـ الـهـيـمـانـ
جـنـيـ وـرـدـ مـنـ الـهـيـمـانـ
عـنـدـ يـاـقـ وـمـ تـرـدـ الـعـسـاـيلـ
تـفـرـقـ الـخـلـ مـنـ خـلـيـلـهـ
يـاـ طـنـافـ الـمـطـايـعـ
رـفـيـعـ الشـانـ سـمـاحـ الخـطـاـيـاـ
شـرـبـةـ خـذـوهـ وـاـنـاـ مـاـ بـلـونـيـ
اـنـاـ الزـارـ وـاخـوـهـ اـنـاـ مـاـ وـفـونـيـ
شـيـخـ الزـارـ تـوـهـ لـافـيـ عـالـيـ مـوـرـدـ
صـافـيـ عـلـىـ بـكـرـةـ اوـ لـافـيـ
وـرـدـ وـرـدـ نـالـهـ
نـلـ الشـامـيـ فـرـشـنـالـهـ
وـمـاـ يـطـلـبـ اـدـيـنـالـهـ
وـعـودـ الصـنـفـيـ عـمـانـالـهـ
يـوـ سـراـحـ نـاـشـرـينـ يـوـ سـراـحـ نـاـشـرـينـ
رـيـحـ الضـغـبـ سـراـحـ

ياسيف يابر صان

ياما مقدم الزيران

لا يمكن الحكم على الطقوس والممارسات الشعبية اعتماداً على المنطق والعقل فقط، إذ لا بد من النظر الى الموروث الشعبي الملئ، بالاساطير والقصص والخرافات والاعتقادات التي تؤثر في حياة المجتمع، وكان يلجم الى كل الوسائل الممكنة للوصول الى نتائج او البحث عن حلول لمشكلات تعترض حياتهم سواء خضعت مقاييس العقل ام اتجهت الى اللامعقول فالغاية تبرر الوسيلة حسب اعتقاد «ميكيافيلي» لذلك نجد ان حفلة الزار كانت تؤدي بشكل يتاسب مع المستوى الاجتماعي. المشبع بالموروث الشعبي الذي يضم تعاليم الدين وثقافة المجتمع وادب الخيال والاساطير المتوارثة، ويتناسب مع الحالة النفسية في اعتماده طريقة تعتمد على التجربة دون النظر الى مقاييس هذا العمل العقلية المنطقية في علاج حالة مرضية.

بما ان الدراسة تحاول الكشف عن الابعاد النفسية للموروث الشعبي بكل اشكاله فاننا نستشهد في هذا الجزء الخير ببعض عناصر من الادب الشعبي ونشير الى اهمية هذا النوع من الشعر الحماسي ليخدم اغراض المناسبات الوطنية وخاصة في فترات ازمات الحروب او غيرها من الازمات.

ونقدم هذه الانماط التراثية المؤلفة للمناسبات الكبرى في المجتمع كالدخول في حرب - او مواجهة اشكال من التغيير - ويحتاج الافراد فيها الى تهيئة نفسية وثقة عالية لمواجهتها، فنجد بعد النفيسي واضحاً بشكل جلي في الاغاني المستخدمة لذلك، او الملاحم او الرقصات الشعبية، او ذكر سير البطولات للاجداد، وتمارس هذه الانماط في شكل جماعي يساعد على نشرها وتحقيق الفائدة منها. فلو اخذنا بعضـا من الشعر الشعبي الذي ساعد في بث روح البطولة بين افراد المجتمع في فترة ازمة الخليج، فسنجد ان هناك قصائد رائعة كان لها صدى كبير لدى افراد المجتمع، وكان من القصائد ما الهب

المشاعر وشحد الهم وشجع الشباب على الانخراط في سلك القوات المسلحة
كمتطوعين لدفاع عن الوطن والذود عن حياضه، ومن هذه القصائد قصيدة
للشاعر حمد بن سهيل يقول فيها:

«يا شباب الوطن لبوا ندائم»

واحدم وَالْدَارُ ضَدُّ الطَّامِعِينَ

وكان لهذه القصيدة التي غُنِيت على شكل رقصة (الحربية) وهي من (فنون العياله) وقع خاص على الناس لم يالفوه من قبل وذلك يؤكد ما وصلنا اليه من نتيجة ترى ان الادب الشعبي وخاصة الشعر منه يصل الى العامة من الناس والخاصة منهم. وقصيدة اخرى ايضا تؤكد على ذكرنا عن اهمية الشعر ومدى تأثيره في النفوس، وهي قصيدة وطنية ايضا قيلت إبان (ازمة الخليج) وتغنى بها الطفل قبل الكهل وهي للشاعر سعيد القمرzi ويقول مطلعها:

رف يا علم في عالي الساريه رف

كلنا فـ داك وكلنا نموت دونك

رف في حمي شيخ علا المجد وشرف

رواک ع زولا ته اون بـ وـك

رفیشم و خ حوله الشمس تلتف

وعانق خيوط الشمس وافخر بلونك

ولا يستخدم الشعر في المواقف البطولية فقط، بل ان اغراضه تتعدد بشكل واضح كما هو الشعر الفصيح، اذ نجد له وجودا في العديد من اوجه الحياة الاجتماعية، فهو عنصر من عناصر التراث الاكثر انتشاراً وتدالوا بين افراد المجتمع، سواء اكان في الماضي ام في الحاضر حيث استطاع هذا الشعر بالفعل ان يفجر ابداعات ادبية رائدة في المنطقة، وهو بهذا يضيف ويensem في خلق اتجاهات فكرية جديدة، وتصورات جديدة حول المرأة والرجل والعلاقة

بينهما، وإثارة بعض القضايا الاجتماعية من خلاله ومن اغراض الشعر النبطي وموضوعاته المعروفة : (الغزل، الشعر الاجتماعي، البداو، فنجان القهوة، الناقة، الخيل، الصقور، الغوص، والبحر، النصائح، الحكمة، الامثال، التوجه الى الله، الوطن، القضايا السياسية والقومية، المدح، الرثاء، الفخر، الهجاء، الذم، شكوى الزمان، الوصف، الحياة اليومية، المشاركة في الاحداث والمناسبات والفكاهة).^(١٧)

نماذج من اغراض الشعر:

اولاً : شعر الحكمة

ونستعرض هنا بعضا من اشعار رائد الحكمة الشاعر الكبير الماجدي بن ظاهر الذي يقول في إحدى قصائده

ما دامت الا ملئ يداوم بالتقى
دار المقر ومنت هاك الا لها
شاجين فيها والشقا ضد التقى
ولا ذاك الا الصالحات ابقي لها^(١٨)

ثانياً : الشعر الاجتماعي :

هو نموذج تغنى به الشعراء وطرحوا من خلاله قضايا الوطن والمواطن ونظموا قصائد تفاعل معها الناس، وادركوا من خلالها ابعاد القضايا الاجتماعية التي يعيشونها، فوجدوا الصوت الصادح الذي غرد بها على الملا، من ذلك قول الشاعر سالم بن جمهور القبيسي في حديثه عن قضية العمالقة والوافدة اذ يقول:

واجب الاقلام تتكلم
عن مشاكلنا الاساسية

لِي مَسْتَى نَشْكِي وَنَتَالِم
بَيْنَ خَوْفٍ وَحَرْبٍ نَفْسٌ بَيْهَة
نَاسٌ فِي الرَّاحِلَاتِ تَنْزَعُم
وَنَاسٌ فِي النَّسَبَيَاتِ يَانِ مَنْسَبَيَة
وَاجِبٌ بِدِيَارِنَا نَهَى تَم
نَنْظُرُ بِنَظْرَةِ دَرَاسٍ بَيْهَة
نَنْظُرُ الْمَسْتَقْبَلِ وَنَرْسَم
مَنْطَلِقٌ عَدْلٌ وَسَوْسَابَيَة
دَارِنَا هِيَ قَبْلَةُ الْعَالَمِ
نَفْطَهَا إِنْفَاسُنَا الْحَيَاة
أَحَدٌ شَرِيفٌ هَا نَسْلُ آدَم
غَصَّتْ بِمَلِيْونِ جَنْسٍ بَيْهَة (١٩)

ثالثاً : شعر النصائح

وَمِنَ الشِّعْرِ الْجَمِيلِ الَّذِي تَتَنَاقَلُهُ الْأَلْسُونُ شِعْرُ النَّصْحِ وَالْإِرْشَادِ وَمِنْهُ مَا
قَالَهُ الْمَاجْدِيُّ بْنُ ظَاهِرٍ (فِي نَصِيْحَتِهِ الْدِينِيَّةِ).
عَلَيْكَ بِتَسْعِ سَتِ الْلَّازِمَاتِ
صَلَاتِكَ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّيْامِ
وَحِجَّ الْبَيْتِ وَالزَّامِ الرِّزْكَاءِ
وَنَطْقِ الصَّدْقِ مَا فِيهِ أَوْ تَهَامِي (٢٠)

وابعا : شعر الغوص والبحر:

وعن اثر البحر والصحراء في تأصيل الثقافة الشعبية نأخذ مثلاً من هذه الثقافة التي كان البحر الرافد لها، والمساعد الاول على ظهورها من خلال الشعر، اذ يقول الشاعر محمد علي المزروعي وهو غواص معروف في الامارات محاوراً البحر :

طاش البحر وطم الحدود
ونسي العود الاولى
سرت انشده قال ارمي به عود
لان الله وازيد على
واشتاق لي من هبة النور
وزادت وسوى الموج بنه (٢١)
تقول الشاعرة شيخة بنت حمد (٢٢) عن (القفال) والعودة الى الاهل
وانتظار النساء بكل لهفة وشوق وأمل ل يوم العودة الذي يلقينه بكل خوف ورجاء :
مدوا لغوص وبيوا بدانات
وتباشرروا جمل المعاريف
فلوارنه ويولات
ووقف خلق الله على السيف
وامسوا على انسه وخفات
بين الغ واني والمواليف
والنوح ذه يعطي بلمييات
وقة ول دوكم يامس ساع يف

نقدم كذلك نماذج من شعر (الشاعر سعيد الحميري) جاءت في شتى الأغراض الاجتماعية، فهو يخلد الماضي في هذه القصائد ويحفظ التراث كاغنية للحاضرين، ويذكر الأوائل من أجيال هذا الوطن واصفاً معانיהם وأساليبهم البسيطة في الحياة مثنياً على كرمهم وتفانيهم في خدمة هذا الوطن حيث يذكر اعمالهم الشاقة والبسيطة مردودها البسيط من المال بانها اشرف وانبل الاعمال ويشيد بجلساتهم السمرية حول الحظيرة «وهو مجلس خارج المنزل»، يجلس فيه الرجال على شكل حلقة دائيرية تدور فيها السوالف والحكايات والتوادر الفكاهية والقصائد الشعرية، ويعكس صورة مجتمع يلتف التاذر والتراحم بعاطفه الاخوة ويجمعهم احترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير (٢٣).

شـ وابـ نـ اـ لـ وـ يـ كـ دـ وـ
لـ بـ بـ يـ تـ وـ يـ رـ بـ بـ وـ
مـ نـ اـ حـ طـ بـ ضـ وـ يـ رـ قـ وـ
مـ لـ قـ اـ فـ وـ لـ اـ سـ مـ رـ لـ يـ بـ الـ
وـ لـ يـ اـ طـ رـ شـ وـ بـ درـ بـ يـ مـ شـ وـ
كـ لـ هـ طـ رـ يـ هـ وـ عـ رـ وـ رـ مـ الـ
اهـ نـ اـ كـ فـ يـ السـ اـ حـ لـ يـ بـ يـ عـ وـ
مـ رـ دـ وـ دـ هـ مـ هـ يـ نـ مـ مـ نـ اـ مـ الـ
وـ الـ مـ يـ يـ رـ مـ نـ الـ سـ سـ وـ قـ يـ شـ رـ وـ
وـ عـ اـ يـ يـ وـ حـ طـ وـ الـ بـ نـ وـ الـ هـ الـ
وـ زـ اـ قـ رـ وـ مـ اـ يـ يـ وـ وـ وـ وـ وـ وـ وـ
وـ تـ ةـ هـ وـ وـ وـ وـ ذـ رـ بـ يـ لـ فـ عـ الـ

ان نذهب بتـ خـ وزـ حـ زـون
 شـ وـ فـ هـ اـ يـ زـ يـ اـ يـ حـ الـ هـ مـ اـ لـ بـ اـ لـ
 في الـ بـ اـ دـ يـ دـ اـ يـ مـ يـ شـ تـ وـ نـ
 دـ اـ رـ عـ لـ يـ لـ يـ اـ لـ وـ لـ وـ اـ شـ كـ اـ لـ
 وـ بـ يـ سـ نـ حـ فـ يـ بـ يـ بـ يـ بـ نـ وـ نـ
 وـ تـ يـ اـ وـ رـ نـ زـ يـ نـ اـ لـ جـ بـ اـ لـ
 وـ الـ نـ اـ سـ مـ سـ رـ تـ اـ حـ يـ غـ نـ وـ نـ
 في الـ لـ لـ بـ لـ يـ دـ عـ اـ لـ اـ لـ اـ مـ اـ ذـ هـ اـ لـ
 الـ بـ دـ وـ يـ حـ لـ وـ هـ جـ بـ اـ تـ اـ تـ هـ
 لـ يـ مـ اـ دـ عـ دـ عـ زـ بـ اـ رـ كـ اـ بـ
 هـ بـ يـ سـ لـ وـ اـ سـ لـ وـ اـ سـ لـ وـ اـ سـ
 وـ مـ دـ يـ بـ الـ هـ مـ اـ لـ نـ شـ اـ بـ
 اـ يـ بـ يـ بـ عـ وـ يـ بـ لـ غـ زـ كـ اـ تـ اـ تـ هـ
 وـ يـ كـ رـ مـ الـ خـ يـ فـ يـ قـ اـ نـ مـ طـ اـ بـ
 اـ يـ جـ لـ بـ وـ يـ قـ مـ مـ مـ قـ قـ اـ تـ اـ تـ هـ
 وـ الـ نـ اـ سـ اـ لـ وـ لـ فـ يـ هـ اـ صـ لـ اـ بـ
 لـ كـ نـ ذـ اـ كـ الـ وـ قـ تـ فـ يـ اـ تـ اـ تـ هـ
 وـ الـ يـ وـ مـ خـ سـ رـ هـ مـ اـ لـ اـ حـ سـ اـ بـ
 عـ لـ يـ يـ شـ اـ جـ يـ فـي غـ لـ اـ تـ اـ تـ هـ
 مـ اـ يـ حـ شـ بـ لـ وـ بـ يـ دـ اـ تـ عـ اـ بـ

قدمت الدراسة اذاً مجموعة من مأثوراتنا الأدبية المتمثلة في الشعر الشعبي استطعنا من خلالها ان نجمع تلك الاغراض الشعرية التي عبرت عن ذلك المجتمع البسيط بثقافته وقيمه ونظامه الاجتماعي.

الفنون الشعبية :

اما عن الفنون وخاصة فن الرقص فنذكر من انواعها (العياله) التي تعتبر من اشهر الرقصات واقدمها، ويقاد لا يخلو اي عرس في مجتمع الامارات من مشاركة فرقة العياله التي يتغنى فيها اعضاؤها بحب الوطن، الفروسية، والشجاعة، والغزل، والوصف، وتقوم الرقصة على مجموعة من الرجال ربما يتعدى عددهم الكلي ثلاثة رجال يقفون في صفين متقابلين، ويكون لهم (عبيد) اي قائد يلقي الشعر فيردده الرجال اعضاء الفرقة، ويقوم الاخرون واغلبهم من الضيوف بتادية رقصة العيالة وهم يحملون السيف والبنادق تعبيرا عن الفرحة وتأصيلا لعادة حمل السلاح اثناء حضور مراسم الاعراس.

ومن اغانی العياله المعروفة نذكر قصيدة يتغنى بها الرجال بالشجاعة
فيقولون (٢٤)

سبحان يا ربنا ربى عليك اتكالي
تنصرنا وتعزنا وتعزنا القبائل
ما مركبنا حتى العدو هابنا

فترد المجموعة :

يا نديبي شدني فوق حراث الزبون
من اصل صبيان شقراء حaire
نعم بو سلطان شيخ على حكمه اشتهر
يعتز باولاد عمه العالمين

الخصيم اللي شرد

ما لقي عنهم سفر

يلحقونه بالبنادق والسيوف الماضية

ولا يمكن استثناء الامثال الشعبية من هذه الدراسة لما لها من ابعاد نفسية قد تخدم الاهداف العامة في موضوعنا هذا، حيث يلعب المثل الشعبي دوراً كبيراً في التأثيرات النفسية على الافراد وتغيير الاتجاهات الفردية نحو اعمال الخير والصدق والنزاهة والى اخره مما تكشف عنه هذه النماذج من الامثال الشعبية المحلية من قيم اجتماعية.

١ - انت امير وانا امير - من يقود الحمير

المعنى : يضرب للانسان الذي يرى نفسه مسؤولاً عن كل شيء ولا ينجز الاشياء المطلوبة منه، لانه مسؤول واذا كان الامر كذلك فمن سيؤدي العمل اذن.

٢ - الصافع ينسى والمصفوع ما ينسى.

المعنى : يضرب هذا المثل حين يسيء المرء لانسان آخر قد تربطه به علاقة طيبة فالمسيء ينسى اساعته لكن المساء اليه لا يمكن ان ينسى.

٣ - الدرهم مراهم.

يعني المثل : ان الدرهم عند المرء هي خير معين له وقت الشدة وال الحاجة.

٤ - التاوه تعيب على الجدر.

معنى المثل : ان الانسان اذا نظر الى عيوبه وادركتها فليس بامكانه ان يعيّب على الآخرين فهو اولى بان يعالج عيوبه الشخصية اولاً.

٥ - التمر بالشخص والعيش بالقص.

المعنى : ان الحياة تتطلب الحكمة والثاني وكل امر مقدور عليه بعد ذلك

وان لكل موقف يطرا على الانسان طريقة معينة للتعامل معه بكل سلاسة وفن واتقان.

٦ - البيت بيتك والمسجد ادفي لك.

المعنى : هي عبارة ينطئها الانسان البخيل الذي يخاف الضيوف ويتأسف من دعوتهم الى منزله حينها يكون المسجد ادفا لهم.

٧ - إش عرف الحمار باكل الكنار.

المعنى : يضرب للانسان الذي لا يعرف كيف يتعامل في المواقف الجميلة، كالحمار الذي يأكل الاعشاب ولكنه لا يحبذ (النبق) رغم جمال طعمه.

٨ - إشك بالبحر واهواله : ورزق الله على السيف.

معنى المثل : يضرب للشخص الذي يبحث عن المتابع للوصول الى هدف ما ويغفل الطرق السهلة المتاحة له.

٩ - اذن من طين واذن من عجين.

يضرب المثل : ممن يسد اذنه عن الحديث بالطين والعجين فيصبح مثل الاطرش لا يعي ما يدور حوله من احداث.

١٠ - اللي ما عنده حيلة يلعب التيله.

يضرب المثل : للانسان العاطل عن العمل، فالافضل له ان يبحث عن عمل يسليه ويدر عليه ربحا مهما كان حجم هذا العمل.

١١ - اللي تقصه الخوشه ما يبقي سكين.

هو مثل للدعوة الى تسهيل الامور وعدم تعقيدها

١٢ - الصيده عيزانه والكلب عيزان.

يضرب المثل للشخص الذي تناح له الفرصة فلا يستغلها بالشكل الصحيح فلا هو يصل اليها ولا هي تصل اليه.

١٣ - الصديق قبل الطريق او الصديق قبل الطريق.

يضرب المثل لأهمية ان يكون للانسان صديق مخلص يرافقه ويحاف عليه فاما هو يسير الدرب فان اختيار الصديق اهم قبل البدء في امر ما لان الصديق يظهر عند الشدائـد والملمات.

١٤ - الحب يطلع على بذرـه.

معنى المثل : ان المولود يظهر على ابيه فاذا كان حسن الخلق يشرب منه الاخلاق الحسنة، واذا كان سيء الاخلاق كان الطفل مثل ابيه.

١٥ - الطويله ما تفرقـه والقصيرة فيها شوكـ.

يقال هذا المثل من يختار بين امرين فلا هو يستطيع الوصول اليه لبعده، ولا هو يستطيع تناولـه في يده بسبب عوائق تحول دون ذلك كالشجرة الطويلة لا يطالها والشجرة القصيرة مليئة بالاشواكـ.

١٦ - الحقران يقطع المصرانـ.

يضرب المثل من اراد ان يتتجاهـل انساناً يحبـه ويتغـاضـف معـه - فـانـه يعيش معـه، ولكـنه لا يـحدـثـه او يـتـعـالـمـ معـه بشـكـلـ واـضـحـ.

١٧ - اللي ما يعرف الصقر يشويـهـ.

يضرب هذا المثل من لا يعرف قيمة الشيء حتى يخسرـهـ.

١٨ - لو تزيد فوق الدين دين - ما تطلع من حق الوالدينـ.

يضرب المثل في حبـ الوالـدينـ وضرـورةـ طـاعـتـهـماـ وـالـاحـسـانـ اليـهـماـ.

١٩ - يا اعور يا مهندس يوم ما تشوف تليسـسـ.

يضرب المثل للانسان الذي يرى الشيء وهو امامـهـ فلا يـراـهـ.

٢٠ - الْبَعْدُ بَعْدَ الْقُلُوبِ مَوْبِدُ الدُّرُوبِ

يضرب المثل لمن اراد ان يبحث عن اعذار لوقف ما فلا تقبل لأن البعد ليس
بعد المناطق والمساحات وإنما هو جفاف القلوب وابتعادها عن
بعضها.

الهوامش والمراجع:-

- ١- نبيلة ابراهيم «القصص الشعبي جمعه وتصنيفه»، ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، سلسلة ندوات التخطيط لدراسة التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية - مركز التراث الشعبي - بقطر ١٩٨٤ ص (٢٠٠).
- ٢- صفوت كمال «مناهج بحث الفولكلور الشعبي بين الاصالة والمعاصرة»، عالم الفكر - المجلد السادس - العدد الرابع (يناير - فبراير - مارس ١٩٨٦) ص (١٧٣).
- ٣- عبداللطيف البرغوثي «الفولكلور والتراث»، عالم الفكر - المجلد السابع عشر - العدد الاول (ابريل - مايو - يونيو - ١٩٨٦) ص (٩٣).
- ٤- هاني العمد «في التراث الشعبي وشكالية تصنيفه»، ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، المرجع السابق (٢٢٣، ٣٣١).
- ٥- عبداللطيف البرغوثي - عن د. شريف كناعنة - المرجع السابق ص (٩٤).
- ٦- محمد اركون - مركز دراسات الوحدة العربية - ندوة التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الاصالة والمعاصرة) الطبعة الاولى بيروت ١٩٨٥ ص (١٤).
- ٧- علي عبدالله الخليفة - عناصر الاصالة في الثقافة القومية - مجلة التراث الشعبي - وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - العدد ٦، ٥، السنة ١٥ - بغداد ١٩٨٤ ص (١٠٦).
- ٨- فرحان صالح - جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث، رؤية نقدية، دار الحداة، الطبعة الاولى ١٩٨٣ ص (٨ - ١٠).
- ٩- حسين فهيم - التراث الشعبي في ادب الرحلات - نظرية منهجية مجلة المأثورات الشعبية العدد ٥ يناير ١٩٨٧ ص (٨٢).
- ١٠- موزه غباش وآخرون - «جمع وتصنيف العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد لمجتمع الامارات

- العربية المتحدة، النوجرافيا العادات والتقاليد لدورة الحياة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية - الدوحة - قطر ١٩٩٢.
- ١١ - موزه غباش «تفاصيل تراثي لمرجعية حقوق المرأة وواجباتها في المجتمعات الخليجية، حالة مجتمع الامارات ندوة الثقافة وحقوق المرأة»، مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية، مارس ١٩٩١.
- ١٢ - اقوال من المرحومة عوشة بنت حسين بن ناصر لوتاه - صيف ١٩٩٢ مستشفى هيوستن - الولايات المتحدة الامريكية.
- ١٣ - يقال كذلك بالنسبة للحقيقة ان الاب الذي لا يملك قيمة النبات في اليوم السابع، ولا يستطيع الاحتفال بها فان اول ضحية يقدمها الطفل في حياته تحسب كحقيقة له.
- ١٤ - فاطمة المصري - الزائر دراسة نفسية وانثربولوجية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ ص (٦٥).
- ١٥ - فاطمة المصري - المرجع السابق ص (١١).
- ١٦ - فاطمة المصري - المرجع السابق ص (٦٣ - ٦٥).
- ١٧ - الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية - القسم الثاني - الطبعة الاولى ١٩٩٠ صفحه (٩٩).
- ١٨ - الماجدي بن ظاهر - حياته وشعره جمع وتحقيق حمد بو شهاب وابراهيم بو ملحة - مطبعة دبي - الطبعة الاولى ١٩٨٤ ص (٢٠).
- ١٩ - الشاعر سالم بن جمهور القبيسي - ديوان روائع النجد - مطابع الفلترة - ابو ظبي - الطبعة الاولى ١٩٨٣ ص (٧٩).
- ٢٠ - الماجدي بن ظاهر - حياته وشعره (حمد بو شهاب وابراهيم بو ملحة) الطبعة الاولى - دبي ١٩٨٤ ص (٢٧٧).
- ٢١ - الشاعر خميس محمد المزروعي (جمع وشرح فالح حنظل) سلسلة دواوين الشعر الشعبي رقم ٣ وزارة الاعلام والثقافة - الادارة الثقافية - ابو ظبي - المطبعة العصرية - ص (١٢٠).
- ٢٢ - غسان الحسن (المرجع السابق) ص (٧٥٦).
- ٢٣ - الشاعر عتيق الحميري - لوحة مشرقة في الاغراض الاجتماعية، جريدة الاتحاد ٢٨ نوفمبر ١٩٩٢ ص (٢٦).
- ٢٤ - حسن قايد - بادية الامارات، تقاليد وعادات، الطبعة الاولى عام ١٩٩٠ ص (١٥٠).
- ٢٥ - حبيب الصايغ - عمود في الحقيقة «دراما»، جريدة الخليج، الاثنين - جمادى الاول ١٤١٣هـ.

**الفصل الثالث
الحمل**

Pregnancy

تقديم:

الحمل هو المحور الأساسي لقياس مرحلة الميلاد للإنسان في أي مجتمع من المجتمعات، فال الحمل هو بدء الحياة، ونحن لا نهتم فقط بالعادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المشخصة أو العيانية التي تؤلف أصلاً مادة الفولكلور والأنثropolجيا، ولكننا نسعى كذلك إلى ربط هذه المادة العلمية بسياقها الاجتماعي، والمؤثرات التي تركت بصماتها على هذه الممارسات والعادات، ومن ثم التوصل إلى عامل التغيير والثبات من مجموع عناصر هذه العادات ، وذلك يقيناً منا بأن هذه العناصر والأبعاد الثقافية تشكل الإنسان كائن ثقافي في مجتمع الإمارات، فدراسة بعدي التغيير والثبات إنما تحدد لنا إلى أي مدى استطاع الرواة التعبير عن القيمة الجديدة التي تتلائم مع واقع الحياة، وهل استطاع الإنسان في الإمارات أن يغزل قيمه الجديدة في النسيج التقليدي السائد والذي يحظى بقبول الناس، ولقد عالجنا موضوع الحمل من خلال الموضوعات التالية:

- بدء الحمل
- ردود فعل الأهل لحمل المرأة.
- الاتجاهات نحو انجاب الذكور والإناث
- التحريمات المرتبطة بالحمل.
- غذاء الحامل.
- الوضع الصحي للمرأة أثناء الحمل.
- مجموع الممارسات المرتبطة بكل مراحل الحمل.

وهي الموضوعات التي تكشف لنا عن الواقع الاجتماعي الثقافي الذي

كانت تعيش المرأة الحامل منذ أول حمل لها وحتى آخر حمل، والاتجاهات السائدة نحوها^(١).

إن مجموعة الأسئلة التي عالجت هذا المحور من خلال الموضوعات المذكورة كانت على النحو التالي :

- ١ - كيف يتم حساب فترة الحمل؟
 - ٢ - ومن الذي يقوم بحسابها؟
 - ٣ - كم كان سنك عندما حملت أول مرة؟
 - ٤ - ما هي أصغر سن يمكن أن تحمل فيها المرأة؟
 - ٥ - ما هي علامات الحمل؟ (جسمية ، نفسية ، أخرى تذكر).
 - ٦ - ما هي ردود الفعل تجاه حملك :
 - أ. مشاعرك الخاصة.
 - ب. زوجك
 - ج. زوجات زوجك (خاصة العوائق).
 - د. حماتك واقارب زوجك.
 - هـ. أمك واقاربك.
 - ٧ - هل ترغب في إنجاب الذكور أكثر من الإناث؟
 - ٨ - لماذا يرغب الرجال في انجاب الذكور أكثر من الإناث.
 - ٩ - لماذا ترغب المرأة بشدة في انجاب الأطفال؟
 - ١٠ - لماذا يرغب الرجل في انجاب الأطفال؟
 - ١١ - هل يخاف الزوج على زوجته وهي حامل من الحسد؟
 - ١٢ - هل هناك أشياء تتفاعل بها أو نتشائم منها أثناء الحمل؟
 - ١٣ - المرأة الولود بماذا تسمى وتتشبه؟
 - ١٤ - ما هو رد فعل المجتمع المحيط نحو المرأة الولود؟
- أ. الزوج .
- ب. أقارب الزوج.
- ج - أقارب الزوجة (اذكر ما يقال لها او عنها من كلمات وتعبيرات واغانی .. الخ).
- ١٥ - هل يمكن معرفة نوع الجنين قبل ولادته؟ وكيف؟
 - ١٦ - ما هي أسباب الامتناع عن الإعلان عن الحمل؟
 - ١٧ - متى يتم الإعلان عن الحمل؟
- ١٨ - هل هناك تحريمات تتعلق بالإماكن التي تزورها المرأة الحامل؟
- = ١٩. هل هناك تحريمات تتعلق باتصال انس معينين بالمرأة الحامل (المرأة ذات العين الحارة).

ان الحديث عن السن المناسب للحمل يرتبط ارتباطاً مباشراً بالسن المناسب للزواج، خاصة وان الدراسة تكشف لنا حقيقة لم تتغير كثيراً رغم مرور مراحل زمنية طويلة في هذا المجتمع، فالزواج المبكر، وربما الزواج الطفولي كان سائداً ومنتشرأً الى درجة تزويج الفتاة وهي لم تبلغ بعد.. فلقد تراوحت سنين الزواج من ٩ سنوات الى ١٧ سنة وهنالك الكثير من الممارسات الشعبية المتصلة بالاهتمام بالحمل وربما كان اغلبها ممارسة واستخدام الطب الشعبي لعلاج التاخر في الحمل، واستخدام الاساليب المنتشرة في اغلب دول المنطقة كوسيلة (الخبابة، والمسح ، واستخدام النباتات كالقرط والحرمل)،

إن معاملة الأقارب للمرأة الحامل ومحاولتهم للحفاظ على حملها، ومعالجتها وتلبية رغباتها أثناء الولم كلها دلالات تشير الى عمق قيم

- = ٢٠. هل هناك تحريمات تتعلق بآي كلام او اخبار تقال أمام المرأة الحامل؟
٢١- ما هي القيود والتحريمات التي تفرض على المرأة الحامل؟
أ. بالنسبة للغذاء.
ب . بالنسبة للحركة.
ج - لاداء الاعمال.
د . للعلاقات مع الآخرين.
٢٢. من اول شخص يعلن له حمل المرأة؟ ولماذا؟
٢٣. هل هناك خوف من الاعلان عن الحمل؟
٢٤. ما هو الغذاء المثالي للمرأة الحامل؟
٢٥ . هل هناك قيود تفرض على العلاقات الزوجية أثناء الحمل؟
٢٦. ما هي الاحتياطات التي تساعده على اتمام الحمل بسرعة؟
٢٧. هل يعني الزوج أثناء حمل زوجته؟
٢٨. ما هي المشكلات الصحية التي تواجه المرأة الحامل؟
٢٩. ما هي الاسباب التي تجعل حمل المرأة في امان؟
٣٠. ما هي الممارسات التي تحافظ المرأة بها على حملها؟
٣١. بعد كم من الوقت لا تكون هناك خطورة تتعلق بالاجهاض؟
٣٢. إجمع اي اغاني او اقوال او حكايات تهنىء تقال للمرأة بمجرد ان تتحمل او في فترة الحمل؟

الإنجاب واهتميّها لدى أفراد مجتمع الإمارات فالإنجاب يحمل قيمة إسلامية وقيمة إجتماعية تمتد في العمق العقلي للإنسان في مجتمعنا العربي، وتعني له القوة والكثرة والعزة، والاستمرار، وقوة الأسرة والعائلة والقبيلة.

ومازال هذا الاتجاه سائداً في مجتمعنا العربي بجانب بعض الاختلافات لدى أفراد الطبقة المتعلمة، التي بدأت تتجه نحو التقليل من الأطفال، لأسباب ثقافية واقتصادية، وربما صحية في بعض الأحيان.

إن الفرحة بالإنجاب، وسرور الأهل والأقارب بحمل المرأة وولادتها يتزامن معه الخوف والقلق على المرأة، وعلى ولادتها، يمتد هذا الخوف ليصل إلى درجة إخفاء الحمل حتى يكتمل نضوج الجنين بعد الشهر الخامس في رحم الأم وتتعدد أشكال الخوف المحيطة بالحمل، خاصة إذا كان الحمل الأول للمرأة، فالخوف هنا من أن يكون حملًا كاذباً يعرض الأسرة للإحراج والخجل، ويشعر الرجل بالعار وربما دفعه ذلك إلى الزواج باخرى، والخوف على المرأة الولود من الحسد، لتكرار ولادتها فلما زالت العين الحارة تلعب دوراً في تحديد آثر العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع.

وعندما نود قياس مدى لعب هذه العناصر الثقافية دوراً في الحياة الاجتماعية فإننا نجدها في هذه التفاصيل المتعلقة بحياة الأم الحامل، مثال ذلك ردود الفعل للأهل والأقارب تجاه المرأة أثناء الزواج، وعند الحمل الأول، وتكرار الحمل والامتناع عن اعلانه، وكذلك التوقيت الذي يتم فيه الإعلان، والتحريمات التي تتعلق بحمل المرأة والذي سنتعرض لها في هذه الدراسة، كل هذه العادات والعناصر التراثية تكون ما نستطيع تسميته بالبيات التفاعل الاجتماعي بين الأسر، وفي مجموعها تكون البيات التماسك للنظام الاجتماعي عموماً في المجتمع، وربما امتدت هذه العناصر حتى بعد مرحلة التغيير الذي تعرض لها المجتمع لتلعب نفس الدور وإن كان بمعمارسات مختلفة.

ويعتبر الإعلان عن الحمل أحد العناصر الرئيسية في دراستنا هذه لأنه

يتضمن اعتبارات وموروثات عميقة جداً في ثقافة أهل الإمارات، فيتم احياناً إخفاء الحمل أو التاخر في إعلانه نظراً لبعض الاعتبارات المتعلقة بالحسد، وبالخوف من الحمل الكاذب، ويتم التأخير احياناً حتى الشهر الخامس. أو عندما يكتشف الناس حمل المرأة بأنفسهم فتضطر هي إلى الإعلان عنه، وفي العادة يكون توقيت الإعلان عن الحمل، ما بعد شهرين من تاريخ الحمل وقد يُؤجل إلى ما بعد أربعة شهور.

وترتبط أهمية تأخير الإعلان عن الحمل ببعض المفاهيم والقيم الاجتماعية المتصلة بالمرأة والأسرة وأهمها مفاهيم المستر والمعيب والقول بأن المرأة «بيت عيب»، أي أن كل ما يحكى عن المرأة يدخل ضمن اعتبارات العيب، وأن للمرأة خصوصيات لا ينبغي الكشف عنها إذ احياناً لا يكشف عن الحمل حتى الولادة. وذلك للمرأة التي لا تتعرض لمتابعة الوحام، وبالتالي لا يلاحظ عليها ذلك الحمل.

يبلغ خبر الحمل أولاً إلى الصديق الغالي الخاص الذي تضمن فرحته معك، فاذن الصديق قبل الأم أو الزوج والسبب الثاني لأخبار الصديق أولاً إنك تضمن كتمان السر، حيث أن المطلوب كتمان خبر الحمل في بدايته، وهذا اتجاه عام متعلق بالحمل، وبمرحلة بداية تكون الجنين **وستثبت** الإجابات لجميع الأخباريات والخبراء أن هذا الاتجاه لكتمان خبر الحمل خاصة في بدايته هو اتجاه عام بين أفراد الأسر الاماراتية في ذلك الوقت.

بعد الصديق ينقل الخبر إلى الأم، وأم الزوج، إذا كانت الزوجة تعيش في بيت أهل الزوج والبعض يؤكد أن الخبر ينقل إلى الزوج، أولاً، رغم أن الزوج يبدأ بنفسه ملاحظة انقطاع العادة الشهرية لدى الزوجة، وقد يخفى الحمل تماماً عن الزوج، وتضطر لاعلامه فيما بعد إذا ظهر عليها الوحم خاصة حسب اعتقاد البعض.

إن إخبار الزوج من أول الحمل مردهُ أن الزوج كان دائم الأسفار وخاصة

اسفار الغوص وبالتالي لابد أن يعرف أن زوجته حاملاً قبل سفره، وقد يكون السبب وراء اعلام الزوج الخوف من موته أثناء رحلات الغوص.

ومن المفاجات التي تعرضنا لها في الإجابات على هذا السؤال أن المرأة تبلغ زوجها ببداية الحمل حتى تنتهي الضرب الذي قد يؤدي إلى الاجهاض، مما يعكس طبيعة العلاقة بين الزوجين لدى بعض الأسر التي كان يستخدم الزوج فيها الضرب عند الاختلاف على أي شيء بينه وبين زوجته.

اذن الحمل وسيلة لحماية المرأة وصون كرامتها فهي تعلمه بحملها حتى تتحاشى ذلك الاسلوب في التعامل معها.

إن الخوف من اعلان الحمل كما تؤكد إجابات الاخباريين قد يكون لواحد أو أكثر من الأسباب التالية :-

أ. أن يكون حملًا كاذبًا.

بـ . الخوف من الحسد أو الفشل في الحمل.

جـ . ان يقال انها «تتغلى على ريلها» أي تبالغ في اظهار قدرها وحب الزوج لها.

دـ . حتى لا يقال أن الزوجة «حملت عمرها قبل الحمال» أي ادعت الحمل قبل التأكد رغبة منها في اظهار انوثتها مثلاً امام مجتمعها.

وـ . الخوف من الفضيحة.

هـ . الخوف من الاجهاض

وفي بعض الحالات نجد ان هناك من يتبااهي بالحمل امام الأزواج والجيران، ولكن البعض يخجل من الافصاح عن هذا الحمل ويسعى إلى اخفاءه ويشبهه أخفاء الحمل « بالعيش» أي الأرز المزروع الذي يظهر بعد فترة بظهور بعض العلامات.

اذن تظل المرأة تخفي حملها الى ان تظهر علاماته عليها.

يتضح مما تقدم ان هناك جوا اجتماعيا خاصاً يحيط بالمرأة منذ بدء الحمل تتشابك فيه بعض القيم الخاصة والاتجاهات ذات التأكيد على أن كل شؤون المرأة يجب ان تخفي من بدايتها.. وان المجتمع بافكاره يساعد على هذه الاتجاهات خاصة فيما يتعلق بالمخاوف الأخرى، كالحسد والعين، والخوف من الفشل، وبروز الفضيحة والخجل كعوامل مؤدية الى الاخفاء، وربما يقود هذا التساؤل المنطقي لماذا الخوف من الفضيحة والخجل؟ وهل يرتبط الحمل بكل هذه المخاوف؟

حساب الحمل:

إن حساب فترة بدء الحمل لا تختلف كثيراً عن حسابها في المرحلة الحالية في مجتمع الإمارات، فالحمل يحسب منذ انقطاع (العاددة الشهرية) الأخيرة عن المرأة المتزوجة إلا أن هناك من يرى أن الثلاثة شهور الأولى لا تحسب لأن المرأة كما يعتقدون معرضة الى ان تعاودها (العاددة الشهرية) خلال هذه الشهور وإن حدث ذلك يطلقون عليه (قطوع) أي انقطاع الدورة الشهرية بسبب غير الحمل وهذا يحدث الشك لدى أقارب المرأة من الحمل الكاذب ولهذه الأسباب فلا يعلن أو يصرح عن حمل المرأة إلا بعد الشهر الخامس.

أن الكثير من الأمور المتعلقة بالحمل كشفت عن الكثير من تداعيات الماضي، والعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة فمثلاً لم تكن المرأة تكتم حملها عن زوجها، ولكن من الجائز ان تخفيه عن اقاربه خوفاً من الحسد، إذ كان الحسد يلعب دوراً أساسياً في تلك العلاقات الاجتماعية ، ان المفردات المحلية المتداولة عن الأمور المتعلقة بالحمل لتكشف لنا احياناً عن العناصر المحلية من التراث في مجتمع الامارات كما تكشف احياناً أخرى عن العناصر الثقافية المهاجرة الى المجتمع من بقية دول الخليج، او من بعض الدول غير العربية المجاورة.

كما تكشف الممارسات المتصلة بالحمل عن المعتقدات الراسخة في عقول افراد المجتمع عموماً، فنحن نلاحظ شدة التمسك بالدين الإسلامي وجميع معتقداته، إذ عندما تجيب احدى المبحوثات بالتعليق على ادراك بدء الحمل بالقول (لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى) يعني ان التراث لا يمكن ان تكون عناصره ومعتقداته إلا في إطار الدين الذي يسود في اي مجتمع من المجتمعات، فالتراث لا يتكون من فراغ، بل لا بد من ذلك الإطار الديني تتجمع عناصره حوله، ونلاحظ كذلك ان احاديث الاخباريات تستطيع ان تعبّر لنا عن عالمي الثبات والتغيير في هذه العناصر الثقافية المرتبطة بفترة الحمل وبعدها بالنسبة للمرأة، والقارئ يستطيع بنفسه ان يحدد العناصر المتغيرة، والعناصر الثابتة منها وبذلك يتحقق لنا الهدف الرئيسي من هذه الدراسة وهو اننا نضع هذه المادة الأنثropolجية الخام من أجل رؤية علمية تضع لنا هذا التراث في إطاره الاجتماعي، وتوقف به على ارض الواقع المعاش باعتباره إنتاجا ثقافيا انتجه بشر باعيانهم في ظرف تاريخي محدد^(١).

اما من يقوم بحساب الحمل فالمرأة نفسها هي التي تقوم عادة بحساب بدء حملها وحتى نهايتها، وأحيانا كانت تستعين بامها إن كانت مازالت طفلا في الثالثة عشرة من عمرها.. حيث نعلم أن الزواج المبكر كان أحد سمات مجتمع الإمارات في الماضي، وقد يكون في الحاضر في بعض المناطق والقرى النائية فيه. وأشارت بعض الاجابات إلى الاستعانة أحياناً بالزوج او ببعض المتخصصات ويطلق عليهن «الحسبيات» لحساب بدء الحمل لدى المرأة.

ان التعامل مع ظاهري الحمل والولادة كان بصفة عامة يتسم بالبساطة فكثيراً ما المُخاض بالمرأة وهي تعمل في جلب الماء (تروي) او التحطيم.. او غيرها من الأنشطة الاقتصادية التي كانت تمارسها المرأة.

١. عبدالحميد حواس ، ترتيب المادة الفولكلورية ومتطلبات البحث العربي الراهن، مقالة منشورة وغير مذكور مكان النشر وتاريخه.

ان الموقف الاجتماعي في حمل المرأة يمكن ان يكشف عن كثير من المشاعر وعن الأدوار والاتجاهات الفردية التي كان يلعبها افراد العائلة الواحدة.

إن أول رد فعل على الحمل يأتي من المرأة ذاتها إذ تعبّر عن فرحتها بحملها وسعادتها رغم صغر سنها، وببعضهن كن ينشغلن باعمالهن المنزلية اليومية، و «الراوي» اي جلب الماء، و «الحليب»، وصناعة النسيج ورغم فرح المرأة بحملها إلا أنها تتعرض لازمات صحية تستعين بالداية لعلاجها.. وتتضح صورة الإتكال على الله عند حمل المرأة فتقول «إنه زرع الله».

أما ردود فعل الزوج فكانت تتسم بالفرح ايضا والسرور، وبمحاولاته مساعدة زوجته وتخفيف العبء عنها.

أما ردود أفعال الزوجات الآخريات إن وجدن فتتراوح بين الفرح والغيرة فقد أشارت الأغلبية منهن إلى أن الزوجات الآخريات يشعرن بالفرح، وانهن يقمني الرضا للزوج لأنهن لم يستطعن تحقيق ذلك، ويقمن بمساعدة الحامل، وتربيه ابناها بعد أن تنجذب ولكن يظهر أحيانا الحسد، والغيرة من الزوجات الآخريات. إن الفرح والسرور هو الشعور السائد الذي ينتشر بين أفراد العائلة مما يؤكد ترسیخ قيم الانجذاب لدى أفراد مجتمع الإمارات، وأن هناك نوعاً من العلاقات الإنسانية التي تربط بين أفراد الأسر والعائلات تقوى من أواصر هذه العائلات خاصة في فترة الحمل.

ما إن يتتأكد الحمل حتى يكون أمر الحفاظ عليه هو محور الاهتمام الرئيسي للجميع ومن أهم الاحتياطات التي تساعده على اتمام الحمل خاصة للمرأة التي قد تعرضت للإجهاض في المرات السابقة الالتزام بالاعتدال في المشي، وعدم التحرك الكثير أثناء النوم، وإذا ما أرادت تغيير موضع نومها

عليها الوقوف قليلاً ثم تغيير الوضع الذي هي عليه لأن في ذلك راحة «للضنا» وللام أيضا، كما أن على الحامل تجنب حمل الانتقال «والرب هو الحافظ، كما تنصح كذلك بشرب الأدوية الشعبية «كالورد والحلول» و«الطبيخة والسبوعة»، وعندما تصل الشهر الثامن تمنع عن تناول هذه الأدوية حتى لا تؤدي إلى اسقاط الجنين. وتعتقد بعض النساء بأن الذهاب إلى «الماتم»، والمطاوعة وزيارة الأولياء يساعد على انجاح الحمل وإنتمامه بسلام. ويجب على الحامل عدم تناول الثوم والفلفل الحار، وعدم سكب الماء الحار على نفسها حتى لا تجهض. ويتجسد الإيمان القوي لدى سكان مجتمع الإمارات في أهمية «التسمية بالله» في كل عمل تقوم به المرأة خاصة في الليل لاعتقادهم بوجود الجن تحت الأرض.

وقد كانت المرأة في السابق تواجه العديد من المشكلات الصحية التي تتعرض لها فترة الحمل فكانت تلجأ إلى الطب الشعبي للعلاج مما كان يخفف عنها تلك المشكلات الصحية، ولقد جاء التأكيد على أهمية الحركة الجسمية بالنسبة للمرأة الحامل، إذ يرى الجميع أن الحركة تخفف عن المرأة أورام القدمين وتعب الورك، وسوف تكشف الإجابات عن هذه المشكلات الصحية وطرق علاجها.

ومن المشكلات الصحية التي تواجه المرأة الحامل «الدوخة والدوار والصداع» وكذلك «الزكام» و«المنان» وهو ألم في المفاصل أعراضه تشبه أعراض الروماتيزم المعروف.

واهم الأعراض أو المشكلات الصحية التي تتعرض لها الحامل «الوحام» وما يصحبه من أعراض مختلفة.

كما تتعرض الحامل لأمراض أخرى كالسكري وارتفاع ضغط الدم، والقى، وتعب الجسم وتكسر وكسيل وعدم رغبة في المشي، إضافة إلى النزيف الذي تتعرض له بعض النساء.

ومن أهم الممارسات التي كانت تحافظ بها المرأة على حملها وتحيطه بالأمان. الالتزام بالهدوء والاعتدال في السير والبعض يقوم بعمل «يامعه» لها وهي عبارة عن حجاب أو حرز يحميها من العين الحارة . او تشرب «الحلول» حتى «لا يحيى الريح على الباهل»، اي تناصره الغازات فيسبب التعب لأمه .

اما في الشهور الأخيرة ففيها ان تشرب «العشرج» وهو نوع من الاعشاب الطبية التي تساعد كما يعتقدون على ازالة المشكلات الصحية عن الحامل خاصة في فترة الشهور الأخيرة، كما يجب عليها انتقاء «الليحة» ، اي انه يتطلب منها عدم التلفت كثيراً وهي تحمل شيئاً ثقيلاً، وكذلك «الهبهعة» ، اي القفز بسرعة.

ومن الجدير بالتأكيد هنا ذكر مجموعة الاحتياطات الشعبية التي تلجأ اليها المرأة الحامل وأفراد الأسرة المحيطين بها لانجاح حملها :-

١. شرب الحلول اي الشربة المؤدية إلى الإسهال.
٢. شرب «البعدة» وهي مجموعة اعشاب شعبية.
٣. شرب «العشرج» وهو نوع من الاعشاب ايضاً.
٤. تحاشي «الليحة والهبهعة» اي التلفت السريع وهي تحمل شيئاً ثقيلاً، او التعرّض والوقوع.
٥. عدم حمل الانفاق.
٦. عدم الخروج ليلاً خوفاً من رؤية اي شيء يزعجها.
٧. عدم الأكل بين الوجبات الرئيسية.
٨. ينجح الحمل إذا عاملها زوجها معاملة حسنة وكذلك اهل الزوج.
٩. شرب الطبيخة «مجموعة من الاعشاب مغلية».
١٠. عدم سكب الماء الحار عليها.

١١. شرب الحلبة واللبن.

١٢. مسح الداية لها وتقوم «بنفسها» أي تهز ساقيها بالإمساك بطرف القدم.

الإجهاض:

الإجهاض هو أخطر التجارب التي يمكن أن تتعرض لها المرأة الحامل في تلك الفترة السابقة نظراً لأنعدام الوعي الطبي آنذاك، ولعدم وجود عناية صحية مباشرة للمرأة كما هو الوضع في المرحلة الراهنة، ولقد ارتأى الباحثون الاهتمام بهذه القضية نظراً لما تشكله من تجربة خطيرة على المرأة الحامل، ولما يمكن أن تعلن بها من ممارسات ومعتقدات توضح المزيد من تلك العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد في المجتمع.

وتبدو الإجابة هنا أن الوعي بزمن الإجهاض أو بالفترة التي يمكن أن يحدث فيها الإجهاض قليل فبعضهن رأى أن الإجهاض يحدث في الشهور الأولى، بل الأيام الأولى، وبعضهن وجد أن من الممكن أن يكون في الشهور الأخيرة، وبعضهن قال أن الإجهاض لا يرتبط بزمن معين، بل يحدث معين فإذا حملت المرأة انقاولاً فوق طاقتها يؤدي بها ذلك إلى الإجهاض وتكون المرأة في أمان بعد دخولها التاسع حتى لو بدقة معدودة ويضرب لذلك مثلً وهو : «حتى ولو بفورة الدلة» .. حتى بسرعة غليان الماء المعد لعمل القهوة.

رغم ما يمثله الأدب الشفاهي من أهمية وقدرة على الكشف عن مشاعر الناس وأحساسهم، ولما يسهم به في إثراء الحياة الثقافية في أي مجتمع من المجتمعات، إلا أننا وفي مناسبة الحمل لم نجد على الإطلاق أي شكل من أشكال ذلك الأدب الشفاهي، بل على العكس وجدنا رفضاً قاطعاً من أغلب الأخباريات فكان تبريرهن، لذلك، أن هذه المناسبة لا تقال فيها القصائد ولكن يكتفى بالتهنئة والدعاء لها بسلامة الحمل والولادة.

ولقد ذكرنا سابقاً أن هناك فرحة كبيرة تحتاج الأهل والزوج والجيران عندما يعلن عن حمل المرأة ولكن يصاحب ذلك الخوف والحدق من الفشل في

ذلك الحمل ولذلك يتستر الأهل في بداية الحمل عن اعلانه، وربما هذه المشاعر المتعارضة بين الفرح والخوف جعل هذه المناسبة اي حمل المرأة من المناسبات الشحيحة في الأدب والاغاني، ويكتفي الأفراد ببعض الأقوال والأمثال نذكر منها مثلاً.

«الله يعطيك الولد .. الله يعطيك خفيف العباله»^(١)

أي الدعاء لها بالولد الصالح قليل العناء والتعب، ويقال «مبروك مادررت».

وتشبه المرأة الحامل بالحمل «البوم» اي المركب وهو في الماء حيث يقولون «حملتك امك تسعه أشهر بين التمرض والضجر» والتشبّيـه هنا بـان المرأة كـالـمـركـبـ اـمـاـ انـ يـصـلـ سـالـماـ اوـ يـغـرقـ، اوـ «ـبـالـبـرـكـةـ عـلـيـكـ»ـ بـزيـادـةـ زـيـادـتهاـ.

وأحياناً تشبه المرأة بالبحر اي أن المرأة بـحر لا يـعـرـفـ أحدـ ماـ بـداـخـلـ بـطـنـهاـ منـ صـيدـ، وعـنـدـمـاـ يـكـبـرـ بـطـنـهاـ يـقـولـونـ لـهـاـ «ـهـاطـلـعـ العـشـاـ عـشـاـ اللـيلـ»ـ يـقـصـدـونـ انـ ماـ فـيـ بـطـنـهاـ هوـ ماـ تـاكـلـهـ خـلـسـةـ فـيـ اللـيلـ مـنـ عـشـاءـ ايـ مضـاجـعـهـ الزـوجـ، اوـ يـسـخـرـ الـبعـضـ مـنـ حـمـلـ الـمـرـأـةـ «ـخـاصـةـ الـمـرـأـةـ المـغـرـورـةـ»ـ، فـيـقـالـ لـهـاـ «ـحـامـلـ مـنـ شـيخـكـمـ مـخـطـوـنـيـ»ـ.

معرفة نوع الجنين :

من التساؤلات الهامة التي يطرحها البحث عن ثقافة الحمل السؤال عن إمكانية معرفة نوع الجنين قبل ولادته؟ وكيف؟

وتكشف لنا الإجابة عن هذا السؤال درجة من الوعي الذي ساد تلك الفترة عندما لم يكن هناك تقدم في المجال الطبي، فلقد كانت للنساء «الدایات» خبرات يستطعن بها الكشف عن نوع المولود قبل ولادته؟

وربما لا تكون وسائلهن لمعرفة نوع المولود ناجحة في تحديد نوعه ولكنها في النهاية تعبر عن محاولات يقوم بها الإنسان لتفسير الظواهر من

(١) خفيف العباله : قليل المسؤولية .

حوله، والكشف عن المجهول فهذه علاقة جدلية بين الإنسان وببيئته وظواهرها، وتزداد عندما يفتقد هذا الإنسان لأدوات التي تساعدة على ذلك والعلم الذي يستطيع أن يساعدة في ذلك الكشف، والتحقق من ظواهر البيئة وسوف تشير لنا هذه الإجابات عن هذه المحاولات، ومدى امكانية استخدامها كمقاييس لقدرات الإنسان «المرأة والرجل» في التفاعل مع المجتمع ومتطلباته وخاصة في مرحلة الميلاد.

قدمت الديايات خبرتها في هذا المجال . مجال معرفة نوع الجنين والتي تجسدت فيما يلي :

معرفة نوع الجنين من خلال الشكل الخارجي لبطن المرأة فالحمل بالذكر يكون مثل «ال قالب أو الدائرة بجانب السرة» وظاهر للخارج أما الحمل بالبنت فيكون البطن مثل «الكسرة او مدللي او مدور او منفوش». ولكن كل الديايات ارجعن معرفة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى.

والبعض منهن ممن اعتمدوا على شكل المرأة الخارجي لمعرفة نوع الجنين أجبن بـان «أنف المرأة الحامل يكون كبيراً عندما تحمل بالبنت» كذلك بالنسبة «لحلمة الثدي» فإذا كانت حمراء اللون أي ذات لون فاتح يقال أنها حامل بالولد. ولكن اذا كانت الحلمة سوداء اللون يقال ان الحمل ببنت. كذلك اذا صارت المرأة حلوة وجميلة اثناء الحمل يقال لها أنها حامل بالولد والعكس بالنسبة للبنت .

ولقد اكدت بعض الروايات المعرفة التامة بنوع الجنين من خلال معرفة نوع الوهم، فهناك من التجارب من عرفت نوع الجنين في تسع ولادات متتالية لاحدي النساء.

ولكن ذلك لم يمنع من أن هناك بعض الردود التي نفت معرفة نوع الجنين وقالت العلم عند الله، والبعض أجبن بـان معرفة نوع الجنين تتم من خلال الزمن الذي يتحرك فيه الجنين، فإذا تحرك في الشهر الرابع كان ولداً، وإذا

تحرك في الشهر الخامس كان بنتاً. واستخدمت بعض التشبيهات باثبات ذلك اذا كان الجنين بنتاً فإن البطن يبدو مثل الكرة الصغيرة بالداخل «مثل فؤاد العنزة» أما الولد فيبدو في البطن وكأنه «عرق كركمه» اي يبدو بشكل طولي. وهذا نلقت نظر القارئ إلى العودة إلى المادة العلمية المقدمة في نهاية كل محور لتابعة الردود الخاصة على كل سؤال وذلك لمزيد من الكشف عن العناصر الثقافية الشعبية الخاصة لهذه المرحلة لمجتمع الإمارات العربية (إمارات ساحل عمان سابقاً) .

ومن الملاحظات التي وردت في هذا الجانب اي جانب الكشف عن نوع الجنين انها المرحلة الأولى الذي يبدا فيها التمييز بين الجنسين في هذا المجتمع، فتبدا عملية التأكيد على افضلية ولادة الذكر، وعدم الرغبة في ولادة الإناث في هذا المجتمع.. وهذا ما تؤكد الاستجابات على هذا السؤال.. وكذلك سوف تؤكد أغلب الإجابات في المحاور القادمة من هذه الدراسة.

ونود أن ننوه هنا الى أن هذا البحث الشمولي لعادات وتقاليد مرحلة الميلاد لمجتمع الإمارات قد كشف لنا مجموعة كبيرة من الممارسات، والعادات والمعتقدات، والمأثرات من الحكم والأمثال والأقوال والتي جماعتها ميّزت بين الجنسين، وقسّت على المرأة وحرمتها من أبسط الحقوق وأعطت كل الحقوق للرجل وسارت هذه المجموعة من الموروثات والعادات مع المرأة في كل مراحل حياتها في الطفولة والشباب والنضج والشيخوخة وحتى يوم مماتها، فمنذ النشأة والتكون وبده حركتها بداخل رحم الأم، يبدا المجتمع في التمييز بينها وبين الذكر وسوف تتضح هذه المفارق في مناسبات الحمل، والولم، والولادة والبشرة، وفي أخفاء الطفل. وفي كل هذه المواقف الاجتماعية سوف يشاهد القارئ فروقاً صارخة بين نظرة المجتمع للولد، ونظرته للبنت مما تبع ذلك اختلاف نيل الحقوق لكل منها في هذا المجتمع، وربما لا تختلف الصورة في غيرها من المجتمعات .

المعتقدات المتعلقة بالحمل:

من أهم المعتقدات السائدة حول الحمل الخوف من الحسد من قبل الزوج على زوجته، وإن كانت أقلية من النساء يؤمن بالحسد، لأن ذلك يعني في رأيهن الغاء قدرة الله، والخوف من قدرة الإنسان، فبعضهن رفض الاعتراف بالحسد، وبعضهن أكد عليه إلى درجة أن الحسد أو العين «عقت الرجال في القبور، وعقت^(١) الحمال في الدور».

وتتدخل المعتقدات حول ظاهرة الحسد والخوف من العين إلى درجة تعمقها في حياة أفراد المجتمع، ولكن نجدها تتركز حول المرأة والخوف عليها من العين إذا كانت كثيرة الولادة، فيخاف الزوج عليها ويعزلها من الخروج.

ولقد اتضح من بعض الإجابات أن الحسد يكثر الشعور به بين بعض الأقليات الإثنية في مجتمع الإمارات الجماعات الإثنية وهم البلوش مثلا، والمجموعات النازحة من الباطنة.

وربما كان ما نشاهده هنا من قوة معتقد الحسد والعين لا يعبر عن عنصر ثقافي جديد في هذا المجتمع، بل هو ضمن العناصر الثابتة بين أفراد المجتمع، فبالرغم من أن جذوره في عقلية الإنسان كانت محدودة والخوف على المرأة كان من أجل المحافظة على نسلها فقط إلا أن الحسد اليوم يأخذ أبعاداً أوسع في محيط دائرة حياة الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة. وينتشر بشكل يتحول إلى الظاهرة المتعمرة في حياة المجتمعات العربية، ويؤمن به الإنسان المتعلم والمثقف تماماً كما يؤمن به الإنسان غير المتعلم، وربما تفسير ذلك يحتاج إلى بحث واستطلاع لعوامله على مستوى المجتمعات العربية بشكل عام. فهناك علاقة مباشرة بين الإيمان بالحسد وبالعين وبين الواقع الاجتماعي الاقتصادي والسياسي لهذه المجتمعات.

إن المرأة الحامل تمنع من رؤية أي إنسان معروف عنه العين الحارة، ولو

(١) عقت : رمت.

حدث ذلك اللقاء بهذا الانسان يبدأ اهل الحامل بعمليات تمنع اذى ذلك الانسان فمثلا من العادات ان يكثروا عليه وادا اكلت من بيتهما ، وغالبا ما كانوا يأكلون التمر وغسلت يدها في إناء الغسول، اخذوا هذا الماء ومسحوا به المرأة الحامل، وهناك نوع اخر من العادات كان يأخذوا من آثار خطوات المرأة ذات العين الحاره على ان تكون سبع خطوات ويمسحوا بهذا التراب المرأة الحامل، او يقومون بحرق نواة التمر التي اكلتها الزائرة الحسود تحت الحامل، او ان يؤخذ اثر التراب ثلاث مرات لتلك المرأة «النضاله» اي الحسوده من وجهة نظر اهل الزوجة الحامل، ويغسل هذا التراب بماء ثم يعطي هذا الماء للمرأة الحامل لشربه.. إلى آخره من هذه العادات والمارسات التي تؤكّد دائمًا الخوف من العين والحسد، والتي من الممكن ان يطلع عليها القارئ في الاجابات المرفقة بكل محور.

هل هناك تحريمات تتعلق بالاماكن التي تزورها المرأة الحامل؟

وتبدأ الاسئلة في دليل الدراسة من (السؤال ١٨ إلى السؤال ٢٥) تبحث عن قائمة التحريمات، والمنوعات التي تسهم باتباعها في انجاح حمل المرأة هذا ان اتبعت تلك التعليمات فالقائمة كبيرة وتنفيذها يتطلب من المرأة الحامل المعاناة والصبر والحذر، ويكيي شعورها بالقيود الكثيرة اثناء فترة الحمل الطويلة، والتي تتطلب قليلاً من الراحة والرعاية للمرأة الحامل ولنبدأ بالسؤال الا ١٨ .

ان المتأمل لاجابات الاخباريات والاخباريين عن السؤال، او عن غيره من التساؤلات الذي تضمنها الدليل وخاصة بالنسبة للمحور الأول الذي نحن بصدده الكتابة فيه يجد ان هناك دائمًا تفاوتاً بين مؤيد ورافض للفكرة التي تطرح في اي سؤال، فمثلاً بالنسبة للتحريمات المتعلقة بالاماكن التي تزورها المرأة الحامل نجد ان هناك آراء تؤيد وآراء اخرى ترفض او بمعنى اخر آراء تطرح لتحريم الزيارات العائلية، او زيارات المقابر او الافراح والاغلبية هنا وترى حرمان المرأة من زيارة المنازل التي قامت فيها مراسم العزاء خوفاً على صحة الام النفسيه ومحاربتهم

للصيمة التي من الممكن ان تتعرض لها اذا رأت الجنائزه وهناك من وجد انه لا تحريم اطلاقا على المرأة الحامل، بل هي على العكس تستطيع زياره كل المناطق حتى بما فيها الجبال وتستطيع المرأة ان تمارس كل انشطتها الاقتصادية دون خوف ، بماذا نعمل هذا التفاوت؟ ربما نستطيع ان نقول ان عدم الاتفاق في اغلب الاجابات عن الاسئلة التي جاءت في الدليل انما يعبر عن تفاوتات ثقافية لمجموعات عرقية مختلفة «العرب ، العجم ، البلوش ، العمانيين» وربما كان هناك تبرير آخر نستطيع الخوض فيه وهو ان التراث متغير. وان المعتقدات ليست واحدة في هذا التراث الثقافي في الامارات خاصة تراث العادات والتقاليد وعنصرها المتعددة.

محرمات او محظيات الحمل :

تتمتع المرأة الحامل بكل انواع الرعاية التي يقدمها الاهل سواء كانت رعاية صحية جسمانية او رعاية نفسية حتى لا تتأثر هذه المرأة وينعكس ذلك على جنينها فتتعرض للاجهاض، او للارتكاك والاضطراب النفسي فيحظر ذكر اخبار سيئة كاخبار الموت او المرض، او موت المرأة اثناء الولادة، كما يحظر ضرب الحيوانات اثناء الليل قريباها او رفع بعض الاسلحه كالسكين امامها وبصفة عامة يحرص الجميع على الا تسمع اية اخبار محزنه وان يكون الحديث امامها بكل ما هو مفرح.

وبالرغم من ان هناك بعض القيود وبالاخص تلك المتعلقة بالحفاظ على الحمل وأمانه، فإن الموروث الشعبي يركز على أهمية الحركة والعمل بالنسبة للمرأة الحامل وكان احد العناصر المشتركة بين الماضي والحاضر، وربما مشتركة ايضا مع المنظور الصحي والطبي للمرأة ، فلا يتعارض ذلك مع تثبيت النظريات الطبية الان في اهمية الحركة للمرأة الحامل فيما عدا تلك المرأة التي تتعرض للاجهاض الدائم تلك فقط التي تمنع من الحركة طوال اشهر الحمل.

ولكن ما نريد اثباته هنا ان المرأة الحامل في الامارات سابقاً كان لها نشاط اقتصادي دائم لا يتوقف اثناء فترة الحمل مثال ذلك مثلاً (الغسيل - التحطيب - رعي الماء - رعاية الحيوانات والحلب - الطبخ - الخياطة - كل اعمال المنزل) وهذا قد يفتقده المجتمع المتحضر اليوم، فالمراة الحامل الآن بذات تخلٍ عن هذه الادوار لعوامل كثيرة ربما لكثره الخدم بالمنازل وربما خوفاً على حملها - وربما تداعيات الحياة الاستهلاكية التي تعيشها مجتمعات الخليج في هذه الفترة الزمنية، وهذه متغيرات متعلقة بالاطار القيمي في المجتمع . فهناك تغير قيمي اخذ مكاناً في هذا المجتمع وبالتالي اثر على حركة الافراد وادوارهم.

بالرغم من هذه القيود نلاحظ قوة «الإتكال على الله» سبحانه وتعالى في المحافظة على حياة الجنين وتبدو صور الإيمان متجليّة في هذه الإجابات فالذي يحفظ لهم حياة الأم وجنينها هو الله، بجانب بعض الحذر وقلة الحركة، واستخدام الأدوية والاعشاب دائماً، والغذاء الجيد وهناك بعض المعتقدات التي ترى أن سكب الماء الحار على رأس المرأة يؤثر على الجنين سلباً.

ومن المعتقدات الراسخة المعتقدات المتصلة بتحريم الأكل على المرأة الحامل اثناء الليل لما يسببه ذلك من امراض لها ول الجنين، وكذلك تحريم شرب الماء في الليل واعتقادهم ان الماء يغرق الجنين.

وعموماً وجدنا ان الغذاء المستخدم للمرأة الحامل يمتاز بإنه غذاء طازج سواء أكان من الألبان أو اللحوم أو الخضروات إعتماداً على البيئة الطبيعية، أي ان مصدر الغذاء كان محلياً وليس مستورداً واستطاعت المرأة بالفعل أن تتفاعل مع تلك البيئة المحدودة في عطائها وان يحولوا عناصرها الى أدوات للحياة سواء أكانت بالنسبة للغذاء او المستخدمات والادوات الأخرى.

إن علاقة المرأة الحامل بالآخرين تظل جيدة وقوية، ويقوم الأهل والأقارب

والجيران بكل الاعمال التي لا تستطيع المرأة تاديتها عندما تتأخر في شهور الحمل، وهنا نلاحظ شدة التماسك بين الأفراد، وقوة الروابط الاجتماعية، ولا تمنع المرأة الحامل عن الإتصال بجيرانها واصدقائها بل تزورهم في كل المناسبات ولا توجد اية قيود على علاقاتها بكل المحبيين بها، وتظهر بينهم روح المشاركة في الاعمال والحرف التي يقومون بها في قال مثلاً انهم يتسامرون طوال الليل ليعملوا في غزل شباك الصيد، وهذه ابهى صورة للعلاقات الاجتماعية سابقاً في مجتمع الإمارات.

اما بالنسبة لعلاقة المرأة الحامل بزوجها فهنا حدث نوع من الاختلاف في الآراء.. بعضهن اجاب ان العلاقة الزوجية والمعاشة تظل مستمرة حتى يوم الولادة لما لذلك من اثر حسن على صحة المرأة النفسية والجسدية وعلى الجنين كذلك، ولكن هناك آراء وجدت ان المعاشرة قد تؤثر سلباً على الجنين وبالتالي يمتنعوا عنها.. خاصة ان هناك اعتقاداً وخوفاً من ان يكون الجنين بنتاً ويلحقها شيء من أبيها وكان هذا مصدراً لتحرير المعاشرة في الاشهر الأخيرة من حمل المرأة.

ومن أيدوا فكرة استمرار المعاشرة قدموا لنا قصصاً عن كيفية اثاره رغبة الرجل في المعاشرة بأن تقوم الأم (ام المرأة الحامل) بالعجز امام الزوج بشكل مستمر حتى يشعر انه كلما زادت حركة عجن الدقيق كلما كان ناتج الطحين افضل وهو كذلك بالنسبة للمرأة كلما عاشرها زوجها كلما كان ابنها او جنينها اكثر صحة وعافية، وهذه ممارسات وعادات ثبتت بعض القيم الهامة في الحياة الزوجية بين الزوجين .. وربما كانت اثارها ممتدة لتنمية النظام الاجتماعي عموماً بالنسبة للأسرة او للنظام الاسري.

وربما في هذا العنصر التراثي لا نستطيع اثبات مدى تغيره او ثباته في المرحلة الراهنة الا بعد اجراء دراسات مشابهة على عينة من المجتمع الحالي..
اما عن معاناة الزوج اثناء حمل زوجته فقد جاءت بعض الاجابات لتأكد

عدم معاناة الزوج بل تفهمه التام لحالة زوجته النفسية ومساعدتها على تخطي مرحلة الحمل بكل نجاح، ويظل يظهر لها فرحة بحملها ولكن بعض الاجابات وجدت ان الزوج يعاني اثناء حمل زوجته وربما يدفعه ذلك للزواج باخرى خاصة اذا توهمت زوجته به، ولكن الاغلبية اكدت مساعدة ومداراة الزوج لزوجته طوال فترة الحمل.

وفي اطار بحثنا حول العادات والتقاليد مرحلة الميلاد في مجتمع الامارات وجدنا انه لا بد من تحديد بعض الاتجاهات النفسية والاجتماعية المتعلقة بهذه المرحلة. فتحديد الرغبات الخاصة بالانجاب عموماً بالنسبة للرجل او المرأة، وكذلك تحديد نوعية الاطفال المرغوب بهم يوضح لنا عن الكثير من المفاهيم الخاصة بالانجاب، كذلك المعتقدات الدينية المرتبطة بالاطفال ونوعيتهم، ويكشف ايضاً عن بعد ثقافي هام يحيط بدائرة الانجاب، والاطفال، ونمط التنشئة الاجتماعية وربما كشف لنا المزيد عن النظام الاجتماعي في ذلك الوقت.

فماذا كانت الرغبات عموماً ومدى تأثير التغيير عليها؟

لقد وجدنا انه من أجل تحديد تلك الرغبات والاتجاهات فلا بد من اللجوء الى القياس والاحصاء.. ولكن وبعد هذين المنهجين عن الدراسات الاثنولوجية والفوكلورية رأينا الاستعانة بالاحصاء بشكل يعتمد فقط على العدد الارقامي، تراوحت الرغبات بين افراد البحث فأنقسمت الى اتجاه يؤمن بالمساواة ، واتجاه يؤمن بما جاء به الدين الاسلامي ، واتجاه ثالث يفضل الذكور، والرابع يفضل الاناث.

فبالنسبة للأم أو المرأة عموماً وجدنا انها أميل الى القناعة الدينية مما يأتي به الله فهو خير، ولا تتدخل في مشيئة الله، افاد بذلك سبع عشر اخبارية.. أما من آمن بالمساواة في الرغبات ولم يفرقن بين الذكور والإناث فاحدى وعشرون راوية واخبارية وجاءت ردودهن تؤكد على اهمية الانجاب

للذكور والإناث حيث أن لكل مزاياه في خدمة الأب والأم.

اما من فضل الذكور فعددهن ثمانية عشرة راوية، وجاء تأكيدهن على أهمية الذكور في حمل اسم العائلة، وخدمة الأسرة والاتفاق عليها، وانهم يحملوا السمعة والشرف للعائلة.

اما من فضل انجب الإناث فلم يزد عن ٦ راويات وبرهن تفضيلهن هذا باهمية البتت بالنسبة لأمها ومساعدتها لها.

اما بالنسبة للرجال وتفضيلاتهم في نوعية الانجاب فقد تاكد لنا ان الأغلبية تفضل انجب الذكور وكان عددهم ثمانية وأربعون أما من ينظرون الى الانجاب نظرة المساواة، ورفض الفروق بين الجنسين فكان عددهم سبعة، ومن ارجعوا النوعية الى ارادة الله كانوا ثلاثة أما من فضلوا البنات فكانوا خمسة.

ومن الملاحظات الهامة التي يجب التأكيد عليها ان عدد الرواة والإخباريين كان اثنين وسبعين، وان اغلبهم كانوا من الإناث، والتفضيل هنا جاء على لسان الإناث منقولاً عن وجهة نظر الرجال في المجتمع، وهنا يأتي التأكيد على درجة ذلك التفضيل، وبالفعل وبالرغم من نسبة التساوي في الأفضلية لدى النساء، الا أنها جاءت سالبة لدى الرجال، فالأغلبية تفضل الذكور.

ونلاحظ كذلك من متن الإجابات فإن سبب ذلك التفضيل يعود الى العامل الاقتصادي فالأغلبية ترى في انجب الذكور مصدراً قوياً للكد والعمل ومزيداً من القدرة على الإنفاق على الأسرة وكذلك لعوامل ثقافية واجتماعية أخرى أهمها التبااهي، والسمعة الطيبة، والمكانة الاجتماعية، والاستمرارية، وأن يقال أن العائلة منجية للذكور.

وربما ونحن نبحث هذا الإطار من القيم فإننا لا نشهد الكثير من التغير في مجتمعنا في المرحلة الحالية .. فلا زال التفضيل للذكور يسود بين اغلب

أفراد المجتمع وربما نحتاج الى دراسات واسعة لاثبات ذلك.

ونشير هنا الى الحكم والامثال التي وردت على لسان الاخباريات ربما لمزيد من التأكيد على تلك القيم الخاصة بنوع الجنس المولود، ولقد تركنا هذه الامثال ضمن متن الاجابات وكذلك المفردات ولكن اشرنا إليها بوضع الخطوط تحتها لمزيد من التوضيح.

أما بالنسبة للرغبة الشديدة لدى المرأة والرجل في الانجاب فقد لاحظنا أن الاجابات جميعها اشارت الى الرغبة الشديدة في الانجاب خاصة وأنه لم يكن هناك منوعي حول الظروف الصحية بالنسبة للأم، ولم تكن تتوفّر كذلك الوسائل والموانع للحمل بحيث تستطيع المرأة التحكم في انجابها.. وتميل النساء الكبيرات سنًا الى الانجاب بشكل دائم وربما يعود ذلك الى رغبتها في الاستمرار في العطاء والمحافظة على الزوج، ثم ان الانجاب يعني كثرة الخير من الله «سبحانه وتعالى».

وهذا يبرز لنا عامل التغيير في هذا العنصر الثقافي فربما تمثل الاسر الجديدة اليوم الى العدد القليل من الاطفال وهذا ما أكدناه سابقاً .

ويبرز لنا كذلك بعض التشبيهات التي ترسخ فكرة حب الانجاب فمثلاً يقال ان المرأة من غير اطفال مثل النخلة اليابسة ثم ان القيم الدينية كانت تحرم اندماك التوقف عن الانجاب فهذا تدخل في مشيئة الخالق.

ثم نجد بمفهومها ان الرغبة في الانجاب بالنسبة للمرأة تعني مزيداً من الارتباط بالزوج، ومنعه من الزواج باخرى.

في الماضي كان يطلق على المرأة الولود أنها «مغال» أو «قطة» أو «غنة»، والتي أخره من الامثال والتشبيهات المقدالة اندماك وهذه التسميات لم تعد تستخدم في الوقت الراهن ولكن قد تكون التسمية «أم العيال» لازالت باقية في العادات والتقاليد العربية الراهنة، وكذلك اسم «أم المال»، فهنا إذن تتدخل درجة من درجات التغير الثقافي والاجتماعي في هذه العادة، وربما يعود ذلك الى

اتساع دائرة العلاج الطبي، وتنظيم الانجاب بالنسبة للمرأة وانتشار الوعي بشكل عام.

و من الملاحظ التأكيد على أهمية الانجاب للاسر في الامارات ويقال على ذلك مثلّ شعبي «رزق الفقير ولا مال ولا عيال».

إن اتجاهات المجتمع نحو المرأة الولود تعبر عن مدى الرغبة الجارفة في الانجاب، وحب العدد الأكبر من الابناء والبنات، واختلاف ردود الفعل بين اهل المرأة الولود واهل زوجها.. فالفرحه والسرور تحتوي الزوج واهل الزوجة اكثر من اهل الزوج إذ تتدخل بعض الاعتبارات مما يجعلهم يتضايقون من كثرة انجاب زوجة ابنهم خاصة اذا كانت تعيش معهم فتكثر اعباء تربية الابناء عليهم.

إن العامل الاقتصادي قد يؤثر احياناً على النظرة الى المرأة الولود ففي الطبقات الفقيرة قد لا يشعر الاب بالفرح لكثره انجاب زوجته نظراً لتعذر قدرته على الانفاق عليهم.

ومن الأغاني التي تعبر عن رد فعل المجتمع نحو المرأة الولود :-

ربيت العيال يوم الصغر ويتونني تحسبت العيال في الكبر يغنواني
عندی سبعة أولاد ما قدروا يعيشوني وسبعة البنات لاقني بالصحونى
وكذلك يقال :

يا أم الولد حسها يلالى صوتها على الجيران عالي

ومن الأمثال الشعبية :-

يا ليتنى منه غلاي غلا العادة شروا^(١) ولد البنت عند ايداده^(٢).

١. شروا: اي مثل

٢. ايداده: اجداده والمقصود هنا نتمنى ان يكون قدرها عند زوجها كقدر وقيمة ولد البنت عند اجداده، أكدت الردود في هذا السؤال على قيمة الانجاب وكثرة الابناء، وربما يعود ذلك الى تعزيز دور الانسان في المجتمع، والى التمسك بالقيم الدينية الداعية الى كثرة الانجاب، والسنة النبوية الشريفة.

**الفصل الرابع
الوحـم**

Morning Sickness

الوَحْمُ:^(١)

يعتبر الوَحْمُ من أهم الأمور المتعلقة بالمعتقدات والممارسات لمرحلة الميلاد في مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة .

ويأتي الوَحْمُ^(٢) كأول ظاهرة تتعرض لها المرأة بعد بدء الحمل، لذلك جاءت فكرة تالية للحمل مباشرة، إنعتمدنا في ذلك مبدأ أن المعرفة العلمية لا تقوم إلا على مبدأ الترتيب للظواهر والواقع، وأنه من دون هذا الترتيب لا يمكن فهم هذه الظواهر واكتشاف العلاقات فيما بينها.

١. الوَحْم : عبارة عن جملة عوارض واضطرابات نفسية وجسمية وهرمونية ترافق الحمل في شهوره الأولى.

- الأسئلة التي عنيت بتغطية هذا المحور هي :

- ماذا يعني أن المرأة تتَوَحِّم؟ صفات الوَحْم؟

- بماذا تشعر المرأة عندما تتَوَحِّم؟

- هل يختلف الوَحْم من حمل إلى آخر؟ كيف؟

- هل يختلف وَحْم المرأة الحامل بذكر عن وَحْمها وهي حامل بانثى؟ كيف؟

- هل تحتاج المرأة الحامل إلى أشياء غير المأكولات أثناء الحمل؟

- ما هي الأشياء التي تشترق إليها المرأة الحامل؟

- ما هو شعور المرأة الحامل تجاه الروائح؟

- إذا تَوَحَّمت المرأة الحامل على شيء ولم تحصل عليه ماذا يحدث لها؟

- هل تَوَحَّمت النساء على أشياء غريبة؟ ما هي (حيوانات ... الخ)؟

- اذكر أي قصص أو غرائب عن المرأة التي تَوَحَّمت على أشياء ولم تحصل عليها؟

٢. التفسير العلمي للوَحْم : من الناحية العلمية والطبية . كما ذكرت . قد نجد لبعض اعراض الوَحْم تفسيرا علميا في ضوء التغيرات الفيزيولوجية (والهرمونية خاصة) والنفسية التي تمر بها المرأة الحامل في هذه الفترة .

وهنا نجد أن الوَحْم هو عبارة عن جملة عوارض وإضطرابات نفسية وجسمية وهرمونية ترافق الحمل من شهوره الأولى، وتصيب أكثر من نصف الحوامل، ويصاحب ذلك تقلبات حادة في الشهية تكون خفيفة أحياناً وعنيفة أحياناً أخرى، كما يدفع الحامل إلى القيء والإستفراب، كما تحصل إضطرابات في القلب والدورة الدموية، وتمثل المعدة بالغازات المعوية، وقد يصاحب ذلك أوجاع في الرأس وإضطراب في التوازن الفيزيولوجي بالجملة إضافة إلى العصبية في التصرف.

الوحم وأعراضه:

ومن سياق الإستجابات عرف الوحم بأنه اشتئاء المرأة لشيء معين (طعام وسواد) وكراهيتها لأشياء أخرى أو محبتها لبعض الناس، وكراهيتها لبعضهم الآخر، وكذلك بالنسبة للأماكن والروائح، وأما أعراض الوحم فمنها دوخة في الرأس، وكراهة الأكل، والقيء، ويطلق عليه باللهجة المحلية في بعض المناطق (تننسا)، والبعض يطلق عليه «تتوجم» ثم من أعراضه أيضاً الغثيان، وكثرة النوم، وأحياناً فقدان الرغبة لمعاشرة الزوج، وكثرة القيء.

ويبدأ الوحم بعد الأربعين يوماً من بدء الحمل ويطلق عليها كلمة « تستغيب » أي تقطع عنها الدورة الشهرية، والكثيرات عرفن الوحم بأنه « إذا عقد الجنين في بطن الأم » يطلق عليه الوحام.

أما قائمة المأكولات المطلوبة أو المرغوب فيها أثناء الوحم فهي:-

١- الهمبا الأخضر (أي المانجو في بداية نموه، ويزرع محلياً).

٢- النبق الأخضر.

٣- الليمون الأخضر.

٤- الفلفل والملح والفواكه.

٥- (خببصة) نوع من الحلويات الشعبية مكوناته الأساسية الدقيق والسكر والسمن.

٦- (اليقط) وهو يجهز من بقايا اللبن الرائب ويوضع تحت أشعة الشمس حتى يجف ويعمل على شكل كرات صغيرة الحجم.

٧- (الجسين) السمك المدخن المجفف.

٨- اللقيمات (نوع من الحلويات) مكوناته الأساسية الدقيق والسكر والسمن والخميرة ويُخمر لمدة ساعتين ثم يحرر في سمن حار.

٩. أنواع محددة من الأسماك (النقر أم الحبر والجرجور الصغير).
ومن الأشياء أو المأكولات الممنوعة أو غير المرغوب فيها (تابو) :-

١. السمك ما عدا المشار إليها آنفاً.

٢. التمر.

٣. القهوة والشاي والأرز.

ومن الملاحظ من قوائم المرغوب والممنوع تعدد ما تشهيه وما تكرهه المرأة المتوجهة من غذاء وروائح وأماكن، والمحبظين بها من أفراد عائلتها كما قد يلاحظ أيضاً أن بعض هذه المأكولات والمشروبات وبالأخص المطلوب منها أو المرغوب قد يرتبط بالتغييرات الفسيولوجية والإحتياجات العضوية للمرأة الحامل في هذه الفترة، ولكن البعض الآخر قد لا يوجد له تفسير ظاهر إلا من خلال العوامل النفسية، والمعتقدات الشعبية عبر الأجيال والتي قد لا يجد العلم الحديث لها تفسيراً أو تبريراً فيدرجها في قائمة اللاعقلاني (Rational) إذا لم يكن غير العقلاني (Irrational)

إن الحديث عن أعراض الحمل ومدى اختلاف الوهم بين حمل واخر، وكذلك بين الحمل بالأنثى والحمل بالذكر، يعكس لنا تعددية شديدة في المادة التراثية المعطاه، فبعضهن لا يجدن فرقاً في الوهم بين الحمل والآخر، وكذلك لا يجدن فرقاً بين الحمل بالأنثى أو بالذكر، والبعض الآخر وجدن أن هناك إختلافاً فمثلاً يقال أن هناك حملاً (وحامة ثقيل) وحمل (وحامة خفيف) وربما في الحمل الثالث لا تتعرض للوهم إطلاقاً.

وأيضاً ربما تتوجه المرأة على زوجها أي تكره القرب منه، وربما يكون العكس إذ تحبزه أن لا يفارقها أبداً.

وهناك إختلاف بين الحمل (البكر)^(١) والحمل (الثانية) أي ثاني حمل،

١. من الملاحظ أننا نقوم بوضع خطوط تحت العبارات التي تعبّر عن المعتقدات والمعارضات الشعبية التي تركز عليها الدراسة وكذلك تحت المفردات الشعبية والأمثال.

فحمل البكر شديد جدا، والحمل الثاني يكون الحمل فيه أخف والإختلافات بين حمل واخر تكون بالإختلاف في نوع الطعام المستخدم، فتذكرة إحدى الإخباريات أنها المرة الأولى توحمت (بالحليب) وهو لحاء جذع النخل من الداخل، وفي المرة الثانية توحمت (بالترني) وهو نوع من الليمون كبير الحجم.

وهناك دائمًا تأكيد في هذه المادة التراثية على أن الحمل أو الوحم لا يعيق المرأة عن تادية أدوارها فتذكرة واحدة أنها كانت تذهب للخطب وجلب الماء (وتروي) وتحمل "جرار" الماء على رأسها.

أما بالنسبة للإختلافات بين وحم الحمل بالذكور، ووحم الحمل بالإناث فالبعض يقول أن الوحم لا يختلف بين الإثنين، ولكن كان هناك اعتقاد بأن اعراض الحمل تكون مختلفة فلون البشرة بالنسبة للأم إذا مال إلى السواد قيل بأنها «حامل ببنت» ويدعى عليها بقولهم «غribaj الله كنج حامل ببنيه»^(٢) أما إذا مالت البشرة إلى البياض فتعرف بأنها حامل بذكر ويقال لها «ويها ينور» أي يشع من وجهها نور واضح، وكذلك إذا مالت المرأة للكسل والنعاس يقال لها حامل ببنت، وهذا إرتباط شديد بين قيم التفرقة بين الجنسين وفرحة الآباء والأهل بولادة الذكر، ونجدتها كذلك تبرز في ظاهرة الوحم مما يدل على عمق هذا الفهم الخاطئ، وإن إكتشفنا بعض الفروق الفردية في الإجابات السابقة^(٢).

نكشف لنا الممارسات المتعلقة بالوحم أن هناك تأكيداً على إحتياج المرأة لبعض المأكولات التي قد تكون غير متوفرة في البيئة الطبيعية لمجتمع الإمارات، ولكن تبذل محاولات لتوفير هذه المأكولات للمرأة التي توحمت عليها.

-
- ١- غribaj الله حامل ببنت : أي حلت عليك اللعنة إذا كانت حاملاً بانثى.
 - ٢- انظر إجابات س ٧ و س ٨ من محور الحمل.

وكذلك بالنسبة لشعور المرأة الحامل تجاه الروائح فالاعتقاد أن هناك أنواعاً من الروائح تفضلها المرأة الحامل، وأخرى تكرهها؟

ومن المعتقدات الشائعة حول هذا الموضوع أن بطن الحامل حينما يكون مستديراً فسوف تنجب ولداً، أما إذا كانت شكل البطن عريضاً ومفلطحاً فإنها سوف تنجب بنتاً؛ ويعتقد كذلك بأنه إذا ما شمت المرأة الحامل وهي في فترة الولم رائحة الطعام فيجب أن تأكل منه حتى لا “تضر الجنين” وعليها إلا تخرج في وقت المطر وذلك أن المطر سوف يضر بالجنين أيضاً وربما يتعرض للتشوه.

ماذا يحدث إذا توهمت المرأة على أي شيء ولم تحصل عليه؟
أغلب الإجابات أشارت إلى ظهور شكل الشيء المشتهي على جسم الجنين ويسمى (شهوة) هذا إن لم تأكل منه.

كما يعتقد أن الجنين قد يخرج مشوهاً مقطوع الشفتين مثلاً أو الأذن، ويكون ذلك بسبب قيام بعض أهل المرأة بقطع الخشب مثلاً، أو فرم البصل بحضورها وبذلك يؤثرون على جنينها.

وتتضمن عادة الإثنوجرافية العديد من الأمثلة لأمهات إشتهين شيئاً معيناً ولم يجدهن، وبذلك ظهر على الولد أو البنت، وكل هذه الأمثلة تشير إلى أن العجز أحياناً قد يدفع إلى نوع من التفكير والتصورات غير الواقعية، فربما العجز الاقتصادي، ومعاناة المرأة في تلك الفترة مادياً أو إجتماعياً جعلها تميل إلى تفسير متطلباتها غير المتحققة تفسيراً غير علمي، ومن الناحية الثانية نستطيع أن نعمل ذلك، أي اعتقاد الناس بظهور الشيء المرغوب فيه على جسم الوليد كنوع من محاولات الإنسان لإيجاد تفسيرات لا يعرفون لها تفسيراً بيولوجياً أو طبيعياً من واقع المعرفة العلمية المتاحة، فمثلاً بماذا يمكن أن نفسر بعض التشوهات والعلامات على جسم الطفل أو الطفلة دون أن يكون هناك وعي صحي فسيولوجي فيتم اللجوء إلى فكرة

الوهم واثرها على الأم والطفل معاً.

ولكن بماذا نستطيع تبرير وجود نفس التفسيرات على مستوى الأفراد في المجتمعات المتحضرة الآن، والتي تمتاز بتطور طبي وصحي كبير، وربما يعود هذا إلى أن المعتقد يتواثر، وقد يكون من القوة أحياناً إلى درجة أنه يتجاوز المعطيات العلمية والتفسيرات الواقعية إلى الخيال والوهم، وهذا هو أحد الأهداف التي نحاول الكشف عنها، والوصول إليها من خلال هذه الدراسة، فإلى أي مدى تسير العادات والتقاليد والممارسات وال蔓ورات والمعتقدات؟

إلى أي مدى تنغمس في عمق التراث الثقافي للإنسان في مجتمع الإمارات؟ وكذلك ماذا حدث فيها من تغيير؟ وكذلك ما هي أدوارها الآن أي في مرحلة التحديث؟

هل يعوق هذا التراث ببعض جوانبه السالبة حركة التنمية البشرية مثلاً؟ إننا في سياق الإجابات سنجد كماً كبيراً من هذه الأمثلة نضعها كما جاءت على لسان الإخباريات ربما يستطيع غيرنا من الدارسين الاستفادة منها، حتى وإن كانت هذه المادة يشوبها بعض التكرار والإلتباس فهذه هي سمات البحث في المادة الفولوكلورية دائماً.

الوهم وتفسيراته:

من الناحية الإنثروبولوجية فإن الوهم وإرتباطاته الثرية بقواعد طويلة من المرغوب والمنوع (تابو) من الطعام بصفة خاصة يفسر من قبل البعض (وعلى رأسهم سير جيمس⁽¹⁾ فريزر (Frazer) بأنه من الرواسب أو القضايا الحية (Survivals) للدلالة على أن المعتقدات المبكرة أو البدائية عند الإنسان ربطت بين الحمل والطعام أو الغذاء، أي فسرت الحمل نتيجة للطعام أو

1- Frazer , J. G: The Golden Bough, Paperback abridged, (1957).

الغذاء الذي يعيش عليه الإنسان، ولهذا جاءت قائمة «المنوع» والمرغوب و«النافع» و«الضار» من الطعام عند حدوث هذه العملية.

وفي رأي فريزر أن هذا التفسير للحمل والإنجاب هو الذي أدى إلى ظهور أبسط أشكال الحياة الدينية عند الإنسان البدائي أو القديم ولكن الدراسات الإنثروبولوجية لنظم المعتقدات في المجتمعات البسيطة (دراسة السحر والعين الشريرة والحسد). أكدت أن التفسير الروحي أو الطقوس يتكامل مع التفسير العلمي ولا يتناقض معه أو يلغيه أو يتجاوزه، فالإنسان الذي يعتقد بأنه بداعي (لأنه لا يقدم تفسيرا علميا للظواهر) هو في الواقع أكثر شمولا في تفكيره إذ أنه قد يعرف التفسيرات الطبيعية للظواهر ولكنه يضيف بعدها آخرها وهو التفسير فوق الطبيعي، فإذا إنهاز بيت على جماعته فقتلهم فإن الإنسان «البدائي» يعرف التفسير الطبيعي لهذا الحادث وهو أن المنزل ربما كان بناؤه ضعيفا، أو تأكل بفعل عامل الزمن أو ... أو ... (وظل هذا تفسيرا علميا يعرفه) ولكن يبقى التفكير ناقصا بالنسبة له إذ أن هناك جانبا لم يفسر وهو :-

لماذا إنهاز هذا البيت بالذات؟ في هذا الوقت بالذات، والذي كان فيه هؤلاء الناس بالذات (لماذا هم وليس غيرهم)؟

والرجل الغربي قد يقول أنه صدفة (وهذا يعتبره البدائي هروبا من التفسير وليس تفسيرا).

ونحن نقول : قضاء وقدر (وهو تفسير عقائدي ممكن أيضا) أما الرجل البدائي فيقول أن العين (الحسد) هو الذي جعل هؤلاء الناس بالذات هم الضحايا وليس غيرهم فالتفسير هنا تفسير كلي شمولي حيث تتكامل العوامل الطبيعية مع العوامل فوق الطبيعية ولا تتناقض ولا يلغى بعضها الآخر.

فمثلاً:

لو أن هناك تشوهاً حدث لجنين بعد الميلاد، فبغض النظر عن العوامل

العلمية أو الطبيعية التي تفسر ذلك (عرفها الإنسان أو لم يعرفها) يبقى السؤال القائم هو : لماذا حدث هذا الحدث المؤسف لهذه المرأة بالذات؟ ولهذا الجنين بالذات؟ فالتفسير الإسلامي عند عامة الناس هو قضاء وقدر وإن كان لدى المسلمين المتخصصين ما يفسر ذلك تفسيراً علمياً لا تدركه العامة من الناس أما التفسير الشعبي، فقد يضيف بعدها آخر وهو بعد الطقوسي القائم على الترابط بين ما يحدث داخل رحم المرأة وما يحدث حولها (فتقطع البصل أو الخشب أمام المرأة الحامل بواسطة السكين، حالة غير مرغوب فيها لأنها عن طريق الترابط قد تؤدي إلى نتيجة متوازية داخل الرحم فتظهر تشوهات للجنين)، أما كيف يحدث هذا الترابط فهم لا يعرفون.

أي أنهم يعرفون لماذا حدث التشوه، ولا يعرفون كيفية حدوث ذلك.

الوهم والوضع الاجتماعي للمرأة :-

أما عن الصورة التي ترسمها المادة التراثية التي جمعناها من واقع مقابلة (٧١) حالة من الديايات والطبيبات الشعبيات، وبعض الحالات من الرجال الذين عايشوا تلك المرحلة فنجد أنها صورة متكاملة للوضع الذي كانت تعشه المرأة في تلك المرحلة وإذا يتسم الوضع الاجتماعي للمرأة في تلك الفترة ماقبل التغيير بنوع من التناقض في بعض جوانبه، فالرغم من أنها كانت صاحبة الدور الاقتصادي الأساسي في حياة الأسرة إلا أنها كانت على المستوى الاجتماعي تمثل إلى تهميش دورها، وإن كان هذا التركيز الشديد عليها من قبل الأهل (أهلها وأهل الزوج) ورغبتهم في الإنجاب ينطلق من ذلك الواقع، إلا وهو واقع العطاء، هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فالإنجاب هنا يعني أيضاً ترسانخ دور العطاء الاجتماعي وبناء الأسرة، وتنمية النظام الاجتماعي في المجتمع القبلي في تلك المرحلة.

وتتنازع هذه المرحلة قيم الكثرة في الإنجاب وذلك لتنمية بناء العائلة والقبيلة، وإكثار العزوة من أجل تبوء مكانة إجتماعية أفضل بين بقية القبائل.

ولكن ما علاقة ذلك والمادة التراثية حول اعراض الوهم والبالغة الشديدة في معطياته من اشتهاء وكراهة، والقصص التي سنورتها حول تجارب النساء منهن لم يحصلن على ما أردن أكله أثناء بدء الحمل، وظهور ذلك النوع من الطعام وغيره على أجسام الأطفال. .

ربما كان ما يحيط بمرحلة الحمل كالخوف من الحسد، ومشاعر الفخر لدى الرجل، ومشاعر وأحاسيس العطاء لدى المرأة كل ذلك يؤدي إلى نوع من الممارسات الخاصة جدا مما دفع إلى هذه الامثلة الكثيرة لظاهرة الوهم.

وإذا أخذنا في الإعتبار الوضع الهامشي للمرأة فإن التفسير الذي تردد كثيرا كظاهرة طقوسية مرتبطة بالمرأة (كالزار) على سبيل المثال . بإعتباره (عبادة المحرومين) Deprivation Cult⁽¹⁾ وهم الفئات الهامشية في المجتمع فإنه يمكن القول أن الوهم وما يحيط به من عنایة فائقة بالمرأة في هذه الفترة وما يرتبط به من طلبات ورغبات للمرأة يجب أن تلبي بواسطة الذكور، والذين عادة لا يهتمون كثيرا برغباتها وطلباتها ضمن روتين الحياة، وقد يفسر إجتماعيا أيضا بأنه مظاهر من مظاهر نظم المحرومين Deprived).

1- Lewis, I.M. Ecstatic Religion Penguin (1971).

**الفصل الخامس
الولادة**

Giving Birth

الـوـلـادـة:

يدور محور الولادة حول الممارسات والاستعدادات والإجراءات والمعتقدات المتصلة بهذا الحدث الهام في حياة الفرد والجماعة. ويقدم الخبراء في إفاداتهم عن الأمور المتصلة بهذا الحدث صورة حية لمستوى المعيشة التي كان يعيشها شعب الإمارات في المراحل السابقة لمرحلة الطفولة الاقتصادية كما تعكس إجاباتهم الحياة الاجتماعية المتماسكة والبناء الاجتماعي القوي القائم على نظام التكافل الاجتماعي.

- إن الأسئلة المتعلقة بالولادة كانت كما يلي :

 - ما الأشياء التي تعد للمرأة قبل الولادة؟
 - ما الأدوات والتحضيرات الالزمة قبل الولادة؟
 - ما الأشياء التي تعمل للمرأة او تعطى لها لتسهيل الولادة؟
 - كيف تتم تحمية الطلاق للمرأة ذات الطلاق الضعيف؟
 - صفات الوضع الذي تتخذه المرأة وهي تلد؟
 - ما العلامات الدالة على قرب الولادة؟
 - كيف يعرف الناس أن الولادة ستتم بطريقة طبيعية او متعرجة؟
 - من الذي يقوم بمساعدة المرأة في الولادة؟
 - ماذا يأخذ كل منهم مقابل ذلك؟
 - من تلتقي المرأة الواضعة التهنة أولاً؟
 - ماذا نقدم للدعاية بعد الولادة (نقود - هدايا)؟
 - هل هناك هدية او اي شيء يقدم لمن يبشر الاب بالمولود؟
 - هل هناك فائدة من وجود الزوج بجوار زوجته أثناء الولادة؟
 - من يكون في الحجرة أثناء الولادة؟
 - ما الصعوبات التي تواجه المرأة البكر وهي تلد؟ كيف يتصرف فيها؟
 - كيف يتم قطع الحبل السري؟
 - كيف يتم التصرف في المشيمة؟ اسأل عن اسباب حفظها او التصرف فيها باي شكل؟
 - ما هي مؤشرات عسر الولادة؟ وكيف يعالج كل منها شعبياً؟
 - اسأل عن اي ولادات غير طبيعية قد تكون حدثت لبعض النساء؟

ويمكن تناول الولادة من خلال ثلاثة مراحل هي مرحلة ما قبل الولادة ، مرحلة الولادة، مرحلة ما بعد الولادة، على النحو التالي :-

أ- مرحلة ما قبل الولادة:

أن الأشياء والتجهيزات التي تعد للمرأة قبل الولادة تعبر عن صفاء العقلية أندماك من العديد من القيم الإستهلاكية بل على العكس من ذلك نجد قيماً إقتصادية متواضعة وبسيطة تعكس المستوى الاقتصادي الفعلي للأفراد دون الجنوح بعيداً إلى مستويات لا يستطيع تحقيقها الفرد، فهناك نشاهد الاتساق بين ما يملكه الفرد وبين ما يستهلكه، فالتجهيزات للمولود تمثل في الياس والملاح والشنوط والقماط والسرعة الطاقية (الكلوين) والكحل وغالباً ما تكون الملابس ليست جديدة، بل من الفائض الموجود بالمنزل وربما لأطفال سابقين لولادة الطفل الجديد، ويأتي ذكر التجهيزات الأخرى ضمن الإجابات المذكورة^(١).

إن الحديث عن الممارسات التي تتم لتسهيل الولادة وتحميء الطلق تعكس فقدان مجتمعنا في السابق للخدمات الطبية المطلوبة، ولخطورة المرحلة وانعكاسها على صحة الأم وجدنا أنفسنا أمام تساؤل هام كيف يستطيع مجتمع الإمارات الإستمرار والمقاومة لشتي أنواع القصور في مستلزمات الحياة العادلة للإنسان؟ .. ورغم ذلك قاوم ذلك الجفاف على المستوى المعيشي والصحي، وكيف يستطيع استخدام أبسط المواد المتاحة في البيئة المحلية؟ كما كان هناك أساس السلامة فيها الإيمان بالله، والذي يتمثل في اللجوء لتلاوة القرآن الكريم على الأم بهدف تسهيل عملية الولادة، بإستخدام (حل السليط)^(٢) أو (حرز تخلص)، ثم كانت هناك الخبرة العملية المكتسبة عبر

١- يرجى الاعتماد في معرفة التفاصيل على الإجابات نفسها كما جاءت على لسان المتحدثين والمحدثات من الإخباريات حاملة التراث، وذلك في الجزء الثاني لهذه الدراسة.

٢- (حل السليط أو حرز تخلص) حل السليط مادة دهنية تعطي للمطوع أو المطوعة ليقرأ من القرآن الكريم حتى تسهل ولادة المرأة، ويمكن أن يكون ما تقرأ فيه آيات من الذكر الحكيم فتشربه المرأة وتسهل ولادتها، وعندها يسمى (حرز تخلص).

الأجيال والتي تتمثل في أمور عده، منها على سبيل المثال معرفة أهمية المشي بالنسبة للمرأة الحامل وهذا يكشف عن وعي خاص بأهمية الحركة للمرأة، ثم استخدام العديد من المواد الشعبية مذكورة ضمنا ولكن لا يغيب عن القارئ أيضا ملاحظة بعض الممارسات الخاطئة التي كانت تقوم بها الديبة، وخطورة ذلك على الأم كما نلاحظ اختلاف الواضح بين ممارسات الجماعات الثقافية المختلفة كالسنة والشيعة، وجماعات البلوش واللارية^(١) حول الوضع الذي تتخذه المرأة وهي تلد. حيث جاءت الإجابات لتعكس درجات الوعي لدى المرأة حول هذه القضية، رغم أن معظم هذه الأمور كانت من توجيهات الديبة فالديبة كانت المرأة التي يرتبط بها مصير الأم الولادة منذ بدء الحمل وحتى الولادة، بل وما بعد الولادة، فهذه الديبة تلعب دورا حيويا في حياة الأم والجنين، فترتبط حياتهما بها، إذ تلعب دور المؤسسة الطبية، في مجتمع يفتقد إلى المؤسسات الطبية بالفعل. ولنا أن نتساءل كيف كانت هذه الديبة تعاني من الجهل بمهنتها؟ وما الخطورة التي يمكن أن تسببها للمرأة وللجنين؟

إن الديبة تستخدم في ممارساتها معطيات البيئة لمساعدة المرأة على الولادة فعلى سبيل المثال نجد أن الرمل يوضع تحت المرأة لكي يساعدها بالإضافة إلى (الحطب) المغروزة أمامها لتتمسك بها المرأة عند إشتداد الطلق.

ومن الأمور الهامة التي يجب الإشارة إليها هي أن عملية الولادة تتم بسرية تامة بحيث لا يعلن عن المرأة المقبلة على الولادة (عن يشلون ويعها) والسبب كما ذكر حتى لا يتناقل الناس خبر بدء ألم الولادة عندها وبالتالي ينتشر الخبر بينهم ليصبح الخوف من الحسد قائما، إضافة إلى تفسير آخر مؤداه أن الألم عندما يتناقله الناس يقل تدريجيا عن المرأة التي تلد مما يعني

١- (جماعة اللارية) تعود إلى (لار) إسم قرية في جنوب إيران وهي منطقة جبلية . ويؤمنون بالذهب الشيعي، لقد كانت مجموعة منهم من السنة ولكنهم تحولوا إلى المذهب الشيعي منذ حوالي ١٥٠ أو ٢٠٠ عام.

فتور الام الطلق لديها وبالتالي تعسر الولادة، لذا فهم يخفون أمر الولادة تشاوئماً من حدوث امر خطير ولربما تكون هناك اسباب اخرى اهمها فشل الدایة مثلاً وخوفها من إعلان هذا الفشل، وتعرض مستقبلها المهني للمخاطر ومن المهم تأمل المفردات التي أعطيت لقطعة القماش الملوعة بالرمل والتي تجلس عليها المرأة أثناء الولادة اهمها «الصرار»، والذي يعتبر كالمقدى، ثم كلمة «الدايلة»، اي عمود الخشب الذي تتمسك به المرأة، كل هذا يوضح لنا ان تغيراً قد حدث على المستوى العلمي في منطقة الخليج، خاصة بعد ظهور مستشفى حمدة في قطر، تلاه بعد ذلك المستشفيات في دبي، ورغم ذلك فقد كانت النساء يجتمعن بين عمل الطبية والإستعداد الشعبي لحالة الولادة، وهذا يعبر عن متغير جديد دخل المنطقة الخليجية.

اما عن العلامات الدالة عن قرب الولادة، وما إذا كان الناس يعرفون الولادة إن كانت ستكلون طبيعية أم متعرّفة؟ فقد تكشف لنا هذه الأسئلة عن مدى المعرفة والوعي بظواهر الولادة، ومخاطرها فقد تراوحت الإجابات بين المعرفة وقلة المعرفة بهذه الظواهر، مما يكشف حقيقة أن الطب لم يكن قد وصل في تلك المراحل إلى درجة تتبع وعي الإنسان العادي، وذلك سائد حتى اليوم، أو في المرحلة الراهنة التي تطور فيها الطب والمؤسسات الطبية ولكنه الإنسان العادي الذي ظل يجهل الكثير من خبايا الأمور.

ولكن أما من دور إيجابي للدایة؟ تظل (الدايلة) تقوم بدور يبعد الخطر عن الأم، ويتمثل هذا الدور في سرعة التصرف عندما تشعر بإستعراض وضع الجنين أفقياً أو مقلوباً، فتقوم بإدخال يدها في رحم الأم وتعديل من وضعه.

ومن المعتقدات الخاصة بطبقة معينة، وتبدو أنها طبقة غنية لجماعات من الشيعة في دبي، وضع خاتم من الماس في ماء وشربه المرأة المتعرّفة، وهنا يبرز هذا السؤال لماذا الماس؟ لماذا هذا الإعتقاد؟ ثم بعد أن تشرب الماء يربط الخاتم في فخذ المرأة فتسهل الولادة، وهؤلاء يؤكدون على فكرة ان

يكون الماس حقيقةً يعكس أشعة الشمس حتى يكون له مفعول قوي في تسهيل الولادة.

ومن المعتقدات التي تعكس التمييز بين ولادة الذكر وولادة الأنثى، القول (إن الولد رب يسهل ولادته والبنت تتعسر)، وهذا بلاشك يمثل أكثر المعتقدات الخاطئة التي تخزن في ذاكرة الشعوب العربية بشكل عام، وتبرز في مجتمعات الخليج بشكل خاص، وقد يعود هذا المفهوم الخاطئ لمعتقدات وممارسات العرب قبل الإسلام والتي تجلت في أقبع صورها في ظاهرة وأد البنات حيث مارساتها بعض القبائل.

مرحلة الولادة :

إن الذي يبقى مع الأم ساعة الولادة هي الداية، وبعض النساء القريبات وخاصة الأم ويقمن بمساعدتها بشتى الطرق بما فيها عمل النارجilla لتنفس الأم فيها فيسهل الطلق وهذه عادات خاصة بمجموعة العجم من الإمارات ويتبين أن الإيمان بالله والدعوات وقراءة القرآن تساعد المرأة على تسهيل ولادتها، وهنا يتضح عمق التدين في مجتمع الإمارات ، فالإيمان بالله يرتبط باي عمل يقوم به الأفراد، وخاصة عند الأزمات واللحظات التي يعجز الإنسان من التصرف فيها، أو مقاومتها.

وتتضمن إفادات الإخباريات كثيراً من التفصيات الجزئية المتعلقة بلحظات الولادة، الفرح لاستقبال زائر جديد للمجتمع، أو زائرة أنثى، ما هو الفرق في مراسيم الفرح للاستقبال الذي ربما قد يتضح حتى في القدر المالي أو البشارة التي تعطي لمن يقوم بتبليل الأب أو الأقارب بالمولود الجديد، فالممارسات هنا تعكس عقلية مجتمعية معنية.

أن هدية الداية هي في الغالب جفير عيش^(١) أو قفة تمر ، وهذا ما تجود به الأسرة على الداية صاحبة الدور الكبير في مساعدة الأم على الولادة، وهي

١. جفير عيش: قفة رز.

هدية بسيطة جداً ولكنها تعبّر عن قيمة إجتماعية عالية القدر في ذلك الوقت، وما أعجبها من مقارنه إذ اتاح لنا هذا البحث المقارنة بين متغيراته القديمة والحديثة فنجد في زماننا هذا الهدية للطبيبة قد تصل إلى «عقد الالماس» او السيارة ورغم قسوة هذه المقارنة إلا أن الممارسة القديمة تبدو أكثر عقلانية وتحمل المودة والحب بين الأسرة ومن يقدم الخدمات.

وفي بعض الحالات لولادة زوجة الشيخ وبالاخص في حالة بشارة بالولد وليس بالبنت فماذا كانت الهدية (خاتم ذهب)، وهذا هو سقف الفرق بين الطبقات الإجتماعية الغنية والفقيرة، وتقول بعض الاخباريات أن بشارة الولد (١٠٠ روبيه) أو خنجر، والبنت (١٠ روبيات).

وهنا نقول لماذا الفرق؟ ولماذا الخنجر؟ إنها قيم إجتماعية كانت ولازالت سائدة.

بشروني بالغلام فز قلبي في المنام بشروني البنية أظلمت الخيمة عليه

اما التساؤل حول ضرورة وجود الزوج بجانب زوجته أثناء الولادة، فكان هناك شبه إتفاق بين جميع الاخباريات والإخباريين برفض الفكرة والتعبير عنها بكلمة (حشا) اي المنع التام من تواجد الزوج أثناء الولادة، وربما يعود هذا الرفض القاطع لوجود الزوج إلى قصور في الوعي بأهمية وجوده أثناء الولادة فهذه من المتطلبات الجديدة في حياة المرأة أو الأسرة بالإمارات ولكنها لم تكن مدركة آنذاك فالعامل النفسي المؤثر لوجود الزوج أثناء الولادة للطرفين زوجاً وزوجة مهم لتشعر هي بدهنه ويشعر هو بمعاناتها، وحتى يسهم معها في تربية الطفل الجديد بالأسرة، ثم إن الرفض ربما يعكس كذلك خجل الزوجة من زوجها ومن رؤيته لها وهي في حالة الولادة فقصور الوعي، وخجل المرأة ربما كانوا العاملين اللذين يكشفان حقيقة الموقف ، ولكن البعض أفاد بأنه إذا تالمت الأم وتعسرت ولادتها يطلب من الزوج أن يحضر.

ننتقل بعدها إلى الصعوبات التي تواجهه المرأة البكر وهي تلد وهذا

نلاحظ الفرق بين حاضرنا وماضينا، فالآن يحسب الف حساب لولادة البكر، أما في الماضي فقد كانت ولادتها عادية ولا تختلف الإستعدادات لها عن غيرها من الولادات، وربما كان ذلك يعكس مدى بساطة الحياة وقلة التعقيدات وبساطة التفكير في قضايا الولادة، وقلة الوعي كذلك بهذا الجانب . وهناك من يعتقد أن ولادة البكر أسهل من ولادة (الثنو) أي التي تلد لثاني مرة .

مرحلة ما بعد الولادة : قطع الحبل السري، وحفظ المشيمة:

إن قطع الحبل السري للمولود أو المولودة يعد عملاً تقوم به الداية ضمن وظائف التوليد، ولكنه عملٌ يحمل العديد من الممارسات الشعبية التي ربما تكشف عن معتقدات ثابتة لدى سكان الإمارات في تلك المرحلة التي لم يدخل فيها المجتمع مرحلة التحديث.

مع ملاحظة أنه من هذه الممارسات تم رصد العديد من الأمثلة الشعبية التي تعكس عن تلك المعتقدات، وتوضح مدى إيمان أفراد المجتمع بأهمية المحافظة على «سر» الإنسان.

هناك دائماً «سر» في كينونة الإنسان يقف المخلوق حائراً لا يجد تفسيراً لهذه الكينونة، وربما هذا الشعور القوي لدى الإنسان ورغبتة في فهم السر الإلهي يجعله يحرص كل هذا الحرص على «سرة» الإنسان إعتقداً بأنها تحمل سر الإنسان.

فمن الإيجابات الأحدى والسبعين يوضح الأخباريون الذين ساهموا في هذه الدراسة تشابهاً عجيباً في كيفية التصرف في «سر» الإنسان.

أولاً : التشابه في الرغبة الشديدة للمحافظة عليها أي على السرة.

ثانياً : التشابه في نوعية المواد المستخدمة لحفظها من التعفن. كالاثمد، والياس والزعتر، وبالطبع الملح فلقد كان الملح الدواء للعديد من الأمراض في تلك المرحلة.

ثالثاً : عملية قياس أربعة أصابع او شبر واحد ثم القيام بالقطع مما يعني أن الإتفاق على الطول الذي يجب ان يقطع من السرة، ولهذا في نظرنا تفسيرات لا تخلو من العلم والوعي لهذا القياس بالتحديد.

رابعاً : العقدة اي عقد السرة (٣) عقدات في ثلاثة مناطق منها مما يعني التثبت من الإحتفاظ بالسرة.

خامساً: دفن السرة ليظل سر الإنسان مدفونا لا يصل إليه أحد.

من أكثر العناصر ثراء أو غنى بالمعتقدات والممارسات الامور المتصلة بكيفية الإحتفاظ بالمشيمة او السرة للوليد الجديد.

إذ يتضح لنا ان هذين الجزئين الرئيسيين المختلفين بعد الولادة يتم التعامل معهما بشيء من الإهتمام، ويمثلان اهم المعتقدات في حياة الأسرة الإماراتية.

فالمشيمة إعتبرت عنصر التواصل والإستمرار بالنسبة للمرأة فالطريقة التي تحفظ بها المشيمة تعبر عن إستمرارية قدرة المرأة على الإنجاب فلقد أجمعـت اجابـات الأخبارـيات على أن المشـيمـة تـدـفـنـ في مـكـانـ آـمـنـ مـنـ المـنـزـلـ أو عـلـىـ الـبـحـرـ.

إن أهمية المحافظة على المشيمة نابعة من أنها تمثل سر المرأة، وحمايتها، وحماية قدرتها على الإنجاب مستقبلا أما عن السرة فالإهتمام بها أيضاً يمثل الرغبة الشديدة في الإحتفاظ بالوليد والمحافظة عليه من خلال حماية سرتـهـ منـ الإـفـسـادـ،ـ بلـ تـسـتـخـدـمـ لـهـ مـجـمـوـعـةـ مـنـ الـأـعـشـابـ أوـ الـلـحـ الذـيـ يـسـاعـدـ عـلـىـ الإـحـفـاظـ بـهــ،ـ وـمـنـ ثـمـ إـسـتـخـدـامـهـاـ بـعـدـ اـنـ تـجـفـ فـيـ عـلـاجـ مـرـضـ الـعـيـونـ بـالـنـسـبـةـ لـنـفـسـ الطـفـلـ اوـ عـلـاجـ المـغـصـ المعـويـ.

ومن الملاحظ كذلك أن الإعتنـاءـ بـالـمـشـيمـةـ وـالـسـرـةـ وـحـفـظـهـمـاـ وـدـفـنـهـمـاـ اوـ إـسـتـخـدـامـهـاـ وـخـاصـةـ الـمـشـيمـةـ اـداـهـ لـدـرـءـ الـحـسـدـ وـالـتـيـمـنـ بـهــ إـذـاـ تـعـرـضـ الإـنـسـانـ لـقـضـيـةـ فـيـ الـمـحـكـمةـ فـإـنـهـ يـتـخـلـصـ مـنـ التـهـمـةـ لـمـجـرـدـ أـنـ يـحـمـلـ الـمـشـيمـةـ الـمـجـفـفةـ

بالملح والاعشاب الأخرى - إلى جانب أن هذه المرحلة من مراحل التوليد ورعايا الأم والوليد تعبّر في الكثير من الملابسات والممارسات الشعبية عن وعي صحي كان حاضرا لدى القابلة ولدى أهل الأم، فنجدهم مثلاً يحاولون التخلص من كل أجزاء المشيمة حتى لا يظل بعضها عالقاً بالأم مما يسبب لها المرض أو الوفاة، وإذا حدث ذلك فإنهم يستخدمون بعض الأدوية الشعبية كالفلفل الحار والقرض والحبة الحمراء لتنزيل هذه الأجزاء . مما يعني أن الإنسان في تلك المراحل كان يقاوم أشكال الأمراض التي من الممكن أن يتوقعها، وكان حريصاً على استخدام الأدوات التي تقدمها له البيئة الفقيرة من أجل مقاومة تلك الأمراض.

وان الإنسان لم يكن مستسلماً للعديد من الازمات التي كان يتعرض لها، فمثلاً استخدام الإنسان للمشيمة بعد ان تجف لمواجهة آية معضلة إجتماعية كالمحاكمة أو العجز الاقتصادي والفقر والتيمن بهذه المشيمة، لأنها الجزء الذي حفظ الجنين تسعه أشهر والذي يعتمد عليه الجنين في التغذية والحماية، وإنما يعبر عن القيمة الكبرى التي تعطيها المرأة للمشيمة التي كانت أدلة لحماية الجنين، وبالتالي يمكن أن تكون أدلة لحماية نفس الجنين بعد أن يولد، ويكتب، أو لحماية الأب والأم . إن الإهتمام بالمشيمة "أو السرة" هو في المقام الأول إهتمام ذو طبيعة طقوسية Ritual يرتبط برسوخ فكرة ما يشير إليه علماء الفولكلور إصطلاحاً بالتأثير التعاطفي أو السحر التعاطفي Sympathetic Magic وهو السحر الذي يقوم على مبدأ أن التأثير على الجزء هو بالضرورة تأثير على الكل، فحفظ السرة وصيانتها وحمايتها هو حفظ وصيانة وحماية للإنسان نفسه والضرر الذي قد يقع على "السرة" ينعكس بالضرورة على صاحب السرة حاضراً ومستقبلاً، وعلى هذا المبدأ تقوم بعض ممارسات "السوا" أو "العمل" حيث تؤخذ أجزاء من الإنسان (كالشعر مثلاً . أو الملابس) تجري عليها بعض الطقوس والممارسات التي يعتقد أن اثرها ينسحب بالضرورة على صاحب الشعر أو الملابس.

**الفصل السادس
مرحلة ما بعد الولادة**

Postnatal

مرحلة ما بعد الولادة (١)

تشمل مرحلة ما بعد الولادة العديد من الأمور والظواهر والممارسات المتبعة بعد الولادة، وتبدأ بالاستعدادات لحياة جديدة، وبالاخص تلك المتبعة للأسرة عامة وللمولود الجديد بخاصة.

ومن اهم الممارسات والعمليات والظواهر المرتبطة بهذه المرحلة ما يلي :

أولاً : تنظيف الأم بعد الولادة :

يعتمد تنظيف الأم بعد الولادة على استخدام العديد من الأدوية الشعبية، وقبل الحديث عن هذه المستخدمات والأدوات نطرح فكرة رئيسية لا وهي أن درجة الوعي بالنظافة للمرأة الولادة كانت عالية جداً، وجاء إحساسنا بصدق هذه المعلومة من التشابه في الإجابات والتاكيد على أنهم كانوا يعتنون بالمرأة بشكل دقيق لإزالة المتبقى من الولادة بداخل الرحم وخارجها من بقایا المشيمة والدم، وأحياناً تقوم بنفسها بعملية التنظيف بعد أن تجهز لها المواد المطلوبة وهي :-

١ - الملحق : قوله دلالة كبيرة في حياة الأسرة الإماراتية في السابق (إلى درجة

والأسئلة هي:-

- كيف يتم تنظيف المرأة بعد الولادة؟
- كيف يتم غسل وتنظيف الطفل بعد الولادة (صف الأدوات والمواد المستخدمة في تحميم الطفل)
- صفات الإجراءات الصحية التي تعمل للطفل للحفاظ على صحته مثل التكحيل؟
- هل هناك بعض الأقوال التي تقال في مثل هذه المناسبة؟
- ما هي مواعيد تحميم الطفل؟
- من يقوم بتحميم الطفل لأول مرة؟ لماذا؟
- ما هي ملابس الطفل الوليدي؟
- ما هي أساليب زينة الطفل الوليدي؟ أكتب الآيات القرانية والأدعية التي تقال عند نزول الطفل وتحميمه؟
- متى يتم حلق شعر الطفل بعد الولادة؟ - اذكر أي أمثل أو أغاني تقال عند تحميم الطفل؟
- كيف ينظر الناس إلى المرأة التي في فترة النفاس؟
- بماذا تسمى حمى النفاس في المجتمع المحلي؟
- ما هي الأسباب التي تؤدي بالمرأة إلى الإصابة بحمى النفاس؟
- ما هي طرق علاج حمى النفاس؟

انها تسمى ام الولد) لما تمثله من اهمية خاصة لديهم.

٢ - السمن : الدهن.

٣ - الياس : نوع من الاعشاب مطحونة ولها رائحة جيدة لغسيل الشعر.

٤ - النار.

٥ - البزار : نوع من البهارات واللفلف.

٦ - الكركم : نوع من البهارات اصفر اللون.

٧ - حرييف.

٨ - بول البوش: بول الجمال، ويستخدم خارجيا اي يوضع على التراب ويسخن، ويوضع تحت ظهر المرأة.

٩ - استخدام الحصاء: نوع من الحجر لتدفئة البطن.

١٠ - القرط : نوع من الشجر تؤخذ اوراقه ويمتاز بطعمه المر

١١ - الطحين :

١٢ - الحريروه : مشروب لتسخين البطن مكوناته الأساسية الحبة الحمراء، والبيض، واللفلف، والدهن البلدي.

١٣ - الحلبة : تشرب لتساعد على تنظيف البطن وجسم المرأة وتعويض الدم النازف.

١٤ - الحرمل: نوع من النبات الشديدة المراة.

١٥ - السج : اي التمر ويخلط التمر والكركم والملح ويستخدم لتنظيف الرحم.

١٦ - الجلاب : طعام مكون من الطحين والزنجبيل واللفلف والجرفة (القرفة) والهيل.

١٧ - الزنجبيل : نبات حار يستعمل للشرب.

١٨. السدر: نوع من الشجر ذو ثمرة النبق.
١٩. المعمولة: عبارة عن الياس والتركة صالح ومجموعة ادوية تخلط وتوضع في الشمس ثم تغسل لتنظيف مهبل المرأة .
٢٠. قشر الرمان: ويستخدم كذلك مع الماء والملح للتنظيف.

إذن تتعدد الأدوات والمواد المستخدمة لتنظيف المرأة بعد الولادة مما يدل على عمق الوعي بأهمية هذه النظافة، وما يدل كذلك على قدرة الإنسان الإماراتي في تلك المرحلة على استخدام كل ما تقدمه له البيئة من مواد يستثمرها لصالح الصحة ولصالح إستمراره في تلك البيئة ومن الملاحظ التأكيد على أن الملح هو الدواء الأول لتنظيف المرأة، وهو قاسم مشترك مع جميع الأعشاب الأخرى، وتظل تستخدمه خلال ١٤ يوماً أو ٤٠ يوماً حتى تتم عملية الإغتسال وتبدأ بالطهارة.

ثانياً : تنظيف المولود وتحميمه :

تنظيف المولود أو المولودة والتزيين وحلاقة الشعر أمر كان يحرص عليها الجميع، وهنا نعود لنؤكد عمق الوعي الصحي والإهتمام بصحة الطفل وإن كانت في الغالب تستخدم المواد التي قد تضر بقدراته في المستقبل، ولكنها في النهاية تعكس السياق العام لهذه البيئة ومتطلباتها.

وتتشابه المواد المستخدمة لتنظيف المولود مع تلك التي إستخدمت لتنظيف المرأة كالملح والياس، والنيل والمحلب، والكركم، والمر، الحبة الحمراء، والصبر، والبضاعة، وحل الحلو، وحل حليل، والمر الهندي، الطي، وبنت الذهب، والزبدة، الزعتر والطحين.

وتؤكد الروايات على أهمية تحميم الطفل، وتستخدم نفس تلك الأدوات في كل البيئات سواء كانت الحضرية أم البدوية أم الجبلية، كذلك لدى بعض الفئات الثقافية (البلوش) مثلاً، وكلها تستخدم تلك المواد، بالإضافة إلى قراءة

القرآن على تلك المواد والأعشاب قبل إستخدامها لتنظيف وتحميم المولود أو المولودة.

ولاحظنا أن بعض افراد الفئات الثقافية غير العربية يسكنون الماء بعدد أيام الطفل فإذا كان في سبع يوم سكبوا عليه الماء سبع مرات، وإذا كان ١٤ يوم يسكنون الماء عليه ١٤ مرة، وكذلك الحال إذا كان في يومه الأربعين مما يدل على بعض التصورات الضمنية التي تعمق فهم النظافة والوعي بها.

وإستكمالاً للفكرة الثانية جاء السؤال "صف الإجراءات الصحية التي تجرى للطفل للحفاظ على صحته (مثل التكحيل) ليؤكد ضرورة التركيز على جميع الممارسات التي تتم بعد الولادة لما لها من أهمية قصوى في هذه المرحلة من حياة الإنسان ولقد أثمرت الإجابات العديد من الممارسات المتشابهة في أغلبها لتأكد أن الأسرة الإماراتية كانت تعتنى عناية فائقة بالطفل، وكانت تستخدم كل الموجودات البيئية من أدوية وأعشاب وعطور لمعالجة الطفل، ولمساعدته على إستخراج (العقا) أي المتبقى من أوساخ في بطنه بعد الولادة، وللتكميل، والتحريض، ورسم الحاجب، والتلليك والتحنيك أي تدليك اللثة بالعسل وكلها عمليات فعلية تقوم بها الأم أو الداية أو أحد الأقارب لمساعدة الطفل، وعلاجه وتنشئته تنشأة صحية جيدة، أما المستخدمات أو الأدوات والمواد في هذه العمليات فهي : الزباد، وهو نوع من العطور يأتون به من عدن والصراري الأسود (وهو الكحل الذي يحضرونه من رأس الخيمة، وهي أحدي إمارات الدولة)، والائمد نوع من الحكل البدور، ويؤتي به من السعودية، والسمن، والدبس، والتمر، والياس، وهو نوع من العطور أو الأعشاب ذات الرائحة الجيدة ويُسحق كالبدور، والعشق أو العشرج، وهو نوع من الإعشاب الجبلية تستخدم في علاج الإمساك لدى الأطفال.

أما الكحل فيوضع بشكل + فوق جبهة الطفل، ويعتقد أن هذا الشكل

يمنع الحسد، أما التغذية فتعتمد على الحبة الحمراء لما لها من فوائد غذائية كبيرة، كذلك الزعتر واللبن العربي بعد أن يغليا على النار، كذلك المواد (كترفة صالح) والدوخشين، والسكر أو سكر نبات أو عيون حراح وهي نوع من الكحل يوجد في محار البحر. وكذلك تستخدم (النيل) وهي المادة الزرقاء التي يعالج بها الجلد من آية انواع من الحساسية وكذلك تستخدم للتغذية نوع من المكسرات (البيذام أي الجوز) ولم يصعب على الأسرة في تلك المرحلة إيجاد العلاج لكل اشكال الامراض التي يتعرض لها الطفل حديث الولادة.

فوجدنا علاج "إنزال العقا والتخلص منه" أو علاج (أم زليقة) أي حساسية الجلد، (علاج العيون)، علاج الأذن بما يسمى (اللغو)، محاولة إستدارة رأس الطفل حتى لا يكبر ورأسه مستطيل، أو إذا تعرض الطفل للبكاء الدائم (الصيحة) ثم التأكيد على استخدام الرضاعة الطبيعية، أو حليب البقر مما يؤكّد الرعاية الفائقة أو استخدام المواد الطبيعية مما يساعد على النمو الصحي الجيد للطفل.

ويستمرارا متابعة ممارسات الأسرة بكمال أعضائها للمولود أو المولودة الجديدة نطرح تساؤلاً حول الأقوال التي تردد أثناء تحميم الطفل والعناية به، ثم من هم الذين يقومون بتحميمه أول مرة، وما هي الملابس المستخدمة لذلك؟

والردود على هذه التساؤلات ربما تفتح لنا آفاقاً جديدة في هذه الدراسة لربما أجلسنا الكتابة فيها للمحور الأخير منها، وهي أمور التنشئة النفسية والصحية، وكذلك القيمية والإجتماعية، إذ لاحظنا مباشرةً من الإجابة على الأقوال التي تردد أثناء العناية بالطفل، إنها ذات مضامين خاصة تركز أغلبها على التنشئة الدينية بجانب الإعتماد على تعليم الطفل أمور الحياة الخاصة به سواء كانت للذكور أو للإناث وهي مختلفة فيما بينها بطبعية الحال.

فالاقوال التي تردد تعتمد على آيات من القرآن الكريم لحفظه من الحسد والعين، ثم تطلب زيارة من رجل ذي سمعة طيبة وخبرة وشجاع، ويعطى

الطفل ليلقن النصائح التي بعد تحليلها إكتشفنا أنها تحمل قيمًا ذات أهمية كبيرة لحياة الإنسان في المجتمع الإماراتي في ذلك الوقت.

أولاً : أن يكون صالحًا.

ثانياً : أن يكون باراً بالوالدين.

ثالثاً : المحافظة على الصلاة في أوقاتها.

رابعاً : معاملة الناس المعاملة الحسنة.

خامساً : التواضع.

سادساً : بر الجيران.

هذه إذن القيم المنقولة عبر ممارسات التراث في مجتمعنا وهي بالتأكيد تعبر عن مجتمع ذي سمات خاصة يتراوح ويتماسك أفراده للمحافظة على أمنه الداخلي في حدود علاقته بالإنسان بالإنسان الآخر، وهو مجتمع ديني ذو إيمان قوي، فالإسلام هو ما كان يتسلح به الإنسان لمجابهة كل ما يواجهه من متاعب.

"صادقاً" أمام مخاطر الطبيعة والأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية، وكذلك أمام مخاطر الحسد والعين التي اعتقاد فيها الإنسان كثيراً في تلك المرحلة.

وإذا تأملنا بعض الاقاویل الأخرى التي تقال أثناء التحريم، أو تنويم الطفل نجد لها حافلة بحركة الحياة آنذاك، وأدوار أفراد الأسرة فمثلاً تأمل الإجابة في أنشودة "يا وليد الصفران".

(أمك سايرة الطوياني) أي ذاهبة لأبار الماء.

(ترس الخروس والوعياني) أي تملأ حل الماء.

(ما يباء ما يباني) أي لا أريده إلا يريدني.

(ولا بالغصب ملزوم) أي لا استطيع إجباره على شيء

(لي صدلي جفاني) أي إذا إبتعد عنِي.

(لاني قوي عزومي) لأنني قوية عزائمي.

(لي هادن الصلانى) أي اذا اثمرت الصلانى وهو نوع من النخيل طيب المذاق.

(بنقيض في مخزوم) أي نقضي الصيف في مخزوم وهي أحدي مناطق الدولة.

ولباس هنا من طرح هذا السؤال ماذا تحمل هذه الانشودة من معانٍ ومضامين؟

إنها تكشف عن نمط الحياة للأسرة الإماراتية وعن دور المرأة في الأسرة وخدمتها بمزاولة الذهاب لأبار الماء وإحضار الماء لل استخدام وللشرب، ثم تحمل معاني عزة لإنسان في أن يكون قويا أمام صد الآخرين أي لا يتنازل ولا يضعف، ثم تستكمل دورة الحياة للأسرة في أنهم ينتظرون ثمر النخيل لإعلان فصل الصيف والتنقل للأماكن الأقل حرارة بالدولة.

ولكن السؤال لماذا تنقل هذه المعاني للطفل عبر أنشودة النوم؟

إنه دورة التراث وأهمية نقله للأجيال القادمة لتستمر الحياة بنفس نمطها وليحافظ المجتمع على سماته.

نلاحظ كذلك هذا الإرتباط الشديد بالأطفال وحبهم بإعتبارهم رزق الفقير كما يرد أنداك، فالثروة لم تكن في تلك المرحلة ثروة المال، بل ثروة العيال أي الأبناء فهم العزوة ورمز الإستمرار،

أما عن مواعيد تحميم الطفل، لربما جاء تبريرنا لطرح مثل هذا السؤال هو الحرص على معرفة مدى الانتظام في رعاية الطفل ومدى إحترام مواعيد التحصيم والنوم والراحة وهل كانت تسير بمعدلات متناسبة وصحية أم تم بعشوائية لا تنم عن وعي بصحة الطفل.

ولكن المفاجأة كانت أن الأم أو الجدة تحافظ على أن يكون التحميم وقت الضحى أو وقت المغرب، وهي المواعيد التي تقل فيها أعمال المرأة بالمنزل إذ تستطيع المرأة بعد أن تقوم بتحميم طفلها وتكحيله وتنويمه أن تمارس عمليات تنظيف المنزل والطبخ وإحضار الماء إلى آخره من المتطلبات اليومية التي أضيفت إلى أعباءها كأمراة وكذلك ما يوفره وقت "الضحى" أي منتصف النهار من جو دافئ بحيث لا يتعرض الطفل للبرودة فائتماء هذا الوقت تكون الشمس قد أشرقت واسعنت بالدفء بحيث يحمي الطفل من آية نزلات برد. ولقد تضاربت الآراء بين مؤيد للتحميم اليومي أو الأسبوعي في فترة الشتاء و ٣ مرات في اليوم الواحد في الصيف وهناك ما يسمى بغسالة الأربعين أي تحميم في اليوم الأربعين بعد الولادة وهو اليوم الذي يحتفل فيه بالطفل والأم، وتبدأ مرحلة طهارة الأم وإستعدادها للحمل مرة أخرى.

والأغلبية أكدت عدم التحميم أثناء الليل والمبرر أن المنازل كانت مصنوعة من سعف النخيل أي أنها لا تحمي الطفل من البرد، ويعكس ذلك محدودية الحياة الاقتصادية بالنسبة للأسرة الإماراتية في ذلك الوقت إذ كان من الصعب إستخدام مواد أخرى للبناء كالطوب أو الحديد وذلك للفقر ومحدودية عطاء البيئة والإعتماد على إستيراد تلك المواد من الهند أو إفريقيا كالأخشاب مثلاً وكان ذلك من قدرات الأسر الغنية فقط.

أما عن السؤال عمن يقوم بتحميم الطفل، فلقد كشفت الردود عن عملية المشاركة والفاعلية التي تقوم بها الأسرة الممتدة بكل أجيالها للمساهمة في خدمة الأم الوالدة فتشترك الأخت الكبرى، والجدة والعمدة والخالة أو أم الزوج، وتسهم كل منهم في المساعدة بتحميم وتنظيف الطفل، إلا أن الإعتماد الأكبر على الداية أو القابلة كما يطلق عليها البعض إذ تستمر في عملها الذي يبدأ بتوليد الأم وقص السره والإحتفاظ بالمشيمة وإزالة المتبقى من اوساخ، ثم تحميم الطفل وقص الشعر لمدة ١٠ أيام أو ١٤ يوماً حتى تسترد الأم قوتها وتبدأ هي بعملها الوظيفي هذا، فلقد إعتمدت التربية في تلك المرحلة على الأم

نفسها او إحدى القربيات ولم تكن الأم البديلة او المربية الأجنبية موجودة وكان ذلك ضمن معطيات المستوى الاقتصادي الذي افرز هذه النتائج الإيجابية بعكس المستوى الاقتصادي الآن وعامل الوفرة المادية التي عكست آثارا ضارة ومدمرة في مجال التنشئة الاجتماعية للأطفال وهدم أهم عناصر الثروة في مجتمع الإمارات حيث إستبدلت الأم نفسها بمربية أخرى أجنبية لتحمل محلها في تلبية كافة متطلبات الإبن او البنت او الزوج او المنزل عموما وبدأت مرحلة تهميش نفسها بنفسها بداع التطور الشكلي لأدوار أخرى لا تتم للمجتمع بآية صلة او بحاجة المجتمع لذلك.

وهذا يكشف عمقا في فهم المجتمع بأفراده لأدوارهم الحقيقية في الماضي ويكشف زيف حياة الأسر في المرحلة الحاضرة في مجتمع الإمارات.

ثالثا : ملابس الأطفال وزينتهم :

كشف لنا السؤال حول ملابس الطفل العديد من الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية في حياة الأسرة الإماراتية في مرحلة ما قبل النقطة وربما في المرحلة الراهنة لبعض الأسر التي تعيش في المناطق النائية سواء أكانت جبلية أم صحراوية.

فالبساطة في اختيار ملابس الطفل كانت السمة الأولى لتلك الأبعاد الاقتصادية، وإستخدام أبسط أنواع الأقمشة وأرخصها، وإستخدام الملابس القديمة التي استعملت من قبل لأطفال في نفس العائلة أو الأسرة الصغيرة نفسها، يلاحظ أيضا الثبات في إستخدام تلك الأدوات والملابس وخاصة عندما تناولت إحدى الإخباريات قضية إستخدام (البامبرز) الآن وضحت وتدلل بذلك على الفروقات ما بين الأمس واليوم، وأشكال التغير الاجتماعي والثقافي التي برزت في أبسط الصور وهي إستخدام (البامبرز) بدلا من القماش الخفيف الذي يلف به الطفل ليحميه من الرطوبة والبلل.

وقد كان أفراد الأسرة يعتمدون على أنفسهم في صناعة الملابس

وخياطتها في شكل متكامل مما يعني ظاهرة الإعتماد الذاتي على إمكانيات وقدرات المرأة في تلك المرحلة، إذ تصنع النسج وتخيط وتعتمد في تلبيس إبنتها أو بنتها وتزيينهما بارق الأدوات والعطور التي تقدمها لهم البيئة، أو المستوردة من الدول والمجتمعات القريبة، والتي كانت ترتبط بدولة الإمارات بعلاقات تجارية واسعة ولكن ما هي تلك الملابس.

إنها السبابيح الفساتين أو الجلابيب : من نوع الأقمشة النيلي، والمريس.

القماط : لفة من نفس القماش.

النسعة : الخيط الذي يلف به القماش.

الكندورة : هي نفسها السبوحة.

الويل : نوع من القماش الخفيف.

العنقة : أي مجموعة من الأدوية تلف وتلبس للطفل من رقبته لتظل رائحته عطرة والمواد المستخدمة داخل العنقة هي الحلبة والمثيبة والسويدا.

المعافية : تطلق على السبوحة أو الكندورة وهي مفردة جديدة.

الخدار : غطاء الطفل يحميه من الحشرات.

الطوق : قماش مصنوع بشكل طوق صلب ليحافظ على إستدارة الرأس.

القحفية : القبعة.

بكيرة : نوع من الملابس لحديثي الولادة أي تلبس له قبل الأربعين.

الكلوتى : الطاقية وهي مفردة بنفس معنى القحفية.

الكتاه : مفردة بنفس معنى الطوق لإستدارة الرأس.

البستة : نفس معنى الكندورة أو السبوحة وهذا التعدد في المفردات يقدم لنا دلالة حول اختلاف اللهجات الخاصة بالمجموعات الإثنية الثقافية التي

تعيش في مجتمع الإمارات.

الكتافة : رباط لكتف الطفل.

الكمة : بنفس معنى الطوق أو الكتافة.

هذه هي الملابس المستخدمة للطفل الوليد أو الطفلة الوليدة في مجتمع الإمارات فيما قبل عصر الوفرة النفطية، ولابد هنا من الإشارة إلى أن نفس هذه المفردات الشعبية أو لنقل بعضه لازال مستخدما حتى الآن، وخاصة (الكندورة - أو القحفية) وإن إختلفت في أنواع الأقمشة والنسيج وطريقة الصناعة، والإشارة كذلك إلى بروز عنصر الإحاطة من قبل الأهل وإستعدادهم لتوفير مستلزمات الطفل مما يعني أن العائلة في السابق كانت تقوم بدور المؤسسة الصحية والاجتماعية اليوم، وكانت تستطيع الوصول إلى مرحلة الإكتفاء الذاتي، ربما لصغر حجم السكان في تلك المرحلة، وربما كذلك لتهيئة الإنسان ثقافياً وقيميأً على قدرته للقيام بكل المهام المطلوبة لاستمراره، وتعكس صورة لقوة الإنسان في تلك المرحلة، أما المقارنة بالدور الذي تقوم به المؤسسات اليوم فلا يمكن الحكم بوصول هذه المؤسسات إلى مرحلة الإكتفاء الذاتي أي إنتاج وإعادة إنتاج حاجات الإنسان في مراحل حياته، بل تدخل عنصر الإخترار الخارجي لهذه المؤسسات ورغم ذلك لم تتحقق ما يتطلبه الإنسان وما تتطلبه المرحلة إضافة إلى عجز الإنسان نفسه عن تلبية حاجاته الضرورية وإعتماده كلياً على ما تقدمه له المؤسسات العامة والخاصة لتلبية متطلباته.

إن الملابس وأدوات وأساليب الزينة في الماضي وبالخصوص الزينة المستخدمة للأطفال تؤكد أشكال الرعاية المقدمة للأطفال عبر مشروع التربية والتنشئة الاجتماعية الذي كان سائداً في ذلك الوقت كما تؤكد على إستخدام معطيات ومنتجات البيئة المحدودة وتكريسها كلها للإستعمال من أجل بيئه صحية جديدة للأطفال حديثي الولادة.

الكحل والدهان وأشكال العطور كدهن العود أهم ما يستخدم لزينة الطفل ولم يكن يفرق بين الذكر والأنثى في أشكال الزينة إلا في القليل من الأدوات إذ نجد الكحل يستخدم للذكر والأنثى دون إستثناء بينهما ودون فروقات المدنية في الوقت الراهن، الحناء كذلك للذكر وللأنثى دون ادنى ممانعة أو نظرة مفرقة بين الجنسين، بل على العكس نجد الحناء والكحل يستخدمان كأدوات لزينة الذكور الكبار كما هي للإناث على نفس الدرجة وهذه من مفاجآت هذا التراث الخاص جداً بمنطقة الإمارات العربية المتحدة ، أو إمارات الساحل كما كان يطلق عليها في المرحلة السابقة قبل نشأة الدولة الموحدة.

أما عن زينة الملابس فيستخدم التطريز بالبريم والزري وهي خيوط مستخدمة بالوان متعددة لتطريز الملابس الكندورة أو السبوبة.

حلاقة الشعر للذكر وللأنثى أيضاً تعد أحد أشكال الزينة، والماء العشبية الأخرى المحب، الزعفران وماء الورد والعنبر والصبر وتركة صالح وكلها تستخدم لزينة وتركة صالح تستخدم درعاً عن الحسد.

ثم الذهب لعمل الغوايش والمطول تلبس للطفل وللطفلة كل ذلك بحسب قدرة الآبوبين أو العائلة في توفير هذه المتطلبات، فلم نلاحظ آية مبالغات في الإجابات حول هذا السؤال، بل على العكس إن توفرت مواد زينة الطفل وإن لم تتوفر لم تحاول الأسرة المباهاة والإستهلاكية الخارجية فوق قدرة الآب الاقتصادية، إنما كانت كل تلك الممارسات تدور في إطار من البساطة والمجتمع المتكامل والمتماضك.

رابعاً : تحميم الطفل :

ثم نواصل البحث حول الطقوس الأخرى المتبعة عند تحميم الطفل أو الطفلة حديثي الولادة وما هي الآيات التي تقرأ عليهم، والأدعية أو الأغاني التي تتردد على السنة كل من يشارك في تلك الطقوس وبالبحث عن هذه الأدعية إنما نهدف إلى إكتشاف المحتوى الاجتماعي النفسي والثقافي لهذه

الممارسات، وبالتالي نصل إلى معرفة التكوينة الذهنية أو العقلية السائدة آنذاك لدى الأسرة والأجيال القادمة من خلالها.

لقد وجدنا الكثير من الآيات والأدعية ولكن القليل من الأغاني والآناشيد التي تردد، وقد يعبر ذلك عن إحتفاظ ذاكرة المسنين بالأيات القرآنية وعدم قدرتهم على تذكر الأغاني والآناشيد.

ان البسملة وأيات التوكل على الله هي الغالبة في الاستخدام حين يتم تحميم الطفل والصلاحة على النبي ﷺ والدعاء بحفظ الطفل، وتستخدم حبات القهوة المقلية أو النية لحساب عدد الأدعية والأيات التي تقرأ ربما لتسهيل عملية الحساب وعدم تواجد السبحة في ذلك الوقت.

ومن الأهمية أن يؤذن في أذن الطفل اليمنى وتقام الصلاة بجانب أذنه اليسرى من خلال الأب أو الأم أو أي قريب آخر يتواجد في ذلك الوقت، وكذلك قراءة المعوذتين وربما كان ذلك لحفظ الطفل من الحسد أو الجان، كذلك قراءة آية الكرسي ويوضع الداس وهو كما عرف سابقاً الآلة الحديدية التي يقطع بها الشجر وكذلك الملح وتركة صالح وتستخدم هذه كلها درعاً للحسد والجان.

وهناك تشابه بين الأدعية التي تقال لدى السنة أو أصحاب المذهب الشيعي، وربما كانت الإضافة لدى أصحاب المذهب الشيعي بذكر الله والرسول وأمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين والمقصود على ابن أبي طالب وأبنائه الحسن والحسين عليهم السلام.

وهناك من ذكر أنهم يقرأون القرآن بصورة معكوسة (وهو أمر محرم) وخاصة (سورة الزلزلة والطارق والقارعة) وقد يشير ذلك إلى ممارسات سحرية خوفاً من الجن.

وهنا نحيل القارئ والباحث لقراءة الإجابات نفسها لمعرفة المفردات والمصطلحات حيث أنها كثيرة لا نستطيع تكرارها عند تحليل تلك المادة العلمية.

هذا بالنسبة للقرآن الكريم والأدعية الدينية وأما الأغاني الشعبية فكانت قليلة نشير إلى بعضها الذي قد يحمل بعض المضامين كما قدمنا لها سابقا.

منها مثلا: إرقد يا ولدي رقدة هنية ورقدة الغزلان في البرية

أو: فديتك حبابي الله اللـه و

يا معبد يا موجود ياراعي الكرم والجود

ولقد كانت المفاجأة للباحثين عندما فشل بعض الإخباريين في تذكر تلك الأغاني، ونشير هنا إلى أهمية ذلك.

وهنا لجانا عند التحليل والكتابة إلى سؤال الوالدة^(١) عن بعض الابيات الشعرية التي تقال عند تحميم الطفل أو تنويمه فذكرت:

محمد النشمي يضرب على الخشم

يا مأخذ جسمين ورباعته جسم

ومحمدًا الوفي على الله طروقه

يقفي الضعن حافي ومسير بشوشه

ومضلل بلاسه عن واهي الدوقة

معاني الكلمات:

النشمي: صاحب الجاه.

الخشم: الأنف.

جسمين: أي يحصل على حقه مضاعفاً وذلك لرجولته.

يقفي الضعن: أي يسير وراء قافلة الجمال.

مسير بشوشه: يسير فرحا.

١ - استعانت المشرفة بسؤال والدتها للحصول على بعض الأغاني لدعم هذه المادة العلمية الخاصة بتربية البناء ومحاولة تذكيرها باتجاهات التربية في ذلك الوقت.

نلاحظ من المعاني المستوحاء من هذه الأبيات بعض اتجاهات تنشئة الابناء من الذكور المتمثلة في الشجاعة، تحمل المسؤولية، المشاركة في نشاطات القبيلة والقوة، تبرز لنا هنا بعض القيم الخاصة بالتنشئة لهذا المجتمع وهي بالضرورة تختلف عن القيم الأخرى المقابلة لتنشئة الإناث في هذا المجتمع وهذا يتضح في الأبيات القادمة وهي كالتالي:

عصبة علي التاير (*)

ان کان قدک عود عن تاپر باز

بصیر مفتاحه وفوبیه طایر

يُقْلِفُ عَلَى الْبَخَارِ وَيُحَلِّفُ لَا تُونَهُ

ويهدد الحرمة ويقول ملعونة

ولانني الغواص لي يحج فنطاسه

نیفی لہا منصور لی پرکب فراسہ

وهنا تبدو ملامح التربية للفتاه في مجتمع الإمارات إذ لا يتنمون لها الزواج من تاجر بخيل ولا من غواص يقضى عمره يملا وينظف الفنطاس، بل يتمنون لها الزواج من المنعور اي البدوي الفارس، وهذه دلالات ربما تختلف عن النظرة للزواج اليوم والرغبة في الزواج من تاجر يدفع مهرها وتكون فخرا

* نكهة : اي نوع من اللؤلؤ الغالي.

الحاير: المحترم

عصبة : صعبه .

التاجر : التاجر .

قدرك عود : اي قدراك كبير.

بایر: فاسد.

بغير مفتاحه : أي يربط مفتاحه في إزاره.

وفويدة: أي قلبه خائف.

البخار : مخزن الغذاء

البخاز : مخزن الغذاء.
المنعور : البدوي الفارس.
يحلف لاتونه : يقسم عدم الاقتراب منه.
يحج : يحك.

لأسرتها وهنا نلاحظ مدى التغير الذي أصاب الأسرة الإماراتية وعناصر التغير إستطاعت أن تصل إلى القيم الاجتماعية وتترك آثار سلبية على الأسرة ومستقبل إستمرارها.

حلاقة شعر الطفل :

إن أشكال العادات والممارسات المتبعة ضمن طقوس حلق شعر الطفل أو الطفلة ربما تعبر عن مخاوف كثيرة تنتاب أسرة الطفل يجعلهم يحاولون حماية الطفل بالعديد من الممارسات التي تختلف باختلاف المجموعات الإثنية التي تعيش وتستوطن الإمارات.

أولاً : بالنسبة لموعده الحلاقة فالأغلبية أكدت أنها بعد الأربعين والبعض أجاب بمرور أسبوع واحد بعد الولادة إذا كان شعر الطفل طويلاً، والبعض وجد أن الحلاقة تتم بعد سنة من الولادة.

ثانياً : أن يقوم بالحلاقة رجل من القرية ذو سمعة طيبة أو حاج أو من يتبارك به الأهل لآية أسباب أخرى، أو يقوم بها الأب أو الأم أو أحدى القربيات ذوات الخبرة في حلاقة الشعر وتنتمي بواسطة الله تشبه السكينة لعدم وجود الموسى الخاصة في ذلك الوقت.

ثالثاً : الإحتفال الكبير بيوم الحلاقة سواء كان بعد أسبوع أو الأربعين أو مرور عام على الميلاد والإحتفال يتخذ شكل نجح النبائح وطبع العديد من الأكلات الشعبية، وهنا وجدنا الفروقات واضحة بين عدد النبائح التي تذبح لحلاقة شعر الولد عنها لحلاقة البنت، وهذا ما يتناقض مع ممارسات أخرى ذكرت سابقاً في هذه الدراسة، أكدنا فيها عدم وجود تلك الفروقات خاصة بالنسبة للزيينة وملابس الأطفال، وغيرها من العادات، وإذا أردنا أن نقدم تبريراً ثقافياً يوضح لنا هذه المتناقضات في العادات والممارسات الشعبية لأهل الإمارات، فإننا سوف نجد أن إختلاف الفروقات بين الجنسين وتقديره ولادة الذكر له قيمة أكبر من

ولادة الأنثى، إنما هو شعور عام يمتد إلى أعماق المجتمع العربي ما قبل الإسلام حيث وُئِتَ البنات في العصر الجاهلي، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية، وكيف تؤثر وتقضى على الحياد في العلاقات بين الذكور والإناث، أو تقضى على تساوي النظرة للجنسين، فالمؤمل أن الشاب سوف يكون معيناً للأسرة مستقبلاً لقدرته على العمل، ولذلك تفرح الأسرة به بشكل مختلف عن فرحتها بالبنت ولقد قدمت الكثير من الدراسات تفسيرات حول هذه الظاهرة يستطيع القارئ الرجوع إليها حيث لا يتاح لنا المجال هنا مناقشة كل التصورات والتفسيرات المطروحة لخدمة هذه القضية ولمعرفة أسباب اختلاف النظرة إلى الجنسين.

رابعاً : من الملاحظات الهامة التي وجدناها في هذه المادة الإثنوغرافية أيضاً أن شعر الولد أو البنت يوزن إما مع فلوس فضية أو مع الذهب، وتتوزع بعد ذلك هذه الفلوس على الأطفال ثم يدفن الشعر بعد ذلك في البحار، أو مكان ذي ظل بارد بحيث لا يرهق أو يتعب الولد، ولقد سادت هذه العادة الشعبية وهي وزن شعر الطفل بعد حلاقته خاصة بعد أن عرفت على أنها سنة عن الرسول ﷺ ويصاحب هذه المناسبة الإحتفال (العقيدة) كما ذكرنا سابقاً.

إضافة إلى ذلك لاحظنا أن هناك عادة أخرى متتبعة عندما يحلق شعر الطفل، إلا وهي أن يقوم من يحلق الشعر بقص قطعة القماش المربوطة في يده الطفل، والتي بها "مرزة" وهذه من الأدوية الشعبية التي يعتقد أنها تزيل الحسد عن الطفل لتدفن بعدها مع الشعر بعد الأربعين.

كذلك الإعتقاد السائد لدى بعض الأسر التي لا تنجب فيها المرأة لایة أسباب صحية، إذ هم ينذرون بزيارة بعض المناطق الدينية (كقبر الولي) في دبي ذلك إذا تمكنت المرأة من الحمل وأنجبت بعد فترة طويلة من الزواج. إذن

تدفن مخلفات الحلاقة مع "المرة" وكذلك سر الطفل حين يقطع أو يحتفظ به حتى تتم حلاقة الطفل ويدفن الشعر والسرة بسبب الإعتقاد السائد بان دفنهما يعني حماية سر الطفل، وعدم تعرضه لآية مشاكل في المستقبل.

الملاحظة الأخرى في هذه الممارسات ايضا انها مشتركة بين الأغنياء والفقرا (العالي والدايني) حيث يتساوى الأفراد في الإحتفال وذبح النبائح، ودعوة الأقارب للمشاركة في هذه المناسبة، وكذلك يقصد بها اشهار إكمال الطفل للأربعين أو مرور عام على ولادته.

اما بالنسبة لجماعة البلوش فقد لاحظنا بعض الاختلاف في الإحتفال بقص شعر الطفل حيث يقومون اولا بالحلاقة بعد مرور ستة أشهر، ثم يحلق للطفل وتترك خصلة واحدة في قمة الرأس نذرا عن عدم قدرة المرأة على الإنجاب سابقا وتترك الخصلة سبع سنوات، ولا تقوم الأسر البلوشية بالإحتفال في هذه المناسبة، وليس لديهم ما يسمى بالعجبية (العقيدة).

اما عن الأكلات الشعبية التي تقدم في هذه المناسبة فهي العرسية والهريس والخبیص، والساکو، والأرن، والقرص، والحلوى وكل هذه الأكلات ممکن أن تقدم صباحا مع الأفطار او على الغذاء او العشاء، ويتم توزيعها على الجيران إحتفالا بهذه المناسبة.

وهناك إختلاف في شكل الحلاقة بين الأنثى والذكر فالذكر يحلق جميع شعر رأسه ما عدا عند البلوش وعند بعض الأسر التي تتندر بإبقاء خصلة في قمة الرأس، وأما البنت فيحلق شعرها بشكل دائري وتبقى أطرافه كما هي، ورغم اننا ذكرنا ضرورة وزن شعر الطفل بالذهب او الفضة، إلا اننا ننوه ان بعض الأسر تزن الشعر بالسكر، ويعطي هذا السكر إلى رجل مسن إعتقادا منهم ورغبة في ان يصل الطفل إلى مثل عمر هذا الرجل المسن.

١ - الإحتفال : يطلق عليه العقيقة وهي سنة اخذت عن الرسول ﷺ إذ ذبح يوم ولادته خروفين وقللت هذه العادة متبعة حتى الآن.

هذه هي اذن الممارسات (العادات والتقاليد) التي ترتبط بها الأسر الإماراتية عند حلاقة الطفل فهي جميعها تعبر عن الفرحة بهذا الطفل، وإعطاءه حقه من الرعاية والإهتمام، وإتباع سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الإحتفال وذبح الذبائح.

النفاس :

تهتم هذه الدراسة بالتركيز على كل ما يتعلق بمرحلة الميلاد من أحداث ووقائع، خاصة تلك المرتبطة بالمرأة أو الطفل وهنا تناولت الدراسة فترة النفاس من خلال نظرية الناس إليها كفترة مرتبطة بما بعد الولادة، ولأنها فترة حرجة تحتاج المرأة فيها إلى الرعاية والعلاج فتكثر الممارسات حولها، وتختلف نظرية الناس إليها، والمقصود بالناس هنا ليس المجتمع ككل ولكن المرتبطين والمحيطين بالمرأة الوالدة كالأهل والأقارب والجيران وبالتركيز على نظرة زوجها لها في هذه الحالة الصحية غير الطبيعية.

وبناء على تلك النظرة الخاصة للناس المحيطين بالمرأة تجاه حالة النفاس تتعدد وجهات النظر، والإحتياطات المتبعة لإنقاذ المرأة من مضاعفات ما بعد الولادة وخاصة تعرضها للحمى التي ربما تؤثر على قدراتها الإنجابية في المستقبل، وأحياناً قد تودي بحياتها.

أن النفاس مرتبط بحالة خوف تنتاب المرأة وأهلها فتتوقف عن العمل داخل المنزل، وتبتعد عن الزوج وعن الناس، وتداري نفسها عن عيون الناس.

الكثير من النساء في حالة النفاس يحاولن ممارسة بعض الطقوس الخاصة اعتقاداً منهم أن النفاس يعني الحسد أو يعني دخول الجن إلى جسدهن، فيمسكن سكين بيدهن في حالة قيامهن بأي عمل داخل المنزل..

البعض يمتنع عن شرب الماء لمدة سبعة أيام، وإذا كان الجو حاراً أي في موسم الصيف يضعون الماء بجانبها أو تحت رجلها ليلطف الحرارة من حولها وذلك اعتقاداً منهم بأن الماء قد يسبب إرتخاء في الرحم، بالإضافة

إلى استخدام الملح عند الوضوء أو الإغتسال.

كذلك يمنع دخول زوجها أو أحد أقاربها عليها إذا كان مارا بجنازة أو مشاركا في الدفن في المقبرة، فذلك قد يسبب لها العجز التام عن تكرار الإنجاب (وتسمى هذه الحالة الإنحباس) وهذه ظاهرة قد تكون سائدة في المجتمع العربي كله^(١).

ومن الملاحظ أن الأغلبية من أسر الإمارات أكدت أن نظرة الناس عادية جدا تجاه المرأة التي في حالة النفاس ويزورنها حاملين الإفطار ولكن هناك تأكيد على أن تكون الزائرة ظاهرة أي ليست حائضة.

فالأهل والجيران يقومون بالزيارة والإحاطة بالمرأة الوالدة لمساعدتها على تخطي هذه المرحلة، ولكن الزوج هو الذي يحاول الإبعاد عنها حتى تخرج من الأربعين أو بمرور ٤٠ يوما على إنجابها لتكون في حالة جيدة للاتصال بالزوج.

وذكرت بعض الروايات عن إذا كانت هناك إمرأتان في فترة النفاس، وزارت أحدهما الأخرى يجب أن تأخذ شيئاً من المنزل كالأكل مثلاً وذلك خوفاً من الدراس (المشاهدة) إذن تمنع الزيارة لـإمرأتين في حالة النفاس وإذا حدثت تأخذ شيئاً من المنزل ليحمي الإمرأتين من حالة الدراس، أو فقدان القدرة على الإنجاب، أو إذا كانت أرملة تمنع عن زيارة النساء لنفس الأسباب ولكن إذا كانت قريبتها فتستطيع زيارتها دون خوف أو حذر.

كذلك تمنع العروس من زيارة النساء حتى لا تتعرض النساء لحالة الدراس أي المشاهدة والعكس صحيحً أيضاً أي إذا قامت المرأة الواضعة بزيارة العروس يصيب العروس نفس الحالة أي الدراس.

وهذا يجدر بنا توخي الحذر في هذه المعتقدات حيث تؤكّد جميعها على

1- John G. kennedy, Mushahara: A. Nubian Concept of Supernatural Danger and the Theory of Taboo. in : American Anthropologist Vol. 69, No. 6, September, 1967, pp.685 - 782.

خوف الإنسان في مجتمع الإمارات قديماً من المجهول، ورغم عدم معرفتهم بذلك المجهول إنما يتركز خوفهم من الحسد والعين والجبن والشياطين فذلك هو المجهول الذي يجعلهم يبادرون بمارسات قد لا تحمل وعيها صحيحاً أو إجتماعياً مبرراً باسقديداً علمياً.

إذن تناقضت الآراء حول نظرة الناس للمرأة في حالة النفاس فالبعض يؤكد على تجنب المرأة الوالدة، والبعض يؤكد أن تعامل النساء معاملة عادلة دون أية محاذير.

والملاحظ أن الفئة التي أيدت فكرة عزل المرأة النساء عن مخالطة الناس لها، فئة أكثر إيماناً بالمعتقدات غير العلمية، فتبعدوا عليهم سمة العجز التام عن التفسير العلمي أو الواقعي لظاهرة النفاس أو الأمراض التي قد تتعرض لها المرأة الوالدة في تلك الفترة، ويمارسون العديد من الطقوس الغريبة كأن يضعوا تحت رأسها (الداس أي المنجل) منعاً من الشياطين أو تعزل في غرفة بعيدة، أو يوضع على بطنها الحصا الساخن، أو يرقدوها على خيشة بها رمل أحمر وهذه ممارسات تنم عن عدم إيجاد الوسائل الواقعية لحماية المرأة في هذه المرحلة، مما قد يعرضها للأمراض الأخرى نتيجة سوء الاستخدامات للمواد العشبية في علاجها أو تضليل جرح الولادة لديها.

وهناك من أكد على التناقض في هذه الإجابات فبينما أكد البعض على بعد الزوج عن زوجته في هذه المرحلة، هناك من رأى أنه الوحيد الذي يدخل عليها أما الآخرون فلا.

الملاحظ كذلك أن لفظ الدراس يستخدم للطفل المولود إذا تعرض لحالة زكام شديد ويمرض ويعتقد أن هذا المرض ناتج من زيارة إمرأة ليست طاهرة لهم، أي أنها على جنابة، وهنا يستخدم الماء والسدر لعلاج الطفل.

إذن تعبّر مفردة الدراس عن الإنعكاس المرضي على المرأة أو الطفل في حالة زيارة الآخرين غير الطاهرين لهم سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً من حضور

جنازة أو إناثاً لسن طاهرات (حائضات أو نوات جنب) ومن وجة نظرنا فإن هذا الإستخدام للكلمة قد يختلف قليلاً عن إستخدام كلمة المشاهرة التي تنتشر في المجتمع العربي وكذلك المجتمع الأفريقي.

أما عن السؤال الخاص بتسمية حمى النفاس في المجتمع المحلي للإمارات؟ فوجدنا اختلافات واضحة في هذه التسمية؟

- ١ - حمى النفاس.
- ٢ - حمى الولادة.
- ٣ - حمى الدرة أو الدر.
- ٤ - حمى اللح (لأن اللح يجذب العروق ويمتص اللحم مما يؤدي إلى خروج الدم - ومن لا تعالج باللح تصاب بهذه الحمى).
- ٥ - حمى الأربعين.
- ٦ - حمى اللبن.
- ٧ - حمى حليب الثدي.
- ٨ - حمى الحليب أو حمى الصدر أو حمى الثدي.
- ٩ - حمى الدبا.
- ١٠ - حمى الثلاثية إذ جاءت بعد ثلاثة أيام.
- ١١ - حمى السابعة إذا جاءت بعد سبعة أيام.
- ١٢ - حمى أم دلهم (تكسر العظم وتشرب الدم).
- ١٣ - أم الذرية .
- ١٤ - حمى المراضع.
- ١٥ - حمى تحت الحصاة.

١٦. حمى المثانة.

وجدنا ستة عشر تسمية أو مفردة لنفس الحالة أي حمى النفاس مما يعكس إختلافات واضحة في مفردات اللهجات المحلية بمجتمع الإمارات المتعدد الثقافات.

فهناك الثقافة الحضرية والثقافة البدوية وكذلك الجبلية، وكذلك الثقافة العجمية أو البلوشية وهذه لها جذور بالثقافة الإيرانية أما عن الأسباب التي تؤدي بالمرأة إلى الإصابة بحمى النفاس (أسباب نفسية - حسد .. الخ)؟.

فقد شملت كثرة شرب الحريرة وهي شراب الحبة الحمراء والسمن، أو السبب در الحليب، أو تكمن الأسباب في التعب المتبقى من الولادة ولكن التركيز هنا على أن الأسباب كانت من الثدي ودر اللبن.

وهناك من علل الأسباب إلى وقوع المرأة وتسمى (الترطيفة) أو الأسباب النفسية أي يتهدى لها أشياء غريبة تجعلها تخاف وتسخن لذلك لا تترك المرأة وحيدة بالمنزل ولا بد من وجود شخص معها في ذهابها وأيابها أو أن تكون الأسباب عدم التداوي بالملح بعد الولادة، أو أن السبب يكمن في الحسد إذ دخلت إمرأة ذات عين حارة أي ساخنة ورات الأم وهي ترضع طفلها وتعجبت منها فتصيبها بالحسد ويتوقف الحليب وتصاب الأم بالحمى، والضيق كذلك من إستمرار التواجد بالمنزل بعد الولادة مما يؤثر على حالتها النفسية.

كل تلك الأسباب قد تكون قريبة من الفهم العلمي لحالة النفاس والحمى ولكن كيف نستطيع تفسير الحسد والعين الحارة، فكلها تفسيرات أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع ولكنها أيضاً تسود بشكل واسع في المجتمع العربي الإسلامي، وهناك اعتقاد أرسخ من الإيمان نفسه بظاهره الحسد تسود بين أفراد مجتمع الإمارات ولكن ذلك لا يعني فقدان المجتمع لبعض التفسيرات العلمية والواقعية للكثير من الظواهر الصحية والإجتماعية، بالإضافة إلى المرحلة المتغيرة التي يمر بها المجتمع، والذي تبدو فيها الثوابت أكثر رسوحاً

وتفاعلًا من المتغيرات وقد تكون ضمن هذه الثوابت أو الإعتقاد بالحسد، إلا أنه يجدر التذكير بان التفسير الخيالي أو قضية الحسد والعين الحارة تسود اليوم في أكثر المجتمعات تقدما خاصة المجتمع العربي والأمريكي فهل يعني ذلك تخلفا علميا، أم قد يعني عودة الإنسان عموما إلى حالة العجز أمام تفسير الظواهر الطبيعية أو الصحية التي كثرت أشكالها، وكذلك بعض الظواهر الاجتماعية.

فهي إذن مراحل للوعي يمر بها العقل الإنساني عموما ولا نستطيع الوقوف مؤيدين لذلك أو معارضين، ولكن الحياد في النظر قد يكون موقفا ملائما في هذه المرحلة على الأقل فالحياد والقبول نوعا ما هو السائد بين الأغلبية من العقول الإنسانية يعني أن هناك اتفاقا ما، قد يكون خلفه تفسيرا جديدا، ولقد أرجعت بعض الإجابات حمى النفاس إلى الحالة الاقتصادية المحدودة التي كانت تعيشها الأسرة الإماراتية في المرحلة الماضية، فلم تكن بتوفر وسائل التدفئة للمرأة الواضعة بما يسبب تعرضها للبرد ومن ثم للحمى أثناء مرحلة النفاس.

أما عن طرق العلاج من حمى النفاس فيلاحظ العديد من الممارسات وال استخدامات والتي أهمها الأدوية الشعبية كما أكدت العديد من الإجابات على الأسئلة السابقة، إنما هناك دواء معين يسود إستعماله وهو ما يسمى (البعدة) أو الفوطن وتسمى الطبيخة وكذلك الزعتر أو قراءة القرآن أو إستخدام الماء الساخن.

هناك بعض الممارسات تكشف عن معتقدات عميقة منه مثلاً، متابعتهم لزيارة بعض الناس للمرأة الواضعة، فإذا أصيبت المرأة بالحمى بعد زيارته إحدى النساء أخذ بعض من الرمل من آثار اقدامها لتُبخر به المرأة، أو نواة التمرة التي أكلتها هذه الزائرة وتوضع في ماء ويمسح به ثدي المرأة الواضعة (المريضة) درعا للحسد أو لعين هذه المرأة.

أو إستخدام الخطف والسويدا والشب وتحرق درعا للعين الحارة، كذلك أي أن تستخدم هذه الأدوية كبخور، وإذا كانت المرأة قلقة في منامها فيقوم الأهل بإحضار "منخل غضف" أي منخل مصنوع من نبات الغضف الذي يشبه النخيل، ويقومون بتذويب رصاص في ماء ويغلي على النار، ويوضع وعاء كبير به ماء بارد على مسافة صغيرة من رأس المرأة ويوضع فوق الوعاء المنخل وبعد أن يبرد الرصاص يوضع في المنخل وخلال هذه العملية يخرج الرصاص فتصدر منه أصوات ملامسته الماء البارد فيزيل ذلك القلق عن المرأة.

إذن هناك محاولات كذلك لعلاج حالات القلق النفسي لدى المرأة الواضعة والتي تعاني من حمى النفاس والتي أي مدى تستطيع أصوات الرصاص الملامس للماء البارد أن تزيل قلق المرأة؟ ربما لا نجد له الإجابة العلمية الشافية، ولكن نستطيع اعتبارها محاولة ذهنية لشغل عقل المرأة النفسي والقلق باصوات أخرى غير تلك التي تعاني منها من التفكير الداخلي والخوف المصاحب للقلق، وربما يعني ذلك محاولات الإنسان للعلاج أو للوقوف ضد الطواهر المرضية في مجتمع الإمارات.

إن التراث الطبي في الإمارات يؤكد على وجود وسائل كثيرة ومتعددة لعلاج المرأة من حمى النفاس ولكن الجدير بالذكر أن الإنسان في تلك المرحلة استطاع أن يكشف مصاحبات تلك الحمى من الحالات النفسية (القلق والعصاب، والوسواس أو الإكتئاب) وإستطاع أن يعالجها بأدواته المحدودة وكان تركيزه هنا في العلاج على القرآن الكريم.

ويمكن للقاريء الرجوع إلى الجزء الثاني من هذه الدراسة المتمثل في المادة العلمية ليطلع بنفسه على العديد من الإجابات التي أوضحت وسائل علاج حمى النفاس ولا نستطيع ذكرها بالتفصيل في هذا الجزء حتى لا نقع في اشكالية التكرار للمادة العلمية، ولكن نوجز هذه الإجابات بما يتعلق بالأدوية وهي:-

البعدة ، الطبيخة ، الحصاء الساخنة التي توضع على البطن، أوراق شجر الشريش ، المساج أو المساح على البطن أو السخانه وهي المكونة من بهارات حارة وطحين وسكر وحبة الحمراء، الكي بالثار، الشوربة المكونه من حبة الحمراء والهيل والفلفل الاسود والطحين ويحرر ويوضع عليه الدهن البلدي أو القلابه وهي المكونة من فلفل اسود وزعتر واستخدام زيوت الحل والكركم وزيت جوز الهند للمساح والمساج، او تطيخ لها (التخويه) مكونة من الحرمل هو نبات صحراوي من الطعام وتbxr به المرأة لعدة ثلاثة ايام، او استخدام تركة صالح والمغيلان والحرمل والزعتر واللبان يغلي ويسبقى للمرأة او استخدام سدر مع بَعْرْ (اي مخلفات الغنم) لتحميم الطفل وأمه، قراءة القرآن واستخدام عملية الرصاص لازالة القلق والاكتئاب.

هذا هو ملخص طرق العلاج من حمى النفاس لدى المرأة الواضعة في مجتمع الإمارات سابقاً، مما يدل على أن هناك مواجهة دائمة لكل ما يتعرض له الإنسان من أمراض، سواء نجحت هذه المواجهة أو فشلت أو عرضت المريض للموت ولكنها تبقى في النهاية تعبر عن مواجهة إيجابية وليس سلبية.

الفصل السابع

المشاهدة

Moshaharat

المشاهدة :

إهتم الباحثون بقياس ظاهرة المشاهدة من كل زواياها فطرحت الأسئلة كما يلي :-

- ما هو الإسم الشعبي المتداول عن المشاهدة؟

- ما هي الأشياء التي تؤدي إلى مشاهدة المرأة الوالدة؟

- ما هي الحالات غير المستحب دخولها على المرأة الوالدة؟

- عندما تتم مشاهدة المرأة ماذا يحدث لها؟

- ما هي طرق ومارسات الوقاية من المشاهدة؟

ومن الملاحظات الهامة هنا أن معظم الأمراض والمشكلات المتصلة بالمرأة الولود مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بهذه الظاهرة.

فهل كان هذا تفسيراً أم هروباً أم عجزاً عن التفسير؟

لماذا تنتشر هذه الظاهرة في كل أو أغلب المجتمعات العربية والإفريقية؟

ما هي الجذور التاريخية لهذه الظاهرة في المجتمع الخليجي، والإمارات على وجه التحديد؟

للإجابة عن تلك التساؤلات نقترح إجراء العديد من الدراسات حول هذه الظاهرة، وربطها بنفس الأمراض التي تتعرض لها المرأة اليوم بعد الولادة وفي ظل التطور الصحي ومقارنة تفسيرها علمياً مع تلك التفسيرات الغيبية.

وما نحاول التركيز عليه هنا ليس الممارسات والمعتقدات في حد ذاتها بقدر إهتمامنا إذا كانت تلك الممارسات تكشف عن نوعية العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع الإمارات، وشكل البناء الاجتماعي الخاص بهذا المجتمع في المرحلة السابقة.

ورغم اننا نعي ان مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية يبحث في الإطار الفولكلوري التوثيقي فقط، إلا اننا نربط هدفنا هذا "الكشف الاجتماعي" (ربما نستطيع تسميته هكذا) بهدف المركز، ولعل في ذلك تلامساً بين ما يسعى إليه مركز التراث وما يسعى إليه علم الاجتماع من أهداف.

فالتراث بما يحمله من مأثورات وممارسات ومعتقدات يعد اليوم وعاءً زاخراً بالمادة العلمية الهامة ليعرف منها عالم الاجتماع ويصل من خلالها للكشف والتحليل لبلورة صورة هذا المجتمع أو ذاك في آية مرحلة زمنية كانت.

إن الأصل اللغوي لكلمة (مشاهرة) هو (المحظور)، وهذا الفصل يقدم شرحاً وافياً حول ما يسمى بظاهرة المشاهرة.

المشاهرة ظاهرة نفسية غريبة وهو من المعتقدات الشعبية السائدة، ونستطيع أن نطلق عليها إسم ظاهرة نتيجة لانتشار الاعتقاد بها بين الناس.

قد يبدو من الإجابات بعض الاختلافات فيما إذا كانت المشاهرة ظاهرة منتشرة أم لا؟ ولكنها في أغلبها تؤكد وما زالت على أن المشاهرة كانت ولا زالت مستمرة حتى يومنا هذا، ويقتصر بها الكثير من الأسر حتى وإن لم يجدوا لها أي مبرر علمي.

أولاً : المشاهرة وسمياتها المحلية:

والملاحظ أنه لم يستطع الإخباريون تذكر الكلمة المستخدمة بمقابلة كلمة المشاهرة، ولكنهم على الأقل اتفقوا على كلمة الدرس بافعالها المختلفة (مدرسسة ، مدارس ، مدرس إدريس ، دارس ، مدارس ميت ، أو مدارس عرس ، الدراسي) يمكن أن يكون بسبب التواجد مع ميت أو مخالطة عروس، كما يمكن أن يحدث للمرأة والطفل كذلك، ويمكن أن يستمر فترة قصيرة أو سنوات طويلة حتى تتم إزالته بمعارضات وطقوس مختلفة .

ومن خلال المقابلات استطعنا ان نستخلص المفردات الأخرى منها مثلا:

١- المشاهرة : ولها ثلاثة معانٍ (التوقيت الشهري ، الإعلان ، الذكر بالسوء)
فأي المعاني لها صلة بطبيعة الظاهرة هنا؟

٢- الدراس : المدارس او المدرسة من درس بمعنى داس (وطع مس . ضغط على).

٣- الكبسة : بمعنى الإغارة او الهجوم على حين غرة ، والمعنى هنا هو الإغارة الطقوسية الضارة او الشريرة.

٤- الصدایا: (من الصدى : رجع الصوت) أو من الصدى : التعرض.

٥- جلة باند (كله باند) ربما ليست بلوشية ، او بلوشية ماخوذة من الإنجليزية، لأن معنى باند Banned في الإنجليزية المحظوظ او المنوع.

٦- السیاج : بمعنى الحماية او المحظوظ.

٧- الربـط : بمعنى التأثير الإرتباطي بين شيئين.

٨- المنافـسة : بمعنى الغيرة والحسد.

٩- عوض بخت: بمعنى إنتقال البخت من فرد لأخر في حالة . تماثل الحالتين.

يعتقد في بعض المجتمعات العربية أن كلمة مشاهرة موجودة بنفس التسمية، أما في مجتمع الإمارات فهي ليست موجودة على الإطلاق، بل قالوا أنها جاءت مع القبائل الفارسية التي عاشت في المنطقة، أما (المدارسة) فالمقصود بها عدم إنجاب المرأة وهي عروس في حالة ما إذا دخلت عليها إمرأة والدة وأكلت من طعامها، أو أن تمنع زياره العروس لصديقتها العروس التي تزوجت معها في نفس اليوم وذلك حتى لا تتعطل عن الإنجاب.

اما عن كيفية فك (المدارسة) فذلك يتم بـن تؤخذ المرأة التي تعرضت لهذه الحالة إلى قبر إنسان ميت، ومقتول بالخطأ، ويطوفوا بها القبر ويقولوا (يا

مذبوج بلا يرمي فك الدرس عن الحرمة) ويعتقد ان الكلاب ايضاً تتعرض لظاهرة (المدارسة).

هل هذه المفردات مترادفات مع بعضها، ومع المفهوم الاساسي المطروح؟ أم أنها مفردات قد تتشابه أو تختلف على نحو ما، وبالتالي فهي متربّطات وليس متّرادفات.

ولهذا يمكن القول بأن مفهوم المشاهرة يتضمن العديد من المفاهيم المتربّطة والمتداخلة، ولهذا فهو ليس بمفهوم واحد، وإنما مجموعة من المفاهيم يمكن الإشارة إليها إصطلاحاً بمنظومة المحظور أو Tabo.

هذه هي المفردات التي أمكن إستخلاصها، والتي تتفق في غالبيتها على كلمة «الدرس» وبالتالي قد يكون ذلك التعدد ناتجاً عن الإختلاط باللغات الأخرى، وهنا يجدر الإهتمام بأن هذه الدراسة قد ساعدت من خلال العديد من الأسئلة وبنود الدليل الذي تم إستخدامه في تقديم الكثير من المفردات الشعبية الهامة، والتي ربما كانت إحدى الأهداف الرئيسية لها، فتستطيع في دراسات مستقبلية أن توضع هذه المفردات وتجمع في شكل قاموس شعبي تراثي، وسوف يساعد ذلك كثيراً في إثراء المكتبة التراثية في الخليج.

ثانياً : المشاهرة : وقواعد الإجتناب والحالات المحظورة :

إن أهم الأشياء أو الأحداث التي تؤدي إلى المشاهرة، أو المدارسة، أو الحسد، أو عوض بخت، كما أطلق عليها العجم هي على النحو التالي :-

١. إذا استحمت النساء في ماء الغدير أو ماء المطر.

٢. إذا دخلت عروس على المرأة الوالدة. توقفت هذه المرأة عن الحمل الآخر
(درس العروس).

٣. إذا دخلت ضيفة على المرأة الوالدة، وكانت قادمة من عزاء، (درس الميت).

٤. إذا أكلت المرأة الوالدة في منزل زوجة تقضي أيام العدة.

٥. إذا زارتها إمرأة كانت تغسل ميتا قبل دخولها عليها.
٦. إذا تزوجت إمرأتان في أسبوع واحد يتدارسن أي يتشارحن.
٧. إذا تزوج اثنان من الرجال في أسبوع واحد واكلا من وعاء واحد يتدارسان أو يتشارحن أي تتوقف قدرتهم على الإنجاب.
٨. إذا دخلت إمرأة في مرحلة الحيض على المرأة الوالدة تدارسها.
٩. إذا دخلت إمرأة لا تحمل (عاقة) على إمرأة حامل ممكناً أن تدارسها إلا إذا أعطتها بعد ولادتها شيئاً من أكلها حتى لا تحدث المشاهرة.
١٠. إذا دخلت امرأة تتوجه على عروس تصاب الأخيرة بالدراسة إلا إذا طلبت منها شيئاً كالأكل.
١١. إذا كانت المرأة في الأربعين، وزارتتها أخرى والدة أيضاً يحدث الدراسة.
١٢. إذا كانت إحدى النساء مستحمه أو رأت شخصاً عائداً من سفر ثم دخلت على الوالدة يحدث الدراسة.
١٣. إذا دخلت إمرأة عينها حارة على الوالدة يحدث الدراسة.
١٤. إذا كانت إحدى النساء إنتهت لتوها من التزيين وتضفيير الشعر (حيث كانت عملية التضفيير تتم مرة كل شهر) وتتدخل على والدة يحدث الدراسة.
١٥. إذا كانت إمرأة في حالة جنابة أي (لم تغتسل من مخالطتها لزوجها) وتدخل على الوالدة يحدث الدراسة.
١٦. إذا حملت إمرأتان في نفس الوقت، وأنجبتا في نفس الوقت قد يحدث الدراسة أو المشاهرة وفي هذه الحالة يحدث الدراسة لأحد الأبناء المولودين أي يولد مريضاً أو معوقاً.
١٧. مدارسة أو مشاهرة الأطفال (إذا أنجبت إمرأة ولداً واكلا من منزل أخرى أنجبت بنتاً فيظل أحد الأطفال يبكي) أي يدارس.

ثالثا : المشاهرة وممارسات وإجراءات الوقاية والمعالجة:

والممارسات للوقاية من المشاهرة هي :

١. قراءة القرآن على المرأة في حالة الدراس أو المشاهرة.
٢. إستعمال الأدوية الشعبية.
٣. تؤخذ المرأة التي لم تنجي لفترة طويلة إلى أخرى والدة ويحلب من ثدي الوالدة على العاقد للعلاج.
٤. تؤخذ في قارب صغير إلى البحر لتخويفها ومحاولة من الزوج لرميها في البحر ليفك الدراس.
٥. وضع الحصا الحار على بطن المرأة المدروسة.
٦. إذا تدارست إمرأة (دراس ميت) أي بسبب زيارة لبعض الأقارب الحاضرين للجنازة يؤخذ من تراب قبر ذلك الميت ويرش على رأس المرأة ويفك الدراس.
٧. إذا تدارست المرأة بسبب عروس (مدارس عروس) يأخذوها لنفس العروس لتناول من أكلها في مرحلة أخرى.
٨. إذا كان الطفل في حالة دراس (يعرض لبخار ماء من حلة تغلي على النار). أو تمر المرأة المدروسة عدة مرات فوق قدر يغلي.
٩. أن تذهب المرأة إلى قبر رجل (مذبح) لتطوف عليه أو تغسل بتراب القبر.
١٠. علاج (المخبن) أي كشط الجلد في مكان من البطن أو مكان ورم يمنع الحمل وتوضع المخبنة أي الآلة الحادة من الحديد على الجسم، ويساعد ذلك إعادة القدرة على الإنجاب للمرأة في حالة الدراس.
١١. الإغتسال بالسدر. (سبق تعريف السدر)
١٢. أن ينخل على المرأة المدروسة روث الحيوانات.

- ١٣- إزالة مدراس الطفل حيث تأتي إمراة حائض وتبلل شعرها بالماء وتعصره على الطفل فيزول عنه الدرس.
- ١٤- إذا كان الدرس من أرملة قاعدة اي في حالة العدة تزورها المرأة المدرسة وهي أثناء العادة الشهرية او عند الإغتسال منها وتغسل في منزل الأرملة، وتحمل داس اي المنجل وتقول : (ياداس فك الدرس).
- ١٥- ان تقطع المرأة المدرسة بحراً او تذهب إلى منطقة تبني فيها السفن، وتتخطى "بيص" الركب (اي القطعة المركزية من الخشب أسفل السفينة)، او تتخطى أساس بناء لم يكتمل، اي تطوف عليه ثلاث مرات.
- ١٦- أن تأكل العروس من منزل اخرى متربلة حتى لا يحدث لها الدرس اي ان تأكل ذلك الاكل قبل ان يدخل عليها زوجها.
- ١٧- ان يحضر زهاب اي عروس (جهازها) ويوضع في حضن المرأة المدرسة ويقوموا بإزالته قطعة قطعة لـيزول دراسها.
- ١٨- زيارة قبر الأولياء وذبح الذبائح.
- ١٩- ان يقطع الحبل السري لإحدى النساء الوالدات وتجلس عليه المرأة العاشر فيزول الدرس وتعاود الحمل والانجاب.
- ٢٠- حرق نوى التمر الذي أكلته المرأة المشاهرة ومعها المرأة الأخرى ثم يحرق النوى تحت جسم السيدة الأخرى حتى ينفك عنها، او تسقى من الماء المتبقى الذي غسلت به الوالدة يدها.
- ٢١- اهم طرق علاج المشاهرة هي بالتوكل على الله وهذه إجابة تكررت عند الكثير من الإخباريين مما يعني إرتباط أهل الإمارات بالدين الإسلامي والتوكيل على الله عند حدوث المصائب.
- هكذا إذن تتعدد ممارسات وسائل علاج حالة المشاهرة او المدرسة، وإذا أردنا تقديم بعضها للتحليل فسوف نجد الإيمان بالغيبيات يسود كل تلك

الممارسات وكذلك السحر، والإيمان بالعين (الحسد) واستخدام كل وسيلة محاولين الوصول لعلاج تلك الحالة.

رابعاً : المشاهدة: الظاهرة والتفسير :

إن هناك حوالي ستة عشر شكلاً من أشكال المدارسة أو المشاهدة، كلها ترتبط بالتفكير الميتافيزيقي الذي لا يمكن تفسيره بالمنطق العلمي، ورغم ذلك فينتشر بين أهل الإمارات حتى الآن ويحاولون تحاشي هذه المواقف درءاً للمشاهدة أو المدارسة أو الجلة باند (كما يسميها البلوش).

وإذا أردنا أن نعود إلى «الكشف الاجتماعي» وإستنباط بعض التفسيرات لذلك المجتمع القديم، وربما الجديد أيضاً لقينا أن الخوف سمة من سمات ذلك المجتمع، وان العلاقات الاجتماعية رغم قوتها في الماضي إلا أنه يشوبها شيء من الحذر والوجل بحيث يخاف الناس كثرة التواصل في أثناء مراحل الحمل والولادة وما بعد الولادة، وتحاط تلك العلاقات بشيء من التكتم حتى أنه أحياناً لا يعلن عن الطفل المولود حتى تمر أيام يزول معها خوف فقدان ذلك المولود.

ومن إحتمالات التغير الاجتماعي التي تكشفها لنا ظاهرة المشاهدة أيضاً، أن الإنسان في تلك المرحلة لم يستطع أن يفسر أزماته أو الأمراض التي كان تعرض لها إلا بوسيلة (التشبيه) وربط الظواهر ببعض، وهذه أقل القدرات العقلية إمكانية في إيجاد التفسيرات.

بمعنى أن يفسر فشل المرأة في الإنجاب، لأنها تزوجت في نفس اليوم مع إمرأة أخرى لم تنجب أيضاً (او عاقر)، تعيز ذلك العقل لأنسان الإمارات بسمة التشاؤم أيضاً، فهناك تشاؤم وخوفٌ من القاسم من العزاء، أو الزائرة الحائضة أو ذات الجنابة، أو من الحسد والعين الحارة، كما تكشف عنها تلك الحالات الست عشرة والتي نستطيع أن نطلق عليها «إحتمالات المشاهدة» الست عشرة لمجتمع الإمارات العربية المتحدة».

والحقيقة أن هناك بعض الأحداث التي تربط بها الظاهرة ولم نستطع إيجاد تفسير لها، وربما حاول البعض تفسيرها في دراسات أخرى شبيهة مثلاً ذلك، لماذا يحدث الدراس لإمراهتين تزوجتا وانجبتا في نفس الوقت؟ ولماذا تتوقف أحداهن عن الإنجاب، تصاب بال مشاهرة؟ ولماذا ربط المبرر بالمرأة الأخرى؟

أن المعتقدات المتصلة بال مشاهرة تشير إلى خطورة المشاهرة أو الدراس وما يترتب عليها من نتائج سلبية أو خطيرة على المرأة ومولودها. ومنها أن المشاهرة قد تعني عدم الإنجاب مرة أخرى أو تصاب بحمى ويفنى عليها.

- أو تصاب بالهفاف أي حالة هستيرية.

- أو تصاب بأم الصبيان أي الضرر (أي دخول الجن إليها).

- المرض حتى الموت.

- أو يصاب الطفل بالكساح أو الإعاقة.

- التزيف.

ولكن في الأغلب فإن المدارسة أو المشاهرة تعني عدم الإنجاب لفترة أو لبعض السنوات ثم تعود المرأة للإنجاب مرة أخرى، بعد قيام الأهل بإجراء بعض الممارسات وطرق العلاج وهي عديدة ومتعددة.

وقد نستطيع هنا إيجاد مبرر لكل تلك الممارسات الشعبية والغريبة مقاومة "العقم" لا وهو إرتفاع قيمة الإنجاب لدى الإنسان عموماً، فدائماً تعكس الممارسات قيمـة معينة يؤمن بها الإنسان وتمثل ضمنـاً تلك الرغبة في الإـستمرار، ومقاومة التوقف أو الموت.

إن الحياة في مجتمع الإمارات في تلك المرحلة التي كانت تخلو فيها أو تتضاعـل فرص التطور والتقدم كانت مليئة بالعديد من القيم والمعتقدات التي

برزت كلها في هذه الممارسات، والعادات والتقاليد التي تتضمنها مرحلة الميلاد للمجتمع، وربما تساعدنا الفصول القادمة من هذه الدراسة في إكتشاف المزيد والمزيد من تلك القيم والمعتقدات الراسخة في مجتمع الامارات.

الخلاصة:

يمكن الإشارة إلى أن «الولادة» تعد مرحلة إنتحالية من حياة المرأة والمولود، فالمرأة تنتقل إلى دور الأم والمولود ينتقل من مرحلة العدم إلى مرحلة الوجود، ومن مرحلة الجنين إلى مرحلة الطفل الذي سيصبح عضواً في المجتمع.

ومن هذا المنظور فإن المجتمع يحيط بهذه الفترة الإنتحالية بكثير من الممارسات والطقوس، وقواعد الاجتناب والمحظوظ، وذلك بهدف حماية المرأة والمولود.

فالاعتقاد من منظور مقارن - هو أن الإنسان يكون أكثر عرضة للتاثير بالقوى الضارة أو الشريرة - في مرحلة الإنتحال ولهذا سميت هذه الطقوس والممارسات وقواعد الحظر بطقوس المرور أو طقوس الانتقال.

الفصل الثامن

إخفاء نوع المولود

**Keeping Secret the
Sex of Child**

إخفاء نوع المولود:

أن إخفاء نوع المولود ربما يكون نوعاً من السلوك والممارسات التي يحرص عليها الأفراد المحيطين بالمرأة الواقضة حتى يستطيعوا تجنب آية أزمات قد تتعرض لها المرأة أو طفلها، والمادة العلمية التي قدمت من خلال المشاركين في هذه الدراسة اثبتت جدية الظاهرة، وتمسك أغلب الأسر بها، أي بفكرة إخفاء المولود ونوعه عن الناس سواء كانوا من الأقارب البعيدين أو من الجيران المحيطين بمنزل هذه الأسرة، أو من الغرباء، لهذا تركز التعقيب أو التحليل على القضية التي هدفتنا إلى الكشف عنها وهي لماذا يخفي نوع المولود؟

ولقد كان الحسد والعين الحارة هي الظاهرة التي تعبّر عن الخطر الذي تتعرّض له الأسرة الإماراتية في كل مراحلها، وهذا ما أثبتته كل فصول هذه الدراسة، رغم رفض البعض لذلك والتمسّك بالقدرة الإلهية، إلا أن أغلب ممارسات الإنسان كان يندفع لها نتيجة خوفه من الحسد والعين الحارة والجان ، وهذا ما يدفعنا للقول (اننا نرى ضرورة ماسة لتبني مراكز البحث المختلفة هذه الظاهرة، القيام بدراسات وافية عنها، بشكل يغطي كل جوانبها بحيث نستطيع الوصول إلى حقيقة هذا الخوف، وكيف أثر على حياة الأسرة والفرد في هذا المجتمع، أو غيره من المجتمعات الخليجية).

ولمحاولة تفسير وتحليل ظاهرة إخفاء المولود نبدأ بالإشارة إلى محاولة إحصائية مبسطة لمجموع (٧١) إجابة عن السؤال الخاص بمعطيات المولود وجاءت كما يلي :

. ٤٦ موافقون على إخفاء المولود سواء كان ولداً أو بنتاً.

. ٩ رافضون للإخفاء.

. ٣ غير مبالين.

- ٥- يخفون المولود الجميل والسمين فقط.
- ٦- يخفون البنت عن الأب لفترة محددة.
- ٧- اجابت بالاخفاء لدى البلوش وليس العرب
- ٨- أجابو بالخفاء التوائم فقط.
- ٩- إجابة واحدة أكدت الإخفاء للمولود القاصر.

نلاحظ من تلك الإحصائية أنه (٤٦) إجابة أكدت إخفاء المولود سواء كان ولداً أم بنتاً، مما يعني ترسير قيمة الخوف من الحسد لدى الأسرة الإماراتية، وتأكيداً على ذلك بعضهم أجاب أن الإخفاء يتم لو كان المولود ذكراً ويتم الإعلان عنه على أنه أنثى خوفاً عليه من الحسد أكثر من خوفهم على الأنثى، لما للذكر من قيمة أكبر لدى الأسرة الإماراتية، وأنه قد يتعرض للحسد أكثر من البنت، الآخرين تباينوا في الإجابات فبينما يخاف البعض على المولود الجميل، أو على التوائم وذلك خوفاً من حسد المرأة التي وضعتهم، أو إخفاءه إذا كان قاصراً عن التسعة أشهر حتى يتم شهوره ويعلن عنه، وقد تكون هذه الإجابة واقعية، ومبررة علمياً حتى لا يتعرض هذا الطفل القاصر للأمراض المنقولة من الأقارب خاصة وأنه لا يكون قادراً على مقاومة الميكروبات المنقولة من الأقارب.

الفرح بالإنجاب بـ المواليد الجدد في الأسرة، قد يبرر ذلك الإخفاء قليلاً، ولكن قد تكون ردة الفعل للأهل بالإعلان عنهم والتباكي بهم.

إذن تعبّر ظاهرة إخفاء المولود عن قيمة راسخة لدى الإنسان سواء كان رجلاً أو إمراة في هذا المجتمع ألا وهي الخوف من الحسد، ولكن ظل السؤال لماذا يخاف الناس من الحسد؟

وما هي طبيعة هذه القوة التي تؤمن بها العامة، وتسمى الحسد؟ وما هي إنعكاسات هذا الشعور أو المعتقد الراسخ على الممارسات الحياتية المختلفة سلباً أو إيجاباً؟

نشير هنا إلى عنصر آخر من عناصر هذا الموضوع وهو يتصل بالمنطقة الزمنية التي يخفي فيها المولود، ووجدنا الكثير من الاختلافات في هذا الأمر، فالجدير بالذكر أن الاجابات التي يقدمها الرواة أو الروايات في هذه الدراسة تتخذ أحياناً الوضع البندولي Pendulum الذي يتارجح أحياناً بين القبول والرفض، بين الإثبات والنفي وقد يكون هذا نتيجة للتقابل أو عدم التمييز أحياناً بين المعتقدات الإسلامية السلفية وبين المعتقدات الشعبية، أو مظاهر الثقافة المحلية، المظاهر الوافدة، أو التباين النسبي بين بعض الثقافات الفرعية المحلية (ساحلية، جبلية، صحراوية)!!.

فبينما ترتفع الأصوات كلها موافقة على بعض الممارسات، تتراجع أحياناً إلى الوراء لترفض أو لتجد تبريراً لموافقتها، فنحن هنا أمام دراسة تعتمد على الذاكرة في المقام الأول، وعلى الرأي الخاص، وعلى الرأي العام ثم على التصورات، ثم نتابع مشاعر الناس تجاه بعض الظواهر وهكذا تكون قد جمعنا شمل كل الوسائل من أجل الحصول على تلك البيانات.

فالإخباريون قدموا لنا فترات زمنية متعددة لإخفاء المولود حتى يكبر وهذا المدة غير محددة.

وكان هناك من ذكرت أن الإخفاء يبدأ من لحظة الميلاد وحتى (٤ أشهر) أو سنة، ثم يعود البعض ليحدد المدة بأنها أربعين يوماً فقط، ثم (٣ أشهر) ثم إلى حين يمشي الطفل قبل السنين أو إلى أن يكمل السنين ثم يعلن عنه.

ومن الحالات التي اشارت إليها الروايات أن هناك إمرأة أخفت إبنتها عن الناس وعن إمرأة ذات عين لمدة (٤ سنوات) (أو خمس سنوات) تقريباً، وردت أن هناك من يخفي لمدة (١٠ سنوات) وذلك خوفاً من الحسد.

وهذا ما يستوقفنا في هذه الدراسة فهناك بعض الطقوس التي تستمر وبالتالي قد تكون عاملاً من عوامل المعاناة بالنسبة لبعض الأفراد، فما ذنب هذا الطفل الذي يخفي عن البشر حتى يصل إلى سن العاشرة دون أن يصر

بتجارب الطفولة؟ ودون أن يعيش سنه بحرية ويصعب عليه تعلم المعايشة الإجتماعية مع الأهل والجيران،

إذن يقع هذا الطفل ضحية لهذه الممارسة الخاطئة الناتجة عن الخوف من الحسد، وبالتالي يفتقد الفرص لتكون شخصية إنسانية تستطيع اكتساب التجارب التي تحتاج إليها، وتمارس عليه سلوكيات من مخلفات التفكير السائد.

ومن هنا ننطلق إلى أن هذه المادة التراثية تقدم لنا هنا الأبعاد الإجتماعية التي تحتاجها لدراسة البنية الإجتماعية لمجتمع الإمارات، وتكتشف لنا التشكل الإجتماعي الذي كان قائماً في تلك المرحلة، ولسوف تقدم هذه الدراسة في فصولها القادمة صوراً أخرى عن الكثير من العمليات الإجتماعية وخاصة بالنسبة لفصل التنشئة الإجتماعية.

وعند السؤال عن كيفية الإخفاء هل بتغيير الإسم؟ أو الزي؟ أو الملامح؟ كشفت لنا المادة العلمية عن أساليب عدة سيتابعها القارئ من خلال الإجابات، ولكننا هنا نختار بعضها لإعطاء بعض الدلالات الإجتماعية والنفسية والثقافية، ونكتشف من واقع الإجابات أن الإخباريين يعودون للتأكيد على مسألة الإخفاء رغم أنها تجاوزناها في السؤال السابق مما يدل على عمق هذه الظاهرة، فالتأكيد يأتي هنا لتبرير طريقة الإخفاء، فهناك من يرى أن الإخفاء يتم بتغيير هذا الدور وهنا نلاحظ ملمحاً جديداً من ملامح أدوار أفراد الأسرة التي تثبت من خلال ممارسة العادات والتقاليد أن هناك هدفاً كبيراً يندفع الجميع لتحقيقه، كل بحسب مركزه في لأسرة المجتمع وهو هدف البقاء والإستمرار في بيئه شحيلة قليلة العدد والعدة.

فالمجتمع يجب أن يحافظ على أفراده، وأن قوة البقاء تستمد من قوة الأفراد، وهذه بدورها بحاجة إلى إمكانيات، ورغم شح إمكانيات المادية والإconomics إلا أن المجتمع آنذاك يستطيع أن يقاوم كل تلك الظروف إلى أن أن

له الدخول في المرحلة الجديدة مرحلة النفط والتغيير الشامل، ولو عدنا إلى الإجابات لاكتشاف من هم القائمون على إخفاء الطفل بالأساليب السابقة الذكر فسوف نجد أن الأب يشتراك في هذه العملية باتفاق مع الأم، وهنا يبرز لنا دور جديد يقوم به الأب رغم إبعاده عن الظهور على مسرح العادات والتقاليد لمرحلة الميلاد حتى الآن إلا فيما ندر من ممارسات تحدثنا عنها في السابق، والدور الأكبر كانت تقوم به المرأة سواء كانت الزوجة أو الأم أو الاخت أو الجدات، فمرحلة الميلاد وما قبله مرحلة ملك للمرأة في مجتمع الإمارات، والرجل فيها مشارك سلبي ربما في التهيئة للمرحلة فقط، ولكن يبدأ بعد ولادة الطفل حيث يبرز على هذا المسرح ويمارس حقه في إخفاء ابنه عن رؤية الآخرين لحمايته، ولكن السؤال هل لو كان المولود بنتا سيشارك الأب في إخفائها؟.

ان القلة من الاخباريات أكدت دور الأب في الإخفاء وهذا ما يشير إلى محدودية تدخل الأب في الحياة الأسرية وهذا يعتبر بعدها جديدا يضاف إلى بنية الأسرة الإماراتية، وربما كان ما نلاحظه اليوم في ذات المجتمع من انحسار دور الأب في التربية والمشاركة في حياة الأسرة ربما يعد مجرد إستمرار أو إمتداد لذلك الدور فيما قبل مرحلة التغيير وهنا نضع أيدينا على جذور هذه الظاهرة، وربما بعد فترة من السير في هذه الدراسة سنكتشف أبعادا أخرى وأسباباً محددة لنمو هذه الظاهرة الغريبة، لا وهي انحسار دور الأب في التنشئة وكذلك في الحياة الأسرية على العموم.

اما عن ردود الفعل تجاه تغيير نوع المولود فالملاحظة العامة هنا قبول فكرة الإخفاء للمولود لدى الأهل والجيران ولكن عند التطبيق يتضائق بعض الجيران، هذا ما تثبته الإحصائية التي ذكرت في بداية هذا الفصل مما يعني أن الدراسة تسير بنسبة عالية من المصداقية في التأكيد على بعض الظواهر، ورفض البعض الآخر، فكلما سار البحث قدما نحو بقية الإجابات تتضح الصورة المجتمعية أكثر، ويزول عنها بعض الغموض وعدم الوضوح.

فالأهل يقبلون بإخفاء مولودهم لحمايته من العين، والجيران يقبلون ولكن يشعرون بأنه سيأتي يوم يعرفون فيه المولود الجديد لدى تلك الأسرة الجارة، والأقارب البعيدين يقبلون بفكرة إخفاء مولود تلك الأسرة ويعزّمونهم أيضًا على القيام بإخفاء مواليدهم عندما يحين ذلك، فإن ردود الأفعال تجاه هذه الظاهرة هنا تقترب كلها من بعض وإن كان هناك من يسخر ويهزأ أحياناً منها إلا أنه في قرارة نفسه يؤمن بالظاهرة وهذا ما نريد إثباته لتكميل الصورة التي نبحث عنها لبنيّة المجتمع القائم على بنية الأسرة.

أما عن التأكيد على أوجه القبول أو الرفض تجاه فكرة إخفاء المولود فيلاحظ القارئ هنا أن الأغلبية لم توضح رأيها مما يعني إشارة واضحة إلى ملل المبحوثين من تكرار الطلب للكشف عن هذه الظاهرة، مما يعد طبيعياً حيث يشعر أفراد عينة البحث بملل البحث عن إجابات تأكيدية في مثل هذه الدراسات الطويلة.

أما السؤال الخاص بردود الفعل عند الطفل المخفي نوعه عندما يكبر ويدرك حقيقة جنسه فقد كانت بعض الإجابات تشير إلى أن الطفل يخبر بهذه الحقيقة حتى لا يصدّم عندما يكبر وهذا يعد موقفاً إيجابياً في طرق التنشئة والباقية أكدت أنه لا يخفي جنسه، بل يخفي فقط عن الرؤية.

ومن الممارسات المتصلة بإخفاء المولود دهن جلده بالنيل الأزرق وإلباسه ملابس متتسخة أو قصيرة، أو غير لائقة حيث تكون مرقطة بالوان متعددة، أما عن تغيير الملامح فبعضهم يرفض هذه الفكرة ويقول أننا لا نغير الملامح بدليل أننا نكح الطفل سواء كان بنتاً أو ولداً وهذا لا يدل على التغيير للملامح، بل يدل على عادة الأهالي بتزيين الأطفال كما ذكرنا في الفصل السابق.

أما عن تغيير الإسم فلم نلاحظ تأكيداً على هذه العادة الشعبية ولكن البعض فقط وافقوا على أنهم كانوا يقومون بتغيير الإسم إذا لاحظوا أن الطفل يمرض كثيراً فيقال أن إسمه ثقيل عليه، فيقومون بتغييره، بعد سنتين أو

ثلاث سنوات وذلك بالإحتفال ودعوة الأهل والجيران وإعلان الإسم الجديد.

وأحياناً يقومون بالتغيير للإسم نتيجة الخوف من العين التي قد تكون سبب لـه أمراضاً معينة، كما يعتقدون وهنا نجد إعتقاداً لدى أفراد المجتمع يثبتون فيه أن تغيير الإسم للطفل قد يساعد على تخلصه من عين أصابته دون أن تصلي على النبي.

أما عن الأسماء المختارة للتغيير فمثلاً إذا كان إسمه محمد يغير إلى درويش أو يستخدم إسم (حميروه) تصغيراً للحمار، وقد يكون معناها الطفل الأحمر.

ولقد قدمت الإجابات الأكثر رفضاً لقضية تغيير الإسم إلا فيما ندر، والتاكيد فقط أن الإخفاء يكون بإبعاده عن رؤية الآخرين حتى تمر فترة زمنية محددة.

أما من يقوم بهذا الدور أي دور الإخفاء؟ فالواضح أن الأم نفسها، أو الجدة/ أو الخالة/ والعمة/ المقربين للأم الوالدة هم الذين يلعبون هذا الدور وجاءت الإجابات متراوحة بين أن الإخفاء يتم برضى الأب وفهم الطفل عندما يكبر لذلك، وللهدف من هذا الإخفاء، وبين حيرة الطفل لذلك دون أن يعرف سبباً واضحأ لإخفاء نوعه أو إسمه، وبين مؤيد ورافض.

إن هذه الظاهرة عندهم عادية وبالتالي لا توجد لها ردود أفعال، وهناك بعض الاراء وجدت أن الطفل الذي يخفي نوعه لا ينمو نمواً نفسياً طبيعياً أي قد يتعرض لمرض (التخنث) أي عدم ثبات نوعه وتبدو عليه ممارسات معارضة لرجولته.

فإن هناك سلبيات حقيقة كشف عنها هذا الفصل وخاصة في ظاهرة إخفاء المولود فهي بالضرورة تؤدي إلى سوء في التنشئة الاجتماعية للطفل المخفي.

الخلاصة :

١- السبب الأساسي في الإخفاء هو الحسد أو الخوف من العين الشريرة، خاصة وأن الثروة الحقيقية في هذا المجتمع البدوي «ثروة الأولاد» وبالأخص الذكور وهم عصب القوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للأسرة والقبيلة.

ولكن تبقى هناك بعض التساؤلات الفرعية :-

أ- إلى أي مدى ترتبط هذه الظاهرة أحياناً بظاهرة «الخطف» والذي كان يمارس وبالأخص بين بعض القبائل المتناحرة؟ والذي يمكن تسميته «بالإنجاب الجهاز» كما قد يكون آلة دفاعية أو وسيلة لحماية من الخطاف أيضاً.

ب- إلى أي مدى ترتبط هذه الظاهرة بمعدلات الوفيات العالية بين الأطفال في تلك الفترة الحرجة؟ أي أن الإخفاء هو من طقوس الانتقال أو المرور (Rites of Passage) للدرجة التي يعتبر فيها الطفل وكأنه مازال جنيناً.

ج- إلى أي مدى ترتبط هذه الظاهرة أحياناً بقيمة «الشرف» «والعار» ومن ثم «الستر» خاصة عند المولود القاصر .

الفصل التاسع

ولادة التوائم

Birth of Twins

ولادة التوائم: ^(١)

إن ولادة التوائم في مجتمع الإمارات تعتبر ظاهرة نادرة، أو قليلة الحدوث بالنسبة للأسرة الإماراتية وهي تكشف لنا العديد من الممارسات، والعادات والمعتقدات السائدة في المجتمع آنذاك ومنها إستخدام التوائم لعلاج بعض الأمراض، لبعض أفراد الأسرة الذين يتعرضون لأمراض غامضة لا يدرك الآخرون طرقاً لعلاجها فالإعتقاد أن التوأمين يحملان قوة روحية أو غيبية خاصة من الممكن أن تشفي بعض العاهات، والأمراض، وقد يكون هذا الإعتقاد نابعاً من حيرة الإنسان وعدم فهمه للأسباب التي أدت بالمرأة إلى ولادة التوائم فدائماً عندما يصعب تفسير ظاهرة ما في مجتمع الإمارات تستخدم نفس الظاهرة للعلاج، والكشف والتيمن، وهذا ما يمكن أن نسميه «الحقيقة الأولى» أو النتيجة العامة التي توصلنا إليها في هذه الدراسة والتي تكررت إذ غالباً ما يكون وراء الممارسات والعادات والتقاليد في المناسبات المختلفة تصورات فوق عقلانية، فولادة التوائم تحدث في كل المجتمعات وتثير العديد من التساؤلات بالنسبة لتلك المجتمعات التي لا يستطيع أفرادها تفسير هذه الظاهرة، فالتفسير الطبي لم يكن وارداً في تلك المرحلة، وبالتالي توقعت

أما بالنسبة للأسئلة قد جاءت كالتالي : -

- إنذر حكايات أو قصص أو نوادر تدور حول التوائم ؟
- إذا توفى واحد من التوائم هل يموت الآخر ؟
- كيف يتم تنظيف الطفلين ؟
- كيف تربت鱠ن رضاعة الطفلين ؟
- ما هو رد الفعل للمجتمع تجاه ولادة التوائم ؟
 - أ - الزوج.
 - ب - أقارب الزوج.
 - ج - أقارب الزوجة .
 - د - أبناء الحي.
- هل تشعر المرأة أنها حامل بتوائم «في الشهور الأولى أم الأخيرة».

الدراسة أن تجد ممارسات عديدة تؤكد عجز الإنسان عن معرفة أسباب ولادة التوائم.

وعودة للحديث عن ولادة التوائم، فهي ظاهرة قليلة الحدوث ولكن رغم قلتها إلا أن الاحتياطات المتخذة من قبل أفراد المجتمع تكاد تكون متشابهة، وكان هناك إتفاق عام حولها فرغم ولادة التوائم إلا أنها ظاهرة إستطاعت أن تخلق ممارسات من نوع العموميات في المجتمع وليس الخصوصيات وهناك فرق كبير بين هذين العنصرين، فمصداقية المعتقد أو العادة أو التقليد تأتي بنسبة تكررها وتحولها إلى عموميات يمارسها أفراد المجتمع.

ولاشك أن هناك بدائل أخرى من الممارسات والعادات تمارس عند ولادة التوائم في الأسرة، أي أنها لا تخضع لتلك العموميات، لكنها في النهاية تعبر عن ظاهرة صحية في هذا المجتمع إذ لا يمكن أن يحدث الإتفاق العام في أي مجتمع، وإلا تحول هذا المجتمع إلى قرية ذات ثقافة منعزلة.

وهنا نلمح لطبيعة الظروف الثقافية والجيوسياسيّة التي عاشهما أفراد المجتمع في الإمارات سابقاً، والتي لازال يعيش فيها رغم بعض الاختلافات، فهذا المجتمع تحيط به ثقافات متعددة نظراً لموقعه الجغرافي، ونلاحظ أن هذه الثقافات يجمعها عنصر واحد وهو الإسلام، وتفرق بينها مئات العناصر الأخرى، وكان لا بد أن يحدث التأثير والتاثير، ومن ثم التفاعل وإفراز نوع آخر وجديدٍ من الثقافة، إضافة إلى التشابه والتجانس بين هذه الثقافات، وهذه الأمور لاحظناها بين إنسان السواحل، وانسان الجبال، وإنسان الصحاري، والعرب والبلوش، فالتنوع الثقافي سمة رئيسية من سمات ثقافة الإمارات، وبالتالي نستطيع اعتبار هذه النتيجة من النتائج الرئيسية في هذه الدراسة، والتي برزت بشكل واضح على مسرح العادات والتقاليد وهي نتيجة تت أكد وتتعزز بصفة مستمرة في تحليلنا المتابع لمحاور هذه الدراسة.

إن استخدام نفس المنهج السابق وهو منهج تحليل المضمون لاجابات

الإخباريات والإخباريين الذين التقى بهم الباحثون من أنحاء مختلفة من مناطق الإمارات (أبوظبي - العين - دبي - الشارقة - رأس الخيمة - الفجيرة «دبي») يعود بنا هذا المنهج إلى أعمق الحركة الإنثولوجية في هذا المجتمع فيكشف لنا أولى هذه النتائج وهي تعدد وتنوع التسميات لظاهرة ولادة التوائم فنجدهم يطلقون عليها نصيفات، وعند البلوش جار، فلجة ثومة، مغال - ولكن التسمية المنتشرة هي (أتوام) وليس (التوائم) أو (التوم) كما يطلق عليها في بقية دول الخليج العربي، وبطبيعة الحال نجد أن الجديد من هذه التسميات هي النصيفات والجار، فلجة الثوم، مغال، وربما يضيف لنا هذا التعدد لمصطلح التوائم عناصر جديدة لقاموس التراث اللغوي الذي إحتوته هذه الدراسة .

إن ولادة التوائم تتضمن العديد من الحالات المتنوعة والمتباعدة والتي تعكسها إجابات الروايات في إحدى الحالات ولدت المرأة الطفل الأول، وظل التوأم الثاني في بطنها لمدة ثلاثة أيام ثم ولدته ميتا، وتتحسر الرواية لعدم وجود الأطباء الذين ربما ساعدهوا في إنقاذه.

الرواية الثانية قالت أن إحدى الجارات ولدت أربع مرات وكل مرة بتوأم . وكلهم عاشوا ولم تتعرض الأم لأية مضاعفات وربما يكشف ذلك عن قدرات صحية تمتلكها بعض النساء ولا تمتلكها الآخريات.

الحالة الثالثة حالة امرأة ولدت ثلاثة أطفال في بطن واحدة، ومات أحدهم وعاش الإثنان ونوت الأم إهداه أحدهم إلى اختها العاقر، وهكذا أدت (النذر) وعاش الإثنان^(١) فالنذر وعد وإلتزام روحي أو (نية) ينويها الإنسان عندما يكون أمام موقف خطير لا يملك تجاوزه، كطلب الصحة والشفاء لأحد الأعزاء أو تمني استمرار حياة التوائم ويقدم نذراً لذلك.

١- النذر أن تنوي أو تنذر المرأة بأن تهدي إبنتها إلى اختها العاقر لا بد أن تفي بنذرها وإن مات الطفل، «يوفون بالنذر ويختلفون يوماً كان شره مستطيراً». (آلية ٧ سورة الإنسان).

تحدث المفاجأت في موت أحدهم، وإستمرار الآخر، أو موت الإثنين بحسب ظروف كل إمرأة واضعة، وقدرة المحيطين بها لحمايتها أو لحماية البناء.

ومن المعتقدات حول ولادة التوائم استخدام التوائم لعلاج بعض الأمراض كالكسور، بأن يطاف بالتوائم حول الإنسان المعرض لحالة الكسر فذلك يساعد على التمايل للشفاء، ولقد جاء تكرار لهذا المعتقد في أكثر من إجابة مما يدل على قوته كمعتقد لدى بعض الأسر الإماراتية.

أما عن التساؤل حول مدى إرتباط وفاة أحد التوائم بالأخر فلا حظنا إجماعاً عاماً من الإخباريات بعدم وجود مثل هذا الإرتباط بل قد يعيش بعضهم ويموت الآخر، أو يعيش الإثنان وكل ذلك يعود إلى قدرة الله سبحانه وإرادته.

طرق تنظيف التوائم:

أما عن طرق تنظيف التوائم فأنها تتم بطرق عادية، وتستخدم فيها نفس المواد السابقة الذكر عندما تطرقنا لتنظيف المرأة بعد الولادة، كالملح وبعض الأعشاب كالسدر مثلاً فيتم تنظيفهم ووضعهم في سرير واحد بشكل عاكس ليجد الإثنان مساحة كافية للنوم في سرير واحد، أو قد يستخدم سريران لدى بعض الأسر المقدرة، وهذا يختلف عن السائد في كثير من المجتمعات أو الثقافات البسيطة التي تقر الإرتباط العضوي وال النفسي والروحي بين التوأميين.

رضاعة التوائم:

أما عن رضاعة التوائم وكيفية تنظيمها فتاتي على التوالي حيث ترضع المرأة أحد الطفلين في حالة نوم الآخر، ثم تقوم برضاعه الآخر، وتستخدم وسائل للرضاعة أخرى كالتمر مثلاً وذلك بدلله بالماء وعصره ثم تنقيطه في فم المولود ليساعد ذلك على الشبع، في حالة عدم كفاية لبن الأم للوليدتين.

وهنا نجد تاكيداً من الروايات أنه في الزمن السابق كان ثدي المرأة الوالدة أكثر دراً للحليب منه في المرحلة الحالية، وربما يكون في ذلك بعض الصحة بحسب التفسيرات الطبيعية، فلقد تعرضت المرأة في المرحلة الراهنة

لإستخدام بعض الوسائل العلاجية والمواد الكيميائية التي قللت من الدر الطبيعي، فنلاحظ على مستوى كل المجتمعات إنسحاباً عن الرضاعة الطبيعية، والإتجاه إلى إستخدام الرضاعة الصناعية مما يشير إلى إيجابية الظروف السابقة في بعض المواقف لحماية الإنسان من المستخدمات غير الطبيعية ولكن لاشك أن للإنحسار عن الرضاعة الطبيعية أسباباً أخرى غير طبية كالوعي الزائف الذي تحمله بعض النساء للمحافظة على شكلهن ورشاقتهن، وأسباباً أخرى كتوفر البديل الصناعية مما أضر بالطفولة عموماً، وهنا يمكن القول بأن رضاعة التوائم لا تختلف عن رضاعة الأطفال العاديين.

فالرضاعة الطبيعية إذن كانت إحدى إيجابيات المرحلة الماضية بالإضافة إلى إستخدام بعض المواد الغذائية المتوفرة آنذاك، حيث ذكر الإخباريون (الساكن) بشكل متكرر وهي وجبة غذائية مكونة من النشا والسكر والسمن، مما يؤكد أهمية هذه الأكلة الشعبية حتى الآن كذلك التمر بعد هرسه وتحويله إلى عصير، وهذا يؤكد القيمة الغذائية العالية التي يتكون منها التمر.

وترتبط الرضاعة بمعتقدات الحماية الطقوسية من الحسد (العين الشريرة) نسبة للاعتقاد بأن المرض أكثر عرضة للحسد والعين الشريرة من غيرها، وقد روت لنا إحدى الإخباريات عن دخول إمرأة جاره لها على إحدى الوالدات وهي ترضع أحد التوائم وبجانبها يرقد التوأم الآخر، فحسستها وجف الحليب في ثدييها وتعرضت الأم للمرض.

وهنا تكشف لنا هذه القصة عن أهمية الرضاعة الطبيعية لدى النساء في مجتمع الإمارات سواء كان سابقاً أو في المرحلة الراهنة إذ تنصح الأمهات والجدات بناتها الواضعات حديثاً بعدم إرضاع الأبناء أمام الناس أيا كانوا وخاصة الأقرباء حتى لا يتعرضن للحسد.

إن ردود الفعل للمجتمع المحلي تجاه ولادة التوائم كما تتمثل في ردة فعل الأهل والجيران، إذ تراوح بين شعورين متناقضين هما الفرح والخوف أو الفرح

الحسد، الفرح بولادة التوائم، والخوف عليهم من الحسد، وهذا تشير التكرارات في هذه الإجابات إلى عمق هاتين الظاهرتين النفسيتين، أو الحالتين النفسيتين اللتين كان يعيشهما الإنسان الإماراتي سابقاً الفرح والحسد، إذ تنطوي الحياة كلها على هاتين الحالتين وربما استمرتا حتى الآن في هذا المجتمع، مما يؤكد مرة أخرى مقتراحات هذه الدراسة بضرورة توجيه الدراسات المستقبلية نحو الكشف عن عمق هذه الظاهرة في هذا المجتمع.

إن وجود العلاقات الاجتماعية الحميمة والترابط الوثيق تنعكس في مظهر الفرح والشعور الجمعي بوحدة الجماعة وتكامل مصالحها، وبالرغم من ذلك يأتي التمايز الداخلي، داخل الجماعة (كالعشيرة أو الطائفة أو الأسرة الممتدة الكبيرة) فيثير هذا التمايز النسبي عنصر أو عامل المنافسة الكامن فيعبر عن نفسه في الخوف، الخوف من حسد الآخرين وهم في الغالب أفراد الجماعة أنفسهم!!

ثم أكدت أغلب الإجابات على حركة التعاون والتكاتف بين الأهل والأقارب وأبناء الحي الواحد لمساعدة المرأة المنجوبة للتوائم، ونرى في هذا بعدها إجتماعياً كامناً لحالة التماسك في المجتمع الصغير، وخاصة الحي الصغير، والذي أكدته الكثير من الإجابات في المحاور السابقة، كذلك كشفت ردود فعل الأب عن مساعدة حقيقية يقدمها لزوجته في حال ولادة التوائم له، فهو يسهم في خدمة المنزل وحمل الطفل الثاني المنتظر للرضاعة وهنا تبرز مشاركة إيجابية من الآباء وبما لم ترد سابقاً مما يعكس بعض التناقض في الإجابات ولكن تعكس في محل الأول أن المواقف تثير عادة بعض ردود الأفعال المعينة سواء من الأب أو من الآخرين، وهنا جاءت المشاركة كردة فعل متوقعة من زوج يشاهد معاناة زوجته في تربية التوائم، وربما يقلل هذا التفسير من ذلك التناقض فيظل السائد لدور الآباء هو السلبية تجاه المشاركة في التنشئة الاجتماعية، وهنا نشير للقارئ أننا في المحور الأخير من هذه الدراسة سنعرض لهذا الدور للرجل عموماً في مجتمع الإمارات.

إن معرفة حالة الحمل بالتوائم تتم بواسطة الداية كما يمكن الوصول إليها بواسطة المحيطين بالحامل من الأقارب، ويستخدمون شواهد على ذلك منها حالة شق البطن أي إنقسام البطن في إنتفاح إلى جزئين، أو الإحساس بالثقل الكبير، أو الإحساس بحركاتين بداخل البطن وليس بحركة واحدة، وفي الأغلب يتم الكشف عن حالة الحمل بالتوائم في الشهور المتقدمة أي السادس والسابع، ولاحظنا من بعض الإجابات أن البعض لا يدرك بحمل التوائم والمبرر في ذلك أن النساء أنفسهن الحاملات يكن منشغلات بتنظيم المنزل والزراعة والري وتربية الحيوانات طوال فترة الحمل، وبالتالي لا يلاحظن الفرق في حملهن سواء بوحد أو بإثنين، وهنا تكشف لنا الدراسة عن الأدوار الحقيقية للمرأة الإماراتية المنتجة والتي لا يعيقها حملها عن تلك الأدوار.

تتعرف المرأة إذن على نوع الحمل لديها في الشهور الأخيرة وتساعدها في تلك المعرفة الداية التي تلاحظ إنتفاح السرة لدى المرأة الحامل، أو تلاحظ الإرهاق الشديد للمرأة الحامل بالتوائم وهناك بعض النساء التي أثبتت الإجابات أنهن لا يدركن بحملهن توائم إلا بعد الولادة، مما يشير إلى وجود الوعي لدى البعض وغيابه عن الآخريات اللاتي ربما لم يتعرضن لتجارب سابقة لحمل التوائم أو لم يسمعن عنه قبل ذلك، فالوعي كان محدوداً حول الظاهرة، ولكن يتم أدراكتها في الشهور الأخيرة.

الخلاصة:

إذن نستخلص أن ظاهرة الحمل بالتوائم كانت موجودة في مجتمع الإمارات، وأن الممارسات حولها متشابهة، وأنه تحيط بها بعض المشاعر أو الأحساس التي تم ذكرها وهي الفرح بولادة التوائم خاصة الذكور، ثم حالة الخوف من الحسد التي ترافقها خوفاً على الأم أو التوائم وما يتبع ذلك من إجراءات وسلوكيات تحركها معتقدات ذات طابع....

الفصل العاشر

تسمية الطفل

Naming Ceremony of Child

تسمية الطفل :^(١)

إن تسمية الطفل لها أهمية كبيرة في المجتمع ويؤكد ذلك ارتباطها بالكثير من العادات والممارسات التي من الممكن أن تكشف عن معتقدات عميقة راسخة ترتبط باسم الطفل، أو الطفولة، وتعكس فكراً وأيديولوجياً وثقافة شعبية ذات خصوصية في بنيتها الاجتماعية، ولكنها ذات عمومية في إرتباطها بال מורوث الثقافي العربي والإسلامي، فلنحاول إذن البحث عن دلالات ثقافية جديدة لمجتمع الإمارات العربية المتحدة.

من يقوم بتسمية الطفل:

نکاد تجمع الآراء على شيء واحد هو الإعتراف شبه الإجماعي بالدور الأساسي للأب مع قيامه بالتشاور مع الأم ومع الجد والجدة وربما مع الأهل

والأسئلة هي:

١. من يقوم بتسمية الطفل؟
٢. هل تسمى الأنثى باسم ذكر؟ وهل يحدث العكس..؟ ولماذا؟
٣. ما هي الأسباب التي تؤدي إلى تغيير الأسماء؟
٤. متى يتم تغيير الأسم؟
٥. ما هي الممارسات المرتبطة بتغيير الإسم؟
٦. اذكر الأسماء المحلية التي ترتبط بمناسبات معينة؟ (اذكر المناسبة والتسمية المرتبطة بها).
٧. هل هناك نذر بإطلاق إسم معين على الطفل.. لماذا؟
٨. هل تطلق على الأطفال أسماء لأشخاص راحلين؟ كالآجداد مثلاً .. أو أطفال توفوا؟ .. ولماذا؟
٩. اذكر عدداً من أسماء التدليل وأسماء التصغير المستخدمة في المجتمع ومدلول كل منها؟
١٠. هل يسمى بعض الأطفال بأسماء شاذة أو تحفيرة؟
 - أ - اذكر نماذج من هذه الأسماء؟
 - ب - اذكر أسباب التسمية بها؟
١١. اذكر الأمثال الشعبية والأقوال والأغاني التي تتعلق بتسمية الطفل أو تغيير إسمه؟

جميعا.. ومع أخذ جميع الآراء بعين الاعتبار إلا أن القرار يظل في النهاية للأب. ومع تلقائية هذا الأسلوب الاجتماعي في تسمية الطفل وبالرغم من أنه يبدو أسلوباً بسيطاً وسهلاً وعادياً. إلا أن الشيء غير العادي فيه ينبع من كونه يعكس نظاماً إجتماعياً ساد حياة مجتمع الإمارات في الزمن الماضي ولم يقتصر فقط على ما يتعلق بتسمية الطفل بل إمتد ليسود معظم علاقات الحياة الاجتماعية بل والسياسية أيضاً إذ أن هذا النظام في حقيقته هو جزء من نظام الشورى في الحياة والحكم الذي يكشف لنا كيفية صناعة القرار الاجتماعي.. وما تسمية الطفل إلا موقفاً أو جانباً واحداً من الحياة الاجتماعية التي كانت يسودها نظام الشورى في كافة الجوانب.

ومن الأسئلة التي طرحناها

هل تسمى الأنثى بإسم ذكر؟ أو العكس؟

وتؤكد الإجابات على مدى ثبات نسق القيم العامة السائدة في ذلك الوقت في النظرة للرجل وللمرأة كما أن الإجابة على هذا السؤال أكدت بصورة لا تقبل الشك أن الولد ظل في نظر المجتمع ولداً وأن البنت بقيت في نظره بنتاً.. وبمعنى آخر أن الرجل يبقى رجلاً في خصائصه ومميزاته ولامامحه وملابساته وأسمائه.. وأن المرأة تبقى إمراة لها خصائصها ومميزاتها ولامامحها وملابسها وأسماؤها التي تميزها عن الرجل.

وعلى هذا الأساس كادت الإجابات أن تصعد إلى حالة الإجماع على أن المجتمع الأول رفض تماماً اختلاط المعايير وبالتالي رفض تماماً تسمية الذكر بإسم أنثى أو العكس إلا في حالات نادرة جداً.. لها أسباب لا تقوى على أن تشكل ملهملاً له قيمة من ملامح الحياة الاجتماعية.

أما الأسباب التي دفعت إلى ثبات هذا الموقف فلقد كانت أغلب الإجابات تستند على أن تسمية الذكر بالأنثى أو العكس حرام لأنها خلط بين الجنسين وتزييف للتمييز بينهما ولأن الدين حض على عدم تشبه الرجال بالنساء أو

العكس لا لشيء إلا لكي يتكامل الجنسان ولا إئتلاف بغير إختلاف.. أما المتشابهان فلا يتجادبان وحكمه الحياة تقتضي الإختلاف والخصوصية لكي يتم الإئتلاف والتكمال لتستمر الحياة، أما الحالات النادرة الأخرى فالأسباب الداعية لها واهية وتقاد تكون مضحكة إلى الحد الذي لا يمكننا الإستناد عليها للخروج بنتيجة موضوعية إلا أننا من واقع أمانة البحث لا نستبعد وجودها لكننا نشير إليها بإعتبارها إستثناء نادرًا جدا في مجتمع الإمارات القديم.

من الظواهر الهامة في تسمية الأطفال ظاهرة تغيير التسمية وهي ظاهرة تشير إلى مرونة الجماعة في نظرتها إلى أمور الحياة.

ومن الأسباب التي تساق لتفسير هذه الظاهرة .

مرض الطفل ويقولون هذا الإسم ثقيل على «الياهل» أي الطفل ويلزم تغييره خصوصا إذا حاولوا معه بكل علاج وما حصلوا فايدة .. قالوا غيروا اسمه يمكن يطيب.. والحمد لله بعضهم على نياتهم.

الغالبية تردد هذا المعنى بتغييرات مختلفة لكنها تقاد تجمع على أن الإسم يتغير في حالة مرض الطفل أو الطفلة إعتقدا منهم بأن الإسم "ثقيل على الطفل" وإعتقدا منهم بأن شفاء الطفل يتطلب تغيير الإسم هذا في الأغلب والأعم.

ومن أسباب تغيير الأسم كذلك إذا كان الإسم على صيغة التصغير كان يسمى «وليداً» مثلاً وعندما يكبر يرى الأهل أن الطفل لم يعد طفلا وإنما أصبح شاباً أو رجلاً راشداً فيغيرون إسمه إلى «راشد» مثلاً، أو أن يتم تغيير الإسم بعدما يكتشف الأهل لسبب أو لآخر أنهم اختاروا إسماً غير حسن لوليدهم فيعمدون إلى تصحيح موقفهم، أو يتم تغيير الإسم إستجابة لشيوخ مناداته في المجتمع بإسم آخر غير المسمى به أصلاً فيتم تغيير الإسم ليتطابق إسمه مع ما يطلق عليه من المجتمع.

وكان مما يسبب ويسهل تغيير الإسم أن مجتمع الإمارات الأول لم يكن فيه نظام شهادة الميلاد التي يطلق عليها إسم «الميلادية» لكن التغيير الشائع كان يتم في السنوات الأولى من عمر الطفل عندما كان الطفل صغيرا.

إلا أن تلك العادة لم تمنع من تغيير الإسم في سن الكبر إذا اقتضت الضرورة ذلك.

وإذ يتضح لنا أن الأسماء كان يمكن تغييرها فإنه من المفيد معرفة ما إذا كان لهذا التغيير ممارسات خاصة ترتبط به؟ وما هي تلك الممارسات؟

إن تغيير الإسم كان يتطلب بعض الممارسات .. فالحاجة إلى الإعلان عن التغيير وإشاعة الإسم الجديد كان يتطلب دعوة الأهل والجيران وأهل الحي حول وليمة كبيرة غذاء أو عشاء وتم الدعوة إليه بمناسبة تغيير إسم فلان إلى الإسم الجديد وكان من عادة الأهل - كما تشير الإجابات - القيام بطبع «الهريس» و «الخبیص» وتذبح الذبائح وبإسم الله يتم الإعلان عن الإسم الجديد وسط دعاء الأهل والجيران له بالشفاء والسعادة وبأن يكون الإسم الجديد بشارة خير له في مستقبل حياته.

كما كان الناس يقومون في مثل هذه المناسبة بتوزيع اللحم والهريس إلى الذين لم يتم دعوتهم بهذه المناسبة وفي شكل آخر من أشكال الممارسات الإجتماعية التي تصاحب تغيير الإسم كان يطوف الطفل بين الناس وأهله يقومون بنثر الحلوى أو الفلوس من حوله وينادونه بالإسم الجديد.

كما أشارت بعض الإجابات إلى أن بعض تلك الممارسات كانت تعتمد على عمل "العصيدة" وتوزيعها على الأهل والجيران وكانت "الوليمة من سمات الأغنياء، و "العصيدة من سمات البسطاء.

كما كانت تصاحب عملية تغيير الإسم بعض الأغاني الخاصة بهذه المناسبة.

وفي بعض الأحيان كان البعض يلجأ إلى التنجيم لإختيار الإسم الجديد..
كان يتم إختيار ١٢ إسماً ويختار طفل أحد الأسماء من بينها عن طريق سحب
إحدى الأوراق الاثنتي عشرة المكتوب فيها الأسماء.

غير أن بعض الإجابات لم تشر إلى ممارسات معينة سوى إشاعة الإسم
الجديد بين الناس. ومن الملاحظات الغريبة في مثل تلك الممارسات لجوء قلة
نادرة إلى ما يطلق عليه (بيع الطفل) كبيع الطفل في حالة مرضه بمن من الملح
إعتقداً منهم بأن هذا يساعد على طرد الشياطين وشفاء الطفل، إلا أنه مع ذلك
يبقى الطفل في كنف أمه، إذ أن هذا البيع ليس سوى بيعاً شكلياً لا يترتب
عليه أية حقوق ويمكن اعتباره بيعاً طقوسياً Ritual.

ومن الطريف أن الراوية نفسها باعت إبنته «بوزنة» تمر جاف لإطعام
الأغنام بالطريقة نفسها أملأاً في شفاء إبنته من مرضها على أنه يلزم التأكيد
مرة أخرى أن هذا البيع شكل إجرائي لا يعني أن الأهل في الماضي كانوا
يبيعون أطفالهم وهناك بعض الممارسات الأخرى المرتبطة بتغيير الإسم سوف
يوضحها الإطلاع على نصوص الإجابات التي تلقيناها من الإخباريين.

ثانياً : العوامل المرتبطة بتسمية الأطفال :

أ- العامل الديني :

كان من عادة المجتمع الأول إطلاق أسماء الأنبياء والصحابة والصالحين
والائمة والحكام على أبنائهم خصوصاً إذا جاءت أوقات ميلادهم مناسبة لذكرى
معينة أو مناسبة ترتبط بأحددهم، ففي يوم مولد النبي محمد عليه الصلاة
والسلام مثلاً كانت تطلق أسماء «محمد» و«أحمد» وكذلك أطلقت أسماء «زهراء»
و«فاطمة» تيمناً باسم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يرتبط التسميات في مجتمع الإمارات بالأثر الديني فشاعت وتشيع فيه
أسماء «محمد» و«أحمد» و«عبدالله» إتباعاً للحديث الشريف القائل «خير
الأسماء «ما حُمِدَ وعُبِدَ».

وقد ارتبطت بعض الأسماء بالمناسبات والأعياد الدينية والأيام المباركة على مدار العام فإذا كان اليوم هو يوم العيد مثلاً فإن الأهل في الماضي كانوا يسمون مواليدهم هذا اليوم في العادة باسم «عيد» للولد و«عیده» أو «عیدوه» تيمناً بهذا اليوم.

وكذلك إذا كانت التسمية يوم وقفه عرفات فإن الطفل كان يطلق عليه إسم «عرفه» أو «عرفات» أو « حاجي» وكذلك الأمر إذا ولد الطفل في شهر رمضان فكان يسمى باسم الشهر «رمضان» أو «صيام» أو «صائم».

وقد ارتبطت التسميات بأسماء الأيام السبعة

- فمواليد يوم الجمعة كان يطلق عليهم «جمعة» للولد و«جميعة» للبنت.

- ومواليد يوم السبت كانت تطلق عليها أسماء «سبت» و«سببيت» للأولاد و«سبته» و«سببيته» للبنات.

- ومواليد يوم الإثنين كان الإسم الشائع هو «ثاني» للولد.

- ومواليد يوم الخميس من الذكور كان يطلق عليه «خميس» وهذا.

كما ارتبطت التسميات بالتوقيت اليومي ..

وهذه بعض الأسماء على سبيل المثال:-

- مواليد الفجر «الفجرى» و «الغبش» و «غابش» للولد، و «غبشاً» أو «غبيشاً» للبنت.

- مواليد الصبح «صبيحة» و «صباح» للبنت.

- مواليد العصر «العصري» للولد.

- مواليد الضحى «واضحة» و «هيرة» أي الضحى للبنت.

وهناك تسميات ارتبطت بأسماء الشهور العربية :-

- كإسم «رمضان» لمواليد شهر رمضان.

- و «رجب» تيمناً بشهر رجب.

- وربما "شعبان" مواليد شهر شعبان وإن لم يرد في روايات الإخباريين هذا
الإسم بالذات وإنما "صفر" على إسم شهر "صفر".

أيضاً ارتبطت الأسماء بالأوقات المناخية المختلفة :-

. ففي وقت المطر كان البدو يسمون البنات «غدير» و «نفافه» عند المطر الخفيف.
كما كان يطلق على الأولاد أسماء «مطر» و «مطير» و «ومطيري».

. وفي وقت الضباب كانت تطلق أسماء «ضبيب» للولد و «ضبابة» للبنت.

. وفي وقت الإخصاب كانت تطلق أسماء «خصيبة» على البنت و «خصيب»
على الولد.

. وفي وقت الجفاف.. كان يطلق إسم «محيلوه» و «برادوة» على المواليد البنات.

. وفي وقت القيظ في الصيف كان يطلق إسم «قيضوة».

. وفي وقت العواصف كان يطلق إسم «غرابي» على الولد.

. وفي وقت الرعد كان يطلق إسم «رعد».

. وفي وقت البرق كان يطلق إسم «برق».

. وفي وقت الرياح «السهيل» وكان يطلق إسم «سهيل للولد» و «سهيلة للبنت».

من ناحية أخرى شاعت أسماء معينة بين البدو مثل «وضحة» و «غبيشة»
و «مفرح» كما شاعت أسماء أخرى بين البلوش مثل «عائشة» و «مريم»
و «كلثوم» و «زيينب» في حين أن الحضر إختلفوا عن البدو في ربط الأسماء
بالمناسبات.. فكان من النادر أن يسمى الحضريون أولادهم بأسماء لها إرتباط
بال المناسبات بل شاعت بينهم الأسماء ذات المعاني مثل «راشد» و «سالم»
و «صالح» و «عبدالله» وغيرها من الأسماء كما شاع في جانب آخر
إطلاق أسماء الجد أو الجدة على الأولاد والبنات.

ثانياً : التسميات والنذور :

ارتبطت بعض التسميات بالنذور فمن المفید التأکید بأن «النذر» هو نوع من العهد يقطعه الإنسان على نفسه أمام الله ويكون عليه الوفاء به إذا حرق الله له أمنيته أو إذا استجاب لدعائه .. وإذا كان من شيم العرب الوفاء بالعهد، فإن الوفاء بالنذر هو جزء من تلك القيم التي سادت العرب. ولم يكن «النذر» مجرد عادة إجتماعية بل كان سلوكاً دينياً .. لأن النذر لا يكون إلا لله.. ولأن الإسلام يأمر بـ«إيفاد» إذا نذرنا.. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في كتابه العزيز «يوفون بالنذر ويختلفون يوماً كان شره مستطيراً، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمها وأسيراً صدق الله العظيم»^(١)، كما أن من المفید أيضاً توضیح أن النذر كان سعيًا إلى التقرب إلى الله من فوادي كثيرة.. ولهذا فلم تكن النذور قاصرة فقط على إطلاق تسميات معينة ولكن الوعد بإطلاق أسماء معينة كان أحد أشكال «النذور».

وتوضح لنا الإجابات التي جمعناها حول هذا الموضوع.. أن في مجتمع الإمارات الأول كانت بعض التسميات تطلق على المواليد من البنين والبنات تبعاً للنذور.

كما كانت بعض التسميات تطلق على الأطفال تبعاً لبشرارة رأها الأب أو الأم في المنام (وتشير الإجابات إلى أن أحد الوالدين كان يقطع على نفسه عهداً أمام الله أي ينوي سراً أو علانية إذا جاءه ولد أن يسميه اسمًا معيناً يعتقد أن فيه بركة وهذا في حالة كون الأب يريد من الله أن يرزقه ولداً ذئنه يحب الأولاد أو لأن ذريته كلها من البنات).

وكذلك الأمر إذا كان يرجو من الله أن يرزقه ببنت لأن ذريته كلها من الأولاد، كما أن هناك أسباباً أخرى للنذر هي :-

١. الآية (٨) من سورة الإنسان.

- أن تكون الزوجة لا تنجذب.
- أن تكون قد أنجبت ولم يعش أي من أطفالها.
- أن تكون الذرية قد جاءت سقيمة ويتمنى الأهل طفلًا سليماً.
- كما أن هناك أسباباً أخرى للنذر كانت أقل شيوعاً.
- ولأن النذر تقرب إلى الله فإن الأسماء التي إرتبطة به لا بد أن تكون من خير الأسماء وهي التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام حين قال "خير الأسماء ما حمد وعبد".
- ولذا شاعت أسماء النذور على إسم النبي إذا كان ولداً .. أو على إسم أي من زوجاته أمهات المؤمنين أو بنات النبي (ص).
- مثل «محمد» و «أحمد» للأولاد و «عائشة» و «فاطمة» و «زينب» وغيرها من الأسماء للبنات.
- كذلك شاعت التسمية في النذور بأسماء الأنبياء والرسل عليهم السلام كإبراهيم، وعيسى، وموسى ويوسف .. الخ وأيضاً على أسماء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مثل «عمر، علي، و عثمان» تيمناً بهم.
- كما شاعت التسمية على أسماء الصحابة والصالحين وكان من عادة بعض أهل الإمارات قديماً أن تذر مثل هذه النذور في أيام الحج وسائل الأيام المباركة الأخرى كأيام الأعياد ومولد النبي وغيرها.
- ومثل عامة المسلمين كان أهل الإمارات يعتبرون النذر ديناً لله يجب تأدinya عند إستطاعتهم لأن النذر كما أسلفنا عهد بين العبد والرب ودين يحيط بالإنسان إلى أن يؤديه.
- ومن الأقوال الشائعة في مجتمع الإمارات الأولى .. «وفوا نذوركم ولو كنتم في قبوركم».

وكان من عادة بعض الناس أن يعلنوا النذر أمام أحد الصالحين أو عند قبر أحد الأولياء.

وبعض الناس كانت تتخفف من النذر مخافة عدم القدرة على الوفاء به.. خصوصاً وأن النذر كما أشرنا سابقاً ليس مقصوباً على الأسماء فمن النذور - أداء الحج أو العمرة.

- أو رصد مبلغ معين لتوزيعه على المحتاجين.

- أو بناء مسجد.

- أو ذبح الذبائح وإطعام الطعام.

- أو صيام عدد من الأيام شكراً لله.

لكن ما عنينا به هو النذور بإطلاق أسماء معينة على الأبناء كأحدى طرق التسميات في المجتمع الأول، وكان لدى الأهل في الماضي إعتقد بأنهم إذا لم يوفوا بنذورهم في التسمية فإن الأنجب سينقطع .. أو يصيب الطفل مرض أو مكروه.. ولهذا كانوا حريصين على الوفاء بالنذر وكان ذلك ملمحاً واضحاً في العادات والتقاليد لمجتمع الإمارات في الماضي.. وإن كانت النذور سواء بالأسماء أو بغيرها مازالت جزءاً من تقاليد المسلمين وعادات حياتهم.

ثالثاً: التدليل والتصغير ومدلولاته :-

عكست الأسماء الشائعة في مجتمع الإمارات الأول من بين ما عكسته عاداتٍ وتقاليدٍ وقيمٍ وارتباطاً بالأهل والأيام والبيئة، عكست أيضاً أسلوب الآباء في التعبير عن محبتهم وإعتزازهم بأطفالهم.

فكان من عاداتهم تصغير أسماء الأطفال حتى يكبروا فيعودوا لمناداتهم باسمائهم الحقيقة كما كان من الشائع أيضاً تحريف الإسم تدليلاً له كجزء من تدليلهم لأطفالهم، لذلك شاعت أسماء تدليل وتصغير لتقترن بكل إسم معين.

وتجدر الإشارة إلى أن أسماء التدليل والتصغير كانت تطلق على البنين والبنات، وكانت تطلق على الأطفال لا الكبار إلا نادراً عندما يشيع إسم التدليل ويقترن بالطفل حتى بعد أن يكبر.

كما نلاحظ أنه مع شيوع هذه العادة، إلا أن البعض لا يعتبرها شيئاً مفضلاً خصوصاً بالنسبة لأسماء معينة كإسم "محمد" مثلاً إعتزازاً بإسم النبي عليه الصلاة والسلام.

تقول إحدى الروايات «كان يوجد بعض الناس (باهين العقل) أي لا يفهمون معنى هذه الأسماء وعظمتها».

ونلاحظ أن بعض الأسماء كانت تصافر وتطلق على الصغير إلى أن يكبر ويسترد إسمه كاملاً كما أن بعض الأسماء كانت تحرف للتدليل وربما تطلق على الكبير أيضاً كتعبير عن الإعتزاز به، كما نلاحظ من خلال الإجابات أنه ربما كان هناك بعض الاختلاف في هذا الشأن بين منطقة ومنطقة من إمارة واحدة.

وعلى سبيل المثال في إمارة الشارقة شاعت في «خورفكان» أسماء التدليل والتصغير.. بينما في منطقة أخرى مثل كلباء لم يتبعوا هذا التقليد.. ولن نورد هنا قائمة كاملة بكل إسم وما يقترن به من أسماء التصغير والتدليل .. ولكننا فقط سنكتفي بذكر بعض الأمثلة..

بالنسبة لأسماء الأولاد:

- كانت أسماء «محيمد» و «حمود» و «محمدوه» تقترن بإسم «محمد».

- وكانت أسماء «عبيد» و «عبود» تقترن بإسم عبدالله.

كما شاع إسم التدليل «رشود» على إسم «راشد». و «بروك» على إسم «مبarak» وهكذا.

وبالنسبة لأسماء البنات:

- كانت أسماء «عوشية» و «عوشوه» و «عواش». تقترن بإسم «عايشة».

- وكانت أسماء «مريم» و«مريوم». تقترن بإسم «مريم».

كما شاع تدليل الإسم «موزة» بأسماء «موزية» أو «موزوه».

وعند البلوش كانوا بلغتهم الخاصة يدللون إسم «أحمد» مثلاً بإسم «خدي
ماله، أي «مال الله».

وقد يرتبط النطق والتحريف والتصغير والتدليل للأسماء بلغة ولهمجة كل
منطقة.

رابعاً : التسمية الشاذة والتحقيرية وأسبابها:-

بعض الأطفال يسمون بأسماء شاذة أو تحقرية كالأسماء الشاذة التي
تطلق في ظروف معينة ومن هذه التسميات كلمة «اللبوقة» أي إسم الشهرة.

وقد ترتبط هذه الأسماء بوصف الخلقة عن طريق السخرية من الطول أو
القصر أو السمنة أو النحافة أو اللون أحياناً.

وقد تكون بعض هذه الأسماء بلا معنى أو أساس، ومن الملاحظ أن هذه
الأسماء كانت كثيراً ما تجلب الشعور بالخجل والغضب لدى الأطفال الذين
تطلق عليهم مثل هذه الأسماء وبعضهم كان يعبر عن رفضه لذلك بعدم الرد
على من ينادونه بها، كما كانت تؤثر تأثيراً سلبياً على اندماجهم مع
مجتمعهم وتسبب لهم عقداً نفسياً، ولهذا نجد أن الغالبية العظمى من الناس
كانت تدين مثل هذا التقليد البغيض استناداً إلى تحريم الإسلام لذلك والنهي
عنه في القرآن الكريم مصداقاً للآية الكريمة «ولا تنازروا بالألقاب» وإرتبطة
التسمية بمثل هذه الأسماء بظروف خاصة في بعض الأحيان.

مثل أسماء «زعبر» أو «زعبر» وهي إسم لم نعرف له معنى.

والسبب في إطلاق هذه التسمية كما أوردته الرواية أيضاً يبدو سبباً لا
منطق له.

تقول الرواية عند ولادة الإبن وكان الناس قد ساروا بعيداً عنها في إتجاه

عين ما .. قالت : يالله لين اسرحت الرعيان ضوا زبعر.
والعجب أنها لا تعرف لزبعر معنى ولكنها نطقت هكذا وقالت سموه
«زعيبر».

- «عسير» للولد «وعسيرة» للبنت.

أطلق أحياناً على المولود أو المولودة بولادة صعبة.

- «يسير» و «يسيرة» لمواليد الولادة السهلة .

- «هيرة» إسم لا تدرك الرواية معناه ولكنها تقول «هذا إسم من البدو
عندنا».

كما كانت بعض هذه الأسماء أو الشهرة للتندر على طبيعة خلقته مثل:

- «أبو الكرعان» ملن كانت أرجله طويلة.

- «أبو راس» ملن كانت رأسه كبيرة.

- «بوغزله» ملن كان قصيراً.

- «بوطوله» ملن كان طويلاً.

كما كانت تطلق أسماء على سبيل المعايرة مثل :-

- «خنفوس» على طفل يسمى «خميس» حيوان أسود وهو الخنفس.

- «سلامة» على طفله تسمى «سلامة» نواة التمر أو الرطب.

- «حوس» على طفل تتشابك رجلاه عند السير كنية عن الضعف.

- «أسود» ملن كان أسود اللون.

- «أشلوق» لأخذ حول العينين.

ومن الأسماء الشاذة أيضاً أسماء مثل :-

- «شمطري» لكثير الحركة.

- «جاشعة» و «كاعلة» و «هجوش» و «حندوكة» وهي أسماء لا معنى لها.

وأسماء أخرى مثل:-

- «جرو» أي الكلب الصغير.

- «العقار» للذى يبكي دائمًا ويصرخ.

- «ربشوه» أي مسمار.. ولا يدرى الأسوية ولا ندري معهم سببا ولا معنى لهذه الأسماء إلا بعض أنواع الجهل وسقم العقل خصوصاً أن هناك أمراً دينياً واضحاً بإختيار الأسماء الحسنة للأبناء وكذلك عدم تحفير الناس بألوانهم وأجناسهم وأشكالهم.

- «ربشوه» مثير الحركة والكلام وأصلها (ربشه).

هذا بخصوص التسمية والأسماء ولكن ماذا عن الأمثال والأغاني والأقوال الخاصة بذلك؟

اشار بعض الروايات بأن العرب لم يكونوا يهتمون بأغاني هذه المناسبة على عكس العجم والبلوش.

إلا أن معظم الإجابات أشارت إلى أدعية وأقوال معينة جرى بعضها مجرى الأمثال.. وهذه الأدعية والأقوال كانت تقال عادةً مع إطلاق الأب لاسم الطفل لحظة قطع الحبل السري.

ومن الأدعية والأقوال الخاصة بالتسمية :-

- «سميتك عبدالله.. سميتك باسم النبي محمد» صلى الله عليه وسلم ثم يتم الدعاء للطفل بطول العمر والصحة والنجاح والبركة في حياته.

- عند تسمية الطفل باسم الشايب، تشير بعض الإجابات إلى قول مشهور يتغنى به هو : «الشيبة شيبة شايب .. شاب الولد شاب».

- «إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى طُولَةِ عُمْرِهِ .. اللَّهُ يَخْلِيهِ .. إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَمِرَهُ طَوِيلٌ».

الله يبارك لنا فيك - الله يطول عمرك - الله يخليك لنا .

- وعند لحظة التسمية التي أشرنا إلى أنها عادة كانت تتم مع لحظة قطع الحبل السري كان الأهل يرددون «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَيْهَا.. حَرَزْتُكُمْ بِاللَّهِ».

- كما ترددت بعض الأقوال عند التسمية مثل : سميتك على وأعليت بإسم .. وسميتك نبهان حتى أخوالك يتنبهوا.

- كذلك كانوا يدخلون الإسم الجديد للطفل في أغاني المهاواة .. فعندما يسمون «عبدالله» كانوا يقولون «هووه» عبد الله «هووه» عيني أبي .. الرحمن عليك .. حرزتك بالله .. حرزتك بالواحد الأحد».

وقد لاحظنا بعض الأمثل المرتبطة بالتسمية والتي تعكس لنا بعض التقاليد في تلك الفترة التاريخية المبكرة لمجتمع الإمارات .. وعلى سبيل المثال كان هناك مثل يقول «الغالي يسمى عليه عشرة» .. وهو مثل يعكس تكرار التسمية كثيراً كنوع من الإعتزاز بإسم الشخص العزيز على النفس.

ومن هذا يتضح أن القيم الاجتماعية والدينية كانت لها تأثيراتها المختلفة سواء على عادات التسمية أو على الأقوال والأمثال والأغاني المرتبطة بها.

التسمية بأسماء الراحلين (التسمية القرابية) :

لقد كانت هذه العادة شائعة بنسبة كبيرة في الزمن الماضي من واقع الإحساس بأن الخلف هو إستمرار للسلف .. وإذا كان السلف صالحاً فإن إطلاق إسمه على الخلف يبشر بأن ينشأ صالحاً مثله.

كذلك من واقع الإحساس بأن الخلف جاء تعويضاً عن السلف الراحل سواء أكان هذا السلف جداً أو طفلاً.

غير أن الملاحظ من الروايات التي بين أيدينا أن إطلاق أسماء الأجداد على الأبناء وأسماء الجدات على البنات كان هو الأكثر شيوعاً بين أفراد المجتمع

بدرجة أكبر بكثير من إطلاق أسماء الأطفال الذين توفوا على أشقاءهم من المواليد الجدد.

فيما يتصل بأسماء الأجداد.. كان الأمر بالنسبة لهم إعتزازاً باصل العائلة.. وكان إحياء لذكرى كبيرها.. وكان تشبها وتمسكاً بسيرته خصوصاً إذا كانت طيبة، ولذا كان طبيعياً أن تنتشر أسماء مثل خليفة بن جمعة بن خليفة، أو راشد عبدالله راشد وفيما يتصل بأسماء الأطفال الراحلين كان في الأمر نسبة من الإختلاف حيث أنه على الرغم من شيوخ هذا التقليد أيضاً إلا أن نسبة إنتشاره كانت أقل بكثير من التسمية بأسماء الأجداد .. ذلك أن بعض العائلات كانت تتشاعم من ذلك وتفضل إطلاق أسماء جديدة في حين أن بعض العائلات كانت تتمسك بهذا التقليد.

من ناحية أخرى فإن التسمية بأسماء الراحلين لم يقتصر فقط على أسماء الأجداد أو الأطفال المتوفين.. بل كان يتم أيضاً إطلاق أسماء أقارب آخرين كالأعمام والأخوال والعمات والخالات.. ولكن بقى إطلاق أسماء الأجداد هو الأكثر شيوعاً بين كل الأسماء.

ومن الملاحظات أن هناك من الأسر من كان يسمى بأسماء الأجداد والأطفال الراحلين.

وكان هناك أيضاً من يسمى بأسماء الأجداد دون أسماء الأطفال .. وكانت كل أسرة تتبع ما تجد فيه ما يريح بها.

غير أن العجم والبلوش كانوا لا يسمون الأبناء على أسماء أطفال ماتوا كما نلاحظ أن بعض الإجابات أظهرت أن عدم التسمية بإسم الجد أو الذين توفوا من العائلة كان يثير عليهم كلام الناس أو الجيران إذ أن ذلك يبدو بالنسبة لهم نوعاً من عدم الاعتزاز بعائلتهم أو أصولهم.

وإذا كان البحث يستهدف الكشف عن عادات وتقالييد المجتمع في مرحلة سابقة .. فليس معنى ذلك أن هذه التقالييد بقيت بالقوة نفسها في زماننا الحالي.

وبعض الإجابات قد أشارت إلى ذلك فتقول إحدى الإخباريات "أما الأن فإنهم يسمون بأسماء حلوة وجميلة ويبينون أسماء أهلهم وأجدادهم" كما تشير راوية أخرى إلى عادة عائلتها في هذا الجانب من تقاليد تسمية الأطفال وتقول : "نحن لا نسمي فرخ على فرخ ولكن نسمى الفرخ على الشايب حتى يطول عمر الطفل إلى أن يصير شايب".

ومن هذا العرض العام يتضح أن التفضيل العام في التسمية ظل لأسماء الأجداد في المقام الأول ثم الأعمام والأخوال في المقام الثاني.. وأنه إلى جانب ذلك كانت تسمية "الفرخ" الوليد بإسم "فرخ" متوفى شائعة أيضا ولكن بدرجة أقل.

الفصل الحادي عشر

الرضاعة والفطام

Sucking and Weaning

الرضاعة والفطام :^(١)

تعد مرحلتا الرضاعة والفطام في حياة الطفل من أهم المراحل المؤثرة في شخصيته وعقليته وتكوينه النفسي إذ أن هاتين المرحلتين هما بداية التشكيل الاجتماعي وال النفسي لكيان الطفل، فمن خلال الرضاعة يتلمس محیطه الاجتماعي المتمثل في الأم فقط، ومن خلال الفطام يبدأ الطفل في التعرف على المحيط الخارجي المتمثل في الأسرة والمجتمع.

وإنطلاقاً من هذه الأهمية سعت الدراسة إلى كشف الممارسات التي تتم في المرحلتين للتعرف على سبل التشكيل الأولى لشخصية الإنسان في المجتمع، وللتعرف على ما يحيط هذه المراحل من معتقدات وأفكار قد تعكس أو تضييف المزيد حول صورة مجتمع الإمارات العربية المتحدة في المراحل السابقة.

مدة الفطام :

هناك اتفاق شبه تام على أن مرحلة الرضاعة تستمر عامين بعد ولادة الطفل .. وأهمية التركيز هنا على هذه الفترة الزمنية انطلاقاً من إتباع توجيه

- والأسئلة هي:- ما هي فترة رضاعة الطفل؟ متى تبدأ .. ومتى تنتهي؟
- ما الذي يؤدي إلى زيادة حليب الأم؟
- عن أي الأشياء يحب أن تمتناع الأم المرضعة؟
- هل هناك أسباب تؤدي إلى إنقطاع لبن الأم؟ - في أي الحالات يرضع الطفل أكثر من الأم؟
- لماذا يرفض بعض الأطفال ثدي أمه؟
- هل يعتقد الناس أن أحد الثديين أكثر إفادة للطفل من الآخر؟
- كيف يتم فطام الطفل؟
- ما هو الإسم الشعبي المتداول للفطام؟
- ما هي طرق تعوييد الطفل على التغذية من مصدر آخر؟

القرآن الكريم الذي أشار إلى أن المرضعات يرضعن أطفالهن "حولين كاملين" أي عامين، من آراد أن يتم الرضاعة.

وكذلك إنطلاقاً من أن هذين العامين يمثلان الكفاية بالنسبة للطفل للرضاعة من ثدي أمه.. إذ بعد ذلك تبدأ حركة الطفل في النمو، كما تبدأ أسنانه في النمو وبالتالي يستطيع تغيير وسائل تغذيته بطرق أخرى غير ثدي الأم.

ولكن البعض يرى أن الرضاعة تتم حسب ظروف الأم والطفل، ومدى قدرتها على الإستمرار في الرضاعة الطبيعية.. أو قد يعترض تلك المرحلة حمل الأم بعد ولادتها الأولى بفترة زمنية قصيرة فتتوقف عن الرضاعة لما للحليب في مرحلة الحمل من مضار على صحة الطفل.

لقد أكدت العديد من الدراسات الإنثروبولوجية والنفسية الأهمية الكبيرة للمرة التي يتم فيها الفطام بإعتبارها من أهم العوامل المؤثرة في حياة الطفل النفسية والإجتماعية.

فقد أكد علماء النفس وال التربية أن المدة إذا كانت أقل من اللازم إنعكست في شكل أحباط للطفل تكون أعراضه القلق، وإنعدام الأمان والإطمئنان، والشك في الذات وفي الآخرين، و الخوف من فقدان ومن الحرمان ومن الهجر وغير ذلك^(١).

ولقد أشارت الدراسة الرائدة لمارجريت ميد^(٢) عن "الجنس والطبع في ثلاثة مجتمعات بدائية".

إلى أن الفوارق بين الجنسين وخصائص كل منهما لا تعود أساساً لأسباب بيولوجية.. وإنما تعود لنمط التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، وللممارسات

١ - انظر محمد عماد الدين وأخرون: كيف نربى أطفالنا : التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية . دار النهضة العربية . القاهرة ١٩٨٢ ،

-Mead, M. Sex and Temperament in three Primitive Societies. (Kegan Paul, London 1936).

2- whiting . W : M : and Child, I.L

Child Training and Personality . Yale University Press, New Haven, 1953.

المتصلة بالرضاعة والفطام Sucking and Weaning. بصفة خاصة ومن بين ما
أشارت إليه في دراستها:-

إن مدة الرضاعة، إذا كانت أكثر من اللازم تنعكس سلبياً على شخصية الطفل، وأعطت مثلاً لذلك مجتمع الموند وقمر في الجزر الإسترالية والذي يعرف بطول فترة رضاع الطفل الذكر مقارنة بالأنثى.. والإهتمام الزائد بالذكر مقارنة بالأنثى، فقد أدى كل ذلك إلى أن تصبح شخصية الذكر ضعيفة وهشة وإعتمادية على عكس شخصية الأنثى.. وفي هذا المجتمع يبقى الرجل في البيت يعتني بنفسه وبالاطفال بينما تخرج المرأة للعمل وتحمل منتجات الأسرة لتسويقها لمسافات بعيدة نسبة لقوة تركيب بدنها.

وقد فسرت ميد ضعف شخصية الذكر بالتصاقه واعتماده على أمه لفترة أطول من اللازم مما يجعل شخصيته امتداداً لأمه، وأقل استقلالاً واعتماداً على الذات من الأنثى، وهذا يفسر لنا لماذا حدد القرآن الكريم فترة الرضاع والفطام بعامين، ولم يتركها للإجتهاد الشخصي أو الممارسات العشوائية .. إذ أن مدة الرضاع ومدة الفطام لها انعكاسات هامة على شخصية الفرد وتكونية النفسي والإجتماعي.

والمدة المحددة في التراث الإسلامي ومن ثم في تراث الإمارات وهي سنتان مدة مثالية Optimum Period. فلا هي أقل ولا هي أكثر من اللازم. وتحتوى مثالية الفترة المخصصة لرضاعة الطفل حتى فطامه.

وهناك دراسة قام بها "هوایتنج" في بعض الثقافات المقارنة (غير الأمريكيين) عن مدة الفطام (عام ١٩٥٣) أكد فيها أن أشد إضطراب ينتج عن عملية الفطام هو ذلك الذي يحدث عند الأطفال بين سن ثلاثة عشر شهراً وسن ثمانية عشر شهراً.. وأشار إلى أن مقدار الإضطراب أو الإحباط يقل تدريجياً بعد هذا السن^(١).

وهناك قلة من الأخباريات أشرنا إلى أن الرضاعة قد تقل عن عامين أو

1- whiting . W : M : and Child, I.L
Child Training and Personality . Yale University Press, New Haven, 1953.

تكون للذكر مدتها سنتان، وللأنثى سنتان إلا شهراً. وقد تعكس هذه الإشارة إن المدة قد تكون أقل لظروف جديدة أو إستثنائية، وفترة العامين هي إشارة للمبدأ العام وليس بالضرورة للواقع الخاص.

وهذا الإجماع النسبي على مدة العامين للرضاع يعكس الطابع الإسلامي للتراث الشعبي في الإمارات.

أما بالنسبة للإجابة التي أشارت إلى أن فترة رضاعة البنت أقل بشهرين عن فترة رضاعة الولد فإن هذه الإجابة لم تذكر في الإجابات فربما كان الأمر خاصاً بجماعة معينة دون غيرها خاصة وأنه قد بُرِزَ في الإجابات سمات ثقافية أو تراثية خاصة بالبلوش مثلاً على أن أهمية هذه الإجابة المترفردة قد تكمن في الإشارات بوجود فوارق بين الذكر والأنثى في مراحل دورة الحياة الأخرى (السابقة واللاحقة للفطام).

على سبيل المثال يعتقد أحياناً أن الفروق بين الذكر والأنثى والتحيز للذكر في بعض الثقافات تبدأ قبل ميلاد الطفل فإذا كان الطفل كثير الحركة في بطن أمه، كان هذا دلالة على أنه ذكر .. وإذا كان يضفي على لون أمه ووجهها صفاء، فإنه ولد الخ.

إن وجود مثل هذه المعتقدات والأفكار والممارسات التي تؤكّد على الفوارق بين الجنسين، وإلى أهمية الذكر مقارنة بالأنثى في الثقافة المحلية والعربية بصفة عامة قد يبرر الإفتراض أن الثقافة هنا تتسم بوجود ما أسماه أو بُلر "موضوعاً أساسياً Theme" يمكن صياغته على النحو التالي: "الرجال متفوقون على النساء فيزيقياً وإجتماعياً".

هذا المبدأ أو الموضوع الأساسي تتسم به الثقافة المحلية والعربية وهو مبدأ ما يزال سائداً في جميع مجالات الحياة^(١).

1- Opler, M: Themes as Dynamic

انظر أوبير:

Forecs in Cultures (In American Journal of Sociology, November 1945,
No3. PP197--266, Universty of Chicago Press.

ويعرف "أوبлер" الموضوع الأساسي بأنه فرض أو قضية أو موقف معلن أو ضمني يتحكم في سلوك الأفراد عادة أو يحفز إليه، يقره المجتمع ضمناً أو يشجع عليه صراحة، ويرى "أوبлер" من هذا الإطار أن مضمون أي ثقافة من الثقافات ينظم حول عدد من المبادئ الشكلية الشاملة سماها الموضوعات الأساسية يكون مسيطرًا على قطاع كبير من مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية.

وفي دراسة مقارنة لحامد عمار عن مصر بعنوان *التنشئة الاجتماعية في قرية مصرية* لم يكن هناك إجماع نسبي مماثل عن فترة "الحولين" وتعدد الإجابات عن السؤال الخاص بفترة الفطام وكان متوسط هذه الفترة في الإجابات هو العام ونصف وربما كان الغياب النسبي لهذا المظهر أو العنصر من التراث الإسلامي نتيجة لوجود بعض الرواسب للثقافة الفرعونية القديمة وبالخصوص في منطقة الدراسة^(١).

ومن الإشارات المقارنة التي يمكن التنوية عنها هنا أن دراسة حامد عمار عن مصر أشارت إلى أن السائد في القرية المصرية التي درسها أن فترة رضاع وحضانة الولد أقل من البنت ويعلل ذلك بأن الرضاعة هي التزود بعاطفة الأم.. وان الطفل والطفلة في حاجة إلى هذه العاطفة ولكن الأنثى في حاجة أكثر لها، كما أنه يضيف تعليلاً آخر هو أن الفترة الأقل نسبياً في رضاع الولد دلالة على أنها جزء من عملية إستعجال نضوج الولد مقارنة بالبنت^(٢).

على أنه يمكن تفسير فترة الرضاعة الأقل للبنت في الإمارات . وفق أقوال الخبراء المشار إليها بأن هذا قد يكون دلالة على أهمية ولادة الولد، وأن المرأة عندما ترزق ببنت تخضعها لفترة رضاعة أقل إستعجالاً لحمل آخر على

1- انظر حامد عمار:
Ammar, H. Growing Up In
-Egyptian Village (kegan paul, London1954).

2- حامد عمار - المرجع السابق. ص ١٥٠.

أمل أن يكون ذكرا.. وقد يكون هذا المبدأ سائداً بالأخص في حالة الولادة الأولى.

على أن أهمية إنجاب الذكور ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالظروف الاقتصادية والسياسية التي ارتبطت بالحياة القبلية في الماضي وجعلت من الذكور عماداً أو عصباً للحياة الاقتصادية والسياسية في مجتمع شحيح الموارد كثير التنافس والتصادم والنزاعات القبلية.

الرضاع وغذاء الأم :

يشير التراث المحلي إلى تعدد وكثرة أنواع المواد الغذائية التي يفترض أنها تزيد من كمية لبن الأم مما يساعد على النمو الصحي المتكامل للطفل.

فالتمر والسمك والفول السوداني، واللوز (البيذام)، وحليب البقر والغنم، والبixin، والحبة، والحبة الحمراء، والمثبتة (الينسون)، واللحم، والبقوف (أي الفول واللوبيا والفاصلوليا والعدس) والخضروات، والفوواكه، والقهوة، والقرص المدقوق (نوع من الخبز)، ولبن النوق، والدجاج، والوحرة (نوع من السمك) ثم أنواع من الأكلات الحلوة كالمحلا والبلاليط والخبیص، وأنواع أخرى من الأسماك تستحق الإشارة إليها لما لها من أهمية كغذاء رئيسي للإنسان في مجتمع الإمارات مثل الوحرة والحلوايوه، والزبیدي، والشعري، وأبو اللبن، والبرية، والمحار (روك مكران باللغة الإيرانية) والعوال (أي الجرجور الصغير)، والسعناء وهو السمك المجفف والمطحون، والملاحظ من تلك الآراء الواردة حول عوامل زيادة اللبن في ثدي الأم، أنها اعتمدت على كل ما تمدهم البيئة الساحلية والجبلية من مواد تستخدم من أجل المزيد من الصحة للأم وبالتالي المزيد من اللبن، وهذه الأغذية تجمع بين منتجات الساحل والداخل (الصحراء) وتبرز هذه الآراء الإهتمام الشديد بأمور تغذية الأم، وتغذية الطفل المولود حديثاً مما يعكس وعيها صحيحاً نسبياً في مرحلة تقل فيه الموارد الطبيعية، فيليجاً الإنسان إلى كل ما تجود به البيئة ليساعد

نفسه على الإستمرار والحياة.

أما بالنسبة للأطعمة التي تحرم على الأم أو يفضل الامتناع عنها فتشمل الكثير من المواد الغذائية التي قد تؤثر على الطفل أثناء الرضاعة، فهناك مثلاً أنواع من الأسماك الثقيلة والتي تسبب نوعاً من الغازات في البطن (الكنعد) لا تتناولها المرضعة وتمتنع أيضاً عن أي أكلة حارة أو مطبوخه بالفلفل حتى لا يتسبب في إسهال الطفل ثم الأكلات ذات الروائح القوية، أو التي تحتوي على السمن الكثين، الإمتناع عن نوع آخر من الأسماك (كالبياح - البوري) وأسماك الصافي والجرجور والهامور.

كما كان على الأم الامتناع عن الأكل في أوقات متأخرة من النهار أو من الليل، وبرز هنا إهتمام الأسرة بتنظيم مواعيد الأكل والوجبات مراعاة لصحة الأم ومن ثم صحة الطفل.

ويسمى الأكل المتأخر ليلاً (غبطة) .. وعندما تغير من نوع الغذاء يطلق عليه (الخلفة) وهاتان الظاهرتان تعرضان الطفل إلى أمراض كالإنفجار في الأذان، والإنتفاخ في خصيتي الطفل والقيء.

إذن هناك إدراك يعكس وعي تلك العادات في طريقة تغذية الأم والطفل، ووعي بأهمية التنظيم عموماً سواء على مستوى تغذية الطفل أو نومه أو نظافته ورعايته.

وهناك أشكال من رعاية الأم صحياً عندما تتعرض لبعض الوعكات الصحية الناتجة عن سوء تنظيم التغذية، فتستخدم الأدوية الشعبية كأن تشرب (اليعدة أو الطبخة) وهي محلول من الأعشاب يغلى وتشربه. وتصل درجة الإدراك باضرار بعض المواد الغذائية أن تنصح الأم بطريقة تهكمية بأكل البياح مثلاً (أي سمك البوري) من أجل أن ترتاح من صرخ الطفل نهائياً وهناك مثل شعبي يعكس الإدراك باضرار أنواع غذائية معينة على الطفل، ومن هذه الأنواع أسماك البياح (أي البوري) وهي المعروفة بثقلها

ودسامتها لدرجة قد تؤدي إلى موت الطفل.

هذا المثل يقول :

لي بغيت الراحة كل عليه بياحة

وهو يعني أن الأم بمقدورها أن ترتاب من صراخ الطفل باكل سمك البياح.. وهو قول تهكمي يعني أن سمك البياح قد يؤدي إلى وفاة الطفل وبالتالي الإرتياح من صراخه.

ونشير إلى المزيد من الآراء، حول الممنوعات عن المرأة المرضعة أثناء الرضاعة من الممكن أن يطلع عليها القارئ من خلال الإجابات نفسها.

أما عن أسباب إنقطاع لبن الأم فقد جاءت في شكل أسباب رئيسية وأخرى فرعية.

والرئيسية منها تتمثل في المتابعة النفسية للأم التي قد تتعرض لها نتيجة النزاع والخصام مع الزوج أو لأية أسباب أخرى، أو للحمى التي قد تتعرض لها أثناء التفاس فهذا الضيق النفسي يسبب انقطاع الحليب.

والسبب الثاني هو المتابعة الصحية الجسدية وعدم تنظيم الغذاء .

والعامل الرئيسي الثالث هو الحسد والعين وخاصة عندما تدخل عليها إمرأة أخرى وهي ترضع إبنتها أو طفلتها فلا بد أن يحدث الحسد وذلك من وجهة نظرهن.

ثم يأتي الحمل كأحد أسباب إنقطاع الحليب من ثدي الأم وهذا سبب تؤكد له الآراء الطبية والصحية حتى الآن.

ثم الإعتقاد بأن لإنقطاع الحليب حكمة واردة من الله فتحمل الأم مثلا وهي ترضع وهذا قد يؤدي إلى توقف الحليب لديها.

وهناك أسباب أخرى ذكرت أن تعرضها لمرض في حلمة الصدر أو قيامها

بأكل الموالح بكثرة يؤدي إلى توقف الحليب.

ومن الممارسات أو المعالجات التي يقوم بها أفراد المجتمع عندما يحدث انقطاع الحليب القيام أولاً بقراءة القرآن على الصدر، ثم استخدام (القسط) كدواء شعبي أو تمشيط الصدر وتحريكه لإنزال الحليب كمساج خاص ثم تنظيم الغذاء للمرأة، وإستخدام حليب الأغنام والجمال لمساعدتها على زيادة الحليب في ثديها.

وتكشف مسببات انقطاع اللبن من صدر الأم ومحاولة معالجتها درجة عالية من الوعي لدى أفراد المجتمع.

وهنالك ظاهرة أخرى قد تظهر في فترة الرضاعة وهي الرضاعة من أم أخرى والنابعة في الأصل من التراث العربي فقد أرضعت حليمة السعدية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن السؤال المطروح هو هل تتم الرضاعة من أم أخرى في حالة تيتم الطفل فقط؟ أم هي ممارسة طبيعية تقوم بها كل أم في مجتمع الإمارات عندما تعجز عن رضاعة إبنها؟.

ويكشف لنا هذا السؤال نشأة هذا السلوك في مجتمع الإمارات بالوراث الشعبي كمعتقد وكعادات وتقاليد وكسلوك من أسباب هذه الظاهرة :-

- ١ - إذا زاد الحليب عن احتياج الطفل تقوم الأم بإرضاع طفل آخر قريب من الأسرة أو من الجيران.
- ٢ - إذا عجزت الأم عن إرضاع طفليها نتيجة مرض خاص بها.
- ٣ - في حالة التيتم وموت الأم بعد الولادة.
- ٤ - إذا كانت الأم الوالدة بكرًا أي تلد لأول مرة فتلجأ إلى إحدى قريباتها لترضع لها طفلها خاصة وإنهم يعتقدون أن حليب البكر لا يتكون في الصدر إلا بعد ثلاثة أيام.

إذن توجد هذه الظاهرة في مجتمع الإمارات، ولكن لا تتحرك الأم بإتخاذ قرار إرضاع إبنتها أو إبنتها من أم أخرى بدون شروط، بل تخضع الظاهرة لشروط خاصة.

أولاً : موافقة الأب بسبب الإعتقاد بأن الحليب من حق الأب، أي الزوج.. وطبقاً لذلك المعتقد فإن التي تخالف زوجها ولا تأخذ رأيه يفلق ثديها يوم القيامة .. ولسنا بصدده تفسير هذا المعتقد ولكن ترك للمتخصصين لبحث مصداقية هذا الرأي في رأي الدين، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هذا المعتقد ينبع في الأصل من القيمة الاجتماعية الخاصة التي يتمتع بها الرجل في مجتمع الإمارات والمتميزة عن قيمة المرأة، وربما يعكس هذا المعتقد من جانب آخر نوعاً من العلاقة الحميمة التي تقوم على الشورى بين الرجل والمرأة بحيث يستشار الرجل كأب فيمن ستقوم بإرضاع طفله الوليد حتى لا يتعرض لأي أمراض أو تتعرض الأم للمسؤولية عند ما لا تنجح الرضاعة الأخرى.

ثانياً : ومن شروط الإرضاع من أم أخرى أن تكون تلك الأم ذات سمعة طيبة، ومتدينة ومشهوداً لها بالسلوك النقي.

ثالثاً : تفضيل الرضاعة من أم بعيدة في القرابة عن الطفل الجديد المرغوب إرضاعه، وذلك للمحافظة على الأنساب والأعراق في الإمارات وحتى لا يحدث الحرام بالدخول في علاقات زواج بين أخوة أرضعوا من صدر واحد دون أن يعلموا بذلك، لأن المبدأ الإسلامي أنه يحرم بالرضاع، ما يحرم بالنسبة ولكن في حالة عدم توفر المرضعة الأخرى يلتجأ الناس إلى الإرضاع من حليب الغنم، ويقتصر في قم الطفل لعدم وجود الوسائل المساعدة للرضاعة الصناعية في تلك المرحلة كما هي متوفرة الان.

إن الرضاعة من أم أخرى في مجتمع الإمارات تعكس وعيها عالياً بأهمية

الرضاعة الطبيعية، والتاكيد عليها لما لها من أهمية خاصة جداً لصحة الطفل على المستوى الجسماني أو النفسي، لذا وجدنا من الأمهات من تحرص على صنع علاقة قوية بينها وبين طفلها، ومن تحرص على ألا يرضع طفلها إلا من ثديها نظراً لأنّه لو تعود طفلها على ثدي اختها مثلاً، فإنه لن يقبل ثدي أمه مرة أخرى.

ولكن إذا حدث وشعرت بالاجهاد في أول أيام الولادة فإنّها تدعو إحدى القربيات أو الخادمات لتساعدّها على إرضاع الطفل، ويعكس ذلك في حقيقة الأمر الشكل الآخر من أشكال التكافل الاجتماعي والتضامن الذي كان يشكل أحد ظواهر العقد الاجتماعي العرفي الذي كان يعيشّه أفراد مجتمع الإمارات، دون حواجز طبقية.

ولاحظنا أيضاً التأكيد على أنه إذا تم التزاوج بين إثنين ممن إشتراكوا في الرضاعة من أم واحدة فإنه لابد من أن يموت أبناؤها، أو يموت أحدهم، أو يحدث الطلاق ونشير في هذا الجانب إلى أن هذه القضية بحاجة إلى الدراسة المتخصصة على المستوى الإنثروبولوجي، والديني، والطبي لما لها من أهمية وتأثير على مستوى العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتأثير آخر على مستقبل علاقات الزواج بينهم.

أما عن سبب رفض بعض الأطفال لثدي أمّهاتهم كما ترى بعض الأمهات فيرجع عادة للحسد والعين كما يرجع أحياناً لأسباب صحية خاصة بالطفل، أو الأم، وكبر حلمة الصدر قد تكون عائقاً في بعض الأحيان، وهناك مجموعة من المفردات المستخدمة لظاهرة إjection الطفل عن الثدي أهمها مثلاً (العرة) أو (معتر) أي مصدود أو في حالة صدمة نفسية يرفض فيها ثدي أمه، وهناك يقصد بالطفل أو الطفلة إلى المطوع، فالحسد والمطوع عنصران رئيسيان مرتبطان يمثلان (المرض والعلاج) فالحسد هو المرض، والمطوع هو المعالج.

ومن بعد المطوع يأتي دور الأدوية الشعبية، وهكذا تنحصر ممارسات

أفراد المجتمع بين هذين القطبين كحدود قصوى لدى الوعي بالظواهر المتعددة التي يمكن أن يواجهوها في مرحلة الميلاد في مجتمع الإمارات.

ومن الممارسات أو العادات السائدة في حالة الصد عن ثدي الأم من قبل الطفل هو أن يشتبه الحليب من صدر الأم إلى رأس الطفل إذ يساعد ذلك على عودة الطفل إلى حليب أمه.

ومن المفردات أيضاً (يجزه) أي يعاف صدر أمه ثم نجد ممارسة شعبية أخرى لمحاولة لإرجاع الطفل إلى حالته الطبيعية وإرضاعه من صدر أمه، وهي أن تغسل الأم صدرها بماء البحر أو ماء (الكدو) أي الشيشة، وكذلك (الشبة) أي استخدام مادة الشب، للاعتقاد بأن ذلك يساعد على عودة الطفل للرضاعة الطبيعية.

ومن الممارسات غير المستحبة المتضمنة لمرحلة الرضاعة إرضاع الأم طفلها أمام الأهل والزائرين أياً كانت العلاقة بهم، أو أن تظهر ثديها حتى أمام أقرب أفراد الأسرة لما لذلك من تأثير مباشر، وتعرضها للعين حتى دون وجود القصد.

وجاء التأكيد على ذلك من خلال المثل الذي يضرب في مثل هذه الحالات وهو :

«أخطف على الحساد ولا تخطف على العيان»

ومن المفردات المستخدمة "فطنة" وتعني العين والحسد ويكتب للطفل (حرز) للوقاية ولرد العين، والحرز عامة هو ورقة تكتب فيها بعض الآيات القرآنية التي تحفظ الطفل، وقد يسمى الحرز باللهجة الشعبية الخاصة (إستعطوف) وقد يستخدم هذا الإستعطوف للأم أيضاً ليساعدها على تقبل طفلها لثديها مرة أخرى.. ومعتقدات الحسد ظاهرة إجتماعية ترتبط بنسيج من العلاقات الإجتماعية تقوم على الغيرة والمنافسة وتعتبر الثروة والأولاد من أهم عناصر المنافسة لذا كان استخدام الحرز والتمائم (جمع تميمة) في

حال حماية الأطفال وعلاجهم أمرًا أساسياً في حياة الناس.

وقد يكون السبب في إjection الطفل عن ثدي أمه هو الطريقة التي ترتفع بها الأم طفلها والطريقة التي تبعد طفلها عنها عن الصدر.. فإذا حدث وسحبته الأم بشكل سريع فإن الطفل يشعر بالصد ويكره الثدي، أو يفقد الطفل الإحساس بالرضاعة، وقد يفسر ذلك العلاقة النفسية التي تكون بين الطفل وأمه، والتي وعاها أفراد المجتمع منذ مراحله القديمة، والتي من الجائز لا تعفيها الأم اليوم رغم توفر وسائل التوعية المختلفة في المجتمع الحديث.

إن المعتقدات الخاصة بمرحلة الميلاد كثيرة وتفاصيلها تتسع لهذا فقد إهتم القائمون على هذه الدراسة بمعرفة كل تلك التفاصيل الخاصة حول الموروث الشعبي والعادات والمعتقدات، وتحقيقاً لهذا الهدف وجهنا سؤالاً حول ما إذا كان الناس يعتقدون أن أحد الثديين أكثر إفادة للطفل من الآخر؟.

وجاءت أغلب الردود بمؤيد يفيد تساوي الثديين في كمية الحليب والإفادة للطفل، والبعض يعتقد أن تركيز الرضاعة على ثدي واحد، يؤدي إلى زيادة اللبن في الثدي الآخر ويصعب على الطفل رضاعته نظراً للكمية المخزنة فيه من اللبن وهذا يتتيح فرصة لرفض الطفل لأحد الثديين.

واكتشفنا من خلال تلك الردود أن هناك اعتقاداً بأن الرضاعة وكمية الحليب تتأثر بالحالة النفسية التي تمر بها الأم فمثلاً إحدى الإخباريات رغم أنها أرضعت أكثر من خمسين طفلاً وطفلاً، وأرضعت أبناءها جميعاً إلا أنها في الإن الأخير توفى زوجها فقيل لها لا ترضعيه الحزن، وسمى الحليب حليب الحزن ففطمته وأرضعته حليب (البوش) أي النوق لمدة ١٥ يوماً ثم فطمتها،

زيادة على ذلك يحاول المحيطون بالأم التأكد من نوعية حليب الأم وسلامته وذلك بممارسة بعض الإجراءات، كان يؤخذ حليب الأم من ثديها ثم توضع فيه نملة كبيرة تسمى باللهجة المحلية (سمسوم) فإذا ماتت النملة دل ذلك على فساد الحليب.

ويلاحظ في الإشارة إلى عدم ارتفاع الأم الأرملة طفلها (الحزن) إن ذلك يتفق مع كون ثدي الأم هو مصدر الغذاء المادي (الطعام هو الحليب) كما أنه أيضاً مصدر للغذاء المعنوي (العاطفة والحنان)، ولهذا يجيء الفطام بمعنى شمولي : مادي ومعنوي كما أن هناك تلازمًا حتميًّا بين الجزء (الحليب) والكل (الأم) وما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل .. كما أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء.. ولهذا فإن الأم الحزينة تسقي إبنتها لبنًا حزينًا .. أي هناك علاقة تعاطفية بين الكل والجزء.

وهذا المبدأ هو أساس ما يعرف بالسحر التعاطفي، والذي يقوم على مبدأ التأثير على الجزء للتأثير على الكل (ولهذا يؤخذ من الإنسان شعرة وملابسه أو مشطه) ويعتقد أن ما يمارس على الجزء من تأثير ينعكس مباشرة على الكل، وهذا هو ما تقوم به النفات في العقد .. والذين يعملون "العمل".

ومن المعتقدات الخاصة لدى جماعات البلوش أنهم يرون أن اللبن من الثدي الأيمن يعني رضا الوالدين وإذا غضبت الأم ترضع إبنتها من الثدي الأيسر حتى يتعرض طفله لغضبها .. وربما يقودنا هذا للبحث عن أسباب تمسك الناس بالتفريق بين جهتي اليمين واليسار ليس في حالة الرضاعة فقط ولكن في معظم سلوكهم كالأكل مثلاً باليد اليمنى واليمين دائمًا أكثر تقديساً لدى الناس من اليسار.

ولعل تلك الملاحظة تعيد التأكيد لنا من جديد بأن الطابع العام لتراث الإمارات هو طابع إسلامي.. حيث أن النبي الكريم أوصى بإتباع اليمين كنظام للسلوك قائلاً "ألا فيمنو .. ألا فيمنو.. ألا فيمنو" وكان ذلك عندما كان يقوم بتوزيع الطعام على من حوله فبدأ باليمنين وكان سيدنا أبو بكر على يساره وخشي المضيف الذي كانوا في بيته ألا يتبقى في النهاية لأبي بكر من الذبيحة قدر طيب ذكر الرسول بأن أباً بكر على يساره.. لكن الرسول استمر من اليمين وأكده على البدء باليمنين.. كما كانت السنة النبوية هي الأكل باليد اليمني.

من هنا طبع التراث الشعبي في الإمارات بهذا الطابع ولا تختلف عنه بطبيعة الحال الرضاع وغيره من سلوك الحياة، وربما يكون هذا هو ما يفسر الإعتقاد بأن الثدي الأيمن يقدم الطعام والثدي الأيسر يقدم الشراب رغم تشابه الحليب من الثديين.

وأيضاً الإعتقاد الآخر بأن الثدي الأيمن يدر حليباً أكثر بقدرة الله ووصل هذا الإعتقاد بأفضلية الجهة اليمنى إلى درجة أنه عند تنويم الطفل يوضع في الجهة اليمنى، أما إذا وضع في الجهة اليسرى فإنه لا ينام.

ومن التفسيرات التي قدمت لأفضلية الثدي الأيمن، وجود قلب الأم على الجهة اليسرى.. ولأن بقية الأعضاء على الجهة اليمنى كالأعصاب والمعدة.. بالرغم من أن ما يثبته علم التشريح أن الأعصاب تنتشر في كل أنحاء الجسم ويرى تفسير آخر^(١) بأن أفضلية الثدي الأيمن هي جزء لا يتجزأ من ثنائية اليمين واليسار والتي تطابق في التراث العربي والإسلامي ثنائية الخير والشر، السعادة والشقاء، الجنة والنار، النجاح والفشل، الفال والشؤم.

لذا نجد أن جميع الشعائر تبدأ باليد اليمنى أو الرجل اليمنى أو الجبهة اليمنى، ومن هنا جاءت أفضلية الثدي الأيمن ولكن هذه الثنائية لا تقوم فقط على التقابل، بل تقوم أيضاً على التكامل.. ولهذا يتكامل الثدي الأيمن (الطعام) مع الثدي الأيسر (الشراب) وهكذا الحياة دائماً.

الفطام :-

تسمية الفطام شعبياً لا تختلف في مجتمع الإمارات ما عدا عند البلوش الذين يطلقون عليه (إشيرون يازيرون) أي أخذ الطفل عن الحليب.

أما عن الكيفية التي يتم بها فطام الطفل فهي مجموعة من الممارسات التي نستطيع أن نحكم عليها سلفاً بأنها ممارسات خاطئة، ولا تخضع لائي

١- الدكتور عباس احمد استاذ الإنثروبولوجيا بجامعة الإمارات. وذلك في مقابلة إستشارية تمت بجامعة الإمارات عام ١٩٩٣.

منهج تربوي أو نفسي.

إذ لوحظ من الإجابات أن الطفل يجبر على التخلص من ثدي أمه بواسطة إستخدام أدوات شديدة القسوة عليه، وعلى أي إنسان راشد.

فيوضع الصبر أو المر أو الفلفل على ثدي الأم حتى يعاشه الطفل.. وكذلك كانت توضع بعض المواد الأخرى كالنيل وهو المادة الزرقاء التي تستخدم سابقاً لإعطاء ألوان الملابس البيضاء، أو تستخدم كدواء أو كدهان لتبييض الوجه، وتستخدم خاصة لتزين العروس قبل عرسها بأسبوع، إذ تساعد هذه المادة على تصفيه وجه العروس من الدهون وإعطائه لوناً زاهياً.

وكان يعتقد أنه بإستخدام الصبر (المادة ذات الطعم المر) يتعلم الطفل الصبر عن ثدي أمه، أو تستخدم الأم (الصرة) وهي عقدة من القماش تربط في صدر الطفل ليتلهمي بها وينشغل عن صدر أمه. كما كانت الأم تحاول تقليل وجبات الحليب تدريجياً عنه حتى ينفصل تماماً عن ثدي الأم ويغوص بالمواد الغذائية الأخرى.

وكانت بعض الأمهات يلجان لقراءة القرآن في كوب من الماء ويسقى للطفل سعياً لإنفطامه ويشير المتخصصون إلى أن الأسلوب التدريجي في الفطام هو البدء بإحلال وجبة مكان رضعة، ثم زيادة عدد الوجبات البديلة للرضعات تدريجياً حتى يتعود الطفل عليها بدلًا عن صدر أمه^(١).

وترى باحثة أخرى في هذا المجال^(٢) أن الفطام بمعناه الواسع يتضمن الفطام الغذائي والفطام النفسي عن الأم، ولهذا لابد أن يتم بطريقة سليمة ومتدرجة، ولهذا أيضاً يجب ألا يتم في فترة مشي الطفل بحيث يتوافق بحث الطفل عن بديل لثدي الأم مع البحث عن علاقات جديدة بواسطة الحركة والتنقل مع الأفراد والأشياء الموجودة في البيت.

١ - انظر محمد عماد الدين وأخرون "كيف نربي أطفالنا" ١٩٨٢ ص ١٥٨

٢ - انظر فوزية دباب .. "نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة" مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠ ص ٤٣

اما عن طرق تعويد الطفل على التغذية من مصدر اخر فهي عديدة وكذلك المواد الغذائية المتعددة التي تبدأ الأم بتعويده عليها قبل وبعد مرحلة الفطام، إلا ان هذه المواد رغم تعددتها لا تخرج عن إطار ما تجود به بيئه الإمارات الساحلية والصحراوية من مواد غذائية.

فيعطي الطفل السمك، وهو الغذاء الرئيسي لهذه المنطقة، كذلك يعطي البلح الذي يعد من الأطعمة الرئيسية الهامة والأرز والسمن، كذلك يستخدمون اللوز لما له من فائدة غذائية كبرى ويطلق عليه (الهذايم) ولتفتيته بالتمر طريقة خاصة باهل الإمارات وهي أن يوضع في قطعة قماش خفيفة ويرطب بالماء ويعملق في "المنز" أي سرير الطفل، فيمتصه الطفل وينام، وعندما يكبر الطفل تبدأ الأم في تغذيته بنفس الوجبات التي تعتمد عليها الأسرة كالأرز، و"الساتو" وهي وجبة مصنوعة من النشا و"العرسيه" وهي من الأرز والدجاج "والثبيث" وهي وجبة مصنوعة من الطحين والسمن، أو "القرص" أي الخبز المخلوط بالبيض والدهن البكري وهذه هي الأنواع الغذائية المتوفرة آنذاك.

بهذا تكون قد قدمنا صورة متكاملة عما يتم خلال مرحلة الرضاعة والفطام.. وهي المرحلة التي يبدأ الطفل فيها بإتخاذ مكانة ما في المجتمع، وهي المرحلة التي يدخل الطفل فيها للمجتمع خاصة مجتمعه الصغير (الأسرة) والتي تعتبر من أهم المراحل في حياة الطفل فبقدر ما تتحقق له من إشباع نفس دورها في مرحلة الفطام بقدر ما تتكامل شخصيته في مراحل حياته الأخرى كمرحلة الشباب والنضج ولاحظنا أن الأسرة الإماراتية في المرحلة القديمة قد وعى هذه الأهمية لمرحلة ميلاد الطفل ورضاعته وفطامه، وإن لم يخل ذلك من وعي زائف في بعض جوانبه، ولم تخل حياة تلك الأسرة الإماراتية من سلوكيات وعادات ضارة وإن كانت إيجابية في بعض جوانبها الأخرى.

الفصل الثاني عشر

الحمل الكاذب

False Pregnancy

الحمل الكاذب :

من أهم الظواهر التي قد تتعرض لها المرأة ظاهرة الحمل الكاذب فلماذا سمي بالكاذب؟ وما مدى الكذب الحقيقي لهذا الحمل؟ وما مدى إدعاء الكذب؟ ولماذا تتعرض المرأة للحمل الكاذب؟ هل هو حمل بالمعنى الصحيح، أم حالة نفسية واجتماعية Psychosocial تتوارى خلفها إمرأة تتعرض لضغوط إجتماعية تريد إثبات أنوثتها التي أهدرت نتيجة تنشئة إجتماعية غير عادلة.

ولقد وجها سؤالاً إلى طبيبة متخصصة في أمراض النساء واكتشفنا أن هذا الحمل ما زال متواجداً كظاهرة بين بعض النساء، بحيث تمر على هذه الطبيبة حالاتان في كل عام، وأن وراء هذا الحمل الكاذب ظروف إجتماعية ضاغطة على نفسية المرأة Stress تجعلها تبالغ في رغبتها الشديدة بالحمل، أو تحاول إجتذاب الأنظار إليها من قبل أسرة قد تهمل وجود هذه المرأة، وكانت بالأصل من خلال تنشئتها تعرضت لنفس الإهمال مما سبب لها خلاً هرمونياً في الجسم أدى إلى إيقاف الدورة الشهرية، وينتفخ البطن، ويكبر الصدر يصاحبها نوبات من الغثيان وكلها ناتجة من الإضطراب الهرموني، فتعتقد أنها حامل وتظل حوالي أربعة شهور بنفس الأعراض إلى أن تعود إلى طبيعتها، وتعود الهرمونات إلى الإنظام فيقل الإنفاس، وتكتشف أنها ليست حاملاً.

فالحمل الكاذب إذن قد يعبر عن صراع نفسي واجتماعي تظهر له أعراض مرضية تماثل أعراض الحمل الحقيقي.

هناك العديد من التسميات في اللهجة الخليجية للحمل الوهمي منها:

«حمل فاسد»	«فشت حامل»
«حمل هواء»	«حمل كاذب»
«حمل إبليس»	«حمل وهمي»
«حمل ضنك»	«حمل فشلة»

«حمل السكن» (حمل الجان) «حمل المخربة» سكن الجن.

«لاف دل طرة» باللغة البلوشية.

«حمل ريح» أي حمل الهواء «حمل الشيطان»

«أقطعان» (إنقطاع) «نفح» (أي إمتلاء البطن بالهواء).

«حاملة البوش» «حمل النوق» «الذكور» وهذه سخرية بالحامل.

وتدل التسميات هذه إذن على الإدعاء الذي تقوم به المرأة بطريقة لا شعورية لإظهار الحمل غير الحقيقي وهي غير كاذبة فلا يصح تسمية الحمل بالكاذب، لأن لهذا الحمل أعراضًا حقيقة، تدفع المرأة إلى الإدعاء بالحمل نتيجة لضغوطات إجتماعية نفسية ولا ظهار المحبة والدليل للزوج.

وقد أظهرت بعض الإجابات إرتباط هذه الظاهرة ببعض المعتقدات الشعبية مثلاً فمن بين أسماء هذا الحمل حمل إبليس أو حمل الشيطان أو حمل السكن، أو حمل ريح، فهذا الحمل يطلق عليه حمل إبليس مما يعبر عن أن بعض الفئات في مجتمع الإمارات عندما تعجز عن تفسير الظاهرة تلجأ إلى إبليس ليس لها هذا العجز فهو ذو القوة الذي يستطيع أن يظهر في المناسبات الحرجة من حياة المرأة، وفي التراث الإسلامي على الرجل أن يقول "بسم الله" قبل مجاومة المرأة حتى لا يسبقه الشيطان إليها.

أما عن السؤال عن مدى مصداقية وجود هذه الظاهرة فالأغلبية أجبت بنعم، وذكرت قصص عن هذا الحمل منها قصة المرأة والتي حملت بالفعل ولكنها فوجئت يوم الولادة بأنها حملت بحيوان سمي (طباكة). هذا ما ورد على لسان البعض رغم عدم إمكانية حدوث الحمل بحيوان.

وقصة (شاهان) المشهورة التي وضعت الأقمشة وأظهرت حملاً كاذباً وصلت إلى درجة الإستمرار تسعة أو عشرة أشهر إلى أن أجبرت على فك اللغز وإنظار الزوج جعفر ملياد طفله المنتظر.

ويقال: يا شاهان يا أم الخلقان رب وجبت خلقان
وقيل في جعفر زوج شاهان مايلي:

جعفر لاغصين البان ... وجابوليه ولد من خلقان
حطوا في حضن شيرين ... وشيرين راوت النسوان
وحطوه في حضن جده ... جاءت شاهان مهتدة
أو : أم المناكر شاهان ... حملت وجبت خلقان

ما نريد تفسيره هو أن الحمل الكاذب بدأ ظاهرة منتشرة في المرحلة السابقة من عمر الإنسان في مجتمع الإمارات، مما يعكس نوعا من الرغبة الشديدة في الإنجاب، ونوعا من العلاقة الضعيفة بين الأزواج بحيث تضطر المرأة لتحميل نفسها أما بوضع الأقمشة، أو بإدعاء الحمل وإضطراب الهرمونات نتيجة التعرض للضغوطات النفسية والإجتماعية القوية جدا ويلاحظ أنه في المراحل القديمة كان من الممكن أن يستمر الحمل إلى تسعه أشهر دون أن تعرف المرأة أنها ليست بحامل ولا يدرك الأهل كذلك وقد يكون هذا مؤشرا لغياب الوعي الطبي في مجال الحمل والولادة لدى بعض الفئات من المجتمع وقد سبق أن أشرنا إلى أن الوعي بأمور الحمل كان محدودا في السابق بإستخدام الأعشاب الطبية، ومعرفة ظواهر الحمل إذا كان الحمل ببنت أو بولد، إلى آخره، إلا أننا نفاجأ أن هذا الوعي لا يمتد لينسحب على كل الحالات، بل كانت تعيش بعض النساء بعيدا عن الطب والرعاية الصحية.
ولقد وجدنا أن الأغلبية من الإخباريات قد أكدت أنهن رأين بأعينهن حالات حمل وهمي.

وعن سؤالنا عن مدى معرفة الناس بالحمل الكاذب والتفريق بينه وبين الحمل الحقيقي جاءت عوامل التفريق بين الحملين كما يرتفها الناس على النحو التالي:-

- ١ - إستمرار الحمل الحقيقي ، وتوقف الوهم عند الشهر الرابع أو الخامس.
- ٢ - تحرك الجنين عند الشهر الخامس للحمل الحقيقي، وعدم وجود الحركة في الحمل الآخر.
- ٣ - أخرىات أجبن بأنه لا يوجد فرق بين الحملين.
- ٤ - الوهم لا يوجد إلا مع الحمل الحقيقي.
- ٥ - الداية تستطيع إكتشاف الفرق بين الحملين.

- ٦ - غالباً ما تجهل المرأة نفسها إذا كانت تحمل جنيناً أم حملاً كاذباً.
- ٧ - لا أحد يعرف الفرق غير الله.
- ٨ - لا يمكن التمييز بين الحملين لدى بعض النساء.

ويرجع معظم الناس أسباب الحمل الكاذب إلى القدرة الإلهية ، وإرادة الله التفسير الأكيد لهذه الظاهرة، ولكن البعض ارجعها لحالة "التوهم" لدى المرأة المحرومة أصلاً من الإنجاب، ولكن نفاجأ أن الظاهرة أحياناً قد تبرز لدى المرأة المنجوبة والتي تملك أطفالاً فلماذا تدعي إذن حملاً كاذباً؟

والبعض أجبن بأن إنقطاع الدورة الشهرية هو المسبب لهذا الحمل، أو الرغبة في الدلال على الزوج أي أسلوب "للتخلي" أي لإظهار قيمة المرأة لدى زوجها.

ويرى البعض أن السبب قد يعود إلى عامل الخوف من أن يتزوج عليها زوجها فتدعي الحمل الوهمي وقد يكون السبب في "المخربة" أي الأرواح الشريرة. "مجامعة الشيطان للمرأة أثناء جماعها مع الزوج" قد يؤدي إلى الحمل الكاذب، إذن الجن والشياطين قد يكون لهم دور في إحداث الحمل الكاذب، لذا يشير البعض إلى أن من أسباب الحمل الوهمي "نوم المرأة على ظهرها فيحدث الإتصال الجنسي مع إبليس، وعموماً نجد أن المتداول بين

الناس هو التأكيد على أن النوم على الخلف أي الظهر مكروه للمرأة.. وبمناسبة هذا التفسير نجد مناسبة أخرى للحديث عن النوم على الظهر فقد كانت الأسرة في الإمارات وخاصة الجدة في الأسرة تمنع الفتيات من النوم على ظهرهن منذ مرحلة الطفولة، وتعتقد أن ذلك عيبٌ أو حرام، فكانت الطفلة تتعرض للضرب، أو التجريح إذا نامت على ظهرها.

وقد يدعوا هذا إلى التفكير حول هذه الآفاق وإطار المعرفة الذي كانت تعيشه المرأة والمحيطون بها من الأهل خاصة في تفهم ومعرفة كل الأمور المتعلقة بحملها وولادتها.

ومن العوامل التي تساق لتفسير هذه الظاهرة دخول الهواء إلى البطن أو عدم وجود أماكن نظيفة لاستحمام المرأة، وإضطرارها إلى الاستحمام من الماء الجاري في الفلج "الفلي" أي الوادي الصغير الذي يسقى من خلاله الشجر، فيحدث لها حمل إبليس، أو أسباب أخرى مثل أن لا تنظف المرأة جيداً عند ولادتها الأولى فيدخل الهواء جسمها عن طريق الرحم، وهذا يقود إلى التحدث عن الممارسات المرتبطة بذلك مثل إسقاء المرأة شيئاً بالرنجبيل كل يوم «على الريق» أي قبل أن تأكل أي شيء أو فنجاناً من نبات «الشريص» وينتف رحمها بواسطة «الحرمل» وهو نبات أو شجر صحاوي.

إذا نامت المرأة بدون الملابس فيسهل حسب اعتقاد البعض على إبليس النوم معها، وتحمل منه، ويمتنع زوجها عنها ، ويذكر لها السبب أنها نامت مع إبليس أي أن الزوج يصل إلى وعيه في إمكانية أن ينام إبليس مع زوجته^(١).

١ . (قال الثعالبي): زعموا ان التناكح والتلاقي قد يقعان بين الانس والجن، قال الله تعالى: وشاركتهم في الاموال والأولاد، من سورة المائدة الآية ٨، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا جامع الرجل إمراته ولم يسم إنطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه) (وقال ابن عباس) إذا أتى الرجل إمراته وهي حائض سبقه الشيطان إليها فحملت بالمخنث، فالمخنثون أولاد الجن رواه الحافظ بن جرير.. وللمزيد من المعلومات انظر: الشيخ العلامة المحدث القاضي بدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الشبلي "غرائب وعجائب الجن" كما يصورها القرآن والسنة، مكتبة القرآن ١٩٨٢ ص ٥٨٩ .

وتحكي قصة تكاد تكون حقيقة عن ولادة طفل غريب ويمتنع الأب عن توريثه ويثبت ذلك أمام الأبناء الآخرين كل ذلك إقتناعاً منه أن زوجته حملت من إبليس.

علاج الحمل الكاذب :-

لم تتحدد أشكال من العلاجات لهذه الظاهرة وقد أشارت الأغلبية إلى عدم وجود علاج، وأن الحمل الكاذب يزول من تلقاء نفسه، أو يعالج بإرادة الله سبحانه وتعالى، ويقول البعض أن الدواء الشعبي هو مسح ومساج الداية، أو بالخبان والكعي، أو وضع حجر ساخن على بطئها لينزل الدم والماء المتجمد، أو استخدام الحرمل مع اليعدة والياس والورد وعرق اللي ويطيخ وتشربه المرأة لمدة أربعة أيام وكلها أدوية من الأعشاب التي تتصف بالمرارة الشديدة.

فكيف تحملت المرأة أن تشربها؟.

أن الحمل الكاذب كما أوضحتنا من قبل ظاهرة عامة تعيشها المرأة عموماً سواء كانت انجبت أم لم تنجب من قبل مما يعكس بالضرورة وضعاً إجتماعياً ونفسياً عاماً يحيط بالمرأة في الإمارات في تلك المرحلة، وربما في المرحلة الراهنة إذ ما زال الحمل الكاذب موجوداً، ولكن يتم إكتشافه في الشهور الأولى نظراً لمراجعة الحوامل الدائم للمستشفيات وسهولة إكتشاف ذلك من التحليل الأول للحمل.

أن الحمل الكاذب قد يرتبط بالحالة الزوجية وبالعلاقة بين المرأة والرجل، وبظروف الأسرة وقد يرتبط ببعض التفسيرات التي ترى أنه يحدث بعد الولادة إذا لم تتسلح المرأة بالملح أو حمل سكين في يدها لحراستها من الجان أو يحدث أثناء الرضاعة إذا إنقطعت عنها العادة الشهرية فترة.

ولكن ما هي ردود فعل الناس ونظرتهم للمرأة بعد فشل حملها؟ وإلى أي مدى يعكس ذلك الصور الذهنية أو Images لدى المحيطين بالمرأة؟

ان الإجابات تكشف عن صورة المرأة ذاتها المجرورة بهذا الحمل الذي فشل، فتشعر بالخجل واللوم وكأنها كذبت على الأسرة والزوج، فالأفضل عدم الإعلان عن الحمل حتى يتم التأكد من حركة الجنين بعد الشهر السادس، والنساء جميعهن ينصحن وينشأن إجتماعياً على كتمان الحقائق عن أنفسهن لما لذلك من أهمية في حياة المرأة.

وماذا بعد الخجل واللوم؟ الإستهزاء من البعض وتهوين المصيبة من البعض الآخر، فيقول لها إذا خابت هذه المرة، فسوف تصيب في المرة الثانية إن شاء الله، ولكن الأغلبية تتعرض للعيار أي الإستهزاء، والتذكير الدائم بفشل الحمل.

فإلى أي مدى يؤدي هذا الأمر إلى الفشل الكامل في حياة المرأة ويكون لديها صوراً سالبة عن ذاتها؟ ويكون لدى الآخرين صوراً مجرورة عن المرأة؟ إن المجتمع بحركته وفاعليته؟ ووعيه هو الذي يكون عن نفسه هذه التصورات الذهنية سواء أخذت الإيجاب توجهاً أو السلب إتجاهها لها.

أو قد تتخذ شكل المعايرة بالكذب والتوهم فقد تتخذ نظرة الإشفاق والدعوات لها بالذرية الصالحة، وقد تكثر ردود الفعل المتسيئة بالحمل الكاذب وإلا كيف نستطيع تفسير "قصة شاهان" المشهورة في دبي وإستمرارها في إدعاء الحمل خوفاً من الكشف عن الفضيحة ورغم أغلبية من أجابوا بالنظرية السلبية تجاه المرأة المتوجهة للحمل، إلا أن البعض إشار إلى النظرة المشفقة عليها، والنظرية العادمة لها.

هذه هي محصلة وخاتمة هذا المحور إذ تزداد قتامة الشعور الذي تعيشه المرأة، وتتعرض للكثير من الإحباطات والكثير من الهزات النفسية قبل وأثناء الحمل وبعد الولادة، ودائماً هناك حكاية مستمرة حول المرأة، فبقدر إستمرار المجتمع، تكون المرأة سبباً في إستمراره، والحكايات التي تدور حول المرأة، دائماً تكشف الحقائق عن المجتمع ككل في شكله الاجتماعي والثقافي.

الفصل الثالث عشر

العقم

Barrenness

العقم: ^(١)

في هذا الفصل نستعرض المادة الإثنوجرافية المتعلقة بموضوع شائك وحساس في الوقت نفسه، وهذا الموضوع نعرضه من أبعاد مختلفة تربط بين المادة الخاصة بالعقم والجوانب المتصلة بها من علاقات ومفاهيم وممارسات اجتماعية سادت في مجتمع الإمارات في الماضي.

الكلمة المعبرة عن العقم في اللهجة المحلية . ما هي ؟

شاع في اللهجة المحلية لمجتمع الإمارات القديم وصف المرأة التي لم

والأسئلة هي:

- ١- ما هي الكلمة المعبرة عن العقم في اللهجة المحلية؟
- ٢- ما هي الفترة (بعد الزواج) التي يتقرر فيها عقم المرأة؟
- ٣- ما هي الأساليب التي تستخدم شعبياً لتأخير الحمل؟
- ٤- ما هي الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تأخر الحمل؟ (الممارسات الذاتية . والتي يقوم بها الآخرون).
- ٥- ما هي الممارسات التي تتبع لتجنب العقم؟
- ٦- أين تعالج المرأة العاقر «ومن يقوم بالعلاج؟
- ٧- ما هي الممارسات التي تتبع لعلاج العقم ؟ (الطبيعية والغبية)؟
- ٨- هل تلجأ الزوجة لعمل أي تحويليات أو وصفات للزوج الذي يريد الزواج من غيرها للإنجاب؟
- ٩- ما هي ردود أفعال الزوج والأقارب نحو :
 - ١- تأخر الحمل بـ - العقم . (الزوج - الحمام - أخت الزوج وأقاربه)؟
 - ١٠- هل يؤخر الناس حملهم؟
 - ١١- كيف يمكن إكتشاف عقم الرجل؟
 - ١٢- كيف يمكن إكتشاف عقم المرأة؟
 - ١٣- بماذا توصف أو تشبه العاقر؟
- ١٤- دون آية حكايات تروى عن إمرأة إستمرت عاقراً فترة طويلة ثم حملت؟
- ١٥- ما هي الممارسات الطبيعية (الاعشاب) والغبية (الدخون) لعلاج العقم؟

يرزقها الله نعمة الإنجاب بكلمة «عقيم» وهذا الوصف مستمد من الآيات القرآنية «لله ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء يهب من يشاء إناثاً ويهب من يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً و يجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قادر»^(٢). كما شاع لدى العامة من الناس وصف العقيم بصفة أخرى هي (العاقر) أو (العاجر) أي العاقر بالنطق المحلي حيث يقلب حرف القاف إلى جيم وبتحريف الكلمة بحسب اللهجة المحلية للمناطق المختلفة نجد هذا الوصف نفسه يتتحول إلى:

«عجير» ، «معجر» ، «عجيمة» ، «عقيرة» ، «عقير» ، «عقيمة».

كما يطلق البلوش على المرأة التي لا تنجب وصفاً شاداً حيث توصف بكلمة «سنت» البلوشية وتعني الحمار وهناك صفات أخرى غير مستمدة من كلمتي عقيم وعاقر مثل «فقارة» أي التي يتراكم الشحم بالرحم ليم允 حملها، ومثل وصف "مريلالية" المشتقة من «ريال» أي رجل ويقصدون بها التي لا تلد مثل الرجال.

وكان هناك من يفرق بين كلمتي «عقيم» وعاقر حيث «عقيم» وصف للمرأة التي لا تنجب لكن «عاقر» لا تطلق على الإنسان.

تشبيهات وأقوال عن المرأة العقيم

كما شاعت أوصاف وأقوال وتشبيهات عديدة للمرأة العقيم ومعظم هذه التشبيهات والأوصاف إستمدت من البيئة المحيطة من نبات وحيوان.

غير أن التشبيه الأكثر شيوعاً كان أنها مثل الرجال لا تلد كما وصفت بكلمة «برنثا» أي لا رجل ولا إمرأة.

ومن الأوصاف التي جاءت على لسان الإخباريات:

- العقيم كالبيت الخراب.

٢ - سورة الشورى الآيتان ٤٩ ، ٥٠.

- العقيم كشجرة بلاضل.
 - العقيم كفحل النخل (أي شجرة بلا ثمر).
 - العقيم كالنخلة اليابسة.
 - العقيم كالثور (أي ذكر البقرة).
 - العقيم كالبقرة العاقر.
 - العقيم العنز العاجز.
 - العقيم كشجرة الموز التي تقتلع بعد أن تثمر ولا يبقى لها جذور ولا إستمرا.
 - العقيم قاطعة البذر، المتشحمة ، السيف ، عتبة النار ... الخ
- ومن الأقوال التي ترددت على السنة الناس حول المرأة العقيم :
- العاقر من عتبة النار.
 - أنا ما أخوكم أخو الغزلان ما تحتي عيال «مثلك ذكر الغزال لا يلد».
 - العاقر باكر يوم بتموتني عضقش بعرقش «أي أنه بعد موتها لا أثر ولا ثمر».
 - العاقر لا تخلفي ولد ولا تلد ولاش ولا تالي «أي ليس منها من يخلفها».
 - فقدتني فقتين موزة عرقش بعضقش.

وهذا بلهجة المنطقة الشرقية يعني أنها مثل الموزة ينقطع أثرها بعد موتها.

- ومن التشبيهات أيضا «عرق بعضق - ما فيها عرق ولا نصق».
- «موزة عذقها بعرقها».

وهذه التشبيهات ينطوي بعضها على وصف بيئي كما ينطوي بعضها

على نوع من السخرية أو المعايرة.. وهي في مجملها تعتبر المرأة التي لا تحمل ولا تلد . كما كانت نظرتهم إليها . شجرة بلا ظل ولا تمر.

ما هي الفترة التي يتقرر فيها أن المرأة عاقرا

هذا الجانب من الموضوع الذي يتعرض له البحث من أكثر الموضوعات إثارة للغرابة وللتأمل في حكمة الله.. وبالتالي يبدو فيه التحديد بالقاطع محل تباين بين تقدير وتقدير وبين رواية وأخرى. ويمكننا ملاحظة ذلك بصورة أوضح إذا ما إطلعنا على نصوص الإجابات^(١) كما وردت على لسان الإخباريات ونجمل هذه التقديرات كما يلي :-

- هناك من رأى بأن المرأة يمكن أن توصف بالعقم إذا مر عليها عام واحد

من الزواج دون إنجاب.

- وهناك من رأى أن ذلك يحدث بمرور عامين.

- وهناك من رأى ذلك بعد مرور ثلاثة أعوام.

- ظلت الفترة تتضاعد مع تعدد الآراء من عام واحد حتى بلغت الأربعين عاماً.

. من ناحية أخرى فإننا من خلال روايات الإخباريات نلاحظ أن حالات قليلة فقط هي التي استمرت طول حياتها دون إنجاب بينما العظمى من النساء اللاتي تأخر حملهن كن يلدن بعد مرور من عام إلى عشرة، وربما أربع وعشرين!.

- تشير إحدى الإجابات إلى أن هناك من أنجبت بعد ١٦ عاماً وأصبح لديها ستة أطفال.

١ - ما هي الفترة التي يتقرر فيها أن المرأة عاقرا؟

هذا الموضوع الذي يتعرض له البحث من أكثر الموضوعات إثارة للغرابة وخوضوعا لإرادة الله وبالتالي يبدو حافلا بإختلافات التقدير من إخبارية إلى إخبارية فتكاد كل إجابة أو إجابتين أن يكون لهما تقدير للأمر.. ولهذا السبب تعددت الإجابات.

- وهناك من أنجبت بعد مرور ٢٤ عاماً على زواجهما وكان من عادة المجتمع الإماراتي الأول أن المرأة إذا تأخر حملها أربعة شهور تذهب إلى الداية لمسح بطنها فإذا لم تحمل بعد ذلك فإنها تعرف أنها إرادة الله.

- وكان الناس يعتقدون أن المرأة التي لا تحمل فيها دراس^(١) وكانتا يقومون بمارسات مختلفة لفك الدرس للمرأة لتحمل بإذن الله.

- على الجانب الآخر أن موافق الزوج من زوجته التي لم تنجي بعد مرور سنتين أو أكثر كانت تختلف من زوج إلى زوج ومن حالة إلى حالة.

فهناك من الأزواج من لا يصبر على زوجته أكثر من عام ويطلقها أو يتزوج عليها واحدة وأثننتين ويطلق وقد يتزوج خمس مرات لكي ينجبن له طفلاً ولا ينجي، في حين أن هناك من الأزواج من صبر على زوجته ١٦ عاماً إلى أن أنجبت.. وزوج آخر صبر على زوجته ٢٤ عاماً حتى أنجبت ولم يتزوج عليها ولم يقم بطلاقها ، وهذه الحالات الصابرة كان يدفعها إلى ذلك الموقف أحد أسباب ثلاثة أو لعلها الأسباب الثلاثة مجتمعة:

الأول : الإيمان الأكيد بأن هذا الأمر حسب نص القرآن الكريم هبة من الله يمنحها وقت يشاء « يجعل من يشاء عقيماً».

الثاني: أن يكون لزوجته لديه معزة كبيرة أو صلة قرابة حميمة لا يريد أن يؤذني مشاعرها.

الثالث: أن يكون غير ذي مقدرة مادية تتيح له الزواج بأخرى.

١- دراس: الدرس ويطلق عليها في الثقافات العربية الأخرى المشاهرة وهي من الظواهر الغيبية التي يفسر فيها مثلاً عدم إنجاب المرأة دخول إمرأة أخرى ليست ظاهرة عليها (راجع فصل المشاهرة) لمزيد من الشرح.

كما كان هناك في الوقت نفسه بعض الأزواج الذين كانت لهم تصرفات أخرى كطلاق زوجته أو الزواج بأخرى.

وهنا نذكر بعض الحالات التي تمثل مفارقات حدثت في هذا المجال.

- تزوج أحد الرجال خمس زوجات ولم ينجن و تزوج السادسة فأنجبت!.

- رجل طلق زوجته وله منها طفلان .. ثم تزوج بعدها بإثنين لم تنجبا ..
وتزوج الثالثة فأنجبت!.

- رجل تزوج بثانية لعدم إنجاب زوجته الأولى.. ويا سبحان الله تحمل الزوجتان الأولى والثانية في الوقت نفسه معا.

وفي النهاية لا يرتبط هذا الوصف بعدد معين من السنوات لكنه يطلق على الحالات التي تمر بها السنوات دون إنجاب، ولكن الثابت أن المرأة تظل قابلة للإنجاب حتى سن الأربعين وليس هناك سنة معينة قبل هذه السن يمكن أن ينقطع فيها الأمل بالإنجاب، وبهذا يكون التعريف الحقيقي للعقيم أنها كل مرأة تزوجت وتوفيت دون أن يقدر لها أن تنجب طفلا.

الأساليب التي كانت تستخدم شعبياً لتأخير الحمل؟ .. ما هي؟

طبيعي أن يسبق هذا السؤال معرفة ما إذا كان تأخير الحمل، أمراً لجا إليه الأزواج في المجتمع قديماً أم لا؟.

إلا أن الإجابات التي تجمعت لدينا عن هذا السؤال تكشف لنا بوضوح أن تأخير الحمل لم يكن أمراً مرغوباً فيه على الإطلاق بين الأسر الإماراتية الأولى، بل كان العكس هو الصحيح فكانت الرغبة في الإنجاب السريع هي الأكثر إهتماماً لدى أبناء المجتمع الأول.

وقد اتفقت معظم الإخباريات بما يشبه الإجماع على أن النساء لم يقمن بالسعى إلى تأخير الحمل عن عمد على الإطلاق إلا لضرورة صحية ومع ذلك بقيت هذه الضرورة محددة في أعداد نادرة.

وكانت الغالبية العظمى تنفي أن يمثل تأخير الإنجاب ظاهرة أو مجرد عادة في المجتمع الأول، وكانوا يحبون الإنجاب والإنجاب بأعداد كبيرة.

- من ناحية أخرى يمكننا ملاحظة أن الحالات القليلة للغاية التي أشارت بإمكانية حدوث ذلك أوضحت لنا بعض الأساليب التي كانت تستخدم شعبياً لتأخير الحمل .. مثل :

- تعاطي أدوية معينة يتم تركيبها أو طبخها.

وتتناولها المرأة بطرق متعددة بالأكل أو بالشراب أو بغير ذلك من الطرق .

من بين تلك الأدوية «الأتمد» وهو دواء شرب من مسحوق الكحل الرمادي.

ومثل شراب «الكافور». أو بشرب الفطف، أو بشرب ماء البحر أو الملح.

كما كانت هناك ثمار وماكولات معينة إستُخدمت لتأخير الحمل ... مثل :

طحين المسك .. و قالوا إن هذا يقطع الحمل نهائياً.

أو بأكل حبات القهوة النيئة بعد الولادة مباشرة.

أو بشرب مسحوق حبات من نبات العرش وهي شجرة تدق ثمارها وتشرب.

وفي وصف لطريقة تحضير أحد تلك الأدوية نشير إلى أن «شراب الفطف» والبعض يطلق عليه «الغضف» كان يعد من أعواد الغطف الرفيعه التي تشبه القصب وتتنقع في الماء لمدة يوم إلى أن يصبح لون الماء أصفر ثم يتم شرب هذا الماء بهدف تأخير الحمل.

- كان اللبن والحبة الحمراء أيضاً من الأدوية الشعبية لهذا الغرض.

- شككت بعض الإخباريات في جدوى بعض هذه الأدوية، وتقول أحدهن عن تجربة شخصية أن حبات القهوة لم تنجح في تأخير الحمل حين إستخدامتها لهذا الغرض.

- كان من بين الأساليب أيضاً لتأخير الحمل الوسائل الطبيعية مثل:

(طريقة العد) أي بالإمتناع عن المعاشرة الزوجية في الأيام الخمسة التالية لانتهاء الدورة الشهرية.

أو لجوء الزوج إلى القذف للخارج عند لقائه مع زوجته.

- يبقى مع ذلك ضرورة التأكيد على أن هذه الممارسات كانت لا تتم إلا في حالات نادرة مثل ضعف الصحة أو كثرة الأطفال مما كان يدفع إلى السعي لتأخير الحمل وليس لدينا دليل طبي يشير لنا بأن هذه الوسائل كانت ناجحة، وخاصة استخدام الأدوية الشعبية.

الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تأخر الحمل ؟ :-

حيث لم يكن في السابق أطباء كما هو الحال في الزمن المعاصر كانت من أهم الوسائل التي تلجأ إليها المرأة في حالة تأخر الحمل الوسائل التالية:-

١ - الذهاب إلى «الداية» أو القابلة : لإجراء أي من الطرق العلاجية التالية:

١ - المسح ... وهو ما يشبه التدليك في المناطق التي يعتقد أن بها ورم وفي هذه الحالة كان يقال أن هذه المرأة لديها «فقارة» أي أورام تمنع الحمل بسبب إمساك المبايض وكان المسح (التدليك) على بطن المرأة يساعد المبايض على النشاط.

٢ - الخبابة .. وتجري هذه العملية للمرأة التي يعتقد بأن هناك شحوماً حول الرحم تمنع التلاقي الطبيعي وتؤخر الحمل، وتم عملية الخبابة أو الخبان بوضع زجاجات الهواء على بطن المرأة في مواضع معينة .. ويتم تفريغ الهواء من الزجاجات بعد تسخين الآنية بإشعال النار في قطعة قماش داخل الزجاجة ووضعها على بطن المرأة وتقوم تلك العملية بإيجاد مصدر حراري يفرغ الزجاجات من الهواء فيندفع الجلد داخل الزجاجات، وهذا يساعد على أذابة الشحم وتنشيط الدورة الدموية،

والبعض كان يستعمل في الخيانة أنيمة أو قلة ماء بدلًا من الزجاجات.

٣ - بالتوسيم .. والتوسيم هو الكي وكانت هذه الطريقة هي إحدى طرق العلاج لتأخير الحمل وذلك بكى منطقة ما في الظهر والخلف وكذلك منطقة ما في الأمام وهذه الطرق في العلاج ظلت شائعة في علاج أمراض كثيرة وليس تأخير الحمل وحده، كما ظلت معروفة لسنوات قريبة.

ب - الذهاب إلى «المطوع» أو «المطوعة»:

وذلك للقراءة على المرأة آيات من القرآن بهدف دفع الضر عنها.. وكتابة حجاب أو حزب لها بهدف الدعاء لجلب الحمل.. كما كانت هناك أنواع لهذه الأحجية مثل «القامة» أي التمييم كما كان هناك نوع يسمى «القفل» يعلق على ظهر المرأة وهذا القفل كان خاصا بوقف عملية تكرار الإجهاض.

ج - النذر:

وكانت بعض النساء الحريصة على الحمل والإنجاب تجنباً لمعايرة أهل الزوج وخوفاً من أن تكون على وصفهم «كفشل النخل» أي النخلة الذكر التي لا تطرح تمراً.

كانت هذه النساء تدعوا الله وتذهب إلى المسجد وتذمر نذراً لله إن رزقها الله بطفل .. وهذه أيضاً كانت وسيلة شائعة في حالة تأخر الحمل.

د - اللجوء إلى الدواء:

مثل شرب الأعشاب الشعبية «كشرب نقيع عشبي» كف مريم.

هـ - إتباع عادات قديمة:

- مثل الأكل من (فراسة) إمرأة واضعة أملأ في الإنجاب .. والفراسة هي أكلة خاصة مغذية للمرأة الواضعة وتسمى هذه الأكلة (صخونة) وهي مكونة من العسل والدهن البلدي والقرصوص المعدة من الطحين وتشبه الخبز ولكنها أكثر سماكاً، وتخبز في الجمر والرماد مباشرةً.

- أو بوضع حليب زوجة تزوجت معها وحملت وتضعه على رأسها.

وتشير الإجابات إلى أن المرأة لم تكن تمارس شيئاً ذاتياً ولكنها كانت تحاول إتباع جميع الطرق السابقة في ذلك الوقت والتي توصف لها سواء من الداية أو من المطوعة وذلك؛ لعدم وجود الأطباء في تلك المرحلة المبكرة من حياة مجتمع الإمارات العربية المتحدة.

وفي حالات أخرى كان يعتقد بأن تأخير حمل المرأة ناتج عن أعمال ضارة أو تكون المرأة (مدرسية) فتسعى إلى فك الدراس.. وذلك بوضع داس تحتها وهي حائض ويقولون يا داس فك الدراس. وكانت حالات نادرة تذهب إلى الهند طلبا للعلاج الذي كان يتم بطرق شعبية أيضا وبعضها طريقة أقرب إلى الخانة.

وإذا جَرِبتِ المرأة جميع الوسائل ولم تجِنْ نتِيجةً منها أدركت أن ذلك قدّرها وصَبَرَتْ على إرادة الله.

الممارسات التي كانت تتبع لتجنی العقم .. ما هي ؟

في الجزء السابق بحثنا في الممارسات التي تقوم بها المرأة أو يقوم بها غيرها لتجنب تأخير الحمل أما بالنسبة للعقم فالامر يختلف. لأن العقم كما أشرنا في بداية هذا الفصل من الله تعالى «ويجعل من يشاء عقيماً».

ولذلك فعندما كانت المرأة يتاخر حملها كانت تتبع الوسائل التي سبق الإشارة إليها من مسح وخبان وتوسيم وغير ذلك من الممارسات.. وإذا لم تتحقق هذه الوسائل نتيجة فلم يكن بيد المرأة شئ تفعله سوى الصبر على قضاء الله.

ولكن المرأة في تلك الفترة الأولى لمجتمع الإمارات كانت تتجنب «الحبسة» وقد أشرنا إلى ذلك في الجزء المتعلق بالمشاهرة .. وذلك بعدم دخول إمرأة حائض على إمرأة متزوجة حديثاً في الأيام الأولى للعرس.

وقد أشارت معظم الإجابات بصورة واضحة إلى أن العقم من الله ولم يكن هناك شيء تلجأ المرأة إليه لتجنبه إذ ما يدريها أنها ستكون في المستقبل عقيماً.

حيث لم يكن هناك أطباء وطبيبات كان العلاج يتم على أيدي إحدى المعروفات بخبرتها وتجربتها في هذا المجال ومن ثم تقصدها المرأة طالبة العلاج.

فقد كانت هناك «الداية» وهي التي كان لها هذا الدور بالدرجة الأولى في مجتمع الإمارات القديم وكانت الداية تقوم بعلاجهن بالمسح والخبان والوسم في بيوتهم وتباشر المتابعة بالمرور عليهم إلا في حالات أقل حيث كانت المرأة تتجه إلى بيت الداية طلباً للعلاج.

كذلك «المطوع» وكان هو الوجهة الثانية للمرأة العقيم «وكان المطوع يقوم بإعطائها» «محو» لشربه، وهو عبارة عن ماء ورد قرأ عليه آيات القرآن الكريم مقرونةً بالدعاء للمرأة التي لم تنجـب. أو يقوم بعمل «حجاب» أو «قامة» بهدف دفع الضر أو أذى «الشيطان عنها». ومما يلاحظ أن الغالبية من الأجابات أوضحت أن الكثير من الحالات الطالبة للعلاج لدى الداية أو المطوع، كانت تعرف أن الله هو الذي يهب الأولاد وليس المطوعة أو الداية .. وأن الشفاء بيد الله وما المطوع أو الداية إلا أسباب لإرادة الله وهذا يشير إلى سلامة المعتقد الديني في تلك الفترة.

ثم هناك «الطبيبة الشعبية» بالإضافة إلى «الداية» والمطوع فقد كانت هناك بعض النساء من ذوات الخبرة والتجربة في فوائد الطب الشعبي، والتي كانت تعتمد على أعشاب طبية مفيدة، ومشروبات خاصة أو أنواع معينة من التمار.. وكانت هذه الشخصية النسائية المتخصصة بمثابة طبيبة شعبية تقصدها المرأة في حالات معينة للعلاج.

وفي أحيان كثيرة كان الدور مختلطًا بين الداية والطبيبة الشعبية، فكانت الداية تسقى المرأة الطالبة للعلاج الأدوية الشعبية التي تخلط بها عدداً من

الأعشاب وتقرأ عليها آيات القرآن .. وتنصحها بكل ما يجب عليها أن تفعله سعيا للإنجاب.

ج - وكانت توصيها بالتعوذ من الشيطان دائمًا وبذكر الله كثيرا.. وبقراءة القرآن.

ومن الأقوال التي ترددت في تلك الفترة وتعكس درجة الإعتقاد الديني ذلك القول الدارج «على الإنسان الحركة ومن الله البركة».

وصف الممارسات الطبيعية والغيبية لعلاج العقم.

كانت طرق علاج العقم في الماضي - كما سبق وأشارنا - تتم بوسائل طبيعية أو غيبية، والطرق الطبيعية لم تخرج عما ذكرناه من قبل.

أ - أما عن طريقة «الداية» وذلك بطرق العلاج التقليدية المعروفة في ذلك الوقت وهي:

- المسح.

- الخبان.

- الوسم.

- الأدوية الشعبية.

ب - وإنما بطرق العلاج الغيبية الشائعة وذلك عن طريق «المطوع» وهي:

- بالتعوذ من الشيطان وقراءة القرآن الكريم.

- أو بعمل «حجاب»، أو «قامة» أو «قفل».

- أو تشرب «المحو» وهو ماء الورد أو الزعفران مع قراءة القرآن.

- أو «بالنذر» لله وفي المساجد.

- عمل تحميلات معينة لفك (الدراس).

ج . ولكن هناك بعض ممارسات شاعت ربما إختلطت بنوع من الجهل أو الخرافة و من تلك الممارسات الغريبة :-

- الإغتسال بمياه غسل الميت تقوم به المرأة العقيم.
- اللجوء إلى حلقات الزار اعتقاداً منهم بأن ذلك يطرد الجن.
- قيام إمرأة وضعفت حديثاً بالحلب على رأس المرأة التي تريد الإنجاب، وذلك غالباً ما كان يتبع عند الإصابة «بالمشاهرة».
- شرب الماء من بئر حفر حديثاً.
- عبور البحر من مكان إلى مكان.
- الجلوس على مشيمة إمرأة بعد ولادتها.
- العذر: وذلك بوضع الدخون في مكان معين من الجسم يظن أنها أصيبت فيه من الجن.
- المرور فوق قبر ثلاث مرات.

د - من بين تلك الممارسات التي لا نعرف لصحتها دليلاً علمياً، اعتقاد البعض في الماضي بأن (الكواشح) سبب في عدم الإنجاب وعدم الزواج أو وفاة الأطفال الرضع.

«والكواشح» عبارة عن شعرة تنبت بشكل دائري حول الشعر العادي وفي أماكن متفرقة من الجسم ولا يراها إلا متخصص حيث لا يعرفها الإنسان العادي .. وكان البعض يعتقد أن إزالتها عن طريق الحرق بعواد قصب صغير يزيل المانع من الإنجاب.

هـ - الطب الشعبي :-
كما كانت هناك بعض الممارسات التي تقترب من أساليب العلاج الطبية ..
ومن تلك الممارسات:

- العلاج بغسل الرحم لدى متخصصة بهدف تطهير الرحم من موائع الحمل.

- علاج الرجل بتغذيته وإعطائه أدوية شعبية بهدف تقوية ظهره.

- ومن ذلك طبخ طحين الشوم مع العسل والبيض وقيام الزوج بتناوله صباحاً ومساءً.

- «الحجامة» وكانت تقوم بها مجموعة من النساء الزحل القادمات من عمان.

- تناول الأدوية الشعبية كالأعشاب المفيدة في حالات معينة.

- الغسل بمنقوع السدر الأخضر.

- تعديل وضع الرحم بوسائل مختلفة إذا لم يكن في وضعه الطبيعي.

- قيام المرأة بشرب الفلفل لأنزال الدم الفاسد.

- شرب القرفة - الزنجبيل - وتناول الحبة الحمراء، لمنع تراكم الشحوم.

- تناول المريمية والصبر والميعدة والحرمل كشراب لتطهير البطن.

- كانت هناك أدوية عربية يصنعها البدو تعطى للمرأة.

- كان الطب الشعبي يعتمد على الأعشاب المحلية والإيرانية والهندية.

ومن بين ممارسات علاج عدم الإنجاب التي يصعب تصنيفها بين الوسائل المعروفة للعلاج هي أن البعض كان يلجأ لتغيير مكان سرير النوم عند العاشرة الزوجية إلى ٧ أماكن .. مرة مقابلة القبلة . وأخرى الشرق . ومرة جهة الغرب وهكذا، وربما كان في ذلك سبب لاستمرار لقاء الزوج بالزوجة على مدى أيام متتالية تتخللها فترة الأخصاب.

ومن أشهر الطرق الغريبة والشعبية التي كانت شائعة في تلك الفترة المبكرة في مجتمع الإمارات:

الدخون : والدخون : عبارة عن حرق النباتات الجافة ذات الروائح المعطرة (البخور) مثل العود واللبان بالحرق..

وكانت المرأة تدخن بالشبة أو بخلطة معينة من البخور غير أن نسبة كبيرة من الإخباريات أشارت إلى أن الدخون كانت تجرى للمرأة بعد الولادة وفي حالات إصابتها بالإجهاض أكثر من حالات العلاج للعقم.

وهناك ملاحظة جديرة بالإهتمام أشارت إليها الإخباريات أيضاً أن كل الوسائل الغيبية والطبيعية التي كانت تتبع كانت محاولات إنسانية يعرفون سلفاً أنها قد تأتي بنتيجة وقد لا تفيد ، وفيما يتعلق بالعقم فإنهم كانوا يؤكدون أنه أمر ليس للإنسان فيه قدرة على العلاج وإنما العلاج يفيد أكثر في حالات تأخير الحمل..

هل تلجأ الزوجة لعمل أي تحويطات أو وصفات للزوج الذي يريد الزواج من غيرها للإنجاب؟

من واقع إجابات سبعين حالة تقريباً يمكننا الإقتراب من طريقة التفكير النسائية بصفة عامة في الزمن الماضي إزاء ردود فعلهن إذا فكر الزوج في الزواج من زوجة ثانية بهدف الإنجاب، وحصلة الإجابات لا تعطينا الإجابة على هذا السؤال بنعم مطلقة أو لا مطلقة حيث نلاحظ:-

أن المادة التي جمعناها حول هذا الموضوع تضع موقف النساء من الزواج الثاني ضمن أحد مجموعتين :-

أ - المجموعة الغالبة من النساء التي تخاف الله وتتمتع برجاحة العقل لم تكن تعرف هذا الطريق وإذا عرفته لم تكن تلجأ إليه بإعتباره حراماً.

ب - المجموعة الأقل من النساء كانت تلجأ لهذا الأسلوب إذا ما فكر أزواجهن في الزواج بزوجة ثانية بهدف الإنجاب.

وقد فكانت ردود فعل نساء المجموعة الأولى تختلف من زوجة إلى

أخرى، وهذا توضيح لهذه المواقف.

- بعض الزوجات كن يتفهمن رغبة الزوج في أن يكون له أبناء وبنات وبالتالي كن يسلمن بحقه في الزواج .. ولكن على مضمض.

- بعض الزوجات كن يوافقن بترحيب بمنطق أن هذا سلوك طبيعي للرجال.

- بعض الزوجات كن يطلبن من أزواجهن الزواج عليهن بل ويساعدن في هذا الأمر بشرط أن يعدل بينهما.

- بعض الزوجات كن يعتبرن الزوجة الثانية اختا لها وتقوم برعاية أبنائها من زوجها وتحنون عليهم.

- النساء اللائي كن يقبلن على مضمض. لم يكن في أيديهن شيء يفعلنه سوى الصبر على إراذة الله.

- والنساء اللائي يتفهمن موقف أزواجهن كن يتميزن بنضج العقل.

- والنساء اللائي كن يطلبن إلى الزوج الزوجة الثانية ويبقين في بيت الزوجية كأخوات للزوجات الجدد كن ينطلقن في الغالب من منطلق إيماني يعرف الحلال والحرام ويعرف مالهن من حقوق وما عليهم من واجبات.

أما ردود فعل نساء المجموعة الثانية فكانت تختلف من إمرأة إلى أخرى، إلا أنهن جميعاً إشتراكن في سلوك طريق الأعمال المانعة للزوج من الزواج بأخرى.

وكان ذلك يتم بذهاب المرأة لأحد المطاعوٰة ليعمل عملاً لزوجها لمنعه من الإقدام على الزواج بأخرى وكانت لهذه الأعمال أسماء عديدة من بينهما:-

- الصرف .. أي الذي يصرف تفكير الزوج عن الزواج.

- الحجاب .. الذي يمنع ذلك.

- الطبوب .. أي الذي يعالج هذا الأمر.
- السوي .. أي ما يسويه المطوع من تعويذه.
- الخط .. أي ما يخطه المطوع على الورق.
- الأوراق .. وهي المكتوب عليها بهدف المنع.
- التحويطة .. أي التي تحيط بالإنسان لتمتنع عنه ما يراد منعه.
- وكذلك القرطاسة .. والشب .. والفال .. وغير ذلك من الأسماء.

وقد أشارت بعض الإجابات إلى أن مثل هذه الممارسات كانت شائعة لدى العجم أكثر من شيوعها بين العرب وكان من عادة الزوجة التي تقبل الزواج الثاني أن تبقى في البيت وإذا لم تتوافق كانت تغادر بيت الزوجية إلى بيت أهلها أو تطلب الطلاق.

من ناحية أخرى كان بعض الأزواج لا يقدمون على الزواج من ثانية إلا برضي الزوجة الأولى وبتطبيق خاطرها بالهدايا أو بمال أو غير ذلك حتى لا يجرحوا مشاعرهن.

ما هي ردود أفعال الزوج والأقارب نحو تأخر الحمل أو العقم؟ (الزوج - الحمام - اخت الزوج - أقاربه).

الزوج : الغالبية كانت تضيق بالأمر وتقوم بالزواج مرة أخرى برضي الزوجة الأولى أو غير رضاها.

الأقلية كانت تصبر وتواصل حياتها الزوجية أملًا في أن يرزقها الله بعد حين، أو عن رضى بقضاء الله.

أما في الحالة الأولى فذلك مسلك طبيعي بإعتبار أن البنين زينة الحياة الدنيا، وفي الحالة الثانية إيمان بأن هذا ليس بيد الزوجة.

الأهل : (الحمام - الاخت - الأقارب) عادة ما كانوا يسعون إلى علاج الزوجة

بالمسح أو الخبان، أو يحرضونه على الزواج من أخرى لرغبتهم الشديدة في رؤية ذرية الزوج هذا في الأحوال العادلة.

وفي أحوال أخرى كانت تحدث تصرفات غير كريمة بمعايرة الزوجة ووصفها بصفات شتى ويحرضون الزوج ليس فقط على الزواج ثانية، ولكن أيضا على تطليق زوجته الأولى.

وبشكل عام تختلف ردود الفعل سواء كانت رد فعل الزوج أو الحماة أو عموم الأهل من عائلة إلى عائلة بحسب القيم الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية والدينية التي تحكم تفكيرهم وطبيعة نظرتهم للأمور. فهناك من يصبر ولكنهم الأقلية النادرة.. وهناك من يسعى للزواج بأخرى. لكن الشاذ وهو قليل أيضا كان إيداء شعور الزوجة الأولى بما لا ذنب لها فيه، ويمكن الإطلاع على روایات الإخباريات عن هذا الموضوع لتبدو الصورة أوضح بالمزيد من التفاصيل مع ملاحظة أنه يندر أن تختلف ردود فعل الناس في الماضي عنها في الحاضر في هذا الأمر بالذات حيث أنه رد الفعل الإنساني والغريزي والطبيعي على اختلاف درجاته ووجهته.

هل يؤخر الناس حملهم ؟

كان الإنجاب وكثرة الأولاد يمثل قيمة إجتماعية كبيرة.. فلقد كانت دليلا على رجولة الرجل وخصوصية المرأة .. وكانت كثرة الأولاد تمثل قوة إنتاج إضافية للرجل وبالتالي لها قيمة اقتصادية أيضا فضلا عن أن حب الأطفال والأبناء شعور فطري وغريزي يستحيل معه أن يلجا الزوج أو الزوجة لتأخيره إلا للضرورة فإن "المال والبنون زينة الحياة الدنيا" كما في قول الله تعالى.

من هنا فإن تأخير الحمل لم يكن شيئا مستحبا وبالتالي لم يكن أمرا متبعا في مجتمع الإمارات في مراحله الأولى.

وكادت الإجابات جميعها أن تشير إلى حقيقة أنه في الماضي لم يكونوا

يلجاؤن أو يعمدون إلى تأخير الحمل غير أن بعض الإخباريات أشارت إلى حدوث ذلك أحياناً في بعض الأحوال والتي خضعت كما أشرنا إلى دوافع الضرورة أو الظروف الخاصة.

من ذلك مثلاً :

- كثرة العيال مع ضعف صحة الأم.
- صغر سن الزوج أو الزوجة.
- الانتظار لحين انتهاء الأم من رضاعة الطفل عامين كاملين أي بفطامه حتى لا يجتمع الحمل مع رضاعة الطفل الأول.

وقد كان تأخير الحمل يتم بوسائلتين شائعتين عامة :-

الأولى: بالشكل الطبيعي وذلك بتجنب المعاشرة الزوجية في الأيام الستة التالية لانتهاء الدورة الشهرية، وهذا مؤشر عدم معرفة أيام الأخصاب عند المرأة لأنها ليست في السنة أيام التي تتلو الدورة الشهرية. وبالقذف خارج الرحم .

الثانية: بتناول أدوية معينة كانوا يعتقدون في جدواها لتأخير الحمل ومنها :

دق حبات القهوة النية وخلطها بالماء وشربها، أو بشرب الغضف ، أو بشرب الملح. إلى غير ذلك من الأدوية الشعبية الشائعة في ذلك الوقت.

إلا أن الملاحظة العامة النابعة من روایات الأخباريات هي أن الناس كانوا على العكس يقومون في الغالب بالسعى إلى التعجيل في الإنجاب وكثرة عدد الأبناء.

كيف يمكن معرفة عقم الرجل؟

جرت العادة في الماضي وفقاً لقيم إجتماعية سادت المجتمع الأول أنه عندما لا تحمل المرأة يشار إليها بمسؤولية عن ذلك أولاً وربما أخيراً .. ويتبادل الرجل أو يدعى للزواج مرة ثانية ، وقد يتزوج مثني وثلاث ورابع لكن

أيا من زوجاته الأربع لا تحمل، وهنا فقط كان يمكن إكتشاف عقم الرجل خصوصاً إذا طلق إحدى زوجاته، وتزوجت بآخر وحملت منه إلى جانب ذلك كان الرجل في الماضي إذا تأخر حمل زوجته يمكن أن يذهب للمطوع سعياً إلى معرفة ما إذا كان هو مسؤولاً عن ذلك أم زوجته.

وكانوا في الماضي يعتقدون أن لدى المطوع وسيلة لمعرفة ذلك خصوصاً أنه لم يكن هناك طب متقدم ولا أطباء «دخائين» وكان الرجل إذا إكتشف عقمه يسعى للعلاج أيضاً.

وكانت طرق العلاج تتم بالوشم أي الكي فوق وتحت السرة وعلى الظهر، أو بتناول منقوع الرويد وهو نوع من الفجل ينفع في الماء لمدة معينة ثم يسقى الرجل العقيم من هذا الشراب لمدة ٢٠ يوماً وبعض الإجابات تشير إلى نجاح هذا العلاج. والأمر يخضع للتجربة.

ومن وسائل إكتشاف عقم الرجل رؤية سائله المنوى فإذا لم يكن غليظاً وكان ضعيفاً مثل الماء أو قريباً منه كانوا يشكون في عقمه ويذهبون به للعلاج بالوسائل الشائعة في ذلك الوقت.

أيضاً كان ورم الخصيتين أو «الفتق» سبباً للشك في عقم الرجل إذا لم ينجب وكانوا يلجأون إلى علاج «الفتق» بالكي عند «الثنة» أدنى السرة.

كذلك كان البعض يظن أن وجود الكاشحة على عضو الذكورة في الرجل يؤدي إلى عدم الإنجاب «ال Kashha » سبق أن أشرنا إليها وهي بعض شعيرات معينة يعرفها من لهم خبرة بها، لكن الطريقة الأكثر تاكيداً هي تكرار زواجه دون إنجاب.

كيفية إكتشاف عقم المرأة :

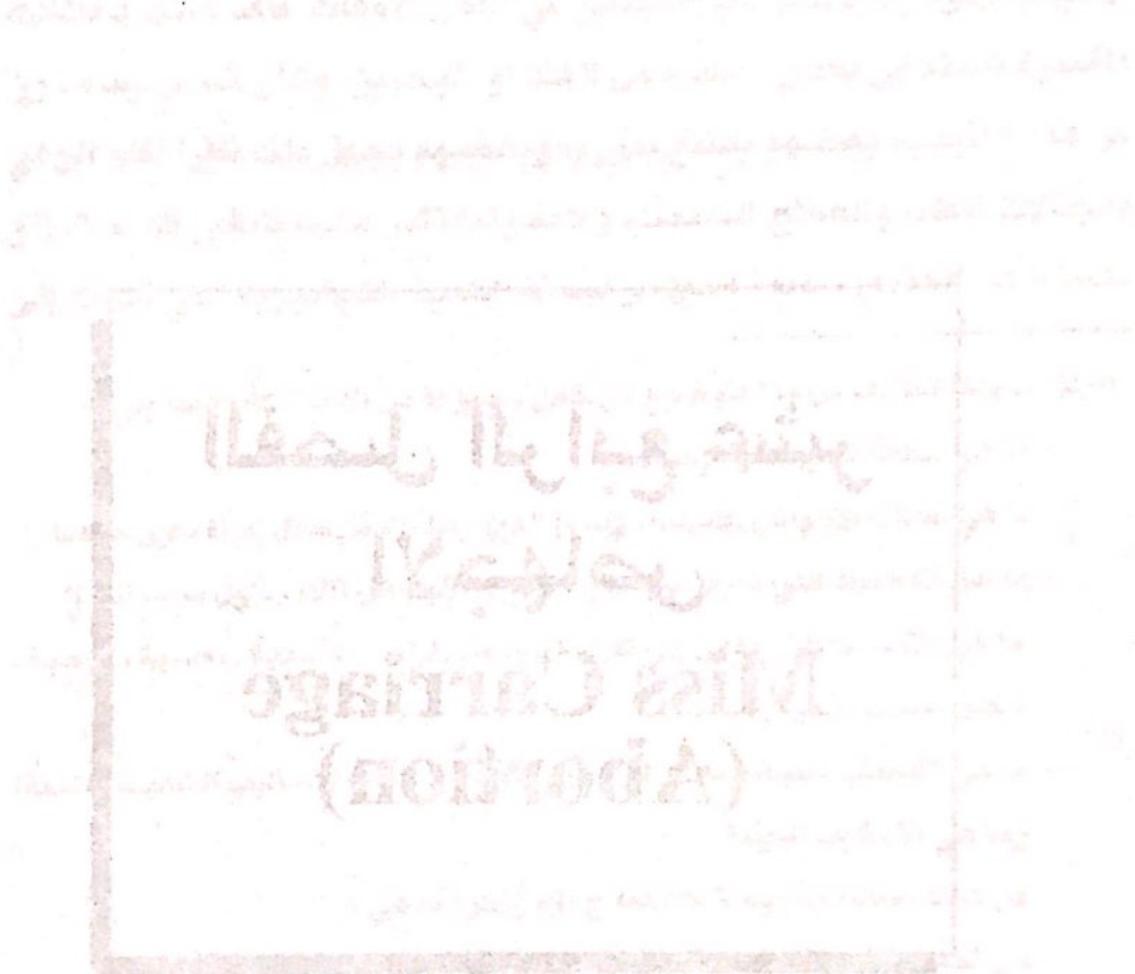
وبالنسبة للمرأة تبقى الطريقة الأكيدة لإكتشاف ذلك إذا لم تنجب من زوجها الأول وتكرر زواجها ولم تنجب من زوجها الثاني أو الثالث بعد

سنوات من الحياة الزوجية.

ومن الشواهد الأخرى التي كانوا يرون فيها إشارات إلى عقم المرأة:

- تأخر الدورة الشهرية لستين أو ثلث، أو بإضطرابها المستمر.

- بوجود "الكافحة" في مكان ما من الجسم.



الفصل الرابع عشر

الاجهاض

Miss Carriage (Abortion)

الإجهاض: ^(١)

إن مجتمع الإمارات في الماضي لم يكن يمتلك إلا القليل جداً من وسائل العلاج، والخدمة الطبية، وغالباً ما تمارس الخدمة الطبية على المستوى الشعبي المحلي أي باستخدام الكي والأعشاب، وبالإضافة إلى مرور بعض الأطباء الهنود والإنجليز على المجتمع في بعض الأوقات، فقد كانت العائلات المقدمة تستدعي بعض الأطباء من الهند أو البحرين، وكان الناس يسمعون عن هذا الطبيب، بعضهم يقتنـ بدوره، وبعضهم يجهـ ذلك نظراً لقلة الوعي بـ مجالـ الطـبـ والـعـلـاجـ الـحـدـيثـ، ولا يـفـوتـنا ذـكـرـ مـسـتـشـفـيـ الواـحةـ، (أوـ مـسـتـشـفـيـ الـكـنـديـ بـمـدـيـنـةـ الـعـيـنـ) وـالـبـعـثـةـ الـطـبـيـةـ التـبـشـيرـيـةـ الـتـيـ قـدـمـتـ إـلـىـ

- لقد حاولنا الكشف عن هذا الموضوع من خلال مجموعة من الأسئلة كانت كما يلي :-
 - ما هي الكلمة المعبرة عن الإجهاض؟
 - ما هي أسباب الإجهاض (طبيعية - غريبة) العين، ربط الأم من خلال إمرأة تكون حاقدة؟
 - ما هي العلامات التي تعرف منها المرأة حدوث الإجهاض (الأم - نزول دم ... الخ)؟
 - ما هي الأسباب التي تؤدي إلى تكرار إجهاض المرأة؟ (طبيعية - نفسية - روحية . تتعلق بحسب الآخرين)؟
 - ما هي الأسباب المتبعة لعلاج المرأة التي تجهض؟ (اكتـ الأـسـالـيـبـ الشـعـبـيـةـ المـتـبـعـةـ)
 - وما هي الأساليب الدينية؟
 - هل هناك أساليب غريبة اتبعت لعلاج الإجهاض؟ ما هي؟
 - هل تصلح الذئبة للتغلب على الإجهاض وإستمرار الحمل أو إلى الولادة؟
 - ردود الفعل تجاه الإجهاض؟
- الزوج بـ - أهل الزوج جـ - الجيران دـ - أهل الزوجة.
- هل يؤدي الإجهاض المتكرر إلى تفكير الزوج في الزواج باخرين؟ وماذا تعمل المرأة؟
- ما هو رد فعل الزوج تجاه إجهاض الزوجة؟ (المـشـاعـرـ . وـالـكـلـمـاتـ الـتـيـ يـقـولـهـاـ)؟
- ما هي كلمـاتـ المـعـايـرـ الـتـيـ تـقـالـ لـلـمـرـأـةـ الـتـيـ يـتـكـرـرـ إـجـهـاضـهـاـ؟
- ما هي الآثار النفسية للإجهاض؟
- ما هي الحالات النادرة التي تعرضت فيها إمرأة للإجهاض الإجباري؟ (اختلاف المستوى الاقتصادي والإجتماعي والثقافي بين الزوجين أو لأسباب مرضية)؟.

الإمارات وإستقرت في مدينة العين، وبرز لها دور صحي وعلاجي لا يزال مستمرا حتى الآن.

ونظرا لهذا الغياب شبه التام للخدمات الصحية تعرضت المرأة بل الإنسان عموما إلى ظروف قاسية، ومات الكثيرون إذ كانت المرأة تلد عشرة أطفال ويعيش منهم واحد أو إثنان ويموت الآخرون، تحكي الكثير من الروايات عن هذه الظاهرة، فلقد إستطاع مثلث الجهل والفقر والموت أو المرض ترك آثاره على الإنسان الإماراتي، فكثيراً ما كانت المرأة الولود هي ذات النصيب الأكبر في التعرض للمرض أثناء الحمل، أو أثناء الولادة، وهكذا نجد أن هذه الدراسة المركزة على مرحلة الميلاد تحكي لنا قصة المجتمع بالكامل، وربما كان هذا الإسهام الحقيقي لهذه الدراسة.

ويدور هذا المحور حول ظاهرة الإجهاض والمعتقدات والممارسات الشعبية المتصلة بها،

من الواضح من القراءة الأولى لأسئلة هذا الفصل أنها تنقسم إلى قسمين: القسم الأول، وتدور موضوعاته حول الكلمة الشعبية للإجهاض - الأسباب . علامات الإجهاض . العلاج والذور، وهنابحث عن الممارسات والمعتقدات.

ثم القسم الثاني، وتدور موضوعاته حول ردود الأفعال، والتصورات الذهنية حول الظاهرة والحالات النادرة للإجهاض الجبري ، وعند التحليل سنجد أنفسنا محكومين بالسير بنفس الإتجاه نحو تقسيم المادة العلمية إلى هذين القسمين بجانب الربط بينهما عندما تحتاج الفكرة إلى الربط أو التواصل مع الأفكار الأخرى المرتبطة بالإجهاض.

- أولا : الإجهاض : أسبابه ، علاماته ، علاجه :-

بداية قدمت مجموعة من المسميات الشعبية للظاهرة فالإجهاض يقال له (مودره) وذلك بمعنى ترك المولود يسقط، (طراح) أي رمت (الرمي والعوار

والسقوط) وتحمل نفس معنى الإجهاض (المتبوعة أو توبيع) يقصد بذلك أن الجان تتبع المرأة حتى تسقط الجنين من بطنها. تضييع، تعق، إتوح، مناسفة، وذلك بمعنى أنها تسقط جنينها ربما لظروف نفسية أو مرضية.

الأسباب : وتنقسم إلى أسباب طبيعية ونفسية وغيبية :

أما الأسباب الطبيعية فتتمثل في ضعف الظهر، وحمل الأثقال، القيام بأعمال الطحن بالرحي، وإحضار الماء من مسافات بعيدة، أو الوقوع على الأرض بشدة، وكذلك الحمى الشديدة، وضعف الرحم والمرض الشديد.

أما الأسباب النفسية فهي كالإحساس بالقهر نتيجة المعاملة السيئة من قبل الزوج لزوجته، أو استماعها إلى أخبار سيئة تسبب إنهيار الأم مثل أخبار موت بعض الوالدين أو الأخوة، العصبية، الضرب من الزوج.

أما الأسباب الغيبية فمن بينها : العين والحسد، العوفة أو الشينة، أو التبعة ، أي متبوعة بالعين أو الحسد، والعوفة هي الجان، الربط أثناء كتب الكتاب، جرح البطن، أو المضرة وهي تحمل نفس معنى العوفة والشينة (أم الصبيان) الحالة التي تجعل الإنسان في غير وعيه وتقتل الجنين في بطن أمه.

ولمزيد من الوصف للتابعة، أي الجنية التي تتبع المرأة وتزورها أثناء نومها، وتحاول الضغط عليها إلى أن تجهضها، وتحدث معركة طوال الليل بين المرأة والتابعة، وهذا ما حكي من خلال بعض الإخباريات وعلاجه (القاممة) أي (حرز أو كتاب) يكتب من قبل أحد (المطاوعة) يحتوي آيات من القرآن الكريم.

ومن الأسباب الغيبية كذلك الإعتقاد بوجود طائر يأكل الطفل وهو في بطن أمه، الحظ السيء (ضعف بخت).

ويقال في الأمثال «ولد الحلال لو طشة، وولد الحرام لو ينقلب بمركب ما يطيح» أي بمعنى (أن ولد الحال لأسباب هشة ممكן أن يقع من بطن أمه).

ومثل آخر :-

ولد الحلال بجرة ينبعق ووولد الحرام معلق بالسلال

معنى أن ابن الحلال من السهل أن لا يثبت حمله لأقل سبب أما ابن الحرام فثابت لا يتزحزح وفي هذا نوع من التعزية للأم بالإشارة إلى أن ابنها المفقود ابن حلال، وهذا تشريف لها.

هذه هي الأسباب التي ذكرت للإجهاض فبعضها يقدم تفسيرات صحيحة على المستوى الطبيعي، وهو ضعف الظهر والرحم، ولكن أغلبها يعود إلى الأسباب النفسية وهذا ما يعتبر جديدا في هذا الجانب، أن يكون أهل الإمارات قد اكتشفوا العوامل النفسية قديما، وأثرها على صحة الأم، والحقيقة كثيرا ما قدمت الإجابات المختلفة مفاجئات في هذه الدراسة، إذ بينما يصلوعي الناس للأسباب الصحية والنفسية نجدهم يقدمون تفسيرات ليست لها صلة بالمنطق، ولا بالواقع منها مثلا وجود طير في بطن الأم يأكل الطفل أو الجنينة التي تتعارك مع الأم أثناء النوم.

وهنا نؤكد على منطقية هذه المادة الإثنوجرافية إذا ربطت بينها وبين ظروف المجتمع بأكمله، فلا بد من هذا التنوع نتيجة التعدد في القدرات التفكيرية والتفسيرية للإنسان سابقا في مجتمع الإمارات.

فلا يمكن إذن حدوث التكامل في المادة الإثنوجرافية لأنه لا يوجد مجتمع تتسم ثقافته بالتكامل بحيث تعكس درجة واحدة من الوعي لدى الناس بالظواهر المختلفة.

علامات وظاهر الإجهاض :-

يعتقد الناس أن المرأة تستطيع حمل جنينها ٤٠ يوماً فقط قبل الإجهاض، فتتألم ٤٠ يوما ثم يسقط الجنين، وهنا يؤكدوا بأن الله سبحانه وتعالى هو القادر على ذلك.

«يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» صدق الله العظيم، مما يؤكد الإيمان التام بالله وبقدرته.

ومن أعراض الإجهاض أن تنزل منها الأوساخ ويموت الجنين ويظل ٤٠ يوماً ميتاً قبل أن ينزل.

آلام الإجهاض أشد من آلام الولادة ، نزيف الدم وألام في الظهر أقوى من الطلاق العادي للولادة. آلام في (الرحم والمبايض) وفي البطن. يحدث الإجهاض أيضاً بعد ٥ شهور للحمل أو الثالث أو الرابع.

المغص الشديد (اللية) في البطن، وأسفل البطن (الثنة) ونستخدم هنا نفس المفردات الشعبية التي إستخدمتها الإخباريات وهن يشرحون أعراض الإجهاض.

هذا عن الأعراض والآلام ولكن بماذا توصف المرأة التي تفقد جنينها؟ هناك بعض التشبيهات التي تطلق على المرأة ومن هذه التشبيهات تشبيه المرأة التي تجهض بالنخلة والرطب فالرطب البالغ أي الناضج يقع بسهولة، ولكن الغير بالغ لا بد من قطعه بالقوة.

فالعذاب والألم الذي تتعرض له المرأة أثناء الإجهاض يوصف بالكثير من القسوة خاصة وأنه لم يتوفّر آنذاك العلاج الطبي، ولا الدواء الميسّر لهذه الحالة، ورغم ذلك تتعرض المرأة لنظرية حادة وأكثر قسوة من الألم نفسه من قبل أهلها والناس المحيطين بها، فمثلاً إذا اجهضت المرأة على يد الداية يعرفونها، وإذا اجهضت دون أن تعلم أهلها قالوا عليها أنها كذابة، فتضطر إذا اجهضت مرة أخرى أن تضع طفلها في صينية وتفرج الناس عليه حتى تحصل على تصديقهم لها.

ويقال أن آلام إجهاض الجنين البنت أكثر من آلام الإجهاض للجنين الذكر، فإذا كان عمر الولد شهرين يتخلق أي تنضح معالمه، أما البنت تنزل قطعة لحمة، والولد واضح جداً حتى عظم الظهر يكون كالخيوط، ويستمر مسلسل

الفكر الخاص بإنجاب الذكر، والفكر الخاص بإنجاب الأنثى متصلًا خلال هذه الدراسة، فكثيراً ما نجد صوراً ذهنية إيجابية نحو إنجاب النوعين، وكثيراً أيضًا نجد الصور العقلية السالبة نحوهما، وهذا يعكس هذا الاتجاه الثقافة الشعبية العامة لمجتمع الإمارات وإتجاهاتهم نحو الإنجاب.

وذكرت في معرض حديثنا عن غياب الوعي الصحي والطبي أن أحد الرجال يعتبر زوجته خفيفة العقل لأنها ذهبت للمستشفى وأخذت حقن دون أن تعرف بحملها فاجهضت، وهذه الحادثة تكشف شقين من الوعي الغائب فالمرأة لا تعي بحملها، والأطباء لم يكتشفوا حملها إذن حتى عندما تتتوفر المستشفى، لم تتوفر فيها الرعاية الصحيحة للمرأة الحامل.

مثل شعبي آخر:

الطرح طرح الأرواح - أي الإجهاض من المحتمل أن تجهض الروح فيه.

معتقد آخر :

الإجهاض يأتي من ضربة الشيطان.

ورأي آخر قريب من الصحة :

الإجهاض من ضربة قوية على رأس الجنين.

ثم ننتقل إلى أسباب تكرار الإجهاض للمرأة وليس الإجهاض الأول الذي ذكر سابقاً، ولكن عادت الإخباريات وكررنا نفس الإجابات، وكان المقصود بتكرار السؤال، هو التأكد من مصداقية الآراء .

وتتأكد الرأي حول الحالة النفسية للأم.

وجود الطير في بطن الأم ويأكل الجنين.

الحسد والكاشحة أو الكشحة أي لبس الجن لجسدها.

الضعف الشديد.

السبب الوشام: وقصد به تكرار معاشرة الزوج لها فيمتنع من ذلك.
الظهر خائن ولا يتحمل الحمل، المشي في الظلام.
(إذا إستضررت الأم فلا بد أن تستضرر البذرة).
وهذا اعتقاد آخر، أي إذا تعرضت الأم للجحان أو الشيطان فيتعرض له
الجذن بطبعية وعيهم بذلك .
ننتقل إلى أساليب العلاج الشعبية والدينية :-

إذا كانت الأم بها كشحة أي المضرة والجان فتعالج بالوسم (الكي).
وللقاء مزيد من الضوء على ما يسمى بالكشحة، تقدمنا بسؤال إحدى
النساء العارفات به، ووجدنا أنها تعني أن توجد شعرة ملفوفة على جسم
المرأة، أو من نفس شعر جسمها ولكنها معقوفة، فيبحث المطوع أو المتخصص
بالكي عن هذه الشعرة فيحرقها بالنار وتزول مضرتها، ويقال أن الزوج نفسه
يكوئ أو يوسم إذا وجد المطوع به نفس الشعرة، وأنه تتعرض زوجته
للإجهاض المتكرر، وأن تكوني في آخر يوم أربعاء من كل شهر، أما عن المفردة
نفسها فيطلق عليها أهل الإمارات الكشفة أما أهالي عمان فيسمونها الكشحة،
وتختلف فقط نطقا ولكنها تتشابه من حيث المعنى.

العلاج الآخر الأدوية الشعبية الياس والملح، والحلبة الباردة، واللبان
ليساعد على شد ظهرها، تمنع من الحركة.
المساج (المسح)، النوم على الظهر، رفع الرجل للأعلى.
المنع من معاشرة الزوج لفترة.
استخدام الحرز من المطوع أو الحجاب ليحفظ لها الطفل في بطنها.
من الممارسات الشعبية الغريبة أن تلبس جلد عنز (ماعز) مذبوحة للتو،
أو الكي في الظهر تشرب الحسو، ثم قراءة القرآن الكريم وإستمرار نومها
على ظهرها.

الكي في مفرق الشعر على الجبين.

إحضار أعشاب من الجبل مثل (بعباع التيس) أو الشريش أو الحواء، وكلها غير معروفة على نطاق شعبي واسع ولكن نستشف أنها أعشاب نادرة.

شرب المرأة الحلبة واللبن وتركة صالح أو تسمى (سركة صالح).

وهي مادة صلبة لونها يتراوح بين البني والأسود، وأما طعمها فيميل إلى الحموسة وتستخدم حتى الآن.

أو يستخدم (الشب والمقل، والسويدا، والخطف، واللبن).

وذكرت كلمة (القامة) أي الحجاب أو الحز.

وذكرت كلمة جديدة وهي (الخلوع) وهي ممارسة شعبية تستحق التوقف والتأمل لما لها من أبعاد ثقافية ذات خصوصية بهذا المجتمع، إذ تقوم إحدى النساء برمي (الجاشع والسج) أي السمك الصغير المجفف والتمر، ويوضع في قطعة فخار، ويرمى في مناطق متفرقة مع إشعال النار والتذرير باللبن، ويعتقد أن هذه الممارسة تشفى من الإجهاض مع سقيها من الأدوية الشعبية كتركة صالح، أو دهان جسمها (بدواء الريح) أي (بو فاس) كما يطلق عليه الآن.

وسائل علاجية شعبية أخرى :-

- وضع الحصى فوق بطن المرأة المجهضة.

- استخدام (قفل) حجاب يربط في ظهرها.

- أن تشرب المرأة المعرضة للإجهاض (طين روس) الطين الأحمر ليمسك بالجنين.

ولمزيد من الإيضاح عن (الخلوع) نذكر أن الذي يرمي الخلوع في الحارة لا يعود على بيت المريضة المجهضة إلا عندما تطلع شمس الغد حتى لا تتعرض المرأة للضرر مرة أخرى.

أما أهم وسيلة علاجية ذكرت هي قفل الظهر بواسطة الحجاب حتى لا تجهض مرة أخرى، أو إستخدام العنزووت كلاصق للظهر، (والعنزووت) مادة لاصقة تخلط بشعر الغنم، والبيض ثم تسخن على النار، فتووضع على ظهر المرأة التي يتكرر إجهاضها، وغالباً ما يستخدم نفس هذا العلاج لعلاج الكسور سواء كانت البسيطة أو المركبة.

ومن الأساليب العلاجية التي ذكرت أيضاً ما يلي :-

١ - إستخدام العنكبوت (خيوط العنكبوت وغليه بماء وتسقى به المرأة التي يتكرر إجهاضها).

٢ - الإمتناع عن معاشرة المرأة من قبل الزوج.

٣ - الإمتناع عن أكل السمك.

٤ - قيام الزوج بربط فضلات النون على بطن المرأة.

٥ - ذبح دجاجة لتضعها على بطنها وهي نيئة أي لم تطبخ بعد، وذلك بعد أن يقوى ظهر المرأة وتترك الدجاجة على الوسم حتى صباح اليوم التالي، فيتوقف التزيف عن المرأة المجهضة.

٦ - عمل الزار فتنزل الشياطين.

٧ - النذر.

٨ - كي الطفل السابق والذي يعتقد أنه السبب في عدم إستمرار حمل والدته للأبناء الآخرين، وتعرضها للإجهاض فيكوني من ٦ - ٨ كيات بالنار ويعطي ذهباً من الأم، أو خنجراً من الآب كتعويض له عن حرقه بالنار، وتعطي الطبية الشعبية (٣٠٠) درهم مقابل علاجها بالكري.

٩ - زيارة (عين لغمور) عين ماء في منطقة عمان وتذبح الذبائح هناك.

ويتبين في العديد من الإجابات الإعتقاد التام بالنذور وأنها متكررة في العديد من المناسبات، ويتراوح النذر بين زيارة (عين لغمور)، والمشهورة جداً

أو ذبح الذبائح أو الصيام، أو النذر بتسمية الطفل إذا نجا من الإجهاض
باسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كانت بنتاً تسمى فاطمة تيمناً
باسم إبنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهناك اعتقاد بأن النذر يجب أن ينفذ والإيذان كالجبل على ظهر المرأة
المنذرة، أو النذر بزيارة صلاة، منطقة بعمان بها قبر النبي إدريس عليه
السلام، أو زيارة رأس الشيخ وهي منطقة تقع في شرق دولة الإمارات بين
منطقة خصب وروي، أو زيارة منطقة "غمض" ويحكي أن إمرأة نذرت بزيارة
رأس الشيخ ولكنها أخطأت وزارت غمض فلدت إبنة عقرب ومات، أو زيارة
بعض قبور الأولياء.

والبعض يرى أن النذور حرام، أو غير مستحبة

ويقال : لا تنذر تخسر.

وقد يؤدى النذر إلى الإجهاض ، أو قد يؤدى إلى التخلص من الإجهاض،
فهي وسيلة علاجية ذات حدود كما يعتقد أفراد المجتمع، خاصة المتعرضين
لمسائل الإجهاض وغيرها.

ويقال في أداء النذور :-

«أدوا نذوركم ولو في قبوركم».

"النذور يجب أن تؤديه فهو ينذر الأرواح أي أنه مثل الروح للجسم".

ويجب أن يؤدى خلال ٤٠ يوماً من النذر به.

وبهذا تنتهي الآراء حول الإجهاض وسبل العلاج منه وسوف ننتقل إلى
القسم الثاني المتعلق بردود الفعل تجاه الإجهاض من قبل المجتمع، سواء أكان
الزوج أو أهله أو الجيران وهذا سنتبيح لنا هذه ردود الفعل الحديث عن الكثير
من الممارسات التي تتعرض لها المرأة في هذه المرحلة نفسياً، وتتجاه
الإجهاض، فغالباً ما تؤدي تلك الردود إلى إجهاض المرأة نفسياً وإجتماعياً

إضافة إلى إجهاض حملها الذي تتوقع من خلاله أي "الحمل" إبراز وجودها وداخل المجتمع، وموقعها الحقيقي داخل الأسرة، فتعانى الضغوط والممارسات الخاطئة التي قد تؤدي بها إلى الحمل الكاذب والذي قدمنا له في المحور السابق.

ثانياً : الإجهاض وردود الفعل الاجتماعية :

القسم الثاني من هذا المحوّر يتناول ردود الفعل، ولنبدأ ب رد فعل:-

أ - الزوج : الشخص الأول ذو العلاقة في حالة الإجهاض، فقد يكون هو المسبب للإجهاض كما جاء ذلك في القسم الأول، إذ تؤثر نوعية العلاقة التي تربطه بزوجته بحالتها النفسية، مما يعكس أثاراً إيجابية أو سلبية على صحة الأم النفسية وبالتالي بحالتها الجسمانية.

فردة الفعل المذكورة من قبل الإخباريات هو الزعل، والندم على ضياع بذرته، التضايق ومحاولة البحث عن علاج لزوجته، التهديد بالزواج من أخرى، وإذا تكرر السقوط لدى الزوجة يكرهها ويتزوج بالفعل من غيرها.

الشعور كذلك بالحزن والشفقة على زوجته، ويحاول أخذها إلى شيوخ الدين لعلاجها، وأخرين يقولون :-

اللي ما يغليها جسدها ما يغليها ولدها

وهذا قول سائد من أن المرأة لم يكن جسدها غالى عليها فأرهقت نفسها، ففقدت الجنين، وفي هذا دعوة صريحة للمرأة بأن تلتزم الراحة والهدوء وعدم إرهاق نفسها لتجنب الإجهاض ثانية.

اما الزوج فقد يصاب بالوسواس أي التفكير والإكتئاب نتيجة فقدانه للذرية بالإجهاض المتكرر لزوجته.

اما بعض الإجابات خاصة بالنسبة لجماعات البلوش وأشارت مرة أخرى إلى الكشحة، حيث يبدأ الزوج بالبحث عن شعره ملتوية على الأعضاء

التناسلية فيذهب للمطوع للكي والتخلص من الكشحة المسببة للإجهاض لزوجته.

بعض الأزواج لا يعلنون عن ردود الفعل، وبعضهم يحاول إيجاد العلاج لها لأنها يحبها، ويحضر لها المحو وهو الماء المقروء فيه القرآن.

بعضهم يرى أن زوجته (نحسة) أي حظها سيء، والبعض تكون ردة فعله أسوأ بأن يعاير زوجته بالإجهاض.

فمنهم من يؤمن بقضاء الله وقدره، ومنهم من يعتقد أن الزوجة هي المسببة للإجهاض فتكون ردة الفعل لديهم سيئة جداً.

ب - أهل الزوج : يشعرون بعدم الرضا نتيجة الإجهاض وقد يطردون الزوجة إلى بيت أهلها ظناً منهم أنها هناك سترتاح وتنجب، أو يحاولون إقناع الزوج بطلاقها والزواج من غيرها. أما إذا كانت الزوجة من نفس العائلة يحاولون مواساتها وتهديتها.

بعضهم يشعر بأن هذا أمر الله، فيشفق عليها ويشعر بالحزن بعكس من لا يكن لها ودًا فيفرح بما جرى لها ويشمت وهذا دعاء يردده الشامتون:

إن شاء الله ما ينبت في بطنها إن شاء الله تصبه دم.

فتتراوح ردود أفعالهم إذن بين حاقدين، ومحبين للزوجة التي تتعرض للإجهاض كثيراً.

ج - الجيران : تكون ردود فعل الجيران في أغلبها إيجابية، فيسعون لمواساة الزوجة المجهضة، والوقوف بجانبها ونصحها والإشفاق عليها، ولقد جاءت أغلب الردود على عكس أهل الزوج، إلا أن البعض أجاب بأنه يعتمد على الجيران فإذا كانوا من النوع الحسود سعوا لأهل الزوج بإقناعه بالزواج عليها، وإن كانوا طيبين وقفوا معها، وربما يعكس لنا هذا الموقف ما للجيران من أدوار في المجتمع الإماراتي سابقاً، حيث كانت تتضح لهم بعض المواقف

وردود الفعل حتى في القضايا الخاصة التي ترتبط بحياة الآخرين، فبنية المجتمع تبدو بنية أسرية عائلية تعكس البنية الاجتماعية اليوم التي تبرز فيها صور الخصوصية لكل أسرة، وسرية شؤون الحياة بالنسبة لكل عضو فيها.

د - أهل الزوجة : بالضرورة ستكون ردة فعل أهل الزوجة مغايرة لردود أفعال الآخرين فكلها تعبّر عن ردة الفعل المساندة للزوجة والمعاطفة معها ومحاولة إيجاد العلاج السريع حتى (لا يستبحر بطنها) أي يصبح مثل البحر، وهذا تشبيه على قدرة البحر على إبتلاء مكوناته، وربما عكس لنا ذلك ما للبيئة البحريّة من تأثير على تفكير الناس، ثم تبدو الرغبة الشديدة عند أهلها بإنجابها الأطفال.

ويأتي سؤال آخر يهدف إلى تأكيد معرفة ما إذا كان الإجهاض المتكرر قد يكون دافعاً حقيقياً لزواج الزوج من أخرى وما هو رأي المرأة في ذلك ؟

فتقول إحدى الإخباريات نعم الزوج يبحث عن البذرة أي الأطفال، ولكن يعتمد ذلك على عقليته وهدایة الله له، فالذى الله هاديه يصبر على زوجته سواء أنجبت أو لم تنجُب، وأخرين يتزوجون على زوجاتهم حتى لو (الحوش به ١٥ طفلاً من أولاده) بمعنى أنه لو كان في بيته ١٥ طفلاً.

أما المرأة فما عليها سوى الصبر، وليس لها آية ردة فعل أخرى، وهناك حكايات تنطوي على وفاء الزوج الذي إرتضى بزوجته العميماء، ولم يتزوج عليها، وساعدتها خلال حياتها ٤٠ سنة حتى توفاه الله، فهذه هي إذن حقيقة العلاقة بين الأزواج في المرحلة التي قمنا بدراساتها وهي إذا أمكن أن نطلق عليها مرحلة ما قبل عصر التحديث، ذلك المجتمع الصغير الذي سارت قصته وتاريخه على قصة المرأة فيه، وحياتها بداخله.

ولا نعتقد بأن الوضع يختلف اليوم في إقدام الزوج على الزواج من أخرى، فهو يتزوج أحياناً بدون أسباب شرعية تدفعه لذلك الزواج ، وما للمرأة

سوى الصبر وربما لأن المطالبة بالطلاق لدى البعض مفهون واللاتي لا يستطيعن العيش مع الضرة.

فيقال : الريال يبغيها من الله أي أنه يبحث عن أعذار، ويجد لها فرصة ملائمة عندما تتعرض زوجته للإجهاض وهناك إحدى الأخباريات شهدت بأنها أحضرت عشر مرات بسبب كثرة الشغل، ولذلك قالت هي بخطبة إمرأة أخرى لزوجها فالواقع كذلك يفرض قبولاً لدى المرأة للإقتناع بتكرار الزواج عليها رغم أن المبرر يمثل عبئاً في حد ذاته عليها، فالمبرر كان الإجهاض عشر مرات والسبب في الإجهاض أعمال المنزل المرهقة جداً، وهذه صورة أخرى لشكل العلاقة الزوجية في مجتمع الإمارات القديم.

هناك قول آخر يستخدمه الزوج الذي يفكر في الزواج مرة أخرى فيقول الله ما حشا لها علقه ، أي الله لم يشا لها أن تحمل ، ووصف الزوج الذي يقبل على الزواج على زوجته بابن الحرام ، أو الحمار أو الذي لا يوجد في قلبه إيمان بالله ولا صبر، وهذا يعكس العديد من صور الرفض بإقدام الزوج على مضايقة زوجته المتكررة الإجهاض، والتي تعاني من آلام نفسية لذلك فتزداد الإهانة بإقدام الزوج بالزواج من أخرى، يتضح بهذا القبول للظاهرة إلى جانب الرفض لها من آخرين يقدرون العلاقة الزوجية فالعلاقة الزوجية هنا مرآة تعكس إتجاهات المجتمع نحو الزواج.

فالكثيرين أكدوا أن قضية تكرار زواج الرجل لا يعود إلى تكرار الإجهاض لدى زوجته بقدر ما هي رغبة لديه، وعدم إيمان وصبر.

لاحظنا تكرار القصص التي تروي عن محاولة لعلاج إمرأة متكررة الإجهاض رغم تحدثنا سابقاً عن طرق العلاج، ولكن يبدو أن هناك تكرار يحدث لدى الأخباريات بهدف تأكيد بعض الإجابات خاصة التي تعبّر عن المعتقدات الراسخة جداً لدى الناس.

فإستخدام الكي (الوسم) لحرق الكشحة أي الشعرة الملتوية لدى المرأة

المجهضة، أو إبنتها السابقة الذي عاش دون إخوته فيظن أنه المسبب لموت إخوته أو لدى الرجل ويتم البحث عن هذه الشعرة حتى على (عورته) لما هناك من إقتناع تام بهذه الفكرة، والجدير بالذكر أن التي تقوم بالكتاب هي إمرأة (دانية) الأصل، أي يذهب بالطفل إليها لتوصمه عند الشعرة الملتوية، وقصد بدانية الأصل أي التي لا تنتمي إلى قبيلة عربية.

وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا (данية الأصل) هي التي تقوم بحرق الشعرة الملتوية؟ وما هو الإرتباط بمعنى دانية الأصل وحرق هذه الشعرة التي تمثل المضرة أو السحر؟

وعموماً نصل إلى إستنتاجات مفادها أن الزوج يقدم على تكرار الزواج بسبب أو بدون سبب، وتقدم للمرأة الأولى أو الزوجة المتكررة الإجهاض القليل أو الكثير من المال لإرضاء لها ومبرراً لتقديره بالزواج عليها، وتسمى (خرجية) أو (رضوه) ورغم بعض الإجابات التي ترى أن المرأة لا يحرقها إلا زوجها ؟ ولكن ماذا تعمل؟ ليس بيدها حيله.

إذن فرغم كل أشكال المحاولات لتقدير المرأة بالزواج عليها إلا أنها تظل تحترق، وتتالم وتقبل بالرضوه ولكن ليس بالفكرة، وقد تحاول منعه بالقيام بزيارة المتخصصين في عمل (الأعمال) التي تسمى (الصرف) لكي لا يتزوج عليها أو تسمى (الطبوب) وسمى الصرف حتى يصرف الزوج عن الزواج.

ونعود مرة أخرى للتعرف على المشاعر الحقيقية للزوج تجاه إجهاض زوجته والكلمات التي يستخدمها في هذا المجال.

فوجدنا أن بعض الأزواج ومن واقع إيمانهم بالقضاء والقدر يعتبرون إجهاض الزوجة فداء لها (فدوة عن راسك)

والبعض يطلب من زوجاتهم (المداراة ورعايتها نفسها).

والبعض يؤمن بأن الله (سيعوضه خيرا).

والبعض يقول (اللي ما يغليها جسدها ما يغليها ولدها).

ويقال أيضاً : إن حب الزوج يتغير مجرد زواجه بأخرى.

(من تتغير المخدة تتغير المودة).

(والقلب ما ينقسم قسمين).

ويقال : (يالمقرود يالمسكين يالمأخذ نسوان إثنين معذب إناس إصيامه، مسلوبه عنه الراحه).

وهذا رثاء من يتزوج إمرأتين، ويمثل موقفاً جديداً ضد فكرة الزواج من إمرأتين.

وهكذا تختلف ردود الأفعال تجاه الإجهاض من جميع من يحيط بالمرأة، وبخاصة الزوج، الإنسان ذو الشأن الأول بالإجهاض المؤثر والمتاثر به.

وعند السؤال حول المعايرة التي تقال للمرأة التي يتكرر إجهاضها؟

وجدنا ثنائية الإجابات كما تكرر ذلك في ردود الإخباريات خلال أغلب فصول هذه الدراسة. فالبعض رفض استخدام آية كلمات لمعايرة الزوجة التي يتكرر لديها الإجهاض، ويبذر ذلك بإرادة الله ، والبعض قال المعايرة للعقيقة.

البعض ركز على المواساة لهذه الزوجة.

وهناك من تأثر وقال بأن بعض الأهالي يقولون للزوجة المجهضة أنت ما فيك خير ونحن لو نطعم بقرة لحملت وأنجبت، وهذه صورة ذهنية متدينية نحو المرأة ولكنها توجد في المجتمع، بندرة ومحظوظية، كما وجدنا أيضاً أن الإجابات السابقة التي وضحت ردود الأفعال الخاصة بالزوج تحمل موافق لا تحسد عليها المرأة فوجدنا واحدة من الإخباريات قالت أن المرأة نعال في رجل زوجها والتعبير كان كما يلي :-

المرأة عند الرجل «كوش في ريل» أي مثل الحذاء في رجل الرجل، إذا صلح كان بها وإذا بلى إستبدل به.

وهكذا تبرز لنا صورة مشوهة للعلاقة بين الرجل والمرأة ربما توجد أحياناً بين بعض الثقافات دون غيرها وكما نؤكد ندرة هذه الصور والأشكال الغريبة والشاذة وغير المنطقية، إلا أننا نؤكد وجودها بنسبة محدودة لدى بعض أفراد المجتمع، وكثيراً ما نسمع هذا القول مثلاً : المرأة كالنعال أو الحذاء في رجل الزوج لدى بعض المثقفين، وللأسف وإن قالوها بتعبير آخر المرأة كالسيجارة تدوسها بقدمك بعد الإنتهاء من تدخينها. بل لقد وجدنا هذا الرأي لدى بعض رؤساء الاتحادات والجمعيات الثقافية بالدولة، والبحث حول هذه الرؤية المتداولة للمرأة في مجتمعنا بحاجة إلى الغوص عميقاً في مدخلات الثقافة المحلية، والأثار التي تركتها الثقافات الأخرى عليها.

ولكن في مقابل تلك الرؤى الشاذة والغريبة نلاحظ رؤى وصوراً أخرى إيجابية، فمثلاً وجدنا عند سؤالنا عن المعايرة التي توجه إلى المرأة المجهضة الرفض التام لمعايرة إنسانية لا تمتلك القدرة على تغيير ظروفها فيقال مثلاً :

لا بالفقر عار ولا بالموت شماته، وفي هذا مؤشر على أخلاق متميزة وعالية.

ولكن البعض يرى أن هذه المرأة نحسة وقبيحة وتشبه بالعاقر أو بالكلبة التي ترمي أولادها بعد الولادة وهنا تتجلى صورة متداولة أخرى تحتاج إلى تحليل، وإخبارية أخرى قالت أن هناك أغنية تردد عند تكرار الإجهاض وهي :

شروا طقاق الصينية إنت ركبات فوقاني .

أي إنت مثل الذي تأكل الأرض وليس من ورائه فائدة سوى دق الصينية وهي الوعاء الذي يغرس به الأرض، ثم نجد كذلك من يلعنها كما يلعن إبليس.

وبعد هذا الرصد لردود الفعل الاجتماعية ومختلف الإتجاهات والممارسات الشعبية تجاه المرأة التي تتعرض للإجهاض (سلباً وإيجاباً) رأينا أن نبحث عن نفسية المرأة ذاتها وأين هي من كل هذه التداعيات المجتمعية أو ردود أفعال الآخرين فوجهنا سؤالاً لمعرفة الآثار النفسية للإجهاض على المرأة؟

ووجدنا الجميع من الروايات يؤكدن أنها تمر بأسوء الظروف، وتتعرض لأسوء الحالات النفسية من ألم وضيق وضعف وحزن، وعدم الإرتياح والزعل ، وتمرد وتندف ، وتشعر بالغصة والقهر، والكدر، وتشعر بالجرح العميق خاصة من زوجها وتظل "سرحانه" ومضيئه أي لا تحس بأحد وقد يكون ذلك أسوأ أعراض الإكتئاب ويقال (أفواهها يقم يعورها) أي وجع القلب.

وتطلب من الزوج إعادتها إلى أسرتها وتضرب لنفسها المثل التالي:-

«زنجبيل بترابه يوم ما تباه رده على أصحابه».

أي أنها مثل الزنجبيل في أرض الزوج، إذا لا يريدها فليعيدها إلى أهلها لأنها لا تمتلك القدرة على الإنجاب، وقد يكون في القول نوع من التحدي لكل ما يمكن أن تعيشه في ظل مجتمع لا يتقبل من لم تنجح في إنجاب الأطفال.

فيحيط بالمرأة إذن أسوأ أنواع المشاعر وخاصة شعورها بخسارة حملها، وتعبها، وتشعر كأنها ظمانة إلى الماء، مما يعكس الرغبة الشديدة للإنجاب، كما ذكرنا سابقاً أن الإنجاب والذرية للمرأة هو الغطاء الاجتماعي الذي تجد بداخله نفسها وأنوثتها وأمومتها فلا حقوق أخرى تمتلكها، فكيف تخسر حق الإنجاب كذلك؟

وأردنا أن نختم هذا المحور بتذكر بعض الحالات التي تعرضت للإجهاض الإجباري لأية أسباب سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية، ومن الملاحظة الأولى على الإجابات التي قدمت من خلال الروايات نرى هناك رفضاً قاطعاً لعملية الإجهاض الإجباري لأية أسباب اقتصادية، ولكن فقط هناك أسباب اجتماعية كان يكون الحمل غير شرعي، أو الحمل يسبب مرضًا للأم نفسها.

ففي هاتين الحالتين تسعى الحامل لإسقاط جنينها خوفاً من المجتمع والفضيحة، غالباً ما تفشل في إسقاطه حيث يقال أن الحمل غير الشرعي يكون الجنين فيه متمسكاً ببطن أمّه كالمسمار وهذا تشبيهٍ استخدمته إحدى الأخباريات.

وهناك بعض النساء كثيرات الأطفال ويفاجأن يحمل جديد يحاولن إسقاطه بحمل الأنفال بقصد الإجهاض وربما يحدث السقوط، أو لا يحدث، وأحياناً يحدث الإجهاض نتيجة الضرب المبرح من الزوج لزوجته، ولكن لا يكون قاصداً بالفعل إسقاطها، وربما يكشف لنا هذا عن بعض أوجه العلاقات المشوهة بين الأزواج - والتي سبقت الإشارة إليها.

إنما رفضت أغلب الروايات أن يكون للإجهاض أسباب مرتبطة بالغنى أو بالفقر أو بالظروف الاقتصادية عموماً، أي الخوف من عدم القدرة على الإنفاق على الأطفال وتربيتهم لم يكن في حسبان أحد أقدم على الإجهاض.

أما من ذكرن من الروايات عن حمل السفاح أو الحمل غير الشرعي فقد ذكرن كذلك أن هؤلاء طريقهن إلى جهنم وهنا يبرز الوعي الديني الحقيقي أمام بعض الظواهر الإجتماعية.

وإستخدمت كلمة "مخربة" والمقصود بها تلك التي تحمل حملاً غير شرعى تعتبر مخربة، أي سلكت سلوك الخراب وهذا يعكس إتجاهها سابقاً نحو ذلك الحمل.

عكسـتـ لـناـ المـادـةـ الإـثـنـوـجـرـافـيـةـ كـذـلـكـ أـنـ هـنـاكـ بـعـضـ النـسـاءـ مـنـ لـاـ يـرـغـبـنـ فـيـ إـسـتـمـرـارـ الـعـلـاقـةـ بـالـزـوـاجـ فـيـلـجـأـنـ إـلـىـ إـسـقـاطـ الجـنـينـ بـإـسـتـخـدـامـ بـعـضـ المـوـادـ الشـدـيـدـةـ الـحـرـارـةـ،ـ أـوـ مـرـةـ الطـعـمـ،ـ فـمـثـلاـ يـوـضـعـ عـلـىـ بـطـنـهـ حـرـ سـاخـنـ،ـ الرـحـىـ مـثـلاـ،ـ أـوـ شـرـبـ الـكـبـرـيـتـ وـنبـاتـ الغـضـفـ،ـ أـوـ أـنـ تـدوـسـهـ إـمـرـأـةـ أـخـرىـ ثـقـيـلـةـ أـوـ شـرـبـ التـرـيـاقـ،ـ وـبـذـرـ الحـزـ مـعـصـورـ وـتـشـرـبـهـ المـرـأـةـ كـلـ صـبـاحـ وـلـكـنـهاـ تـفـشـلـ فـيـ إـسـقـاطـ الجـنـينـ.

كـذـلـكـ إـذـاـ أـجـبـرـتـ المـرـأـةـ عـلـىـ الزـوـاجـ الإـجـبـارـيـ تـحـاـولـ إـسـقـاطـ حـلـمـهـاـ،ـ خـاصـةـ إـذـاـ تـلـاـ ذـلـكـ الزـوـاجـ مـعـاـلـمـةـ سـيـئـةـ مـنـ الزـوـجـ.

مـنـ أـسـالـيـبـ وـمـحاـوـلـاتـ إـجـهـاـضـ الجـنـينـ يـقـومـ الـأـهـلـ بـكـيـ المـرـأـةـ فـيـ رـأـسـهـاـ،ـ وـلـاـ يـكـونـ ذـلـكـ إـلـاـ بـعـدـ إـسـتـشـارـةـ الزـوـجـ،ـ وـيـكـونـ الـوـسـمـ أـوـ الـكـيـ عـلـىـ شـكـلـ (ـبـكـرـةـ

وتعود)، (أي +) ويلجأ الأهل إلى هذا الأسلوب في حالة ما إذا كانت المرأة الحامل مريضة ومعرضة للموت نتيجة الحمل. أو يحدث العكس إذا وجد أهل الزوجة أن زوجها لا يحبها ولا يريد لها فيحاولون إسقاط الجنين عنها ، وقد يحدث الإجهاض لأسباب التفاوت في المستوى الاقتصادي ، أي إذا إكتشف الأهل أن إبنتهم تزوجت من رجل فقير مثل (البيدار) أي المزارع وهم ناس أغنياء فيرغمونها على الإجهاض الإجباري مقدمة للطلاق منه، والعديد من الإتجاهات والأراء يعكسها لنا هذا المحور مما إحتوى عليه من أسئلة تصب جميعها في الكشف عن العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع، والعلاقات الزواجية، وكذلك الكشف عن بنية المجتمع بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ولا يفوتنا أن نقول أن المحور كذلك إحتوى على العديد من الممارسات الشعبية، والمعتقدات، والأمثال والحكايات والاقوال الدارجة، والمادة الإثنولوجية المتعددة الإتجاهات والمحتوى الإجتماعي ونخلص إلى هذا التلاحم بين ما تقدمه هذه الدراسة من تراث شعبي وبناء إجتماعي وثقافة شعبية متعددة الأصول والمؤثرات.

ولقد بُرِزَ هذا التلاحم الفكري بين هذه العلوم وخاصة الإنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وبعض السير الذاتية.

الكتاب المقدس في العهد القديم

فلا يقتصر دوره على إعلان الدين، بل ينطوي على
رسالة إلهية موجهة إلى جميع الأجيال، حيث يذكر
الله سبحانه وتعالى في الكتاب العظيم: **لهم يا رب**

أنت أنت رب العالمين، لا إله إلا أنت، لا رب لربك،
لهم يا رب العالمين، لا إله إلا أنت، لا رب لربك،
لهم يا رب العالمين، لا إله إلا أنت، لا رب لربك

الفصل الخامس عشر

الختان

Circumcision

الختان:^(١)

«الطهارة» و «الظهور» إحدى المترادفات العربية الشائعة لكلمة الختان، ولا يبدو هناك غرابة في ذلك حيث أن الختان في الواقع ليس سوى عملية تطهير للزائد من الجلد للاعضاء التناسلية للذكر والأنثى.. وهي سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام.

وما يعنينا هنا في هذا الفصل هو عرض العادات والتقاليد المتصلة بعملية الختان في مجتمع الإمارات العربية المتحدة في مرحلة الميلاد .. والتحليل الاجتماعي لها.

إن مناسبة ختان الأبناء كانت تمثل فرحة للأب والأم .. بل للأهل جميعا وخاصة عندما كانت المناسبة هي ختان الولد التي تميزت كثيراً واحتفل بها بخلاف مناسبة ختان البنت.

وكانت فرحة الأب تميز بخصوصية تنبع من شعوره أنه يحضر ختان ابنه كأول فرحة به، ولكنه لا يدري إن كان العمر سيمتد به ليمر حفل زواج إبنه أم لا؟

والأسئلة هي:- صفات الإحتفال بختان الذكر والإحتفال بختان الأنثى؟

- ذكر الأمثال والأغاني الشعبية لهذه المناسبة؟

- متى يتم ختان الطفل الذكر ومتى يتم ختان الأنثى؟

- صفات عملية الختان كيف تتم للذكر وتتم للأنثى؟

- من يقوم بالختان؟ كيف تتم العملية؟ وما هي الأدوات المستخدمة؟

- ما هي طرق التصرف في مخلفات الختان؟

- هل يتم الختان بشكل فردي أم جماعي؟

- كم يدفع للمختن أو للمختن مقابل إجراء عملية الختان؟

- هل يحضر الأب ختان إبنه؟

- هل يحضر الأب ختان إبنته؟

- ما هي الهدايا التي تقدم للطفل أو الطفلة بعد الختان؟

لذلك كانوا يحتفلون في الماضي بختان الولد ولم يحتفلوا بختان البنت التي كانت تحاط بالسرية إلى درجة إخفائها حتى عن الأب في بعض الأحيان باعتبار ذلك مداعاة للخجل.

ولم يكن العرب يحيطون بهذه المناسبة بمظاهر إحتفال كبيرة بل كان في العادة يتم بشكل بسيط يقوم أساساً على إطعام الطعام المكون من العيش واللحوم والهريس والعصيدة أو صنف أو صنفين منها وتوزيعه على الأهل والجيران.

وبعض الأسر ذات القدرة المادية والمكانة الاجتماعية كانت تبالغ في الإحتفال بمناسبة ختان الولد بما يقرب من إحتفال العرس. فيذبحون الذبائح ويطبخون أصناف الطعام التقليدية لهذه المناسبة ويقيمون "العزائم" للأهل والجيران والفرق المشاركة في الإحتفال الذي تدق فيه الطبول وتقام فيه الرقصات الشعبية كالعارضه مثلاً أو العيالة أو الليوة وفي الغالب كان "المالد" هو السائد (وسوف نشير إليه في الجزء الخاص بالأغاني الشعبية الخاصة بهذه المناسبة لاحقاً).

لكن الإحتفال العادي كان من الممكن أن يقتصر على الفطور الذي يحضره والد الطفل المختار والأحوال والأهل والجيران.. أو الغداء أو العشاء في يوم الختان .. وفي أحياناً أخرى وحسب القدرة المادية يستمر يومين أو ثلاثة أيام لعامة الناس وأسبوعاً لأبناء الشيوخ.

غير أن جماعات البداء أي جماعات البدو كانوا يحتفلون بختان الولد أكثر من إحتفالهم بزواجه .. فيذبحون الذبائح ، ويسيير الأب وسط الأهل حاملاً صينية الخبز على رأسه والطفل المحتفى به على كتفه ويدقون الطبول ويغنون للطفل، هذا عن كيفية الإحتفال بشكل عام بختان الولد.

أما في الحالات القليلة التي كان يحتفى فيها بختان البنت فكانت المناسبة تقتصر على ذبح ديك للبنت و تعد «العصيدة»^(١) كطعام يقدم للنساء

١- العصيدة : وجبة شعبية معروفة مكونة من الطحين والزعفران والسمن البلدي.

من الأهل والجيران المقربين ممن أعلموا بالخبر.

وفي حالة الختان الجماعي للذكور - وهي العادة التي كانت شائعة في ذلك الوقت - كان الأهالي يشتركون في إحضار الذبائح حيث تذبح في كل يوم ذبيحة في بيت أحد المختونين.

ومن أشكال الاحتفالات المميزة لختان الذكر والتي كانت تستمر أسبوعاً وتسمى «الميدان» كان الطفل المختون يعتلي ظهر الناقة وسط الناس في اليوم السابق على يوم الختان ويتجه إلى «الثقبة» أي بئر الماء، للحلقة والإستحمام وهناك يقوم الأهل والجيران بنشر «النثور» من نقود وحلوى على رأس الطفل وتعتبر هدية له أو «نقوطاً» وهو يعكس نوعاً من المشاركة الوجدانية والمادية الإجتماعية في هذه المناسبة، وكان ما يتلقاه الطفل المختون من نثور أو هدايا يعتبر ديناً يتم رده إلى من جاملوه في مناسباتهم المماثلة.

وبعد أن يتلقى الطفل الهدايا بهذه المناسبة كان يعود إلى بيته وهو في حضن إحدى النساء على الناقة والنساء يغنين له قصائد تردد في هذه المناسبة تسمى (نانا)^(١) حتى يصل إلى بيت أهله في المساء وسط زفة كبيرة حيث كانت عملية ختان الذكور تتم عادة في السادسة صباحاً في يوم الجمعة كيوم مبارك، أو في يوم إثنين كسنة حيث يذكر أن ختان النبي عليه السلام كان في يوم الإثنين.

وعندما كانت تعلو أصوات البنادق بضرب «التفك» في صباح اليوم التالي كان ذلك بمثابة إعلان عن إتمام إجراءات عملية ختان الولد.

وتشير الإجابات إلى أن «المختن» وهو الشخص الذي يجري عملية الختان كان يحضر في ذلك الصباح وهو يردد :

هوى هوى ياكريم برب هوى يا المختون

١- أغاني «النانا» ، سنشير إليها في الجزء الخاص باغانى الختان لاحقاً.

وإذا كان الختان جماعيا فإن المختن كان يبدأ بختان الموجودين من أبناء الشيوخ أولا ثم أصدقائهم وزملائهم مع من يرغب في ختان أبنائه مع أبناء الشيخ الذي كان في العادة يتحمل نفقات الإحتفال بما فيها من مكافآت للفرق المشاركة ثم يأتي المهنيون لتقديم التهاني لأباء المخاتين.

وبشكل عام - فإن إحتفالات الختان كانت تختلف من أسرة إلى أخرى بحسب القدرة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية ، والأصول العرقية.

- حيث كانت احتفالات العرب أبسط من إحتفالات العجم والبلوش.

- واحتفالات أبناء الشيوخ أكثر وأفخر من إحتفالات عامة الناس.

- ومن العادات المرعية في مناسبة الختان كان يراعى عدم دخول رجل به نجاسة ٠٠٠ أو إمرأة في فترة الدورة على المختن وكذلك المرأة التي ترتدى ملابس حمراء وتبرير ذلك في الحالتين الأولى والثانية أن النجاسة عكس الطهارة وفي الحالة الثالثة خوفا من أن يصيب اللون الأحمر الطفل بنزيف.

وفي نصوص روايات الإخباريات عن أشكال الإحتفالات بهذه المناسبة مايزيد هذه الصورة العامة وضوها وهذه بعض المعتقدات المرتبطة بعملية الختان في مجتمع الإمارات إذ يرى الناس أن تقسم المناسبة بالطهارة التامة ولا يدخل أى شخص نجس في بيت الأطفال المختوتين.

الأب - هل يحضر ختان ابنه وإبنته ؟

- كان الأب في معظم الأحوال يحضر ختان ابنه إتباعا للعرف .

- وكذلك لمساعدة المختن في إجراء العملية ويدفع له الأجر بعدها .

- ولينبعث الطمانينة في نفس ولده .

- ولأنه هو الذي يتلقى التهنئة بعد العملية .

- زيادة على ذلك فقد كان حرص الأب على حضور العملية ينبع من شعوره بالفرح لمشاهدة عملية خاصة برجولة إبنه التي لا يتفوق عليها سوى الزواج وهو لا يدري أن عمره سيمتد ليشهد زواج إبنه أم لا ، خصوصاً إذا كان كبيراً في السن.

- لم يكن يمنع الأب عن حضور ختان إبنه - في النادر - إلا إذا كان لا يقوى على تحمل ألم إبنه من الجرح.

- كما كان الحال في العادة والأخ يحضران أيضاً إلى جانب الأب.

- ولكن الثابت من ناحية أخرى أن الأب لم يكن يحضر إطلاقاً ختان إبنته وقد لا يعلم عن ذلك إلا بعد إجراء العملية حيث كان ذلك مدعاه لخجل البنات كما كان يعتبره العرب «عيباً».

الأمثال والأغاني الشعبية لهناسبة الختان:-

في النصوص المنشورة لاحقاً على لسان الرواة نماذج مختلفة مما تحفظ ذاكرتهم ، لكننا هنا سنكتفى بعرض أمثلة مختلفة لاغنياتهم بهدف تكوين الصورة العامة ، ومن خلال النصوص تخرج بعض النتائج أو الدلالات.

أقوال وأمثلة شعبية :

- «يوم شاب ختنوه».

وهو مثل يعكس إستعجال مراحل نمو الطفل حتى يشيب كما يعكس في الوقت نفسه روح الدعاية بتشبيه الطفل المختون بالشيبة ، وهو بعد ما يزال صغيراً.

«مبروك بختانك وإن شاء الله لزواجه»

قول في شكل دعاء يقال للمختون بعد ختانه بطلب البركة من الله له وإمتداد عمره حتى يتزوج باعتبار أن الزواج هو محطة الفرح التالية.

«طالع فوق يامختون»

هو أيضاً قول شائع ينطوى على دعاء له بالنفو والكبر،
«الحمد لله الذي طهرا»

وهو قول يردده الأهل للمختون يعكس شكرهم لله كما يعكس أن الختان
عندهم يعني الطهور والطهارة.

«بِإِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ»

قول طلب البركة للطفل بذكر إسم الله عليه والصلاحة على النبي ونفس
المعنى يتضمن القول (ماشاء الله - الصلاة على النبي - الله يبارك - ماشاء
الله مبروكين بفلان).

ومن الأغانى الشعبية الشائعة في هذه المناسبة «المالد» أى المولد
والمقصود به مولد النبي عليه الصلاة والسلام يقول مطلعه :

يا نبى سلام عليك يارسول سلام عليك يا محمد

وإستخدام «المالد» في هذه المناسبة يعكس إرتباط عملية الطهارة لديهم
بالمعنى الدينى ولكونهم يؤدون سنة عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم.
- «اللال»

يقول مطلعها: لال . . . يالال . .

ساير يمون عنك ولا عندي عطر وكفن.

لام ولا خال حضرلى عند الطارقة.

ساير بغني وبازيد الطوارفى.

لام ولا خال حضرلى عند الطارقة.

لام . . . يالال . . .

وهي تعكس نوعاً من المناجاة للأعمام والأحوال ووصف حال النفس
عند الإحساس بحاجة الإنسان إلى وجود أهله بجانبه في الملمات كما

تعكس مكانة الحال والعم التي تقترب كثيراً من مكانة الأب (وهذه الأغنية يغنيها أهل صور)

- العزوة :

تقول بعض أبياتها :

«سميت باسم الله الرفيع وفرض على عبده وسيع
والعمر له حصن منيع لو ألف صمعة مشابكات
وهي أغنية تتحدث عن الشجاعة والبسالة التي لا تخشى الموت ..
وتستعيير تشبيهات الشجاعة من البيئة حيث الليث والصقر».

وتقول بعض كلمات عزوة أخرى :

بالرفض بالرفض ياغزاله عن تطيحى شبك اليهودي
اليهودي حباله قوية مخلف الإيمان والعهودي

وهي تعكس ما إستقر في الوجدان الشعبي منذ القدم عن مكر اليهود
وخداعهم وعدم وفائهم بالعهد.

«النان» :

كانت النساء يرددنها في زفة عودة الطفل من بئر المية (الثقة) بعد
الحلقة والاستحمام في ليلة ختنه،

يقول مطلعها :

«نانا بالمخدين أيام مختين إكرمينا
وحطى في الصحن خوخ وتينا ورمان مفتوك باليمينا»

وهي كما تبدو كلمات بسيطة تدعو أم الطفل المختون إلى الكرم في
الوليمة التي ستعد لها لهم أو في الأطباق التي ستوزعها عليهم ويرجون أن
تحتوي على الخوخ والتين والرقاق.

«الـدراف» : تقول:

درفوه درفوه فى حيائى مكـة

ويوم جيتوا وزرتوا ياعرب ويـش لـهاـكم

سيـل وسمـيل سـقاـكـم

وأسـقاـكـم وأـرواـكـم

وأسـقاـغـيرـبـحـذاـكـم

ودـرفـوهـبـالمـختـنـىـنـ

وهي نوع من الـرـبـطـ بينـ منـاسـبـةـ خـتـانـ الطـفـلـ.

والـمعـنىـ الـديـنـيـ بـقـصـةـ سـيـدـنـاـ إـسـمـاعـيلـ وـالـبـئـرـ الـتـىـ تـفـجـرـتـ تـحـتـ قـدـمـيـهـ

(زمـزـ)

وهـذـهـ فـقـطـ بـعـضـ أـمـثـلـةـ عـماـ كـانـ يـغـنـىـ أوـ يـقـالـ فـيـ منـاسـبـةـ الـخـتـانـ،ـ وـمـعـ
ذـلـكـ فـإـنـ العـدـيدـ مـنـ الإـجـابـاتـ قدـ أـفـادـ بـأـنـ هـذـهـ المـنـاسـبـةـ لـمـ يـكـنـ لـهـاـ عـنـ الـعـربـ
الـأـوـاـئـلـ أـغـانـىـ أوـ أـمـثـالـ خـاصـةـ وـأـشـارـوـاـ إـلـىـ أـنـ مـاـكـانـ يـغـنـىـ فـيـ تـلـكـ المـنـاسـبـةـ
كـانـتـ هـىـ أـغـانـىـ (ـالـعـارـضـةـ)ـ الـمـعـرـوـفـةـ (ـأـوـ الـمـغـلـاـيـةـ)ـ أـوـ (ـالـلـيـوـهـ)ـ أـوـ (ـالـمـالـدـ)ـ وـهـىـ
أـغـانـىـ رـزـفـاتـ تـعـبـرـ عـنـ الـفـرـحـ بـشـكـلـ عـامـ وـتـقـامـ فـيـ الـمـنـاسـبـاتـ وـلـكـنـهـاـ لـيـسـ
خـاصـةـ بـالـخـتـانـ.

ولـكـنـ مـنـ الـخـاصـ بـالـخـتـانـ مـاـكـانـوـاـ يـقـولـونـهـ لـلـمـخـتوـنـوـنـ :

طالـعـ فـوقـ يـامـخـتـونـ

طالـعـ فـوقـ يـامـخـتـونـ

ختـنـاهـ الـولـيدـ ٠٠٠ـ خـتـنـاهـ

ختـنـاهـ الـولـيدـ ٠٠٠ـ خـتـنـاهـ

ختـنـاهـ ٠٠٠ـ صـفـقـوـالـهـ

ويمختون إمختين ٠٠٠ سروبك الليل ٠٠ سروا بنياليك بأيام أبويه ٠٠٠ وأحليالك يالمختون ٠٠ ومشينا لك سبع سنين يالمختون ٠٠٠ مشينا الدرب ليك سبع سنين ٠٠٠ وفرشنا لك على الياسمين ٠٠٠ وفوق الفرش ليك بنت حسينة ٠

وهي تعكس أن الأهل ظلوا سبع سنوات يربون طفلاً ويهيئون أمامه الطريق إلى أن أصبح عمره سبع سنوات وهو ما يعني أنه كبر وحان أوان ختنه إعداداً للفرحة بزواجه من بنت حلوة «حسينة».

«الدان»:

كما كانت هناك أغنية «الدان» التي مطلعها «يو دان دان ٠٠٠».
وعموماً عرف العرب في هذه المناسبة الرزيق - بينما عرف البلوش «اللووة» وهي نوع من الغناء خاص بهم.

سن الختان:

أفادت معظم الإجابات بأنه لم يكن هناك سن محدد لإجراء عملية الختان للأولاد وإن كان الغالب والأكثر شيوعاً هو سن السابعة ٠٠ ولكنه كان يتراوح بين ثلاثة إلى سبع سنوات في العادة وفي بعض الاستثناءات كان يتأخر لكن ليس إلى سن ١٤ سنة ولا يتقدم على الثلاث سنوات الأولى من عمره.

- كانوا يقومون بإجراء الختان في الصباح الباكر من يوم الجمعة أو يوم الإثنين.
- كانوا يفضلون وقت الشتاء حتى يكون أهون على الطفل من الصيف حيث أن الجو البارد لا يساعد على التنزيف.
- كانت العادة أن يكون ختان البنات في سن أصغر من سن الأولاد.
- كانوا يفضلون سن السابعة حتى يستطيع الطفل تحمل الألم ويستطيع السهر في الليل عند الإحتفال به.

كيفية الختان:

بالنسبة لعملية ختان الولد فقد كان يقدم للطفل الروب والخبز في الصباح ويجلسونه على كرسى أو «منخار» وهو الهاون الخشبي الذى كانوا يدقون فيه البهارات، وكان الوالد أو الحال يقوم بتعيمه عينيه والأخر يمسك بيديه وثالث يساعد بفتح رجليه وإمساكها ثم يقوم المختن بإجراء العملية. أو كان يكتفى بإمساك ذراعيه ورجليه وهو جالس ثم يباغته المختن عن طريق مشاغله الطفل بالنظر لأعلى ثم يقوم بسرعة بعمل الختان، وذلك بأن يقوم المختن بوضع (المرصدة) لدفع القضيب إلى الخلف بينما يدخل المروود ليتمتد عليه الجلد إلى الأمام ثم يحدد قياس مسافة الجلد التي سيتم قطعها برباط من الخيط، ثم يقوم بواسطة موسى ناعمة بقطع «الغلفوطة» وهي الجزء الزائد من الجلد.

ثم علاج الجرح والنزف الناتج عن الجرح بوضع قطنة مبللة بالأدوية وأنواع أخرى من الدواء لتجفيف وعلاج الجرح وربطه لثلاثة أيام يشفى بعدها.

أما بالنسبة لعملية ختان البنت فقد كانت البنت تنام على ظهرها ويفتحون رجلتها ويمسكونها - فتقوم أحدي النساء بإمساكها من صدرها حتى لا تتحرك وتقوم أخرى بإمساك رجلتها، ثم تجرى المختنة عملية الختان، وذلك بأن تمسك بيدها «البظر» وهو الجلد الزائد وقطع الجزء الكبير منه، أو تقطعه كله.

ثم تمسك بجلد الشفتين وتقطعه، أي أنها كانت تقوم بما تشبه التنظيف من الزوائد الجلدية، ثم تضع مواد العلاج لتجفيف وخلال يوم أو يومين تتحرك بشكل عادى.

وكان الثابت والمعلوم أن عملية ختان البنت كانت أسهل بكثير من عملية ختان الولد.

وفي الحالتين لم يكن هناك أدوية تخدير (بنج) كما هو شائع حاليا إلا في
أحوال نادرة.

ولقد كان «المختن» هو الذي يقوم بعملية ختان الذكر وهو رجل متخصص
في ذلك وله تجربة وشهرة وكان «المحسن» أى الحلاق يقوم بعملية التختين
حيث لم يكن عدد المختنين كبيرا وعادة ما كان المختن يأتي من أماكن بعيدة كما
كانت «المختنة» هي التي تقوم بختان الأنثى.

الأدوية المستخدمة في علاج الختان :

- الملح - القرط لتجفيف الجرح.

- والأيدين (الميكروكروم) لتطهير الجرح.

- ماء البحر للإغتسال وتتبيل آثار الجرح.

- باب السلام لتطهير الجرح عقب الختان مباشرة.

وكانت هذه المادة ترش على الجرح وهي نوع معين يسخن ويذر أو يداب
في الماء.

- حل بريك وهو زيت فرامل السيارات لتلبيين الجرح.

- حل الدم وهو دواء تبلل به قطنة تربط على القضيب.

- الياس - الجاز - والورش الأصفر - دهن العود.

دواء من مادة بيضاء تشبه الطحين توجد على خوص النخيل تشفى الجروح.

- مرهم الصدو وهو مكون من المر والخليل ودهن الطيب.

- مادة حمراء من قلب النخل.

- وبالنسبة لعلاج ختان البنات بالإضافة إلى الأدوية التقليدية المشار إليها
كان يرش على الجرح مخلوط «الياس» و«السكر» و«بowl طفل صغير» بعد
العملية مباشرة.

- فى أحوال تورم جرح الولد كانوا يلجاون للعلاج بكمادات الرمل الدافئ أو حفرة النار وهى بتعرض منطقة الختان للحرارة المتبعة من إحراق مخلفات الماشية فى حفرة صغيرة .
- وبالنسبة للبنت كان قطع البظر شبه كامل بعكس ما يحدث حالياً من الإكتفاء بقطع طرف البظر.
- بالنسبة للبنت التى كان يلاحظ عليها علامات القوة والرجلولة .. كانوا يعمدون إلى حك أنفها بعد إنتهاء الختان ببقايا اللحم المقطوع كنوع من تقليل إحساسها بقوتها.
- كان الإستحمام فى مياه البحر بعد ثلاثة أيام تقريباً تقليداً متبعاً للطهارة والعلاج بما يعنى نهاية العلاج وتمام الشفاء .
- كان الأهل يراعون بعد ختان الطفل وحتى شفائه تقريباً الا يسقونه من الماء مايزيد على فنجان واحد حتى لا يكون قابلاً للنزيف.
- كان الأهل بعد الختان يجمعون المخاتين فى مكان واحد إذا كان الختان قد تم بشكل جماعي.
- كان الأهل يراعون وضع حواجز بين رجليه تمنع حركة رجليه حتى لا يلمس الجرح أو يدميه.
- كانت عملية الختان تجرى عادة بين الأدعية وذكر إسم الله والصلوة والسلام على النبي.

الأدوات المستخدمة في الختان:

- كان «المختن» يستخدم في ختان الذكر.
- الموسى الناعمة.
- المروود.
- المرصدة.

- مواد العلاج السابق الإشارة إليها .
- المقاصدة .. أي الحقيبة التي كان يحمل فيها أدواته بينما كانت «المختنة» لاستخدام سوى :

 - الموسى.
 - أدوية العلاج.

- وكانوا في العادة يضعون في أنف المختونة أو في رقبتها «الخيلة» حتى لا تشم الروائح الأخرى كما تدهن أيديها وأرجلها «بالنيلية» وهي مادة لها رائحة كريهة إعتقداً بأن ذلك يطرد الجن ويمعن الأذى.
- أما بالنسبة للطفل فكان الخيل يربط في يده بقمasha سوداء .
- كما كانوا في أحيان أخرى يعطرون بطيب «دهن العود» وهي عطر ذو رائحة طيبة.

مخلفات الختان:

وكان يتم التخلص من مخلفات الختان بشكل عادي فلم يصل إلينا ما يفيد أنه كان يتم التصرف بها بشكل معين فكانت تلقى بعيداً في الرمل أو تدفن في الرمل بعيداً عن الأطفال أو تلقى مع القمامات أو في البحر.

الختان الفردي والجماعي:-

الختان الجماعي كان أكثر شيوعاً من **الختان الفردي** حسبما أفادت الإخباريات ..

لكن **الختان الجماعي** لا يعني إجراء العملية للطفل أمام الجميع ... ولكنه تعبير يشير إلى أن أطفال الفريج أو الحي كانوا يجتمعون في مكان واحد وليكن في أكثر البيوت إتساعاً ثم يدعون إلى غرفة أخرى فرداً فرداً لإجراء العملية وربما دون علمهم حتى لا يخافوا.

وتجرى العملية فرديا حتى لا يخاف الآخرون.

كما كانوا يبقون عادة في نفس المكان الذي يجمعهم بعد الختان لثلاثة أيام يتناوب فيه أهاليهم على تقديم الطعام والحلوى لهم، ثم ينتقل كل إلى بيته.

وكان البيت الذي يجمعهم في الغالب هو بيت أحد الشيوخ إذا كان إبنه بينهم أو بيت أهل أحد المختنين الميسوريين.

وبالنسبة للبنات:

كان الختان يتم في العادة بشكل غير معلن جماعي أحيانا وأحيانا أخرى بمرور المختنه عليهن فرادى في بيوتها.

وفي الختان الجماعي كان يتم جمع البنات الصغيرات في منزل واحد ويتم ختنهن ثم تنقل الفتيات إلى منازلهن خلال يوم أو يومين بعد الشفاء.

وكانت العادة الشائعة هي الختان الجماعي لعدة أسباب منها:

قلة المختنين في المكان الواحد... فقد كان عددهم قليلا وكانوا يأتون أحيانا من مكان بعيد بشكل مفاجئ مما يشكل فرصة لمن يريد ختان إبنه أو إبنته.

إذا كان هناك ابن شيخ سيجري تختينه فقد كان هذا نوعا من المباهاة الإجتماعية أن يجرى الناس ختان أبنائهم مع ابن الشيخ.

كان الختان الجماعي يمثل نوعا من التكافل الاجتماعي حيث كان الغنى يتکفل بأجر وطعام وإحتفالات الختان خاصة إذا كان شيخا.

مايدفع للمختن أو المختنة :-

كانت عملية الختان لاتتم بأجر محدد ولم تكن عملية تجارية أو مهنة بالمعنى المعروف فلقد كان بعض المختنين يقوم بذلك تطوعا لكون الختان سنة عن النبي ص.

لذلك لم يكن لها أجر بل كان ما يعطى للمختن أو المختنة نوعاً من الهبة بحسب القدرة المادية لوالد المختن.

وكان من الناس من يكتفى بإفطار المختن.

وكان منهم من يعطيه نصيباً من «النثور» .. الثالث مثلاً.

وكان منهم من يعطيه طحيناً أو عيشاً أو كسوة.

وكان منهم من يعطى نقوداً كأجر أو كهبة حسب إستطاعته.

وتشير الإجابات إلى أن ما كان يدفع في الماضي في المستوى العادي يتراوح مابين ٥ : ٢٠ روبية.

وإذا كان والد الطفل المختون ميسوراً أعطى أكثر من ذلك في حدود المائة روبية وقد يدفع عن الجميع خاصة إذا كان شيخاً.

وكانت هناك حالات أدنى من (٥) روبيات في أحوال الأسر الفقيرة.

وكان من الشائع أن يدفع عن الطفل المختون نحو ضعف ما يدفع للمختنة عن الطفلة المختونة تقريراً.

هدايا الطفل بعد الختان:-

لم يكن للولد المختون سوى الحفل أياً كان مستوى ... وليمة أو زفة أو رزفة ولم يكن في عرف المجتمع في ذلك الوقت تقديم الهدايا للطفل بعد الختان.

ولكن سبقت الإشارة إلى عملية «النثور» التي كانت تلقى على رأس الطفل قبل الختان وهي ما ينثره الأهل والجيران على الطفل من حلوي ونقود عند عودته من بئر الماء (الثقبة) بعد الحلاقة والاستحمام وسط الرزفة إلى بيته ليلة الختان.

ولكن بعض الروايات تفيد إلى أن البعض كان يعتبر الناقة التي اعتلاها

الطفل في هذه الزفة كانت تعتبر هدية له بعد أن يكبر وفي بعض الأحيان كان الأب أو الخال أو المقربون من الأهل يعطون الطفل نقوداً (روبية) لإدخال السرور إلى نفسه... أو إعطاءه الحلوى لتطيب خاطره بعد عملية الختان .. وقد يعودون له ثوباً جديداً .. أو نخلاً .. أو غنماً حسب مقدرة الأهل ... وكانت البنت تهدى قرطاً من الذهب أو خلخالاً في بعض الحالات القليلة .

وبشكل عام فلم تكن الهدايا عادة أو تقليداً اجتماعياً بعد الختان.

وكانت الهدايا التي أشرنا إليها هي الإستثناء وليس القاعدة.

كيف تصف الاحتفال بختان الذكر والاحتفال بختان الأنثى؟

١. يسونون له حفلة، ويسيونون له فرح، يقول الأب ما أدرى بفرح بختينك، ما أدرى بشوف زواجك أو ما أشوفه أنا بفرح لك الحين في الختان. وإذا عمري طويل بشوف حفلة زواجك. يحتفلون ويقسمون «يوزعون» اللي عنده مقدر عيش ونشور، عيش ولحم وهريس الحمد لله، البنت ما يحتفلون بها، ما يسون لها قدر «فضحكت» يسون هريس وفواله حق المختنة، يسون مثل العصيد ريقوا (افطروا) المختنة وراحت.

٢. الولد يحتفلون به يسون له الدق والأكل، والبنت وحليلها (مسكينة) ما يسون لها شيء مثل الولد.

٣. (غير مبين) بالنسبة لجميع أسئلة هذا المحور.

٤. حق الولد عقب الختان يسون له ذلك الاحتفال الذي مثل احتفال الأعراس يذبحون الذبائح ويطبخون ويدقون الطبول ويعزمون كل الناس ويرقصون، أما البنت لا ما يسون لها أي شيء فيه بعض منها تكون ختانتهن بالسر وما حد يعرف إلا الأهل وأقرب الجيران، فيه بعضهم يسون احتفال بسيط بصورة مخفية بس بين الجيران والأهل.

٥. يحتفلون يعرون عقابير ويطبخون ويعزمون الجماعة ويلعبن البنات، Heidi

حفلتها.

٦. يسونون يدقون له طبول نذبح ذبائح ونسوي الغذاء والعشاء والرجال والفرقة بيتجدون ويتعشون مدة يوم أو يومين أنا بنفسي في ختان ابني مع عيال اختي نجمعهم كلهم تقريباً ٢٥ طفل في بيتي في الحجرة «في القديم الغرفة تسمى بنكله» نخليلهم صفين ويغنون عليهم أي أغاني، ولا يوجد لديهم ختان للبنت.
٧. بعضهم يحتفلون أهل البيت مع أهل الأطفال اللي مختنون مع بعض نسوی لهم عزيمة مب شرط لأن الأول ما عندنا شيء أهم شيء أن الطفل يفرح نفني بروحنا لهم ويفرحون.
٨. بالنسبة للأئمّة ما أعرف ولا تسأليني شيء عنهم، أما الأولاد نعم أول لين ختنوا الأطفال سوالهم العيوش والعرايم والدقاقة في السكة «مثل معلاية» مدة يوم إلى ثلاثة أيام وفرحتهم كانها فرحة عرس.
٩. نقول نحن (البداية) نحتفل أكثر من احتفال الزواج بالختان نذبح الذبائح ونخبز ويكون الأب يحمل صينية الخبز على رأسه والطفل على كتفه ويكون أعظم من العرس (مثل الندبة) لكنني لا أقدر أن أقول ندبة (البداية).
١٠. يذبح له الذبائح والزينة.
١١. (البنت تقبضها ونختنها ولا نخبر أحد) بمعنى أن البنت يؤتى بها وتتم عملية الختان دون أن يعلم بها أحد إلا النساء ونخجل من أخبار الرجال، تحضر المختنة وتختنها، ثم يذبح ديك بهذه المناسبة فقط، وتكون متخصصة مب «حيا الله حد يختن» أي ليس بكل انسان يدرك عملية الختان. تختلف عملية الاحتفال بأن يذبح للبنت ديك ويتم تجهيز عصيدة كاحتفال للنساء فقط، بالنسبة للذكور يتم عمل الولائم وذبح الذبائح، أما أبناء الشيوخ فتقام الاحتفالات مدة أسبوع، أما الفقراء فلا يقيمون شيء كالمعلاية، والعيالة، والليوبي، والرزفة والحربية وهي نوع من أنواع

الأغاني والاحتفالات التي تقام.

١٢. الولد يختلفون به ويعقرن الذبائح احتفالاً به سواء كان من النوق أو من المواشي، ويجمعون الأولاد الذين يرحب والدهم في ختانهم حتى تتم الختانة جماعية، ويشترك الأهالي في إحضار الذبائح حيث تذبح في كل يوم ذبيحة في بيت أحد من المخاتين، أما البنات فليس لهن احتفال بالختان.
١٣. البنت بمفردها والذكر بمفرده (الولد مشهور والبنت مدثورة) بمعنى أن البنت لا تذكر أثناء الختان، أما الولد فيتغنون به وتقام الأفراح، وتوزع اللحوم والهريص احتفالاً بختان الذكر فقط.
١٤. ختان الذكر لا أعرف عنه شيئاً أما الأنثى فإنهم يحضرون دجاجة يعملون عليها (عصيدة) وجبة شعبية مكونة من الطحين والزعفران والدجاج أو اللحم، ثم تأتي ثلاثة نساء تقوم بإدخالهن بختان الأنثى دون أن يعلم بها أحد.
١٥. الأنثى ليس لها احتفال، أما الذكر فيختلف به، يغنوون ويرقصون، ويذبحون الذبائح ويقيمون الولائم، وتوجه الدعوات إلى جميع الناس ويقام احتفال كبير بهذه المناسبة.
١٦. الاحتفال بختان الذكر: ختان الذكر مشهور حيث تستمر الاحتفالات أسبوع وتسمى «الميدان» حيث يتم إحضار المختون ويعتلى (الناقة) البوش ويذهبون به إلى (الثقبة) بئر الماء للاستحمام والحلقة وتحضر (النثور) من نقود وهدايا وتنثر على رأس المختون حيث تعتبر هدايا له، وتعتبر كالسلف حيث يعيدها إلى الناس في حالة إذا صادفت نفس المناسبة ثم يعود إلى منزله وهو في حضن أحدى النساء على الناقة والحرير (يسوون له نانا ينأون بهم) عبارة عن قصائد، وفي الليل يصل إلى منزله في زفة كبرى، حيث يتم ختان الذكر في الساعة السادسة

صباحاً، ويعلم بها الناس عند ضرب «التفك» عندما تعلو أصوات البنادق
أما ختان الأنثى فهو مدثور، تأتيها إحدى النساء في منزل والدها وتتم
الختانة دون أن يعلم بها أحد.

١٧. يقيّمون احتفالاً عرضاً، وغناء، ويُسّرون شري العرس، أي يقيّمون
الاحتفالات مثل احتفالات الأعراس أما الناس الميسوريين فإنهم منذ ليلة
الختان يذبحون الذبائح، ويقيّمون الولائم، وتبدأ الفرق الشعبية في اقامة
الاحتفالات، غنا من هنا، وطماشة مناك، وفي الصباح يحضر (المختن)
ويتردد في ثقة: هوي هوي يا كريم / برب هوي يا المختون، ثم في الصباح
يختن من هو موجود وخاصة من أبناء الشيوخ من زملاء وأصدقاء لهم،
ومن يرغب في ختان أبنائه مع ابن الشيخ وذلك في مجموعات كبيرة،
ويتحمل النفقات والد الطفل الأول وهو ابن الشيخ، ثم يأتي المهنئون
لتقديم التهاني والتبريكات لأولياء أمور المختاتين، أما الأنثى «محمد يدرى
بها» أي لا يعلم بها أحد.

١٨. بالنسبة لختان الذكر يعمل حفل كبير حيث تأتي فرق الرزيفة والعيالة عند
مكان الختان «في ساحة قريبة من المنزل» وتكتافى الفرق بأشياء عينية،
بالنسبة للبنت تعمل وليمة للأمهات في نفس المنزل.

١٩. يحتفل بختان الذكر فقط حيث تقام حفلة ويتم توزيع الأكل ويكون ذلك في
منزل والد الطفل وتكون هناك فرق عيالة وغيرها، أما الأنثى فلا يشهر
ختانها.

٢٠. في الماضي كانوا يختلفون بختان الذكر فقط دون الأنثى حيث تقام له
رقصات العيالة أو المايدل الشعبية، ويذبحون الذبائح ويوزعون الأكل
للجيران، هذا إذا كان الأب مقتدرأ، أما إذا كان غير ذلك فلا تعمل الحفلات،
أما الاحتفال بختان الأنثى فكان يعتبر عيباً حيث أن الأنثى كانت تخن
دون علم أحد بها.

٢١- الأهل يحتفلون بختان الذكر أما الأنثى فلا يختلفون بختانها لأنه «عيب». وبالنسبة للذكر تعمل له حفلة يكون فيها «دق» دق طبول كفرقة «المالد» فرق المولد، ويطعمون الجيران من ولائم ت العمل بهذه المناسبة، وبعض الناس ينذر بهذه المناسبة بعمل أشياء معينة كحفلات المولد أو الولائم أو زيارة أماكن معينة.

٢٢- يعمل الاحتفال بمناسبة الختان للذكور فقط ولا يعمل لالإناث، وبالنسبة لاحتفال الذكور تقوم الولائم وتعمل الاحتفالات «الطماشة» التي تشارك فيها فرق شعبية تدق الطبل.

٢٣- حينما تختن الفتاة لا يعمل لها حفل بل فقط يأخذون «الفراخ» (الفشار) والحلوى وتطعم ذلك للجيران، إلا إذا نذرت الأم بعمل ذبيحة أو وليمة فيجب على الأم تنفيذ ذلك، أما بالنسبة للولد فيحتفل به بعمل الفرق الشعبية «كالمالد» أو «الرزفة» فالبنت أقل من الولد.

٢٤- لا ، لا يحتفل بختان البنات، فقط تأتي المختنة و تقوم بعملية الختان، أما الأولاد فيعمل لهم ذبائح وقد تعمل لهم فرق شعبية حسب قدرة الأهل المادية فمثلاً اذا كان ابن شيخ هو المختن.

٢٥- بالنسبة للبنت فلا يخبر أحد بختانها، أما الولد فينذر على ختنه بعمل الذبائح والولائم ويكون الأولاد في مجموعة ويكون حفل الختان ليلاً الجمعة (يوم الخميس مساءً) ويركب الطفل المختن على ناقه ويركب معه شخص كبير وتوضع ساحة^(١) على الناقة سوداء اللون وطويلة وتجر الناقة من عند احد البدو بحيث يقوم البدوي بالامساك بخطام الناقة والمشي في الموكب، ويطاف بالطفل المراد تختينه بين البيوت ويصاحب ذلك فرق ورقص وغناء ويكون هذا الاحتفال قبل عملية الختان التي تتم صباح يوم الجمعة حيث يحضر المختن مثل (ميران) ويقوم بعملية

١ . ساحة : قطعة سجاد مصنوعة من الصوف المحلي .

الختان، وينذر الأهل بالاحتفال لمدة ثلاثة أيام أو أربعة أو يومين كل حسب قدرته ويعزم الأهل والأصدقاء والمعارف من كل مناطق المدينة من البلوش مثل منطقة السطوة والراسدية وهكذا.. وصباح الجمعة يقوم ميران بعملية الختان للأطفال المجتمعين للختان ويوضع الطفل فوق «منحاز كبير» (هاون كبير يستخدم لدق حبوب القمح) ويختن.

٢٦- البنت لا يغنوون عنها، لكن الولد يحتفلون بها، يعمل لها المواليد والعشيات وافطار الصباح، ويدقون له العود.

٢٧- الفتاة لا يعمل لها أي احتفال لأنه عيب - تختن دون علم أحد ، أما الولد فيفرحون به ويعملون له الأفراح والموالد حيث أن الله تم ذلك على خير.

٢٨- الختان للبنات زينة يعملونها بين شخص علم وعشرة لم تعلم، أما الولد فيفرحون ويعملون ميلاد وعشاء، ويعملون للولد تكة مثل كلة العرس «الكلفة».

٢٩- الولد يعمل له ميلاد وعشاء، أما البنت فلا.

٣٠- في ختان الولد أطال الله عمرك كان الأوليين على حسب ظروفهم الاقتصادية، إذا كان فقيراً أو تاجراً، في هذا اليوم يأتي المختن للمنزل ويكون يوم جمعة ويلبس الطفل أحلى الملابس ويكون في كامل أناقته ويأتي المختن ويختنه، ويعملون فطور الصباح كل ما لذ وطاب ويشارك في هذه المناسبة القاصي والداني وهذا على حسب مكانة الأب الاقتصادية وهناك ناس يقرأون المالد والافطار، وينثرون الفلوس والحلويات على الجميع، أما البنت فلا يعلم بها أحد لأن ذلك يعتبر فضيحة.

٣١- البنت لا يعمل لها احتفال، أما الأولاد فيعمل لهم احتفال مثل الذبائح واقامة الأفراح كالعيالة وغيرها، عندنا العرب لا نعمل احتفالاً لكن العجم يعملون احتفالاً كبيراً كالرقص والغناء.

٣٢. يذبحون ويسيوون عيش ولحم لختان الولد، والبنت ما يسيوون لها حفلة
بس حق الولد يسيوون حفلة.

٣٣. العرب ما يحتفلون - اللي يحتفلون أهل البحرين والعجم وال سعوديين
يسوون حفلة مثل العرس.

٣٤. عند العرب ما يسوون حفلة لكن العجم يسوون حفلة كبيرة و طبل، والبيت
اللي فيه الختان يطبخون غداء للجميع مثل يذبحون الدجاج.

٣٥. بالنسبة للولد إذا كان أهله عندهم فلوس يعملون حفلة ويدقون العيالة
والولد ويطبخون الخبيص والهريس، والبنت لا تعمل لها شيء إلا يمكن
ينادون الجيران ليأكلون شيئاً معيناً.

٣٦. نحن ما نسوى احتفال حق البنت، بس ننشر عليها حلاوة ، والولد تذبح له
وننشر عليه، والبعض يعمل احتفالاً بالطبو، والعجم والبلوش يحتفلون
أكثر من العرب، العرب بس يذبحون.

٣٧. اذا تمت ختانة الولد وكان الأهل قد نذروا بأن يقيموا الحفل ويدقوا الطبل
ويوزعون العيش واللحم ويسوون هذا الحفل، والبنت نفس الشيء.

٣٨. ما نحتفل فيهم لا البنت ولا الولد.

٣٩. البنت ما يحتفلون فيها لكن الولد ينذرون بشيء مثل الطبو، وأهل شعم
يدقون الطبو ويسوون الذبائح والعيش واللحم ويدقون ثلاثة أيام
ويمكن ثلاثة أو أربع شهور ويختنون يوم الاثنين والجمعة.

٤٠. لا البنت ما يحتفلون فيها ، والعرب بعد ما يحتفلون بختان الولد، لكن
اللي يحتفلون فيه البلوش وأهل عمان.

٤١. الأنثى لا يحتفل بختانها، أما الولد عندما يختن تذبح له ذبيحة ويفغون له
ويعلم الجيران عند ذلك بأن أحد الأشخاص قد ختن ابنه فيفرحون بذلك
ويذهبون للتهنئة.

٤٢. كان الاحتفال في السابق بختان الولد على هيئة الذبائح أو يجوز أنه قد يكون له نذوراً على شكل الغناء والرزفة أو العيالة وهي اشكال من الفنون الشعبية ، وكان في منطقة «الحير» على ما أتذكر في السابق بعد أن يقوموا بختان الطفل الذكر يقومون بالرزفة لمدة يومين وتذبح الذبائح وتقام الولائم ويطلقون الأعييرة النارية في الهواء وخاصة عندما يقوم المختن بختان الطفل ويزفون إلى الصباح، أما ختان البنت فلا يختلفون به.

٤٣. ختان الذكر يقوم به الرجل المتخصص في سن سبع سنوات، والبنت تختنها الداية ولا نعمل احتفالاً وإنما نقوم بطبع «الهريس» أما البلوش فيعملون احتفالاً يغنوون ويدقون الطبول للولد ، أما البدو فيرذفون بالعيالة ، والبلوش يقومون باركاب الطفل المختن جمل وتوضع عليه قطعة قماش حمراء ثم يذهب فيحملم ويعودون به إلى المنزل ويأخذون دراهم على ذلك ويسمى «بجار».

٤٤. لا نعمل احتفالاً وأغاني وإنما نطبع الهريس ونقسمه على الجيران وهذا بالنسبة لختان الذكر، والأنثى لا نعمل لها احتفالاً ونسمي بالله ونصلي على النبي والرجل الذي به نجاسة لا يدخل على المختن وكذلك المرأة التي فيها العادة الشهرية لا تدخل على الطفل المختن حديثاً وكذلك المرأة اللاحضة ثوب أحمر اللون لأن ذلك سوف يضر بالطفل ويصيبه نزيف.

٤٥. إذ أراد أحد الناس ختان ابنه الذكر يقوم بعمل احتفال له ويقوم بالباسه زي خاص وملابس خاصة وكذلك يعمل للطفل المختن احتفالاً يتضمن دق الطبول وهناك نوع من الفنون وهو «الهبان» وكذلك يقومون بطبع العيش واللحم ويقسم على الجيران. أما أنا عندما أردت أن أختن ابني لم ألبسه زي مختلف أو أعمل له احتفالاً خاصاً، وإنما قمت بشراء بقرة كبيرة وذبحتها وقسمت لحمها على الجيران والأصدقاء ، أما البعض الآخر

فيعمل للطفل المختن احتفالا يتم نشر مبالغ من المال عليهم، أما البنت فلا ي عمل لها احتفالا بالختان.

٤٦. لا يقومون بالاحتفال بالأنثى، وإنما الاحتفال يكون للذكر فقط فندق الطبول في الاحتفال وينعمل له «عيش ولحم» وينثر على رأسه بعض الدر衙م ويركب فوق الجمل ويركب معه أحد الأشخاص ويوضعه في حجره ويذهب به إلى النخيل أو البستان «ويسبح» هناك أي يحمد ويأتي به إلى البيت ويكون الطلبل والطماشة في مقدمة الموكب.

٤٧. لا يوجد احتفال للذكر أو الأنثى ولا تقوم بشيء سوى جلب المختن وكان يأتي من البدو اسمه «راشد الصريدي» وهو متخصص في الختان أو أن تأتي بأخر اسمه «صالح المختن» من كلبا ولا نعمل سوى الهريس والعرسية وختان البنت لا يوجد له احتفال سوى «الفوالة» أي نضع بعض المأكولات المتوفرة، ونذهب بهم إلى البحر، وينامون مع بعضهم في فراش واحد لمدة أسبوع.

٤٨. نحتفل بختان الذكر فقط ونقوم بذبح الذبائح وطبخا مع العيش «الرز» بالإضافة إلى طبخ الهريس ويردد الرجال بعض الكلمات والأغاني الشعبية في هذه المناسبة ويؤدون بعض الرقصات الشعبية مثل «الرزييف» وكذلك تقوم النساء ببعض الأغاني احتفالا بهذه المناسبة.

٤٩. نقوم بالاحتفال بختان الذكر أكثر، والأنثى لا نعمل لها احتفال، نعمل الأكل والفوالة أو يذبح له الذبائح أو يدقون له الطبول أو يعمل له «مالد».

٥٠. نعم نقوم بالاحتفال بالذكر ونعمل فيه «طلبل» ونركبه على «البوش» أي الجمال ويجلسوه خلقه أي قطعة قماش «برسيم» خضراء ويذهبون يحملوه في منطقة بعيدة قليلاً ويوجد بئر بها فيسبحونه بعد أن يخلعوا عنه الملابس ويلبسونه ملابس أخرى جديدة، وهذا قبل أن يختن ويضعوه في صينية إلى الصباح وبعد أن يختن في الصباح، وينعمل له عيشا

ولحما والبنت ليس لها احتفال ويجتمعون في شكل مجموعة كبيرة.

٥١. ختان الولد يقومون بعمل عرس كبير له ويدبحون له الذبائح ويعملون له العرس ختان البنت لا يسرون لها شيء فقط يسرون لها هريس والعرسية (أرز مع لحم وتشبه الهريس).

٥٢. البنت لا يحتفلون بها، فقط يعملون لها فوالة أكل ويدعون الجيران إليها، أما الولد فإننا نقيم حفلة كبيرة لختانه وندبح من (٤ - ٥) من الغنم وكذلك نقوم بعمل الهريس والخبص والأرز مع اللحم.

٥٣. قوله لي ختان الرجل أما الحرمة فاننا لا ننسى لها أي احتفال، أما احتفال الولد فإننا نقوم بعمل مظلات من السعف تسمى «اسبل» ونرسل من يدعوا الناس إلى الاحتفال فيذهبون إلى المناطق المجاورة مثل كلبا وقدفع والفجيرة ويكون «الطارش» وهو من يدعوا الناس إلى الحفل قد أرسل من قبل هذا الولد المختون فيقول لهم لا بد أن تأتوا إلى الحفل في هذا اليوم وهو المحدد لختانه ونبدا في الغناء والطلب وطبخ الأكل لمدة أسبوع.

٥٤. ختان البنت خفيف، أما ختان الولد «بضرب التفق» باطلاق البندقية، وبالذبائح، أما البنت فانها «ما تنظري» لا تذكر ، البنت لا يعملون لها شيئاً، أما اذا كان لديك ولد واحضرت «المحلل» المختن وقمتي بختانه فإن اطلاق الرصاص يرتفع، وفي تلك الأيام كل بيت به اثنين او ثلاثة بنادق، والناس تسأل عن مصدر الرصاص فيقولون أن ابن فلان مختن . وتدبح الذبائح ويتراروح عددها من (٣ - ٤) ذبائح، ويدعون الناس لتناول الغذاء وهذا بمثابة القانون اذا كنت فقيرة أو غنية واطلاق الرصاص هو نفسه قرينه «سوى فراحه» أي أن الناس يكونون سعداء بذلك.

٥٥. ختان الذكر يذبحون الذبائح و «يطقون» يضربون الطبول ويعزفون الناس ويقومون بعمل حفلة وطلب وكل شيء يقدمونه للناس ، أما في البنت

٥٤. فيعملون شيئاً قليلاً مثل فوالة للجارات ولكن ليس مثل الولد.
٥٥. في الأول الولد أحسن عن البنت في كل شيء حتى في الختان فيكون احتفالاً الولد لمدة أسبوع وي عملون له الذبائح والهريس والذي عنده «مكنه» الغني يدق له الطبول والزمور ولددة أسبوع أما البنت فلا ي عملون لها شيئاً.
٥٦. الذكور يقومون بعمل حفلة كبيرة لهم ويدعون لهم الطبول ويرقصون الرزيف (الرزفة رقصة شعبية في الإمارات يصطف فيها الرجال صفين متقابلين وفي أيديهم العصى ويرقصون بحني الرقبة والرجلين) ويذبحون الذبائح ويطبخون العيش واللحم ويعزمون الناس وكذلك يهدونهم الهدايا المختلفة من الأهل ومن المعازيم أيضاً، أما البنت مسكونة لا يحتفلون بها «تضحك الراوية» إلا في زواجهها.
٥٧. نحن العرب لا نحتفل بختان البنت، أما الولد وبعد أن يكمل أسبوع على تختينه تقوم بعمل فوالة من العرسية والهريس والخبيص، وندعوا الأهل والجيران لتناول الطعام ونقول أن هذه الفوالة هي لسلامته من الختان، وبعض الناس يدعون الطبول ويزمرون والذبائح يذبحونها في كل مكان وهذا حرام وليس من عاداتنا.
٥٨. الأهمية في الاحتفال للولد، أما البنت فليس لها قيمة، ويحتفلون بختان الولد ويعلمون الجيران بموعود الختان، ويدعونهم لتناول الوليمة ويدعون الطبول ويعملون مولد وهو ما يعرف «بالمالد» وكل واحد يعمل ذلك حسب مقدراته المادية.
٥٩. البنت لا نعمل لها أي احتفال بل أحياناً نحاول إخفاء ختانها، أما الولد فإننا نعمل له احتفالاً كبيراً به أغاني ورقص مثل العرس.
٦٠. ليس كل الناس تعمل احتفالاً ويقتصر ذلك على البلوش والعجم وأصحاب الذن، أما في الغالب تقام الولائم مشابهة للأعراس، أما تلك التي

تصاحبها احتفالات فتكون على شكل أهازيج وزفة للولد المختن، وعادة ما يركب الولد على ناقة ويُزف وسط الأهازيج وفرحة الأهل، أما البنت فلا يُعمل لها أي احتفالات.

٦٢. الذكر تقام له الاحتفالات والأهازيج مثل الرزفة والعيالة والمائد وتعمل له الولائم، أما البنت فلا يُعمل لها شيئاً من ذلك.

٦٣. الولد تقام له الأهازيج والولائم والذبائح، أما البنت فلا يُعمل لها احتفالاً.

٦٤. (غير مبين) بالنسبة لجميع أسئلة هذا المحور «الختان».

٦٥. ختان الولد تقام له الاحتفالات ويفرح أهله وتقام له الأهازيج الشعبية وتذبح الولائم وتعمل الأكلات، أما البنت فلا تقام لها أي احتفالات.

٦٦. يكون احتفال الختان مثل الزار، وتقام الولائم والأهازيج الشعبية كذلك يقام المائد ويدعى جميع الناس في المنطقة، أما ختان البنت فلا يوجد له أي احتفال ولا يعلم متى تختن البنت.

٦٧. يقومون بذبح ذبيحتين والرزيف، أما الأنثى فليس هناك احتفال بختانها.

٦٨. الولد عندما يختن يُعمل له الأب مائد ويقيم الولائم والبعض الآخر يُعمل له طماشة أي أهازيج شعبية وفرق شعبية، أما البنت فلا يُعمل لها احتفالاً.

٦٩. احتفال الولد تقام الولائم والأهازيج الشعبية مثل العرضه ويحلق الولد أمام حشد من الناس ويصير الختان ما يشبه الزواج في الاحتفالات ولا يفرق بينهم بشيء في ذلك، أما البنت فلا تقام لها أي من الاحتفالات.

الذكاء الاجتماعي هو القدرة على التعلم والتفاعل مع الآخرين، والتعرف على ملائكة الأشياء والظواهر، والقدرة على إنتاج ونقل المعرفة. وهو أحد المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، حيث يشير إلى القدرة على التعلم والتفاعل مع الآخرين، والتعرف على ملائكة الأشياء والظواهر، والقدرة على إنتاج ونقل المعرفة.

الفصل السادس عشر

التنشئة الاجتماعية

Socialization

التنشئة الاجتماعية : (١)

في هذا الفصل نقترب من عملية نوم الطفل "لنسمع ونرى ونصف" ثم نقف وقفة أخرى في محاولة للتسجيل والتحليل لما هو كامن من قيم إجتماعية أو معتقدات دينية وراء الأقوال والأفعال المتصلة بالطفل "

وإذا إننقلنا إلى غرفة "نوم الطفل" فلسوف يسبقنا السؤال.. هل كان للطفل الصغير في زمن الخيمة غرفة نوم؟ ..

وبفرض إمكانية وجود مثل هذه الغرفة... فهل كان الطفل في سنواته الأولى يحتمل النوم بعيداً عن عيون أمّه في غرفة خاصة به؟ .. وفي أي سن ينتقل الطفل إلى غرفة أخرى لينام مع إخوته أو ينام وحيداً بها؟ ..

ومن خلال ما تقدمه المادة التي بين أيدينا والتي جاءت على لسان الإخباريات... يبدو واضحاً أن الطفل في شهوره الأولى حتى يبلغ عامين تقريباً كانت له حجرتان للنوم..

الأولى هي حجر أمّه وبين ذراعيها وفي أحضانها...

ولذلك طرحنا هذه الأسئلة السبعة سعياً إلى وضوح الصورة .

- ١ - كيف تتم تهيئة الطفل للنوم؟ . ٢ - أين ينام الطفل؟ .
- ٣ - ماهي الممارسات والأغاني المستخدمة لتنويم الطفل؟ .
- ٤ - هل هناك معتقدات تكمن وراء هذه الممارسات - إذكرها؟ .
- ٥ - من أي سن يبدأ فصل الطفل في نومه عن أبيه؟ لماذا؟ .
- ٦ - هل تشارك البنات والأولاد في حجرة واحدة للنوم؟ . ولماذا يتم فصلهم؟ .
- صفاتنا سرير الطفل المنز - ومما يصنع؟ وهل يمكن تصويره؟ .
- ٧ - هل يحدث أحياناً أن يعهد بتربية أحد الأطفال للأقارب؟
- ٨ - من هم ... لماذا؟ بـ - هل يعود الطفل لوالديه .. ومتى؟
- ج - ماهو تأثير ذلك على سلوك الطفل عندما يكبر؟

ومن خلال هذه الأسئلة .. ومن خلال الإجابات التسع والستين التي تلقيناها تتضح ملامح الصورة بالشكل الذي يتبيّن لنا أن نرى الآن ما كان يدور حول الطفل ، ومن أجل الطفل حتى ينام ، ونتعرف على العادات والتقاليد التي كانت تحيط بهذه العملية .

والثانية هي "المنز" وهو سرير الطفل المعلق في السقف أو "الشاطوحة" وهو السرير المستند بقواعده على الأرض ومن أشهر المقولات التي تؤكد على أهمية حضن الأم في تربية الطفل مقوله : "ربيه في الأحضان ولا تربيه في الأبطان". وحتى يتحقق إنتقال الطفل من حالة الحركة في يقتضيه إلى حالة السكون في نومه كان يحتاج من الأم إلى الكثير من الحركات والاغنيات التي تعكس ماوراءها من معتقدات وقيم.

كيف تتم تهيئه الطفل للنوم؟

إن الأم عادة كانت تنظف طفلها وتسبحه^(١). ثم تقوم بتغيير ثيابه وتقطمه^(٢). وتحمله على حجرها وتهزهه قبل أن تحمله إلى سريره الخاص الذي كان يعرف بالمنز^(٣). ثم تقوم بإرضاعه والمهاواة^(٤) عليه وتذكر إسم الله عليه في الوقت الذي تقوم فيه بهز "المنز" وتظل الأم على هذه الحال حتى ينام طفلها.

وتظهر روايات الأخباريات أن معظم الأمهات إذا أردن تهيئه الطفل للنوم كن يذكرن إسم الله على الطفل بينما يحملنه لوضعه في سريره الخاص ويقمن بإرضاعه وهزه والمهاواة عليه وكانت هذه الطريقة بالنسبة لهن هي الطريقة العملية والشائعة لتنويم الطفل.

وبينما تمضي الروايات في توضيح الصورة الخاصة بعملية تنويم الطفل بتفاصيل أكثر وبصورة كافية ، يستوقفنا مشهد في الصورة ففى حين تشير معظم الإجابات إلى أن عملية هز الطفل على رجل أمه تستمر بعد نقله إلى المنز فإنها لم تشر هنا إلى أن عملية هز "المنز" كانت تتم أحياناً بإصبع قدم الأم حيث كانت تربط الحبل المتداли من "المنز" المعلق في السقف بإصبع قدمها، وعندما كانت تقوم بتحريك إصبعها كان "المنز" يتحرك ليقوم بعملية هز الطفل.

(١) تسبحه : أي تحمله (٢) تقطمه : أي تلفه بالقطمط

(٣) "المنز" إسم سرير الطفل .

(٤) المهاواة : هو الربت على جسد الطفل بإيقاع منتظم مع ترديد كلمة "هو"

وإذا كان هذا هو الجانب الطريف في المشهد فإن الجوانب المهمة فيه تتضح إذا ما عرفنا أن الأم كانت تقوم بذلك بينما تباشر بيديها بقية واجباتها المنزلية في الوقت نفسه ، كان تخيط للطفل ثوبا أو تحضر طعاما لزوجها وأولادها.

وهذا يعطينا الدلالات التالية :

- ١ - قدرة الأم في الماضي على موازنة بين واجبات عملها المنزلية.
- ٢ - الحرص على ألا تضيع الأم وقتا لكل عمل على حدة.
- ٣ - قيام الأم بنفسها وبدون مربيه برعایة الطفل ، وفي الوقت نفسه قيامها بأداء واجباتها المنزلية دون خادمة.
- ٤ - إن المرأة في مجتمع الإمارات القديم كانت أما بقدر ما كانت زوجة.. أو لعلها كانت زوجة بقدر ما كانت أما.

على أنه بقدر ما قد يتبارى إلى الذهن من سهولة وبساطة عملية تنظيم الطفل.. بقدر ما يفاجأ المرء بصعوبة العملية ، وتعود مراحلها خصوصا بالنسبة للرجل لا المرأة.

فعملية تنظيم الطفل كانت تمر بعدة عمليات :

- تبدأ بتنظيف الطفل وتحميشه.. وتدعيلك جسمه.. وتعطيره بالعنبر ودهن العود.
- ثم تمر بتقطيع الطفل بالقماط ^(١) وتغيير ثيابه.
- ثم تتحيله.
- وهزه على "ريول" ^(٢) أمه.
- والتسمية بإسم الله عليه وحمله إلى المزن...

(١) القمات : هو قطعة من القماش القطنى الذين كانوا يلفون به جسم الطفل من على صدره وأسفل ذراعيه، وكان يحقق عدة فوائد منها التدفئة ، وإستواء عوده ، امتصاص البلى الناتج عن بوله بديلا عن "البامبرز" الذى ثبت انه لا يساعد على إستواء رجل الطفل ويصيب الجلد بتسخيات نتيجة مروره بين فخذى الطفل.

(٢) رiol : أي رجل بالنطق الشعبي

- ثم إرضاعه...

- والهواه عليه بقول الأم " هوه... هوه.... هوه "(١) .

وتمضي عمليات تنويم الطفل بينما تهل الأم وتكبر وتوحد الله وتصلى على النبي وتقرأ آيات الحفظ من القرآن الكريم لحماية طفلها و خاصة الآيات من سورة الفلق "من شر النفاثات في العقد" ، "ومن شر حاسد إذا حسد" ، وخلال ذلك كانت الأم تقوم :

- بوضع القرآن الكريم والملح والسكنين وداس (٢) تحت رأس الطفل النائم لتحمييه من الشياطين والجن..

- وتضع المحلب (٣) على خديه..

- ثم تشعل البخور من اللبان والسويدا (٤) والحرمل (٥).

- وتضع في فمه الرواء (الطبيخة) (٦) لتغذيته كلما شعر بالجوع.

- وتقوم بالدق (الربت) على أجزاء جسمه برفق.

ثم كان حضن الأم هو الملاذ الأخير إذا مارفض الطفل الإستجابة إلى النوم على المتنز... فكانت تعاود حمله وإرضاعه وهزه ، والهواة عليه ، وتلاوة القرآن والغناء له وهو ما سنعرضه لاحقا ، وذلك حرصا على إستمرار المنهج الذي إتبعناه منذ البداية بعرض نصوص الإجابات في نهاية كل فصل لعل من الباحثين في تخصصات أخرى من يجد بين سطورها جديدا أو فائدة في جوانب علمية أخرى.

ثم ننتقل إلى جانب آخر.. وهو الذي يجب على السؤال : أين ينام الطفل ؟.

(١) هو : إسم من أسماء الله الحسنى

(٢) داس : السكين أو المنجل

(٣) المحلب : بودره من المسك والحلبة تستخدم دهاناً للشعر

(٤) السويدا: الحبة السوداء (٥) الحرمل: نوع من الأعشاب الصحراوية

(٦) الطبيخة :

وعملًا بمنهج ترتيب الظواهر لاستخلاص العلاقات الموضوعية ، ويبدو منطقيا أن نتعرف أولا على " مسرح نوم الطفل " وربما إخترنا كلمة مسرح للتعبير عن موقع الأفراد وحركتهم وأدوارهم ومن ثم للتعرف على العلاقات الإجتماعية بينهم والقيم الكامنة وراء تشكيل هذه العلاقات " كالعلاقة الدرامية على المسرح .

ويبدو أن التعرف على مكان نوم الطفل يصبح أمرا لازما لنعرف موقع الطفل في أعوامه الأولى من إهتمام والديه سواء قبل الفطام أو بعده ثم نمر بإطلاله سريعة أيضا على الصورة من الداخل للخيمة العربية في المجتمع القديم وطبيعة تقسيمها ومراتكز أفرادها من حيث الأهمية وطبيعة العلاقات بينهم ، وسوف تتسع مساحة الرؤية لهذا المسرح عندما نعرض لاحقا تفصيلات موضوعية تتعلق بهذا الجانب .

وفي محاولة للإجابة على السؤال أين ينام الطفل ؟

يتضح لنا أن أغلب الإجابات تشير إلى " المنزل " باعتباره مقر نوم الطفل بعد المرور بحجر وأحضان أمه ، وتوضح المادة أن هذا يحدث للطفل قبل فطامه حتى عامين تقريبا حيث يترك المنزل الصغير ويفرش له على الأرض جانب والديه وفي رعايتها ويظل يتمتع بهذه الجيزة الدافئة ذات الرعاية الخاصة إلى أن يكبر ويفهم ويدرك الحياة فينتقل إلى النوم مع إخوته في الرقعة^(١) سواء الموجودة في الكرين^(٢) أو بالبيت - كما تظهر الإجابات أن سيدة المنزل كانت تقوم مبكرا في الصباح - بينما طفلها غارق في النوم - لكي تحلب البقر وتنتهي من عمل المنزل قبل أن يفيق الطفل من نومه .

كما تظهر هذه الإجابات بشكل عام أن " المنزل " هو مقر نوم الطفل صغيرا، وعلى الفراش على الأرض بجانب والديه أو بجانب أمه.. أو على الدوشك^(٣) كبيراً أى بعد السنة الثانية من عمره تقريبا .

(١) الرقعة : أى ساحة المنزل أو الخيمة . (٢) الكرين : أى الخيمة (٣) الدوشك :

كما توضح أن الطفل في هذه الفترة كان لا يغيب عن عيون أهله متابعة ورعايتها ودفئاً وحناناً ، يتربى بينهم .

وتكتشف إجابات الإخباريات أن أغلبهن كن يقمن بوضع أطفالهن في المزر كلما داعب النوم عيونهم .

ثم ننتقل إلى جانب هام في هذا الفصل وهو الممارسات والأغاني المستخدمة لتنويم الطفل ، ولذا طرحتنا السؤال التالي :
ما هي الممارسات والأغاني المستخدمة لتنويم الطفل ؟

وقد أشرنا من قبل إلى أن عملية تنويم الطفل كانت عبارة عن عدة عمليات في الواقع ، ولعل أهمها للباحثين وللقراء على السواء ولعل أكثرها تشويقاً وفائدة علمية وأدبية وإجتماعية هي " أغاني المهد " التي تعطينا ذخيرة ثرية لما تعكسه من قيم دينية وإجتماعية ، وكذلك الممارسات التي كانت تمارسها الأم قبل وبعد وأثناء الغناء للطفل ، ومن ثم يفيد الباحث والقارئ معاً الإطلاع على هذه الأغاني والممارسات التي تعكس لنا العادات والتقاليد الأولى التي وردت على السنة الرواية والإخباريين ، ولا يفوتنا أن نبحث فيها أيضاً عن عنصر موضوعي هام وهو المعتقدات والقيم الاجتماعية الكامنة وراء تلك الأغاني والممارسات .

وثبتت من الإجابات أن أبرز الأفعال والأقوال من جانب الأم هي أن تذكر إسم الله على الطفل وتصلي على النبي عليه السلام وتهادى عليه ، وتغنى له ، وتهدهده وتقرأ عليه آيات القرآن الكريم ، وقد أشارت غالبية الإخباريات إلى أن ذكر إسم الله على الطفل هو الشائع ويكتفى أن نتأمل إجابة إحدى الإخباريات حيث تقول بالحرف " ماشي... فقط نسمى بإسم الله " وتعني أنها لا تقول شيئاً أو تفعل شيئاً عدا أن تسمى بإسم الله على طفلها وهو في إعتقادها كفيل بإشاعة الطمأنينة والهدوء في وجدان الطفل .

ولا يغيب عن بال باحث أو قارئ ماتعكسه تلك الإجابة من دلالات أهمها

هو ذلك الإيمان الفطري بالله سبحانه وتعالى الكامن في أعماق إنسان الإمارات في الماضي حتى أن المتأمل لما يطلق عليه إسم "المهاواة" وهو نوع من الغناء الخاص لتنمية الطفل تكرر قبل كلمة "هو" أو "هوه" على إيقاع منتظم هو ربت الأم على جسد طفلها وقد يلاحظ الباحث في الأساس الصوتي والمصدر الموضوعي لكلمة "هو" علاقة أساسية باحد أسماء الله الحسني وهو إسم "هو" أو "هوه" وقد تكون المهاواه النطق العامي لإسم الله.. وهذا ما يتفق مع أن ذكر إسم الله على الطفل يشيع الطمأنينة والإحساس بالأمان في نفسه.

من جانب آخر كانت مع الأقوال بعض الأفعال :-

- وكانت بعض الأمهات تلجاً لبعض الممارسات لكي ينام الطفل لأن تضع "الدوخشير" (١) في أنف الطفل لكي يثقل رأسه ويدفعه إلى النوم.
- كما كانت الأم تلجاً إلى إطعام طفلها وتغذيته من ثديها وهذا يعكس وعي الأمهات في تلك الفترة بأن الجائع لا ينام.
- وكان عصير الأرض هو أبرز أنواع غذاء الطفل في ذلك الزمان...
- كما كان شائعاً أيضاً إستعمال خليط الخشasha (٢) والزبد ووضعه على لسان الطفل ليساعد في النوم.
- وإستعملت العطور وخاصة "دهن العود" و "البضاعة" (٣) حيث كان يتم رشها على رقبة الطفل وبين رجليه.
- وأحياناً كان الياس يوضع مع البضاعة.
- بالإضافة إلى ذلك كان الطفل يدخن بالصمغ وللبان لشيع جواً من الراحة ذو رائحة جميلة وطبقاً ل اعتقادهن فإن إستعمال البخور يطرد الشياطين.
- وكان من بين ما هو شائع من ممارسات قيام الأم بوضع قطعة من الملح

(١) الدوخشير :

(٢) الخشasha : نوع من النبات

(٣) البضاعة: هو مسحوق ناعم يرطب الجلد وهو الذي حل محله بودرة التلك حديثاً.

ومصحف صغير تحت رأس الطفل عند نومه في المنزل.

ومن بين ما إستوقفنا من نصوص "أغانى المهد" التي جمعناها نقتطف بعض النماذج القليلة التي تعكس مضمونين وأشكال هذه الأغانيات التي هي في حد ذاتها مادة غنية مازالت بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحليل من جانب الباحثين في مجال الدراسات الأدبية والاجتماعية.

تقول إحدى الأمهات في غنائها لطفلها :

محمد زين ، كله زين محمد هو نور العين

مولود في ضحى الإثنين وإنشقت السماء نصفين

على حضرة نبى الله

ويتضح هنا الربط بين إسم الطفل المغنى له وإختيار النص المناسب له أو للحالة التي كانت فيها الأم لحظة الغناء وفي حين أن الأغنية هي عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام وهي أغنية تغنى لكل الأطفال وبكل الأسماء إلا أن ذلك لا يمنع أن تغنى بصفة خاصة لمن يحمل إسم "محمد" من الأطفال تيمناً بإسم نبى الإسلام وهذا الجزء من التراث الغنائي يعكس مضموننا إسلامياً هو المحور الأساسي في معظم أدبيات التراث الإماراتي :-

وعند ماتغنى أم أخرى لطفلها قائمة :

هو هو... رقد وليدي طيب الله نوم ... هو.. هو.

هو هو... يعل العدو مايهتني بنوم ... هو.. هو.

فإن هذا يظهر أن الغناء للطفل يكتسب مرة أخرى مضموناً دينياً ويؤكد ماسبقت الإشارة إليه، فإذا كانت الأم الأولى تتغنى بالرسول "عليه الصلاة والسلام" فإن الأم الثانية تتغنى بذكر الله والدعاء لطفلها حتى ينام والدعاء على أعدائه بعدم النوم.

غير أن أغاني المهد وإن عكست مضمونا دينيا مهما تعددت في المبنى وفي المعنى ، وتنوعت موسيقابها إلا أنها مع ذلك لم تقتصر على الغناء الديني.

فهذه أم ثالثة تذكر من بين ماتذكرة بصعوبة من أغان نسبت معظمها ، أغنية تقول في مطلعها :

يرلوه... يرلوه... يرلون.

يرقد وليدي... رقاد الغزال... رقاد الغزال.
في روس الظلال .

وهذا النموذج من أغاني المهد يحمل مضمونا بيئيا عندما تشبه نوم طفلها بنوم الغزال.. وهذا التشبيه الجزئي يمكن أن يفهم على أنه تشبيه كلى إذا ما عرفنا أن الغزال من أجمل حيوانات البيئة ولذا فالطفل في نظر أمه كالغزال.

كما يتضح من عموم الأغاني أن في تراكيبها اللغوية مفردات بعضها له معنى واضح وبعضها يحتاج لباحثين في لغة الشعب كى يتضح معناه... وبعض هذه المفردات هي من لغات أخرى كالبلوشية مثلا...

كما يلاحظ أن هناك كلمات أخرى مبتكرة لم تعكس معنى واضحا وقد لا يكون لها من هدف سوى ضبط الإيقاع والجرس الخاص بالأغنية كى توصل رجاء الأم لوليدتها بشكل جميل على مسامعه حتى يستجيب لرجائها ويرقد.

وعلى الرغم من أننا في هذا البحث لسنابصدد بحث في أدب التراث إلا أن الباحث الإثنوجرافى أو السوسيولوجى لايمكن أن يمر على هذه النصوص دون أن يستوقفه أكثر من بعد لها ، سواء بعدها القيمي أو العقائدى أو الإجتماعي أو الفني.

ويلاحظ أنه كلما إطلعنا على نموذج جديد من نماذج أغاني المهد يتضح

لنا بقدر مضمون هذه الأغاني فهذا مجزوء من أغنية أخرى تعكس أن الأم تربى طفلاً و هي تعلم أنها تعطى ولا تنتظر منه رداً للجميل حيث سيكون في المستقبل لزوجته وأبنائه وليس لها.. تقول الكلمات :

• ولد العرب ربته ... لوبالعسل غديته.

وإيش يالي^(١) من رباه؟.

وهذا جزء من نص آخر يشير بوضوح إلى عمليات التجارة التي كانت تتم بين مجتمع الإمارات الأول وبين تجار "البصرة" وفي رحلة التجارة ذهب "عزيز" إلى البصرة ليبيع ويشتري ولم تعرف أخباره ، والنح يتسائل فهو حي أم ميت؟ .. وإن كان الأرجح - حسب النص - أنه مات وأهيل عليه التراب ، إلا لو كان حياً لعاد بالغنائم إلى أهله وبلده.

يقول النص الغنائي الذي هو نوع من النواح والسلوى على عزيز الذي في البصرة وإنقطعت أخباره.

• عزيز في البصرة يبيع ويشتري

ومن طول الغيبات ياب^(٢) الغنائم

ولو عزيز حي كان يتنا^(٣) أخباره

مع ذا ريات الهب سايب

لكن عزيز صفق البين مادونه

وهالوه عليه آياب الترايب

ومن هذا النص ما يمكن أن يفيد الباحث في مجال الحياة الاقتصادية لمجتمع الإمارات في مرحلة الميلاد.

ومن ثم فإن في هذا النص ما يمكن أن يفيد الباحث في مجال الحياة

(١) يالي : أي ثالثي

(٢) ياب : أحضر

(٣) يتنا : انتنا .

الاقتصادية في تلك الفترة.

وهكذا... فإن في أغاني المهد أبعاداً متعددة تنبئ عن إشارات كثيرة للباحثين في أكثر من مجال ، ولذا فهي تعد مصدراً تاريخياً واقتصادياً وإجتماعياً بقدر ما هي مصدر أدبي وتراثي.

ولأنه من الحقائق المسلم بها أن الأفعال تأتي ترجمة للأقوال ، وأن الممارسات لا تتم بمعزل عن القيم والمعتقدات التي تدفع الناس إليها.

كان من الطبيعي أن نسعى للكشف عن أعمق جديدة وأبعاد جديدة وذلك بتتبع المعتقدات التي تكمن وراء هذه الأغاني والممارسات فطرحنا السؤال التالي :

هل هناك معتقدات تكمن وراء هذه الممارسات.. أذكرها ؟

إذ أن هناك مجموعة من القيم والأفكار والمعتقدات والمعلومات تقف دائماً بشكل ظاهر أو بشكل كامن وراء ما يؤديه الفرد من أفعال وحركات ، وقد يبدو للباحث أحياناً أن الفرد قد يقوم بمثل هذه الممارسات بغير دوافع محددة تحركها ، أو بغير دوافع على الإطلاق كإتباع لتقاليد سائدة... ولكن حتى هذا الظن يتناقض مع نظرية السلوك إذ لا ينطوي بغير دوافع ، غير أن الدوافع قد تكون غريزية بداعي السعي إلى البقاء أو إشباع الحاجات في إتجاه حماية الذات وبقاء النوع.

وقد تكمن وراءها عقيدة أو قيمة معينة تدفع إلى فعلها ، بغض النظر عما إذا كانت هذه القيمة أو هذا المعتقد صحيحاً أو خاطئاً.

من هنا فإن البحث عن المعتقدات التي تكمن وراء أغاني المهد وممارسات الأهل تجاه الطفل يكشف لنا طبيعة ما كان يسود مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة في مرحلة الميلاد من قيم ومن عادات وتقاليد خصوصاً بالنسبة للطفل.

ويتضح لنا من غالبية الإجابات أن المعتقد الديني يمثل الدافع الأول لمعظم أشكال الأغاني والممارسات ، لكنه مع ذلك ليس الدافع الوحيد.

ونظرة أخرى على مضمون أغاني الأطفال تتيح لنا بجلاء أكثر التأكيد من صحة هذه النتيجة إذ أن النسبة الكبرى من مضمون هذه الأغاني هو في حقيقته مضمون إسلامي حتى في المهاواة التي يتعامل معها معظم الباحثين ، على أنها مجرد تعبير صوتي لأمضمون له يساعد على نوم الطفل... في حين أنه يعتقد وبدرجة كبيرة أنه نوع من ذكر إسم الله على الطفل بإيقاع منتظم ومنفم.

ويؤكد الإخباريون والإخباريات على أن ذكر إسم الله عز وجل على الطفل سواء بالقول ، أو بآيات القرآن الكريم ، أو من خلال الأغاني - يهدى من روع الطفل ، ويدخل السكينة والطمأنينة إلى قلبه ويستحضر الملائكة من حوله مما يساعد على الاسترخاء والإخلاص للنوم.

هذا عن المعتقد الكامن وراء الأغاني بشكل عام والذي لا يلغى بعض النصوص التي كان هدفها هو الحكاية المسلية أو الرواية التي تثير خيال الطفل وإستغراقه في هذا الخيال فتسكن حركاته وبالتالي يغلبه النوم.

وقد وجدنا أن هذه الحقيقة الموضوعية تتأكد أكثر من خلال الممارسات التي تقوم بها الأم حتى ينام طفلاً :

- فحينما تضع الأم العطور على طفلها في أنفه أو أذنه أو على رأسه فإن هذا الفعل ينبع من الإعتقاد بأن "الملائكة" ترتاح لرائحة العطور ، وخاصة دهن العود ؛ كما جاء على لسان الإخباريات ، وهذا الأمر يتصل بالمعتقد الديني... بالإضافة طبعاً إلى حقيقة أن العطور تريح حواس الإنسان.

- وحينما تقوم الأم بوضع آيات من القرآن الكريم تحت رأس الطفل أو في سريره الخاص فإن هذا التصرف في حد ذاته يشير إلى دوافعه بغير حاجة لجهد كبير للبحث عما وراءه من معتقدات إذ يتضح لنا أن هذا

يعني السعي إلى حماية للطفل أو الطفولة إعتقداً بأن في آيات القرآن
حماية من الشيطان الذي يخاف من القرآن.

- وعندما تحرص الأم على وضع الملح و "داس" وسكين تحت رأس الطفل
فهذا يرجع لِإعتقاد ما ربما كان له أصل إجتماعي متواتر لعادة قديمة ترى
بأن الملح والسكين يحميان الطفل من السحر والحسد ، ومع كون هذه
العادة ربما لا تكون محل ترحيب كثير من علماء الدين باعتبارها ليست
فعلا دينيا ثابتا.. إلا أننا مع ذلك لانستطيع إلا التسليم بأنها ممارسة
تستهدف مواجهة الشيطان وهذا في حد ذاته فعل ناتج عن التأثير الديني
المختلط ببعض المعتقدات والعادات الإجتماعية.

- وكما ظهر لنا من قبل ، فإن التأثير الديني الكامن وراء معظم الأقوال
والأفعال لا يعني أن كل الممارسات كانت وراءها معتقدات دينية فإن
التجارب المختزنة والتي توارثها الأجيال... كانت لها تأثيراتها أيضا على
بعض الممارسات... من ذلك أن هددهة الطفل وفوائدها في إسعاده ،
وإشعاره بالإهتمام ، هي في الواقع خبرة متواترة وليس وراءها معتقد
ظاهر.

- فوضع الطفل على حجر أمه هي ممارسة أخرى تنتهي إلى التجربة والعادة
التي ثبتت فعاليتها أكثر من كونها فعلا وراءه دافع من معتقد ديني.

فهذه الممارسة تشعر الطفل بالرعاية الحميمة من أمه، فضلا عن أن هذا
الوضع يمدء بالدفء الناتج من جسم أمه ، إضافه إلى قربه من مصدر الحنان
وهو صدر أمه وبين ذراعيها ، ومن مصدر الحياة وهو ثدي أمه بما تحمله من
لبن مازال العلماء حائرين في تركيبته الخاصة التي تحمل الغذاء والوقاية من
الأمراض أيضا، والذي لا تغدوه أية أنواع من الحليب الصناعي كما يجمع
الأطباء والعلماء إذ لا بدائل عن حليب الأم.

والعلم المبكر بهذه الحقائق سواء كان علما كليا أو جزئيا إنما هو علم

أنتجته التجارب والمعارف المتراثة ، ومن هنا يمكن أن تأتي بعض الإجابات
للتصور و كأن لاشيء كامن وراء بعض الأفعال والأقوال.

وإذا كانت معظم الإجابات تظهر أن هناك أشياء بعضها ديني وبعضها
اجتماعي وبعضها تجريبي، فإن البعض جريا على عادة أهلهم كانوا يؤدون
هذه الممارسات أو بعضها تقليدا أكثر من كونها إعتقادا أو علما ، وهذا لا
يقلل من حقيقة أن وراء كل قول معتقد ، ووراء كل فعل دافع.

ثم نواصل متابعة العمليات المتعلقة بنوم الطفل وما يرتبط بها من بعض
الممارسات والمعتقدات الإجتماعية والدينية.

النوم المنفصل للطفل :

وإذا كان قد تبين لنا مما سبق عرضه وتحليله أن الطفل في سنواته
الأولى كان تحت عيون والديه وكان محل رعاية خاصة تتطلب العديد من
الأفعال والأقوال حتى في عملية نومه..

وإذا كان واضحًا من إجابات الأسئلة التي سبقت أن حضن الأم كان مهد
الأول و "المنز" كان مهده الثاني.

فإن من الطبيعي معرفة أن الطفل الرضيع لن يظل رضيعا ، وأن الطفل لن
يبقى طفلا وأن لكل مرحلة في حياة الطفل متطلباتها الخاصة... وأنه مع نمو
الطفل ويقظة مداركه وحواسه تنشأ أوضاع جديدة تفرض تغييرًا ما ملائمة
هذا النمو.

ولأنه من غير المتصور أن يظل الطفل في سرير الأطفال الصغير "المنز"
بينما ينمو الطفل طولا وعرضًا بما قد يتجاوز حجم "المنز" مما يتطلب مكان
نوم آخر.

ولأنه من غير الطبيعي إستمرار نفس القدر من الرعاية الكثيفة ، بينما
نمو الطفل يجعله في حاجة لقدر أقل من الرعاية المباشرة خصوصا بعد

تجاوزه سن الفطام.

ولأن الطفل لن يخل في وضع الطفل الأولى بالرعاية بعد مرور عامين أو ثلاثة في حين يكون ضيف جديد. قد أطلق صرخات بكائه الأولى معلنًا بداية حياة جديدة لشخصية جديدة هي اخت أو اخ للطفل الأول مما يجعله الأجرد بوضع "الأولى بالرعاية".

ولأن كل ماسبقت الإشارة إليه يحدث حتماً فإن من الطبيعي أن تتغير الأوضاع، ومن هنا يتطلب الموضوع من الباحث متابعة هذه التغييرات.

ولهذا جاء السؤال عن تلك الفترة من عمر الطفل التي يبدأ فيها بالنوم منفصلاً عن والديه.

ولأن السؤال لا يستهدف فقط رصداً زمنياً وإنما بالإضافة إليه يستهدف رصداً إجتماعياً... كانت أداة الإستفهام (... لماذا؟) مفتاحاً لمعرفة الأسباب وبالتالي معرفة الدلالات والإجابات التي بين أيدينا إختار أن تضع العمر التقديرى بين قوسين... الأول هو أن يكبر الطفل، والثانى هو أن يدرك الطفل.

وبعد القوس الأول تتعدد الإجابات...

- هناك من رأى أن كبر الطفل يعني تمام الفطام.

- وهناك من حدد السن بأربع سنوات..

وعلى الرغم من أن الإجابات تبانت في تحديد العمر حيث تدرجت التقديرات للسن التي يبدأ الطفل فيها في النوم بعيداً عن أبويه من سن الثانية (الفطام) حتى السنة الثانية عشرة من عمر الطفل، إلا أن المسألة كانت تتعلق بتقدير السن التي يكبر فيها الطفل ليتمكن الإطمئنان عليه في نومه بعيداً عن والديه... والأمر كان يخضع لتقدير الآبوين للعمر الذي يطمئنان فيه على أن الطفل يمكنه الاعتماد على نفسه.

اما الجانب الآخر من الإجابة وهو أن يدرك الطفل فإن نمو الإدراك كان

يمثل المقدمة الأولى أو لعله الشرط الضروري للإعتماد على النفس.. وفي الوقت ذاته كان نمو الإدراك يمثل السبب الرئيسي "لبعاد" الطفل بعيداً عن والديه عند النوم.

وتنظر الإجابات أن أسباب ذلك لا يمكن إلا أن تكون مفهومة ، وهي ببساطة تتلخص في أنه من غير الطبيعي أن يرى الطفل والديه في وضع النوم لأنه بدأ يدرك ويستطلع ، لأن ذلك من شأنه خدش حياء الطفل فضلاً عن خدش حياء الأب والأم عند القيام بأداء واجباتهما كزوجين.

ويُندر أن يوجد أبوان من أي جنس أو جنسية في العالم يمكن أن يطّلعاً أطفالهما على المعاشرة الزوجية فهذا أمر تاباه الفطرة الإنسانية العادلة فما بالك بالفطرة السوية في مجتمع مسلم.

وعودة إلى إجابات الخبراء على السؤال فقد تجنبت معظم الإجابات تحديد السن وإنكتفت بالإجابة التي تقول "حتى يكبر الطفل ويفهم الحياة".

ومن ناحية ثانية إختلفت الإجابات التي حددت السن كما أشرنا إلى مابين الثانية و حتى الثانية عشرة.

وقد إستوقفتنا عدة إجابات على الرغم من ندرتها حيث خرجت عن المألوف من غالبية الإجابات التي رأت بالفصل بين الأطفال وأبويهما في النوم عندما يكبر الأطفال ويفهمون حيث أشارت إحدى الخبراء إلى أنه لا يتم الفصل في النوم بين أفراد الأسرة فالكل كان ينام إلى جانب بعض على فرش منفصله في خيمة واحدة.

بينما أشارت إخبارية أخرى إلى إنهم كانوا ينامون معاً في خيمة واحدة ولكن كان الأطفال في أحد جانبي الخيمة وكان الزوجان في جانبها الآخر.

كما أشارت إخبارية أخرى بشكل عام إلى أنه لم يتم الفصل في النوم للأبن طفل وأبويه ولا بين الإخوة والأخوات "فالكل ينام مع بعض في

الكرين^(١) وهنا ننتقل إلى الجانب الآخر من الموضوع وهو الأسباب التي أدت إلى تباين الإجابات وربما هي نفسها الأسباب التي فرقت هذه النتائج.

فمن خلال الإجابات عن "ماذا ؟" أمكننا التعرف عن الوضع الاقتصادي وبالتالي الاجتماعي داخل البيت ومن خلاله يمكن للباحث الاجتماعي الخروج بالعديد من النتائج التي تؤثر تأثيراً مباشراً على طبيعة العلاقات الاجتماعية سواء داخل الأسرة الواحدة أو داخل المجتمع ككل.

- أمكننا مثلاً معرفة أن الخيمة الواحدة كان التقسيم فيها يتم بفواصل من قماش على شكل ستائر يمكنها أن تمنع الرؤية لكنها لا يمكنها أن تمنع الأصوات.

- وأمكننا مثلاً معرفة وضع الحياة داخل الخيمة بما لا يسمح للزوجين بأن يكون لهما غرفة خاصة وبالتالي بـالـأـيـسـرـ يـكـونـ لـلـطـفـلـ غـرـفـةـ خـاصـةـ.

- كما أمكننا معرفة أن هذا التقسيم كان يتم أحياناً بشكل جغرافي عندما كان الأبوان ينامان في الوسط ، البنات في الجانب الأيمن من الخيمة ، والأولاد في الجانب الأيسر فيها.

- وأمكننا معرفة أن الفصل بين الأبناء ووالديهم عند النوم كان أمراً مستحباً.

- وأمكننا من جانب آخر معرفة أن هذا الفصل كانت تمنعه عوامل إقتصادية ومكانية ، وكان يتم أحياناً بتخصيص فرشة خاصة لكل طفل.

- كما أمكننا تبعاً لذلك أن نتخيل أسرة تأكل من إناء واحد وتعيش تحت مظلة واحدة ، وتنام معاً في المكان نفسه ، هذه الصورة على الرغم من بعض الحوادث السلبية فيها إلا أنه يمكن أن تصنف أسرة ذات علاقات

(١) الكرين : الخيمة.

إجتماعية أكثر ترابطا ، وحميمة بشكل أكبر بكثير من أسرة يعيش كل فرد فيهابذاته وفكره في غرفة خاصة. وفي عالم خاص تتبعه معه فترات التلاقي بين الأفراد.

- جانب آخر من الصورة عرفناه كذلك، وهو أن الحياة لم تكن خيمة فقط، وإنما كانت هناك بعض البيوت ذات الغرف للشرائح الأيسر حالاً في المجتمع، ومن ثم كان يمكن أن يكون للأب والأم فيها غرفة خاصة ، وللبنات غرفة ، وللأولاد غرفة. على أن ذلك كان يمكن أن يتم أيضاً في إطار الخيمة بآن تكون خيمة أكبر ، أو بعدة خيام متجاورة ومتصلة في الحالتين.. البيوت أو الخيام الكبيرة.. فإن ذلك كان يخص الشريحة الأقل عدداً في المجتمع أي نسبة بسيطة من مجتمع الإمارات في مرحلة الميلاد ، وأن هذه الشريحة الأقل كانت هي الأكثر غنى على السلم الاجتماعي....

بقى أن نشير إلى أن هذه الظروف كلها هي التي فرضت فترة العمر التي يبدأ الطفل فيها النوم منفصلاً عن أبيه... وهي التي حددت ما إذا كان الطفل سينام في مكان خاص به ، أم وسط إخوانه في الجانب الآخر من الخيمة.

ثم ننتقل إلى جزء آخر هو وفي الواقع إمتداد طبيعي ومكمل لمحطويات هذا الفصل... وهنا سنجد أنفسنا قد خرجنا من حدود "مملكة الطفل" ودخلنا إلى حدود "مجتمع الأسرة" فبعد أن هيأنا الطفل للنوم.. وبعد أن نام الطفل وإستيقظ مئات المرات على مدى عامين أو ثلاثة أعوام أو أكثر رحنا نتابع إنقاله من بين أبيه إلى جوار إخوه... ونحن في هذا الجزء نجد أنفسنا نواصل متابعة إستكشاف الصورة وقراءتها من جميع جوانبها ، فنحن نقتفي خط سير الطفل ، ونقوم في الوقت ذاته بإستكشاف المكان والظروف المحيطة بالمرحلة الجديدة من حياته.

ولمزيد من التعرف على "مجتمع الإخوة والأخوات" طرحنا بعض الأسئلة منها:

- كيف كان ينام الأخوة ؟
- هل ينام الجميع معاً.. ولماذا ؟
- هل ينام الأولاد معاً ؟ والبنات معاً ؟
- هل لكل منها غرفة خاصة ؟
- هل هناك غرفة لكل فرد ؟
- ومتى وفي أية ظروف كان يمكن أن يكون للفرد غرفة خاصة ؟

ومن الإجابات التي جمعناها في هذا البحث الميداني يتضح لنا أن هناك مرحلتين ، كما أن هناك جنسين :-

- في المرحلة الأولى : إذا كان الأطفال صغاراً.
- وفي المرحلة الثانية : إذا كان الأطفال كباراً.
- في الأولى (صغاراً) : كانت الظروف الاقتصادية والمكانية تفرض إجتماع البنات والأولاد في مكان نوم واحد.
- في الثاني (كباراً) : كان الأمر حسبما تسمح به الظروف يتطلب فصلاً بين الجنسين ، فكان الأولاد في غرفة أو في جانب من الخيمة ، وكانت البنات في غرفة أخرى أو في جانب آخر من الخيمة.

وإذا سمحت الظروف بأكثر من ذلك كان يمكن تخصيص غرف خاصة للكبار منهم خصوصاً البنات.

وهذا يقودنا إلى الشق الثاني من السؤال... لماذا يتم الفصل ؟
تقول إحدى الأخباريات :

" البنات بروحهم في حجرة ، والأولاد بروحهم.. البنات حين كبرت وبلغت تستحي حتى من أخوها وأمها بعد ."

- وهنا يبرز "الحياء" كعامل طبيعي ورئيسي يتطلب فصل البنات عن الأولاد في مكان النوم.
بينما تقول إخبارية أخرى.

- يتم الفصل لأنه "مب زين" البنت ترقد ويالولد وهو ريال "أى أنه من الخطأ أن تنام البنت" الأنثى "مع الولد" الذكر "في غرفة نوم واحدة يبرز "الوعي" بالطبيعة الإنسانية التي قد تعميمها الرغبة عن الالتزام بالواجب بتاثير الشيطان.

- وهذا أيضاً يبرز جانب "الوقاية" بدلاً من الحاجة للعلاج.

- وهذا يعكس وعيًا مبكرًا وحرصًا متزايدًا على سلامة الأسرة وقيمها ويكتفي أن نقرأ هذا السبيل من الكتب الصادرة في أمريكا والغرب التي تكافح "زنا المحارم" التي بدأت تهدد بالشروع في تلك المجتمعات مما يعني أن الضوابط التي حرص عليها مجتمعنا القديم هي صمامات أمن لحماية الأفراد والأسرة والمجتمع وليس مجرد قيود على حرية الأفراد.... تلك الحرية التي إذا لم تتسلح بالحياء وتلتزم بعناصر الوقاية إنقلبت إلى ظواهر إجتماعية خطيرة يصعب السيطرة على آثارها..

وهناك راوية تقول... "سبحان الله... إن إبليس في الأرض.. فكيف تنام البنت مع الولد حتى لو كان أخوها! .

الإجابات تكشف لنا أن سن الفصل بين الجنسين هو السادسة أو أن الأطفال صغارا كانوا هم الأطفال دون سن السادسة ، والأطفال كبارا كانوا هم الأطفال فوق سن السادسة.

غير أن قلة من الإجابات أشارت إلى وضع خطير حيث تقول إحدى الإخباريات "أنه لم يتم الفصل بين الأولاد والبنات لأن البيت كان غرفة واحدة فاين يذهبون؟! .

وتشير إخبارية أخرى إلى نفس الوضع قائلة : " كلهم ينامون في حجرة واحدة عباس على دباس ، وجميع الفرش كان في غرفة واحدة بالترتيب ، الأخ مع الاخت هكذا على طول والأم والأب على السرير ."

ولعل الإطلاع على نصوص الإجابات يمكن أن يعطى صورة واضحة من جميع الجوانب لهذا الجزء الهام من الفصل حيث تتحدد العوامل المؤثرة في تشكيل خريطة نوم أفراد الأسرة في عدة عوامل أهمها :-

١ - العامل الديني :

الذى يرى التفريق بين الأبناء فى المضاجع طبقاً للحديث الشريف.

٢ - العامل الاقتصادي :

الذى كان يحدد طبيعة وسعة البيت أو الخيمة.

٣ - العامل الإنساني الغريزي :

الذى كان يتطلب التفريق بين الأبناء في النوم.

ومن ثم تتحدد تبعاً لذلك خريطة العلاقات الاجتماعية لأفراد الأسرة ومن ثم للمجتمع كله الذي يعيش في معظمها الظروف نفسها.

وبالرغم من أننا بصدده عملية جمع وتصنيف للعادات والتقاليد أكثر من كوننا بصدده عملية تحليل للظواهر الاجتماعية، إلا أن عادات وتقاليد مجتمع من المجتمعات لابد أن تتصل مباشرة بالرؤية الاجتماعية.

لذا ننشر نصوص الإجابات لاحقاً.

ومن الأسئلة الهامة التي حاولنا الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة سؤال رئيسي هو.. هل يمكن أن يتربى الطفل في غير حضانة والديه ؟

أن الطرف العام السائد لم يكن يحبذ هذا الإتجاه، أى أن يتربى الطفل في غير حضانة والديه الحقيقيين لكنه مع ذلك ، وفي حالات معينة - لم يكن

- النسبة الغالبة قالت... نعم... يحدث أحيانا ولظرف ما.
 - النسبة الأقل قالت... لا... لا يحدث مثل ذلك إلا نادرا جدا.
 - والنسبة الأدنى قالت... لا... لم يحدث هذا في عائلتنا على الأقل.
- ومع ملاحظة أن الذين أفادوا بوجود هذه الظاهرة في مجتمع الإمارات القديم شددوا على وجود ظروف خاصة دفعت إلى وجودها.
- فإنه من الطبيعي أن تكون معنيين هنا بمعرفة مثل هذه الظروف.
- لقد تعددت هذه الظروف مابين الاجتماعي والإقتصادي وما يرتبط ببعض العادات والمعتقدات الخاصة أو الاجتماعية.
- وصحيف أن الإجابات تفصيلها بصورة أوضح.. إلا أنها يمكن أن نجملها في الأحوال التالية : -
- ١ - وفاة الأب أو الأم أو إنفصالهما.
 - ٢ - مرض الوالدة وعدم قدرتها على تربية الطفل.
 - ٣ - كثرة عدد الأولاد لدى عائلة وحاجة عائلة أخرى إلى الأولاد.
 - ٤ - إرتباط ذلك ببعض العادات المتوارثة في العائلة فإن تقوم الجدة أو الجد بتربية أحد الأحفاد.
 - ٥ - محبة إحدى القربيات لطفل اختها وتعلقها به.
 - ٦ - الخوف من الحسد في حالات ولادة التوأم.
 - ٧ - وفاة لنذر خصوصاً من لم يعش لها أبناء من قبل.
- والنتيجة... أن ذلك كان يحدث لظروف مختلفة وإن لم يكن في الظروف الطبيعية أمراً مرغوباً فيه.. إذ ليس هناك من هو أحقر من على الطفل من والديه.

وإذا كان السؤال الرئيسي قد ركز على وجود هذه الظاهرة من عدمها...
فيبدو من الطبيعي أن يبحث السؤال الثاني عن هؤلاء الأقارب الذين
يعهد إليهم بتربية أحد الأبناء من هم..؟

والإجابات أيضاً لابد أن تتعدد وتختلف تبعاً لاختلاف ظرف كل حالة...
ولكن يمكن ترتيبها حسب الإجابات على النحو التالي :

١ - عند الجد أو الجدة.

٢ - عند الأخ.

٣ - عند الخالة.

٤ - عند العمّة.

٥ - عند الأخ.

٦ - عند الخال.

ولتتبع نتيجة تربية أحد الأطفال عند أحد الأقارب تساؤلنا عما إذا كان ذلك يدوم لفترة طويلة يعيش الطفل بعدها بعيداً أم يعود لوالديه؟.

ولم يكن هناك عناء كبير لمعرفة أن الطفل يعود لوالديه في النهاية إذا كانوا أحياء أحدهما أو كلاهما كما كان من الواضح أن قيام أحد الأقارب بتربية أحد الأبناء لم يكن يعني على الإطلاق تبنيه " بدليلاً عن أمه أو أبيه.

وكانت الحالات النادرة التي يبقى فيها الطفل إلى أن يتزوج هي حالة وفاة الوالدين خصوصاً إذا كان في رعاية الجد أو الجدة.

لكن في الأحوال شبه الطبيعية الأخرى، كان الطفل يعود لرعايه والديه تبعاً لظرف كل حالة عن حده.

فالحياناً يعود بعد الفطام وقد يمتد به الوقت لثلاث سنوات أو خمس أو تسع أو أربعة عشر عاماً.

اما عن التأثيرات المختلفة على سلوك الطفل عندما يتربى في حضانة غير والديه.

فإن الإجابات المختلفة تظهر أيضاً أن هناك تأثيراً على شخصية وسلوك الطفل عندما يكبر وتتراوح هذه التأثيرات في درجاتها وفي نوعها تبعاً للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بظروف ذلك.

لكنها إجمالاً تكاد تتركز في الآثار التالية :

- أن الطفل الذي يتربى في كنف جدته خصوصاً يتدلّل أكثر على والديه.
- أن الطفل الذي يتربى في كنف جده يخامر شعور بالفخر أنه تربية

جد.

- أن الطفل الذي يتربى لظروف جبرية يخامر شعور بالنقص والخجل.
- أن هؤلاء الأطفال لا يندمجون بصورة طبيعية تماماً مع أشقاءهم بعد عودتهم للمنزل.
- أحياناً يؤدى ذلك إلى الشعور بعدم الإنتماء لوالديه.
- وأحياناً يحاط الطفل بتأثير سلبي من جراء كلام الناس عنه ونظرتهم إليه.

وصف لسرير الطفل (المنزل) :-

إتساقاً مع الحياة البسيطة التي عاشها الأهل في الماضي جاءت صناعة أدوات حياتهم بسيطة للغاية.

ولم يشذ سرير الطفل عن هذه القاعدة حيث أنه رغم اختلاف أشكال وخامات هذه الأسرة إلا أنها إتسمت جميعها بالبساطة.

- فكان يمكن مثلاً... وضع عصاتين متقابلتين على شكل حرف × وربطها بالحبال على هذا الشكل ... ثم تلف بالحبال من رؤوس هذه الحرف

لتعطى في النهاية شكلًا مستطيلًا ثم تغطى " بشادر" وتفرش لنوم الطفل ، وهذا الشكل كان يطلق عليه " هذه " أحياناً .

- أو كان - في شكل آخر - يصنع من الخشب (الساي) وتصقل جوانبه ويصبح .. ثم تجهز له جوانب خشبية بباباً وباب صغيرة ، ويثبت هذا الخشب بالسامير ويصمم له رأس مثلث الشكل على هيئة خيمة ، وتغطى بقماش يسمح بدخول الهواء وتعلق في سقفها مثلثات صغيرة ملونة على شكل السمبوسة مخيطة في بعضها ليلعب بها الطفل ويسعد بألوانها وتسمى " الكروكوشة " .

- كما كان البعض يلجأ لصناعة المنسد من الجريد (سعف النخيل) وربطه بالحبال ليصنع منه قاعدة مستطيلة بحبال متوازية ومتقابلة تفرض لينام عليها الطفل كما كانوا يصنعون له رأساً مثلث الشكل يغطي بقماش ليمنع الحشرات الطائرة كالذباب وليس منع فقط بدخول الهواء، ويعلقون في سقفه لعباً ملونة للطفل وأحياناً لعباً أخرى من البيئة المحلية تحدث أصواتاً مع إهتزاز السرير ويسمى " الهزاز .

- وفي شكل آخر كان " المنسد " يصنع من الخشب بعد صقله وعمله على شكل قوائم " رمانات " وتستخدم أربع رمانات على شكل مستطيل ، تربط بينها قوائم خشبية مستطيلة ومثقوبة لثبيت الحبال (الليف) من الجوانب بالطول والعرض لتصنع في النهاية قاعدة شبكيّة الشكل .. ثم تغطى هذه القاعدة (بالسمة) أي البساط المصنوع من سعف النخيل الذي يغطي بالرماد لإمتصاص البول ثم يفرش بقماش نظيف ، كما يغطي رأس " المنسد " المثلث الشكل بقطاء من القماش يسمح بدخول الهواء ويمتنع الأتربة والرماد .

- ومن أشكال سرير الطفل كان هناك نوع آخر يسمى " الشاطوحة " ويصنع من الخشب ويتميز بأن له فتحات (شبابيك) للتهوية ويثبت على قواعد

ترفعه عن الأرض قليلاً، وكان هذا النوع في بعض الأحيان يعلق في السقف، وكان بعض الأسر تلجم إلى وضع سرير طفلها قريباً من الموقف لتامين تدفئة الطفل.

- هذه الأشكال المتعددة لسرير الطفل التي نتحدث عنها لم يعد لها وجود تقريباً في الزمن الحديث إذ حلّت غرف الأطفال الحديثة محلَّ "المنز" الذي كان بمثابة غرفة نوم الطفل في الزمن الأول. ولن نسترسل هنا في وصف أشكال سرير الطفل حيث تتعدد أشكاله كما تتعدد خاماته وطرائق صناعته.. وسنترك ذلك بتفصيل أكثر لروايات الإخباريين والإخباريات.

ولكننا في إطار هذا العرض نتوقف أمام عدة ملاحظات تتعلق بصناعة المنزل وإستخداماته وقيمة الإجتماعية.

١ - كان سرير الطفل على إختلاف أشكاله يستخدم بطريقتين "إما معلقاً بالحبال في سقف الغرفة أو الخيمة ويتدلى منه حبل يسمح للأم بربطه في أصبع رجلها ليتمكنها هزة كلما بكى طفلها بينما تمضي في أداء واجباتها المنزلية الأخرى وإما مثبت بقواعد على الأرض (الشاطوحة)

وحتى السرير القريب من الأرض كانت بعض أشكاله له قاعدة متحركة على شكل قوس لتسماح بهز الطفل، ولذا كان يطلق عليه "الهزاز".

٢ - كانت العائلة تداول هذا السرير وكلما أدى مهمته لطفل يعود من جديد ليستقبل طفلاً جديداً من أبناء الإسرة... ومن طقوس إعداد السرير للطفل الجديد القيام بغسل السرير بالماء والسدر وتخييره باللبان والدوخشير والخطف.

٣ - كان من عادة العائلات أن تهدى سرير أطفالها إلى عائلة أخرى رزقت بمولود إذا لم يعد لها حاجة إلى السرير.. وكانت العائلة تتوارث هذا السرير لسنوات طويلة. بهذا يكتسب "المنز" في الحياة الماضية قيمة تاريخية وإجتماعية عندما يقال بعد عدة سنوات إن هذا السرير تربى فيه

فلان ابن فلان ، وفلان ابن فلان ، مما يكسب عددا من الرجال فى المستقبل رابطة جديدة غير رابطة القربي هى رابطة السرير الذى نشأوا فيه فى طفولتهم.

٤ - فكرة "المنز" البسيطة تتلخص فى تثبيت ٤ قوائم خشبية بالحبال ليصير مستطيلا.. وتلتقي أربطة الحبال فى عقدة واحدة يعلق منها "المنز" فى السقف.

٥ - لجأ الأهل إلى طريقة متناهية في بساطتها بدلاً عن فكرة الحفاظات الحالية للأطفال المعروفة بإسم "البامبرز" ... وذلك بقيامهم بوضع الرمل الناعم تحت مكان نوم الطفل على المنز لإمتصاص الماء الناتج عن تبول الطفل أثناء النوم ويتم تغيير هذا الرمل كلما تبل.

وفي الروايات التالية وصف أكثر تفصيلا وأكثر تشويقا للعادات المختلفة في مرحلة الميلاد والتي تتعلق بصناعة "المنز" ودوره في الحياة الإجتماعية لمجتمع الإمارات الأول.

الفاتمة

THE END

الخاتمة

ماذا يقدم لنا هذا الموروث؟ وماذا يريد الانسان العربي من موروثه الشعبي؟ وكيف يمكن ان تحسن هذه المواقف الدائرة حول الموروث؟ الموقف الرافض له، والموقف المؤيد؟ ثم التساؤل الاهم وهو هل يمكن ان يكون هذا التراث الحضاري للانسان في المجتمع العربي مخزوناً تنطلق منه كافة مشروعات التغيير فيه؟.

إننا في هذه المرحلة الجديدة، نجد انفسنا قد حققنا جزءاً من مهمة المرحلة السابقة وهي مهمة الجمع والتصنيف واعداد المادة المكتوبة والمسجلة لكافة انواع الموروثات الشعبية. ومن الممكن ان تستمر هذه المهمة لتكتمل وتحقيق في كافة مجتمعاتنا العربية، ولكن الامر الان ان يطرح مشروع جديد هو الذي يستطيع ان يحقق النقلة النوعية في كيفية الاستفادة من هذا الموروث الشعبي. على ان يكون هذا المشروع تكاملاً على مستوى الوطن العربي تتضامن فيه كافة الجهود العلمية بشكل موحد يحل لنا الاشكالية التي نعيشها اليوم في دراستنا حول الموروث، وفي اشكالية التجزئة والتبعاد بين الباحثين على مستوى وطننا العربي. اننا بذلك نرد على كافة الاصوات المنادية بالاهتمام بالتراث ونستشهد ببعض ما كتب في صحفنا المحلية من رأي حول نفس القضية.

ان تراثنا الشعبي تراث غني زاخر بالصبر والتجارب وفيه الاسس التكوينية لشخصياتنا وهذا التراث يعيش صراعاً مع التحول السريع نحو المدنية، تقاد ادواته تطغى على مضمونه، فتبقي محافظتنا على شكل التراث، وينحصر المضمون مما بدأ يشكل نوعاً من انفصام الشخصية الاجتماعية ويدفع بنا الى دوامة من المشكلات الداخلية على بيئتنا. ويخرج في النهاية بوضع التصور على ضرورة الربط بين شخصيتنا التراثية، وذلك من خلال

تطوير ادوات موروثنا الشعبي، لتناسب مع الحياة العصرية التي نعيشها. ويقترح ان يكون ذلك بالاستفادة من تراثنا الشعبي في تربية اجيالنا، وجذبهم الى الارتباط بشخصيتهم التاريخية، وتسريع دورة عجلة الدراما الخليجية وتوظيف الموروث الشعبي فيها واعادة الصور التاريخية المضيئة الى العقل الجمعي لاجيالنا الشابة من خلال هذه الدراما (٢٥).

لقد حان الوقت اذا للتفكير والعمل على ايجاد علاقات مباشرة بين اكبر قضيتين تشغلان انساننا العربي اليوم. وهي قضية التنمية، وقضية التراث (والتراث الشعبي على وجه الخصوص) وكيف يمكن ان يكون هذا التراث ميداناً خصباً تجد فيه مشروعات التنمية كافة متطلباتها، بالإضافة الى ما يمكن ان يعطيه هذا التراث من خصوصية واصالة لبرامج التغيير في هذه المجتمعات. اذ طالما عانت مجتمعاتنا من حدة التحديات الغربية الذي أسهم في اعادة انتاج التخلف بدلاً من التخلص منه.

اننا اذاً امام تحدٍ يحتاج وقفه متأنياً لنعيد النظر في تراث وحضارة هذه المجتمعات سواء أكانت الحضارة مادية ام لا مادية. فربما كان موروثنا هذا يستطيع ان يبعث الحياة فينا من جديد، ويرسخ قيمه القديمة بدلاً من القيم الجديدة التي تشكلت في هذه المجتمعات، واصبحت احد اهم عوائق التغيير فيها. وربما تكون قد اجتنزنا تلك اللحظات الحاسمة التي كنا نبحث فيها عن هويتنا القومية وجذورنا الحضارية وتقاليتنا الوطنية.

واننا قد توصلنا الى معرفة ماضينا وحاضرنا، وما علينا سوى الانطلاق نحو التخطيط لمستقبلنا وهذا نؤكد على اهمية ابراز الموروث في ظل اطار الشخصية القومية العربية الواحدة، ونتوقف عن الحديث عن المسميات الجديدة كالشخصية الخليجية، او الشخصية ربما الاماراتية والكونية، انها تشوّهات فكرية لا بد من الكشف عنها، ولا بد من الوعي لأن التفاعل الخلاق لا يمكن ان يكون الا في اطار الشخصية العربية الواحدة

١ . يعد "الميلاد" من الظواهر الثقافية التي تحظى بإهتمام كثير من المتخصصين في الدراسات ، البيولوجية ، الإجتماعية ، السكانية والأنثروبولوجية والفالكلورية .. ذلك أنه ، إذا كان فكرة التكوين - للطفل - ذات طابع بيولوجي ، فإن الوسائل التي تكمن وراءها تنطوي على عديد من المعاني الإجتماعية والثقافية التي تختلف باختلاف البيانات الطبيعية والتجمعات البشرية .. ومن ناحية أخرى يؤدي الميلاد إلى أداء دور هام في نمو الأسرة، وإخفاء الطابع الإجتماعي عنها، كما يؤدي إلى زيادة حجم سكان المجتمعات بشكل عام.

٢ - إذا كانت مجالات التقاليد متعددة فقد أخترنا العادات المتعلقة بالميلاد آخذين في ذلك بفكرة "باول جولييك" الذي يذهب إلى أن مفهوم دورة حياة الأسرة يعد إطاراً للعمل لفهم الأسرة وخصائصها ومكوناتها من ناحية ، كما يمكن من فهم السياق الإجتماعي الذي يحيط بها والركائز الثقافية التي ترتكز عليها من ناحية أخرى.

٣ - وقد تنتهي هذه الظاهرة على عديد من العناصر المتعلقة بها، وجاءت على النحو التالي : الحمل ، الولادة ، ما بعد الولادة ، المشاهرة ، إخفاء نوع المولود ، ولادة التوائم ، تسمية الطفل ، الرضاعة والغطام، الحمل الكاذب ، العقم ، الإجهاض ، الختان ، التنشئة الإجتماعية.

٤ - أن الميلاد يجسد بعض المعاني المرتبطة بالطفل، ذلك إن الإنجاب خاصة في الثقافات العربية يعكس العديد من القيم، الاقتصادية، السلوكية، الدينية، بالإضافة إلى أنه من المكونات الأساسية والمحدّدات الهامة ل مكانة المرأة . فبالإنجاب تكتسب الزوجة مكانة الأم، والأم سواء أكانت أم الأب أو أم الزوجة تكتسب صفة الجدة .. الخ كما أن الإنجاب يضفي على الأسرة أبعاداً ثقافية كالعزوه والعائلية.

ومن ناحية أخرى ، تختلف معاني الإنجاب "الميلاد" حسب نوعية الثقافة،

التي تحدد شرعية أو غير شرعية .. وبغض النظر، عن هذه القضية ، فإن الإنجاب والمعانى الإجتماعية والإقتصادية المرتبطة به، ينعكسان في الممارسات والشعائر الخاصة بكل أسرة منتمية إلى الثقافة التي تكونها ، وتبداً هذه الممارسات منذ إعلان "الحمل" حتى إعداد الطفل كي يجتاز مرحلة الطفولة ليصل إلى مرحلة الشباب، ويوضح لنا ذلك طبيعة المادة الأنثوجرافية التي عرضنا لها.

أن المادة الأنثوجرافية التي عرضنا لها ترتبط بثلاثة عناصر أساسية هي:

- × المادة التراثية المتصلة بمرحلة الميلاد(العادات والتقاليد والمعتقدات وعناصر الأدب الشعبي).
- × حملة التراث الممارسين للعناصر الشعبية.
- × السياق البيئي والإجتماعي الذي ينتمي إليه حملة التراث بإعتبارهم ممارسين ومتمسكين بالعناصر الشعبية المتصلة بالميلاد.

كما أن هذه المادة تجسد وتعكس لنا ما يلي :-

- ١ - العناصر المختلفة التي توضح إهتمام الأسرة بالطفولة منذ إعلان الحمل.
- ٢ - أن مضمون هذه الممارسات يدور حول الكيفية التي تشبع بها الأسرة الاحتياجات الخاصة بالطفل منذ تكوينه (حاجاته للنمو الفيزيقي، والعقلي، والإجتماعي والثقافي)، ويتجسد ذلك في العادات الخاصة بالتنمية والرضاعة)، التنويم ، وبالتنظيف... الخ.
- ٣ - أن هذه الممارسات تعكس مدى تأكيد الثقافة على أهمية الطفل واحترام إنسانيته، ويتأكد ذلك من خلال العادات المتصلة بتسميتها، وبنويمه وبتعليميه.
- ٤ - أن هذه الممارسات تعكس جو العلاقات الإجتماعية الذي يسود الأسرة، بدءاً من

قدوم المولود، وحتى إعداده كي يصبح شاباً يافعاً، مجتمعه فهناك المؤازرة في عملية الولادة . التهاني . إحتفالات الأسبوع . التغذية . المساعدة في تربيته من جانب الآخوه . إكتساب وتنمية علاقات إجتماعية من نوع خاص.

٥ - وإذا كانت هذه المعانى كلها تعكس قيمـاً عديدة ، خاصة ما يتعلق منها بالقيم الأسرية (مكانة الأم . مكانة الأسرة) ، فلـنا أن نتوقع أن الأم هي المحور الأسـاسي في هذه العملية ، فهي التي تحـمل ، وتربي وتعـتني بالطفل ، ومن ثم يتـدعم وجودـها الإجتماعية ، وتكتـسب مكانة مرموقة تختلف بإختلاف ثقافة كل مجـتمع.

ولـنا أن نتصـور ، مدى الإهـتمام التي تحـظـي به الأمـ الحـامل ، سواء عندـ الحمل ، أو أثناء الـولادة ، أو ما بعد الـولادة ، فهي تـحرص علىـ إتقـاء أو تـجـنبـ أي مشـكلـة تـقعـ عـلـيـها ، ولـذا نـجدـ العـدـيدـ منـ المـارـسـاتـ الـتيـ تـؤـدـيـ لـتجـنبـ مـثـلـ هذهـ المشـكلـاتـ ، (المـشاـهرـةـ).

ويـسـتطـيعـ الفـردـ أنـ يـتصـورـ مـدىـ المـكانـةـ الـتـيـ تـحـتلـهاـ الأمـ غـيرـ المـنـجـبةـ "الـعـاقـرـ"ـ ، فـهيـ مـتـدنـيةـ ، مـقارـنةـ ، بـالأـمـ المـنـجـبةـ ، وـتـظـلـ فـيـ وـضـعـ إـجـتمـاعـيـ غـيرـ مـأـمـونـ ، وـغـيرـ مـطـمـئـنـةـ نـفـسـيـاـ وـتـحـيـطـ بـهـاـ إـتـهـامـاتـ مـنـ وـقـتـ لـآخرـ ، وـتـظـلـ مـتـهـمةـ إـلـىـ أـنـ تـثـبـتـ بـرـاءـتـهـاـ بـالـحملـ.. وـلـذـلـكـ ، فـإـنـهاـ تـلـجـأـ لـلـخـلاـصـ مـنـ هـذـهـ المـأـزـقـ بـالـلـجوـءـ إـلـىـ العـدـيدـ مـنـ المـارـسـاتـ الرـسـمـيـةـ وـالـشـعـبـيـةـ.

ويـلـاحـظـ أـنـناـ رـاعـيـناـ . أـيـضاـ . المـقـومـاتـ الـإـقـتصـادـيـةـ وـالـإـجـتمـاعـيـةـ الـمـتـصـلـةـ بـالـإـنـجـابـ ، فـهيـ تـخـتـلـفـ بـإـختـلـافـ الـبـيـئةـ الطـبـيـعـيـةـ ، سـوـاءـ كـانـتـ رـيفـيـةـ ، أـمـ بـدوـيـةـ ، أـمـ حـضـرـيـةـ كـمـاـ نـلـمـتـ مـنـ الـلـيـسـيـيـ دـوـرـاـ هـامـاـ فـيـ هـذـهـ الـأـمـورـ.

أـمـاـ الـبـعـدـ الثـانـيـ ، فـهـوـ التـرـابـطـ وـالـتـسانـدـ الـوظـيفـيـ بـيـنـ عـنـاصـرـ التـرـاثـ الشـعـبـيـ ، فـهـذـهـ حـقـيقـةـ مـعـرـوفـةـ تـرـاعـيـ فـيـ التـحـلـيلـاتـ ، ذـلـكـ أـنـ العـادـاتـ الـإـجـتمـاعـيـةـ هـيـ تـجـسـيدـ لـالـمـعـقـدـاتـ وـالـقـيـمـ الـثـقـافـيـةـ الرـاسـخـةـ فـيـ أـذهـانـ الـأـفـرـادـ ، كـمـاـ يـقـمـ التـعـبـيرـ عـنـهـاـ باـشـكـالـ وـصـورـ مـخـتـلـفةـ ، مـنـهـاـ التـعـابـيرـ الـقـوـلـيـةـ ، الـتـيـ

توضّحها الأغاني أو الأمثال الشعبية أو الحكايات.. ولذلك، فإن المادّة التي عرضت في الفصول السابقة يتّضح فيها هذا الترابط جلياً، ليس هذا فقط، وإنما إرتباط ذلك بالسياق الاجتماعي الأسري والسياق الاقتصادي المجتمعي.

أن العادات الاجتماعية، قد يطّرا عليها ، بفعل عوامل محددة قد تكون داخلية أو خارجية ، بعض التغييرات التي تؤدي إلى تعديل بعضها أو إخفاءها تماماً، أو تعديلها شكلياً بحيث يبقى المضمون ثابتاً، وقد أوردنا ذلك في مادتنا ما يوضح ذلك، خاصة في العادات المتصلة بتنشئة الطفل (عادات النوم - التغذية - اللبس).

كذلك نؤكّد على أننا لم نهتم فقط بالعادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المشخصة والعيانية التي تؤلّف أصلاً مادة الفولكلور والاثنولوجيا ولكننا سعينا كذلك إلى ربط هذه المادّة العلمية بسياقها الاجتماعي، والمؤثّرات التي تركت بصماتها على هذه الممارسات والعادات، ومن ثم التوصل إلى عاملي التغيير والثبات من مجموع عناصر هذه العادات، وذلك يقيّنا منا بأن هذه العناصر والأبعاد الثقافية تشكّل الإنسان ككائن ثقافي في مجتمع الإمارات.

كما أن دراسة بعدي التغيير والثبات تحدد لنا إلى أي مدى استطاع الرواة التعبير عن القيم الجديدة التي تتلاعّم مع واقع الحياة، وهل استطاع الإنسان في مجتمع الإمارات أن يغزل قيمة الجديدة في النسيج التقليدي السائد والذي يحظى بقبول الناس.

وتتجسد كل هذه الحقائق في المادّة المعروضة سابقاً والتي نوجّها في هذه الخاتمة.

المهم :

على سبيل المثال تخمن العناصر الأولى لمدّور المهم ما يلي :-
بدء الحمل، ردود فعل الأهل لحمل المرأة، التحريريات المرتبطة بالحمل،

غذاء الحامل والوضع الصحي لها، وكذلك مجموع الممارسات المرتبطة بكل مراحل النمو، وهي كلها موضوعات كشفت عن الواقع الاجتماعي الثقافي الذي كانت تعيشه المرأة الحامل منذ أول حمل لها وحتى آخر حمل.

وقد كشف التحليل عن أن هناك جوًّا إجتماعياً يحيط بالمرأة منذ بدء الحمل، تتشابك فيه بعض القيم الخاصة، والإتجاهات ذات التأكيد على أن كل شؤون المرأة يجب أن تخفي من بدايتها، وأن المجتمع بافكاره يساعد على هذه الإتجاهات، خاصة فيما يتعلق بالمخاوف الأخرى كالحسد والعين، والخوف من الفشل، وبروز الخجل كعوامل مؤدية إلى الاحفاء.

من ناحية أخرى، كشفت الممارسات المتصلة بالحمل عن المعتقدات الراسخة في عقول الأفراد، فقد لاحظنا شدة التمسك بالدين الإسلامي وجميع معتقداته (لا يعلم الغيب إلا الله).

ويوضح ذلك أيضاً ردود فعل الأفراد (الزوج الزوجة والقربيات) كما يوضح ذلك الممارسات التي تتخذ للحفاظ على الحمل، سواء عند النوم أو أكل بعض الأطعمة دون سواها، أو شرب بعض الأدوية أو عدم زيارة لبعض الأماكن .. الخ.

المعتقدات المتصلة بالحمل :-

من المعتقدات التي كشفت عنها الدراسة والمتعلقة بالحمل، الخوف من الحسد من قبل الزوج على زوجته، واتضح كذلك أن الحسد يكثر الشعور به بين بعض الأقليات الإثنية في مجتمع الإمارات (البلوش والمجموعات النازحة من الباطنة).

كشفت الدراسة عن أهمية **البعد الاجتماعي** بالنسبة للمرأة الحامل، فقد اتضح أن علاقة المرأة الحامل بالآخرين جيدة وقوية.

إذ يقوم الأهل والأقارب والجيران بكل الاعمال التي لا تستطيع المرأة

تاديتها عندما تتأخر في شهور الحمل، وهنا نلاحظ شدة التماسك بين الأفراد، وقوه الروابط الاجتماعية، ولا تمنع المرأة الحامل عن الإتصال بغيرها واصدقائها بل تزورهم في كل المناسبات ولا توجد أية قيود على علاقاتها بكل المحبيين بها، وتظهر بينهم روح المشاركة في الأعمال والحرف التي يقومون بها فيقال مثلاً انهم يتسمرون طوال الليل ليعملوا في غزل شباك الصيد، وهذه أبهى صورة للعلاقات الاجتماعية سابقاً في مجتمع الإمارات.

كشفت الدراسة عن أن هناك ميلاً لدى الكثيرين سواء رجالاً أو نساءً، لتفضيل الذكور على الإناث، وهذه الميول تفصح في مسامينها عن الكثير من المفاهيم الخاصة بالإنجاب، وكذلك المعتقدات الدينية المرتبطة بالأطفال ونوعيتهم، كما يكشف عن بعد ثقافي هام يحيط بدائرة الإنجاب والأطفال ونمط التنشئة الاجتماعية وربما عن النظام الاجتماعي في ذلك الوقت.

وقد أتضح أن من بين أسباب التفضيل، العامل الاقتصادي فالأغلبية ترى في إنجاب الذكور مصدراً قوياً للكد والعمل ومزيداً من القدرة على الإنفاق على الأسرة وكذلك لعوامل ثقافية وإجتماعية أخرى أهمها التباهي، والسمعة الطيبة، والمكانة الاجتماعية والاستمرارية، وأن يقال أن العائلة منجية للذكور.

الحمل الكاذب :

وإذا كانت هذه الممارسات والأبعاد المتصلة بالحمل الحقيقي، فإن هناك ما يسمى الحمل الكاذب الذي يعبر في مضمونه عن صراع نفسي وإجتماعي تظهر له أعراض مرضية تمثل أمراض الحمل الحقيقي، وقد أوردنا بعض المعتقدات والقصص التي تدعم ظاهرة الحمل الكاذب.. وأكدا على أن الحمل الكاذب قد بدأ ظاهرة منتشرة في مجتمع الإمارات، ويرجع معظم الناس أسباب الحمل إلى القدرة الالهية، وإرادة الله، وإلى التوهم لدى المرأة المحرومـه أصلاً من الإنجاب، وإلى عامل الخوف من أن يتزوج الزوج على زوجته.

ويوضح ذلك مدى إرتباط الحمل الكاذب بالحالة الزواجية، وبالعلاقة بين المرأة والرجل، وبظروف الأسرة، كما يرتبط ببعض التفسيرات التي ترى أنه يحدث بعد الولادة إذا لم تتسلخ المرأة بوسائل لحراستها من الجان.

كذلك عرضنا لردود فعل المجتمع تجاه هذه الظاهرة، إذ تتعرض لكثير من الإحباطات والكثير من الهزات النفسية قبل وأثناء الحمل، نتيجة لشعورها باللوم والخجل، وبالتالي يكون المجتمع عنها صورة مجروبة. ويوضح ذلك بعض الحكايات التي تعكس بعضاً من الحقائق الاجتماعية والثقافية المرتبطة بهذا الموضوع.

معرفة نوع الجنين :

معرفة نوع الجنين من العناصر الهامة المرتبطة بمرحلة الميلاد، وهي تعبر عن محاولات يقوم بها الإنسان لتفسيير الظواهر من حوله، والكشف عن المجهول، فهذه علاقة جدلية بين الإنسان والبيئة وظواهرها، وقد أوردنا مادة تراثية توضح تفوق بعض الأفراد (الداية) في معرفة نوع الجنين، وكذلك وجود بعض التصورات والتغيرات البيولوجية لدى كل أفراد الأسرة والتي بمقتضها يتم معرفة نوع الجنين.

كشف البحث عن أن هناك مجموعة كبيرة من الممارسات والعادات والمعتقدات والتأثيرات من الحكم والأمثال والأقوال التي ميزت بين الجنسين، وقامت على المرأة وحرمتها من أبسط الحقوق، وأعطت كل الحقوق للرجل، وسارت هذه المجموعة من الموروثات والعادات مع المرأة في كل مراحل حياتها في الطفولة والشباب والنضج والشيخوخة وحتى يوم مماتها، فمنذ النشأة والتكوين وبدء حركتها بداخل رحم الأم، يبدأ المجتمع في التمييز بينها وبين الذكر، ويتبين لنا ذلك في مناسبات الحمل، والولم، والولادة ، والبشرة ، وفي إخفاء نوع المولود.

الوهم :

يأتي الوهم كأول ظاهرة تتعرض لها المرأة بعد بدء الحمل، وتتضمن هذه الظاهرة أبعاداً بيولوجية وإجتماعية وسociological، ذلك أنها تعني اشتهاه المرأة لشيء معين (لطعم وسواه) وكراهيتها لأشياء أخرى أو محبتها لبعض الناس وكراهيتها لبعضهم الآخر، كما أنه يتضمن بعض الأعراض الفسيولوجية كالدوخة ، والقيء ، وكراهية الأكل)، يضاف إلى ذلك أنه يختلف بإختلاف نوع الجنين (ذكر أم أنثى).

كما تشير هذه الظاهرة إلى مجموعة من الحالات الإجتماعية والإقتصادية في مجتمع الإمارات.

وقد تضمنت المادة الأنثوجرافية العديد من الأمثلة لأمهات إشتاهين شيئاً معيناً ولم يجدهن، وبذلك ظهر على الولد أو البنت، وكل هذه الأمثلة تشير إلى أن العجز أحياناً قد يدفع إلى نوع من التفكير والتصورات غير الواقعية، فربما العجز الاقتصادي، ومعاناة المرأة في تلك الفترة مادياً أو إجتماعياً جعلها تميل إلى تفسير متطلباتها غير المتحققة تفسيراً غير علمي، ومن الناحية الثانية نستطيع أن نعمل ذلك، أي اعتقاد الناس بظهور الشيء المرغوب فيه على جسم الوليد كنوع من محاولات الإنسان لإيجاد تفسيرات لا يعرفون لها تفسيراً بيولوجياً أو طبيعياً من واقع المعرفة العلمية المتاحة ، إذ لا يمكن أن نفسر بعض التشوّهات والعلامات على جسم الطفل أو الطفلة دون أن يكون هناك وعي صحي فسيولوجي فيتم اللجوء إلى فكرة الوهم وأثرها على الأم والطفل معاً.

الولادة :

كشفت المادة التراثية المتصلة بالولادة عن المستوى المعيشى الذى كان يعيشه شعب الإمارات في المراحل السابقة لمرحلة الطفرة الاقتصادية، كما عكست إجاباتهم الحياة الاجتماعية المتماسكة والبناء الاجتماعي القوى

القائم على نظام التكافل الاجتماعي . وتنعكس هذه الحقائق في المراحل المتعددة للولادة وهي ثلاث، مرحلة ما قبل الولادة، مرحلة الولادة وما تضمنتها من عناصر محددة (التخلص من السرة ، اخفاء نوع المولود، التسمية ، الختان). ففي المرحلة الأولى ، كشفت الدراسة عن غياب العديد من القيم الإستهلاكية ، وحضور العديد من القيم الاقتصادية المتواضعة والبسيطة والتي تعكس المستوى الاقتصادي الفعلي للأفراد دون الجنوح بعيداً إلى مستويات لا يستطيع تحقيقها الفرد، فهناك نشاهد اتساق بين ما يملكه الفرد وبين ما يستهلكه، فالتجهيزات للمولود تتمثل في الياس والملح والشنوط والقماط الطاقية (الكلوين) والكحل وغالباً ما تكون الملابس ليست جديدة، بل من الفائض الموجود بالمنزل وربما لاطفال سابقين لولادة الطفل الجديد .

وقد كشفت الدراسة عن الممارسات التي تتم لتسهيل الولادة وتحميه الطلق عن فقدان المجتمع في السابق لخدمات الطبية المطلوبة وخطورة المرحلة وانعكاسها على صحة الأم ، كما كشفت الممارسات عن الخبرة العملية المكتسبة عبر الأجيال والتي تتمثل في أمور عدّة، منها على سبيل المثال معرفة أهمية المشي بالنسبة للمرأة الحامل وهذا يكشف عن وعي خاص بأهمية الحركة لمرأة، ثم استخدام العديد من المواد الشعبية مذكورة ضمناً ولكن لا يغيب عن القارئ أيضاً ملاحظة بعض الممارسات الخاطئة التي كانت تقوم بها الداية، وخطورة ذلك على الأم كما نلاحظ الإختلاف الواضح بين ممارسات الجماعات الثقافية المختلفة كالسنة والشيعة، وجماعات البلوش واللارية حول الوضع الذي تتخذه المرأة وهي تلد.

كذلك كشفت الدراسة عن وجود بعض المعتقدات المتصلة بتسهيل عملية الولادة ، ومن المعتقدات الخاصة بطبقة معينة، وتبدو أنها طبقة غنية لجماعات من الشيعة في دبي، وضع خاتم من الماس في ماء وشربه المرأة

المتعسرة، ويعكس هذا الاعتقاد الحقيقة التي مؤداها انه عندما يكون الماس حقيقياً يعكس أشعة الشمس حتى يكون له مفعول قوي في تسهيل الولادة.

ومن المعتقدات التي تعكس التمييز بين ولادة الذكر وولادة الأنثى، القول (إن الولد الرب يسهل ولادته والبنت تتتعسر)، وهذا لا شك يمثل اكثراً المعتقدات الخاطئة التي تخزن في ذاكرة الشعوب العربية بشكل عام، وتبرز في مجتمعات الخليج بشكل خاص، وقد يعود هذا المفهوم الخاطئ لمعتقدات وممارسات العرب قبل الإسلام والتي تجلت في أسوأ صورها في ظاهرة وأد البنات حيث مارستها بعض القبائل).

كشفت الدراسة كذلك من أهمية المؤازرة الإجتماعية من الأسرة للأم ساعة الولادة وخاصة اللاتي يقمن بمساعدتها بشتى الطرق بما فيها عمل النارجيلة لتنفس الأم فيها فيسهل الطلاق وهذه عادات خاصة بمجموعة العجم من الإمارات ويتبين أن الإيمان بالله والدعوات وقراءة القرآن تساعد المرأة على تسهيل ولادتها، وهنا يتضح عميق التدين في مجتمع الإمارات ، فالإيمان بالله يرتبط بأي عمل يقوم به الأفراد، وخاصة عند الأزمات واللحظات التي يعجز الإنسان عن التصرف فيها، أو مقاومتها.

مرحلة ما بعد الميلاد :

من أهم المواد التراثية التي كشفت عن ثراء وغنى المعتقدات والممارسات في أسرة مجتمع الإمارات ما يتعلق بكيفية الاحتفاظ بالمشيمة أو السرة للوليد الجديد، فقد اعتبرت المشيمة عنصر التواصل والاستمرار بالنسبة للمرأة، فالطريقة التي تحفظ بها المشيمة تعبر عن استمرارية قدرة المرأة على الإنجاب، فهي تدفن في مكان آمن من المنزل أو على البحر.

كشفت الدراسة عن أن أهمية المحافظة على المشيمة نابعة من أنها تمثل سر المرأة، وحمايتها، وحماية قدرتها على الإنجاب مستقبلاً أما عن السرة فالاهتمام بها أيضاً يمثل الرغبة الشديدة في الاحتفاظ بالوليد والمحافظة عليه

من خلال حماية سرتة من الإفساد، بل تستخدم له مجموعة من الأعشاب أو الملح الذي يساعد على الإحتفاظ بها، ومن ثم إستخدامها بعد أن تجف في علاج مرض العيون بالنسبة لنفس الطفل أو علاج المغص المعوي.

كشفت الدراسة من أن الاعتناء بالمشيمة والسرة وحفظهما ودفنهما أو إستخدامها وخاصة المشيمة أداة لدرء الحسد والتيمن بها إذا تعرض الإنسان لقضية في المحكمة فإنه يتخلص من التهمة مجرد أن يحمل المشيمة المجففة بالملح والأعشاب الأخرى إلى جانب أن هذه المرحلة من مراحل التوليد ورعاية الأم والوليد تعبّر في الكثير من الملابسات والممارسات الشعبية عن وعي صحي كان حاضرا لدى القابلة ولدى أهل الأم، فنجد هم مثلاً يحاولون التخلص من كل أجزاء المشيمة حتى لا يظل بعضها عالقاً بالأم مما يسبب لها المرض أو الوفاة، وإذا حدث ذلك فإنهم يستخدمون بعض الأدوية الشعبية كالفلفل الحار والقرض والحبة الحمراء لتنزيل هذه الأجزاء، مما يعني أن الإنسان في تلك المراحل كان يقاوم اشكال الأمراض التي من الممكن أن يتوقعها، وكان حريصاً على استخدام الأدوات التي تقدمها له البيئة الفقيرة من أجل مقاومة تلك الأمراض.

كما توضح الحقيقة التي نوردها أن الإنسان لم يكن مستسلماً للعديد من الأزمات التي كان يتعرض لها، فمثلاً إستخدام الإنسان للمشيمة بعد أن تجف مواجهة أية معضلة إجتماعية كالمحاكمة أو العجز الاقتصادي والفقر والتيمن بهذه المشيمة، لأنها الجزء الذي حفظ الجنين تسعه أشهر والذي يعتمد عليه الجنين في التغذية والحماية، وإنما يعبر عن القيمة الكبرى التي تعطيها المرأة للمشيمة التي كانت أداة لحماية الجنين، وبالتالي يمكن أن تكون أداة لحماية نفس الجنين بعد أن يولد، ويكبر، أو لحماية الأب والأم، إن الإهتمام بالمشيمة "أو السرة" هو في المقام الأول إهتمام ذو طبيعة "طقوسية Ritual" يرتبط برسوخ فكرة ما يشير إليه علماء الفولكلور إصطلاحاً بالتأثير

التعاطفي أو السحر التعاطفي Sumpathetic Magic وهو السحر الذي يقوم على مبدأ أن التأثير على الجزء هو بالضرورة تأثير على الكل، فحفظ السرة وصيانتها وحمايتها هو حفظ وصيانة وحماية لإنسان نفسه والضرر الذي قد يقع على "السرة" ينعكس بالضرورة على صاحب السرة حاضراً ومستقبلاً، وعلى هذا المبدأ تقوم بعض ممارسات "السوا" أو "العمل". حيث تؤخذ أجزاء من الإنسان (كالشعر مثلاً - أو الملابس) تجري عليها بعض الطقوس والممارسات التي يعتقد أن أثرها ينسحب بالضرورة على صاحب الشعر أو الملابس .

تنظيف المولود :

تنظيف المولود أو المولودة والتزيين وحلاقة الشعر أمر كان يحرص عليها الجميع، وهنا نعود لنؤكد عمق الوعي الصحي والإهتمام بصحة الطفل وإن كانت في الغالب تستخدم المواد التي قد تضر بقدراته في المستقبل. ولكنها في النهاية تعكس السياق العام لهذه البيئة ومتطلباتها.

وتتشابه المواد المستخدمة لتنظيف المولود مع تلك التي إستخدمت لتنظيف المرأة كالملح والياس، والنيل والمحلب، والكركم، والمر، الحبة الحمراء والصبر والبضاعة، وحل الحلو، وحل حليل، والمر الهندي، الظبي، وبنت الذهب، والزبدة، الزعتر والطحين.

وتؤكد الروايات على أهمية تحميم الطفل وتستخدم نفس تلك الأدوات في كل البيئات سواء كانت الحضرية أم البدوية أم الجبلية، كذلك لدى بعض الفئات الثقافية (البلوش) مثلاً، وكلها تستخدم تلك المواد، بالإضافة إلى قراءة القرآن على تلك المواد والأعشاب قبل إستخدامها لتنظيف وتحميم المولود أو المولودة.

ولكن المفاجأة كانت أن الأم أو الجدة تحافظ على أن يكون التحميم وقت الضحى أو وقت المغرب، وهي المواعيد التي تقل فيها أعمال المرأة بالمنزل إذ

تستطيع المرأة بعد أن تقوم بتحميم طفلها وتكحيله وتنويمه أن تمارس عمليات تنظيف المنزل والطبخ وإحضار الماء إلى آخره من المتطلبات اليومية التي أضيفت إلى أعباءها كإمرأة وكذلك ما يوفره وقت "الضحى" أي منتصف النهار من جو دافئ بحيث لا يتعرض الطفل للبرودة فاثناء هذا الوقت تكون الشمس قد أشرقت وأشعت بالدفء بحيث يحمي الطفل من أية نزلات برد.

والأغلبية أكدت عدم التحميم أثناء الليل والبرد لأن المنازل كانت مصنوعة من سعف النخيل أي أنها لا تحمي الطفل من البرد، ويعكس ذلك محدودية الحياة الاقتصادية بالنسبة للأسرة الإماراتية في ذلك الوقت إذ كان من الصعب استخدام مواد أخرى للبناء كالطوب أو الحديد وذلك للفقر ومحدودية عطاء البيئة والإعتماد على إستيراد تلك المواد من الهند أو إفريقيا كالأخشاب مثلاً ذلك من قدرات الأسر الغنية فقط.

أما عن السؤال عنمن يقوم بتحميم الطفل، فلقد كشفت الردود عن عملية المشاركة والفاعلية التي تقوم بها الأسرة الممتدة بكل أجيالها للمساهمة في خدمة الأم الوالدة فتشترك الأخت الكبرى، والجدة والعمة والخالة أو أم الزوج، وتسمم كل منهم في المساعدة بتحميم وتنظيف الطفل، إلا أن الإعتماد الأكبر على الداية.

ملابس الأطفال وزينتهم :

كشف لنا السؤال حول ملابس الطفل العديد من الأبعاد الاقتصادية والإجتماعية في حالة الأسرة الإماراتية في مرحلة ما قبل النفط وربما في المرحلة الراهنة لبعض الأسر التي تعيش في المناطق النائية سواء أكانت جبلية أم صحراوية.

فالبساطة في اختيار ملابس الطفل كانت السمة الأولى لتلك الأبعاد الاقتصادية، وإستخدام أبسط أنواع الأقمشة وأرخصها، وإستخدام الملابس القديمة التي إستعملت من قبل لأطفال في نفس العائلة أو الأسرة الصغيرة

نفسها، يلاحظ أيضاً الثبات في استخدام تلك الأدوات والملابس وخاصة عندما تناولت إحدى الإخباريات قضية استخدام (البامبرز) الآن وضحت وتدل بذلك على الفروقات ما بين الأمس واليوم. وأشكال التغيير الاجتماعي والثقافي التي بُرِزَت في أبسط الصور وهي استخدام (البامبرز) بدلاً من القماش الخفيف الذي يلف به الطفل ليحميه من الرطوبة والبلل.

إن الملابس وأدوات وأساليب الزينة في الماضي وبالاخص الزينة المستخدمة للأطفال تؤكد أشكال الرعاية المقدمة للأطفال عبر مشروع التربية والتنشئة الاجتماعية الذي كان سائداً في ذلك الوقت كما تؤكد على استخدام معطيات ومنتجات البيئة المحدودة وتكريسها كلها للإستعمال من أجل بيئة صحية جديدة للأطفال حديثي الولادة.

حلاقة شعر الطفل :

إن أشكال العادات والممارسات المتبعة ضمن طقوس حلق شعر الطفل أو الطفلة ربما تعبر عن مخاوف كثيرة تنتاب الطفل يجعلهم يحاولون حماية الطفل بالعديد من الممارسات التي تختلف باختلاف المجموعات الأثنية التي تعيش وتستوطن الإمارات.

من الملاحظات الهامة التي وجدناها في هذه المادة الإثنوغرافية أيضاً أن شعر الولد أو البنت يوزن إما مع فلوس فضية أو الذهب، وتوزع بعد ذلك هذه الفلوس على الأطفال ثم يدفن الشعر بعد ذلك في البحر. أو مكان ذي ظل بارد بحيث لا يرهق أو يتعب الولد، ولقد سادت هذه العادة الشعبية وهي وزن شعر الطفل بعد حلاقته خاصة بعد أن عرفت على أنها سنة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويصاحب هذه المناسبة الاحتفال (الحقيقة) كما ذكرنا سابقاً.

الملاحظة الأخرى في هذه الممارسات أيضاً أنها مشتركة بين الأغنياء والفقراء (العالي والدايني) حيث يتساوى الأفراد في الاحتفال بالحقيقة

وبالاربعين وذبح الذبائح، ودعوة الأقارب للمشاركة في هذه المناسبة ، وكذلك يقصد بها أشهر إكمال الطفل للأربعين أو مرور عام على ولادته.

النفاس :

هي فترة حرجية تحتاج المرأة فيها إلى الرغائية والعلاج ، فتكثر الممارسات حولها، وهي تكشف عن حالة خوف تنتاب المرأة وأهلهما من أن يحسدهن أحد أو يعني دخول الجن إلى جسدهن.

١ . يتضح أن هناك ستة عشر مسمى للنفاس تختلف بإختلاف اللهجات المحلية بمجتمع الإمارات المتعدد الثقافات .

٢ . كشفت الدراسة على أن المعتقدات المترتبة بالنفاس تؤكّد جميعها على خوف الإنسان في مجتمع الإمارات قديماً من المجهول، ورغم عدم معرفتهم بذلك المجهول، إنما يركز خوفهم من الحسد والعين، فذلك هو المجهول الذي يجعلهم يبادرون بمارسات قد لا تحمل وعيًا صحيًا أو إجتماعياً مبرراً بأسانيد علمية.

٣ . كشفت الأدوية المستخدمة في علاج "النفاس" عن غنى التراث الطبي في مجتمع الإمارات بوسائل كثيرة ومتعددة لعلاج المرأة. لكن الإنسان في تلك المرحلة استطاع أن يكتشف مصاحبات تلك الحمى من الحالات النفسية (كالقلق والعصاب والوسواس أو الإكتئاب) واستطاع أن يعالجها بأدواته المحدودة ، وكان تركيزه في العلاج على القرآن الكريم (راجع الجزء الثاني من الدراسة).

المشاهرة :

كشفت الدراسة عن وجود العديد من المسميات للمشاهرة، والعديد من الممارسات لعلاج حالاتها، وتعكس هذه الممارسات الإيمان بالغيبيات والسحر، والإيمان بالحسد واستخدام كل وسيلة محاولين الوصول لعلاج تلك الحالة.

من الناحية الاجتماعية، اتضح أن الخوف يؤثر على سيكولوجية أفراد الأسرة من أن تصاب الزوجة بالعقم، وأن العلاقات الاجتماعية رغم قوتها في الماضي، إلا أنه يشوبها شيء من الحذر والوجل ، بحيث يخاف الناس كثرة التواصل في أثناء مرحلة الحمل والولادة وما بعد الولادة ، وتحاط تلك العلاقات بشيء من التكتم، حتى أنه لا يعلن عن الطفل المولود حتى تمر أيام يزول معها خوف فقدان ذلك المولود.

أوضحت الدراسة أن المعتقدات المتعلقة بالمشاهرة تشير إلى خطورة المشاهرة أو الدراس، وما يترتب عليها من نتائج سلبية أو خطيرة على المرأة ومولودها (فقد تصاب المرأة بحالة هيستيرية ، أو بالمرض حتى الموت، أو يصاب الطفل بالكساح، أو الإعاقة أو التزيف)، يترتب على ذلك بعض الآثار الاجتماعية والنفسية.

إخفاء نوع المولود :

يعد إخفاء نوع المولود من الممارسات التي يحرص عليها الأفراد المحيطون بالمرأة - في مرحلة ما بعد الولادة - لتجنب المرأة أو طفلها أي أزمات يتعرضون لها وتكشف المادة العلمية عن جدية هذه الظاهرة وتمسك أغلب الأسر بها، أي بإخفاء نوع المولود ، من البعيدين أو القريبين منهم.

- كشفت الدراسة عن أن الحسد والعين الحارة هي الظاهرة التي تعبر عن الخطر الذي تتعرض له الأسرة الإماراتية في كل مراحله ، رغم رفض البعض لذلك والتمسك بالقدرة الإلهية.

- كشفت الدراسة عن وجود بعض الممارسات المتعلقة بهذه الظاهرة، منها إخفاء المولود ودهن جلده بالنيل الأزرق، وإلباسه ملابس متتسخة أو قصيرة أو غير لائقة (مرقعة بألوان متعددة)، أو بتربية الطفل، أو بتغيير أسمه.

- تعكس هذه الممارسات عن الأدوار الاجتماعية الأسرية المرتبطة بهذه

الظاهرة، قد تأكّد أن الأم نفسها أو الجدة أو الخالة والعمّة المقربين للأم الوالده هم الذين يلعبون هذا الدور، كما اتضح أن الإخفاء يتم برضى الأب وإفهام الطفل بذلك عندما يكبر.

كشفت الدراسة عن أن هناك اختلافاً نوعياً، إذ يتم الخوف على الذكور أكثر، بإعتبارهم الثروة الحقيقية "ثروة الأولاد" وعصب القوة الاجتماعية والإقتصادية والسياسية للقبيله.
ولادة التوائم :

كشفت الدراسة عن قلة حدوث هذه الظاهرة في مجتمع الإمارات ، ومع ذلك فهي تنطوي على بعض الممارسات العامة المتشابهة، كما تتضمن بعض المعتقدات الشائعة بين أفراد المجتمع مثل استخدام التوائم لعلاج بعض الأمراض كالكسور، أن يطاف بالتوأم حول الإنسان المعرض لحالة الكسر فذلك يساعد على التمايز للشفاء، ويوضح تكرار هذا المعتقد على قوته لدى بعض الأسر الإماراتية.

تشير الظاهرة إلى بعض الأبعاد الاجتماعية ، منها ردود فعل المجتمع المحلي تجاه ولادة التوائم من ناحية، ومدى قوة وترتبط العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع من ناحية أخرى، والدور الذي يقوم به الزوج في عملية التنشئة الاجتماعية من ناحية ثالثه .

وتتجلى ردود الفعل المجتمع المحلي تجاه ولادة التوائم كما تمثل في ردة فعل الأهل والجيران، إذ تراوح بين شعورين متناقضين هما الفرح والخوف أو الفرح، والحسد ، الفرح بولادة التوائم والخوف عليهم من الحسد، وهنا تشير التكرارات في هذه الإجابات إلى عمق هاتين الظاهرتين النفسيتين، أو الحالتين النفسيتين اللتين كان يعيشهما الإنسان الإماراتي سابقاً الفرح والحسد، إذ تنطوي الحياة كلها على هاتين الحالتين وربما استمرتا حتى الآن في هذا المجتمع، مما يؤكد مرة أخرى مقتراحات هذه الدراسة بضرورة توجيه

الدراسات المستقبلية نحو الكشف عن عمق هذه الظاهرة في هذا المجتمع.

أوضحت الدراسة لبعض الممارسات التي تعكس وجود العلاقات الاجتماعية الحميمة والترابط الوثيق الذي تنسحب في مظهر الفرح والشعور الجماعي بوحدة الجماعة وتكامل مصالحها، وعلى الرغم من ذلك يأتي التمايز الداخلي، داخل الجماعة (كالعشيرة أو الطائفة أو الأسرة الممتدة الكبيرة) فيثير هذا التمايز النسبي عنصراً أو عاملاً المنافسة الكامن فيعبر عن نفسه في الخوف، الخوف من حسد الآخرين وهم في الغالب أفراد الجماعة أنفسهم!!

كما أكدت إجابات المبحوثات (الراويات) على حركة التعاون والتكاتف بين الأهل والأقارب وأبناء الحي الواحد لمساعدة المرأة المنجبة لتوائم، ونرى في هذا بعدها إجتماعياً كامناً لحالة التماسك في المجتمع الصغير، وخاصة الحي الصغير والذي أكدته الكثير من الإجابات في المحاور السابقة، كذلك كشفت ردود فعل الأب عن مساعدة حقيقية يقدمها لزوجته في حال ولادة التوائم له، فهو يسهم في خدمة المنزل وحمل الطفل الثاني المنتظر للرضاعة، وهنا تبرز مشاركة ايجابية من الآباء ربما لم ترد سابقاً ما يعكس بعض التناقض في الإجابات ولكن تعكس في محل الأول أن المواقف تشير عادة بعض ردود الأفعال المعينة سواء من الأب أو من الآخرين ، وهنا جاءت المشاركة كردة فعل متوقعة من زوج يشاهد معاناة زوجته في تربية التوائم، وربما يقلل هذا التفسير من ذلك التناقض فيظل السائد لدور الآباء هو السلبية تجاه المشاركة في التنشئة الاجتماعية.

تسمية المولود:

كشفت الدراسة عن أن تسمية المولود (ذكراً كان أو أنثى) لها أهمية كبيرة ، كما ترتبط بالكثير من العادات والممارسات التي تكشف عن معتقدات عميقة راسخة ترتبط باسم الطفل أو الطفلة، كما تعكس فكراً وثقافة شعبية ذات خصوصية في بنيتها الاجتماعية ، ولكنها ذات عمومية في ارتباطها بال מורوث

الدراسات المستقبلية نحو الكشف عن عمق هذه الظاهرة في هذا المجتمع.

أوضحت الدراسة لبعض الممارسات التي تعكس وجود العلاقات الإجتماعية الحميمة والترابط الوثيق الذي تتعكس في مظاهر الفرح والشعور الجماعي بوحدة الجماعة وتكامل مصالحها، وعلى الرغم من ذلك يأتي التمايز الداخلي، داخل الجماعة (العشيرة أو الطائفة أو الأسرة الممتدة الكبيرة) فيشير هذا التمايز النسبي عنصراً أو عاملاً المنافسة الكامن فيعبر عن نفسه في الخوف، الخوف من حسد الآخرين وهم في الغالب أفراد الجماعة أنفسهم!!

كما أكدت إجابات المبحوثات (الراويات) على حركة التعاون والتكاتف بين الأهل والأقارب وأبناء الحي الواحد لمساندة المرأة المنجبة لتوائم، ونرى في هذا بعدها إجتماعياً كامناً لحالة التماسك في المجتمع الصغير، وخاصة الحي الصغير والذي أكدته الكثير من الإجابات في المحاور السابقة، كذلك كشفت ردود فعل الأب عن مساهمة حقيقية يقدمها لزوجته في حال ولادة التوائم له، فهو يسهم في خدمة المنزل وحمل الطفل الثاني المنتظر للرضاعة، وهنا تبرز مشاركة ايجابية من الآباء ربما لم ترد سابقاً ما يعكس بعض التناقض في الإجابات ولكن تعكس في محل الأول أن المواقف تثير عادة بعض ردود الأفعال المعينة سواء من الأب أو من الآخرين ، وهذا جاءت المشاركة كردة فعل متوقعة من زوج يشاهد معاناة زوجته في تربية التوائم، وربما يقلل هذا التفسير من ذلك التناقض فيظل السائد لدور الآباء هو السلبية تجاه المشاركة في التنشئة الإجتماعية.

تسمية المولود:

كشفت الدراسة عن أن تسمية المولود (ذكراً كان أو أنثى) لها أهمية كبيرة ، كما ترتبط بالكثير من العادات والممارسات التي تكشف عن معتقدات عميقة راسخة ترتبط باسم الطفل أو الطفلة، كما تعكس فكراً وثقافة شعبية ذات خصوصية في بنيتها الإجتماعية ، ولكنها ذات عمومية في ارتباطها بالموروث

الرضاع وغذاء الأم :

يشير التراث المحلي إلى تعدد وكثرة أنواع المواد الغذائية التي يفترض أنها تزيد من كمية لبن الأم مما يساعد على النمو الصحي المتكامل للطفل.

أما بالنسبة للأطعمة التي تحرم على الأم أو يفضل الإمتناع عنها فتشمل الكثير من المواد الغذائية التي قد تؤثر على الطفل أثناء الرضاعة، وهناك أشكال من رعاية الأم صحيًا عندما تتعرض لبعض الوعكات الصحية الناتجة عن سوء تنظيم التغذية، فتستخدم الأدوية الشعبية كأن تشرب (اليعدة أو الطبخة) وهي محلول من الأعشاب يغلي وتشربه.

أما عن أسباب إنقطاع لبن الأم فقد جاءت في شكل أسباب رئيسية وأخرى فرعية.

والرئيسية منها تتمثل في المتابعة النفسية للأم التي قد تتعرض لها نتيجة النزاع والخصام مع الزوج أو لأية أسباب أخرى، أو الحمى التي قد تتعرض لها أثناء النفاس فهذا الضيق النفسي يسبب انقطاع الحليب..والسبب الثاني هو المتابعة الصحية الجسدية وعدم تنظيم الغذاء .

والعامل الرئيسي الثالث هو الحسد والعين وخاصة عندما تدخل عليها إمرأة أخرى وهي ترضع إبنها أو طفلتها فلا بد أن يحدث الحسد وذلك من وجهة نظرهن.

ومن الممارسات أو المعالجات التي يقوم بها أفراد المجتمع عندما يحدث إنقطاع الحليب القيام أولاً بقراءة القرآن على الصدر، ثم استخدام (القسط) كدواء شعبي أو تمشيط الصدر وتحريكه لإنزال الحليب كمساح خاص ثم تنظيم الغذاء لمرأة وإستخدام حليب الأغنام والجمال لمساعدتها على زيادة الحليب في ثديها.

وهناك ظاهرة أخرى قد تظهر في فترة الرضاعة وهي الرضاعة من أم

أخرى والتابعة في الأصل من التراث العربي فقد ارضعت حليمة السعدية رسو الله صلى الله عليه وسلم ولكن السؤال المطروح هو هل تتم الرضاعة من أم أخرى في حالة تيتم الطفل فقط ؟ أم هي ممارسة طبيعية تقوم بها كل أم في مجتمع الإمارات عندما تعجز عن رضاعة إبنها ؟

الفطام :

تسمية الفطام شعبيا لا تختلف في مجتمع الإمارات ما عدا عند البلوش الذين يطلقون عليه (إشیرون يا زیرون) اي أخذ الطفل عن الحليب.

اذ لوحظ من الإجابات أن الطفل يجبر على التخلص من ثدي امه بواسطة إستخدام أدوات شديدة القسوة عليه، وعلى اي إنسان راشد.

وكانت بعض الأمهات يلجان لقراءة القرآن في كوب من الماء ويسقى للطفل سعيا لإفطامه ويشير المتخصصون إلى ان الأسلوب التدريجي في الفطام هو البدء بإحلال وجبة مكان رضعة، ثم زيادة عدد الوجبات البديلة للرضعات تدريجيا حتى يتعود الطفل عليها بدلا عن صدر امه.

اما عن طرق تعوييد الطفل على التغذية من مصدر آخر فهي عديدة وكذلك المواد الغذائية المتعددة التي تبدأ الأم بتعويده عليها قبل وبعد مرحلة الفطام ، إلا أنها هذه المواد رغم تعددتها لا تخرج عن إطار ما تجود به بيئة الإمارات الساحلية والصحراوية من مواد غذائية.

لاحظنا أن الأسرة الإماراتية في المرحلة القديمة قد وعى هذه الأهمية مرحلة ميلاد الطفل ورضاعته وفطامه، وإن لم يخل ذلك منوعي زائف في بعض جوانبه، ولم تخل حياة تلك الأسرة الإماراتية من سلوكيات وعادات ضارة وإن كانت إيجابية في بعض جوانبها الأخرى.

العمق :

شاع في اللهجة المحلية مجتمع الإمارات القديم وصف المرأة التي لم

يرزقها الله نعمة الإنجاب بكلمة «عقيم» وهذا الوصف مستمد من الآيات القرآنية «لله ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء يهب من يشاء إناثاً ويهب من يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً و يجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قادر» صدق الله العظيم. «سورة الشورى الآية : ٤٨ ، ٤٩ ..»

الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تأخر الحمل؟

حيث لم يكن في السابق أطباء كما هو الحال في الزمن المعاصر كانت من أهم الوسائل التي تلجأ إليها المرأة في حالة تأخر الحمل الوسائل التالية :-

١ - الذهاب إلى «الداية» أو القابلة : لإجراء أي من الطرق العلاجية التالية

١ - المسح ٢ - الخبابة ٣ - بالتوسيم

ب - الذهاب إلى «المطوع» أو «المطوعة».

ج - النذر.

د - اللجوء إلى الدواء.

هـ - إتباع عادات قديمة.

الأسباب : وتنقسم إلى أسباب طبيعية ونفسية وغيبية :

أما الأسباب الطبيعية فتتمثل في ضعف الظهر، وحمل الأثقال، القيام بأعمال الطحن بالرحي، وإحضار الماء من مسافات بعيدة، أو الوقوع على الأرض بشدة، وكذلك الحمى الشديدة، وضعف الرحم والمرض الشديد.

أما الأسباب النفسية فهي كالإحساس بالقهر نتيجة المعاملة السيئة من قبل الزوج لزوجته، أو استماعها إلى أخبار سيئة تسبب إنهيار الأم مثل أخبار موت بعض الوالدين أو الأخوة، العصبية، الضرب من الزوج.

أما الأسباب الغيبية فمن بينها : العين والحسد، العوفة أو الشينة، أو التبعة، أي متتبعة بالعين أو الحسد، والعوفة هي الجان، الربط أثناء كتب

الكتاب، جرح البطن، أو المضرة وهي تحمل نفس معنى العوفة والشينة (أم الصبيان) الحالة التي تجعل الإنسان في غير وعيه وتقتل الجنين في بطن أمه.

ننتقل إلى أساليب العلاج الشعبية والدينية :-

إذا كانت الأم بها كشحة أي المضرة والجان فتعالج بالوسم (الكي).

العلاج الآخر الأدوية الشعبية الياس والملح، والحلبة الباردة، واللبان
ليساعد على شد ظهرها، تمنع من الحركة.

المساج (المسح)، النوم على الظهر، رفع الرجل للأعلى.

المنع من معاشرة الزوج لفترة.

استخدام الحرز من المطوع أو الحجاب ليحفظ لها الطفل في بطنها.

من الممارسات الشعبية الغريبة أن تلبس جلد عنز (ماعز) مذبوحة للتو،
أو الكي في الظهر وتشرب الحسو، ثم قراءة القرآن الكريم وإستمرار نومها
على ظهرها.

ثانيا : الإجهاض وردود الفعل الإجتماعية :

القسم الثاني من هذا المحور يتناول ردود الفعل، ولنبدأ برد فعل:-

أ - الزوج : الشخص الأول ذو العلاقة في حالة الإجهاض، فقد يكون هو
المسبب للإجهاض كما جاء ذلك في القسم الأول، إذ تؤثر نوعية العلاقة التي
تربيته بزوجته بحالتها النفسية، مما يعكس أثاراً إيجابية أو سلبية على
صحة الأم النفسية وبالتالي بحالتها الجسمانية.

فردة الفعل المذكورة من قبل الإخباريات هو الزعل، والندم على ضياع
بذرته، التضائق ومحاولة البحث عن علاج لزوجته، التهديد بالزواج من
آخر، وإذا تكرر السقوط لدى الزوجة يكرهها ويتزوج بالفعل من غيرها.

الزوج قد يصاب بالوسواس والإكتئاب نتيجة فقدانه للذرية أما

بالإجهاض المتكرر لزوجته أو بتأخيرها في الحمل.

بعض الأزواج لا يعلّمون عن ردود الفعل، وبعضهم يحاول إيجاد العلاج لها لأنّه يحبها، ويحضر لها المحو وهو الماء المقوء فيه القرآن.

عكسـتـلـنـاـ المـادـةـ الإـثـنـوـجـرـافـيـةـ كـذـكـ أـنـ هـنـاكـ بـعـضـ النـسـاءـ مـمـنـ لـاـ يـرـغـبـنـ فـيـ إـسـتـمـارـ الـعـلـاقـةـ بـالـزـوـجـ فـيـلـجـانـ إـلـىـ إـسـقـاطـ الجـنـينـ بـإـسـتـخـدـامـ بـعـضـ المـوـادـ الشـدـيـدـةـ الـحـرـارـةـ،ـ أـوـ مـرـةـ الطـعـمـ،ـ فـمـثـلاـ يـوـضـعـ عـلـىـ بـطـنـهـ حـجـرـ سـاخـنـ،ـ الرـحـىـ مـثـلاـ،ـ أـوـ شـرـبـ الـكـبـرـيـتـ وـنبـاتـ الـغـضـفـ،ـ أـوـ أـنـ تـدـوـسـهـ إـمـرـأـةـ أـخـرىـ ثـقـيـلـةـ أـوـ شـرـبـ التـرـيـاقـ،ـ وـبـذـرـ الـحـزـ مـعـصـورـ وـتـشـرـبـهـ الـمـرـأـةـ كـلـ صـبـاحـ وـلـكـنـهـ تـفـشـلـ فـيـ إـسـقـاطـ الجـنـينـ.

من أساليب ومحاولات إجهاض الجنين يقوم الأهل بكى المرأة في رأسها، ولا يكون ذلك إلا بعد استشارة الزوج.

ختان المولود :

من العادات التي تمارس في مرحلة ما بعد الميلاد، ختان المولود، (الذكر والأنثى)، وهي في مضمونها عبارة عن مجموعة من الممارسات تعكس جوانب سيكولوجية واجتماعية لأسرة المولود . فهي تعبير عن الفرحة لدى الآبوين والأهل جميعاً. وقد كشفت الدراسة عن أن هذه الممارسات تختلف من أسرة إلى أخرى حسب المقدرة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والأصول العرقية .

تنشئة الطفل :

لم تقدم الدراسة تحليلًا كافيًّا لمحور التنشئة الاجتماعية بإعتباره محوراً يدخل ضمن مرحلة لاحقة للميلاد وهي مرحلة الزواج من مراحل دورة الحياة، ولقد اتفق على ذلك المتخصصون في دراسات المأثور الشعبي، ولذلك نحيل القارئ إلى الدراسة الجديدة حول (العادات لمرحلة الزواج لمجتمع الإمارات)، إذ بدأنا دراسة تلك المرحلة بالبحث في عمليات التنشئة الاجتماعية التي

تؤهل الإنسان الجديد للدخول في مرحلة بناء النفس وتكوين الأسرة.

ولكن في هذه الدراسة إستطعنا تقديم بعض الممارسات المرتبطة بالتنمية الاجتماعية الأولى وركزنا على عملية تنويم الطفل مثلاً إذ تتحدد العوامل المؤثرة في تشكيل خريطة نوم أفراد الأسرة حسبما كشفت الدراسة في عدة عوامل أهمها :-

١ - العامل الديني :

الذى يرى التفريق بين الأبناء فى المضاجع طبقاً للحديث الشريف.

٢ - العامل الاقتصادي :

الذى كان يحدد طبيعة وسعة البيت أو الخيمة.

٣ - العامل الإنساني الغريزي :

الذى كان يتطلب التفريق بين الأبناء فى النوم.

ومن الأسئلة الهامة التي حاولنا الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة سؤال رئيسي هو.. هل يمكن أن يتربى الطفل في غير حضانة والديه؟

أن الظرف العام السائد لم يكن يحبذ هذا الإتجاه، أى أن يتربى الطفل في غير حضانة والديه الحقيقيين لكنه مع ذلك ، وفي حالات معينة - لم يكن يمنع ذلك، وتتمثل هذه الحالات فيما يلي :-

١ - وفاة الأب أو الأم أو انفصالهما.

٢ - مرض الوالدة وعدم قدرتها على تربية الطفل.

٣ - كثرة عدد الأولاد لدى عائلة وحاجة عائلة أخرى إلى الأولاد.

٤ - إرتباط ذلك ببعض العادات المتوارثة في العائلة فإن تقوم الجدة أو الجد بتربية أحد الأحفاد.

- ٥ - محبة إحدى القربيات لطفل أختها وتعلقها به.
- ٦ - الخوف من الحسد في حالات ولادة التوأم.
- ٧ - وفاة لنذر خصوصاً من لم يعش لها أبناء من قبل.

تظهر هذه الإجابات المختلفة أن هناك تأثيراً على شخصية وسلوك الطفل عندما يكبر وتتراوح هذه التأثيرات في درجاتها وفي نوعها تبعاً للظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بظروف ذلك..

لكنها إجمالاً تكاد تتركز في الآثار التالية :-

- أن الطفل الذي يتربى في كنف جده خصوصاً يتدلل أكثر على والديه.
- أن الطفل الذي يتربى في كنف جده يخامر شعور بالفخر أنه تربية جده.
- أن الطفل الذي يتربى لظروف جبرية يخامر شعور بالنقص والخجل.
- أن هؤلاء الأطفال لا يندمجون بصورة طبيعية تماماً مع أشقاءهم بعد عودتهم للمنزل.
- أحياناً يؤدي ذلك إلى الشعور بعدم الإنتماء لوالديه.
- وأحياناً يحاط الطفل بتأثير سلبي من جراء كلام الناس عنه ونظرتهم إليه.

طرحنا في بدء الدراسة فكرة أنه لا يمكن حسم الجدل النظري السائد على مستوى دراسات الفولكلور ما لم يلحقه إستقرار للواقع، والتعامل مباشره مع التراث بعناصره المختلفة من ناحية، ومع حاملي التراث على إختلاف نوعياتهم وإنتماءاتهم الاقتصادية والاجتماعية الثقافية من ناحية أخرى، لقد تحقق ذلك من خلال هذه الدراسة وإستطعنا الوصول بنتائجها إلى عمق المأثر الشعبي في دولة الإمارات، المأثر المرتبط بمرحلة الميلاد حيث كشف

- عن صراع قيمي وثقافي وإجتماعي وأكد على العديد من الحقائق كان أهمها :
- أن مجتمع الإمارات كغيره من المجتمعات العربية يعيش الخوف بكل أشكاله.
 - أن الحسد القاسم المشترك ثقافياً بين كل الفئات الإجتماعية فيكاد يكونآلية العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع.
 - أن التهميش للمرأة ووضعها الإجتماعي، وتجاوز الحدود الإنسانية في التمييز بينها وبين الرجل يكشف الحقيقة في تردí العلاقات بين الجنسين في مجتمعاتنا العربية.
 - الإنسان في مجتمع الإمارات كان فاعلاً ومتحراً وبادر إلى التكيف مع بيئته، وكان في بعض المواقف يخضعها لصالحه، وفي البعض الآخر يخضع هو لها عندما ينتابه العجز في التفسير لبعض ظواهرها.
 - محدودية الحياة الاقتصادية وضعف عطاء البيئة الصحراوية والبحرية والجلبية، ورغم ذلك عاش إنسان الإمارات وأستمر وصنع ثقافة خاصة به، وإستطاع أن يهيء نفسه للمرحلة الجديدة التي يمر بها مجتمع الإمارات الآن.
 - تعانق التراث الشعبي مرحلة الميلاد بالتراث الإسلامي وكادت ثقافة المسلم هي المورد الحقيق لجميع ممارساته الثقافية وعاداته. فالإسلام كان المرجعية الأولى لجميع هذه العادات المتصلة بمرحلة الميلاد.
 - برز التفاوت الإجتماعي والإقتصادي من خلال مضمون عناصر التراث الشعبي لهذه المرحلة وكذلك برزت الفروقات الأثنية والعرقية من خلال بعض الممارسات المرتبطة بجميع مراحل الميلاد للطفل.
 - رغم بعض أشكال الوعي الحقيقي بظواهر الحمل والولادة وما بعد الولادة وجميع محاور ميلاد الطفل إلا أن هناك ممارسات دلت على بعض

الوعي الزائف غير الحقيقى.

- قدمت جميع هذه الموروثات الخاصة بـالميلاد من خلال عناصر الموروث أهمها العادات والأمثال، والأقوال والحكم، والأغاني، والنذور، لكل محور على حده من محاور الميلاد.

- أنه على الرغم من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها مجتمع الإمارات، فإنها لم تقلل كثيراً، كما يذهب بعض المنظرين، من هوية المجتمع الثقافية، فقد كشفت الدراسة عن قدرة الأسرة في مجتمع الإمارات على التكيف السريع مع هذه التغيرات، خاصة التكنولوجية منها، وتوظيفها بما ينبع مع الواقع الثقافي للأسرة في مجتمع الإمارات، بحيث يظهر التغير شكلياً في بعض العادات المتصلة بمراحل الميلاد المختلفة، لكن مضمون هذه العادات الذي ينبع من قيم المجتمع الأصلية - لم يتاثر على الإطلاق بهذه التغيرات، الأثر الذي يؤكد رسوخ الهوية وثباتها.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول إنها محاولة علمية أولية إستطعنا من خلالها سبر أغوار الواقع التراصي لمجتمع الإمارات، وكانت دراسة شمولية غطت الخريطة الجغرافية للدولة، وكذلك الخريطة الاجتماعية والاثنية للجماعات التي تعيش على أرضها. على المستوى الإثنى والجغرافي لمجتمع الإمارات.

ويهمنا في النهاية أن نقول للقارئ والمختص أنه إذا كانت هذه الدراسة تعد الوجبة الأكاديمية الأولى على مائدة الفولكلور في دولة الإمارات، فتحمله مسؤولية إستكمال هذه المائدة بالجديد من الدراسات الأكثر ثراء وعمقاً وتخصصاً..

والله من وراء القصد،

د. موزه عبيد غباش

مراجع ثمنت الاستفادة منها :

- ١ - أسامة عبدالرحمن . الإنسان العربي والتنمية . حقوق الإنسان ركيزة محورية لاي انطلاقة تنموية . مجلة المستقبل العربي العدد (١٣١) يناير ١٩٩٠ مركز دراسات الوحدة العربية .
- ٢ - حسن باشا وأخرون . المعتقدات الشعبية في التراث العربي صدر عن دار الجليل .
- ٣ - حمود العودي . التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية . دراسة تطبيقية على المجتمع اليمني . دار العودة بيروت . الطبعة الثانية . ١٩٨٦ .
- ٤ - رفعت محمد دويب . أغاني الأعراس في دولة الإمارات - وزارة الاعلام والثقافة . الإدارية الثقافية ، ١٩٨٢ .
- ٥ - علي عبدالله خليفة . عناصر الأصالة في الثقافة القومية ، مجلة التراث الشعبي - وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر - العدد الخامس والسادس السنة الخامسة عشرة ، ١٩٨٤ ، بغداد .
- ٦ - عبدالحميد يونس . العادات والتقاليد مكانها من التراث الشعبي - مجلة المنهل . العدد السنوي المتخصص - مجلد ٤٩/١٩٨٨ .
- ٧ - عبدالله عبدالرحمن . فنجان قهوة . الجزء الأول - الإمارات العربية في ذاكرة أبنائها . منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات . الطبعة الأولى ١٩٨٩ .
- ٨ - مركز دراسات الوحدة العربية . ندوة التراث . وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة) - مركز دراسات الوحدة العربية . الطبعة

- الاولى - بيروت ١٩٨٥.
- ٩- فرحان صالح . جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث . رؤية نقدية . دار الحداثة - بيروت . الطبعة الاولى ١٩٨٣ .
- ١٠- محمد بن أحمد الخزرجي . العادات والتقاليد في دولة الإمارات العربية المتحدة . الطبعة الثانية ١٩٨٣ ، المطبعة العصرية .
- ١١- حسن مروءة . تراثنا كيف نعرفه . مؤسسة الأبحاث العربية . الطبعة الثانية
- ١٢- فهمي جدعان . المحننة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام . دار الشروق للنشر والتوزيع . الطبعة الاولى ١٩٨٩ ، عمان .
- ١٣- فهمي جدعان . نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى . دار الشروق للنشر والتوزيع . الطبعة الاولى ١٩٨٥ - عمان .
- ١٤- محمد عابد الجابري . نحن والتراث . قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفية . الطبعة الخامسة ١٩٨٦ المركز الثقافي العربي - المغرب .
- ١٥- محمد راشد الجروان . رسالة إلى ولدي . دار الخليج للثقافة والنشر ١٩٨٥ .
- ١٦- محمد راشد الجروان . في الدار شرار . ١٩٨٩ - دار النشر غير مذكورة .
- ١٧- محمد راشد الجروان . أميرة الصحراء المطبعة الاقتصادية . دبي ١٩٨٧ .
- ١٨- محمد راشد الجروان . التجارة بين الماضي والحاضر . المطبعة العصرية . ابريل ١٩٨٨ .
- ١٩- يان مانسنيا . المؤثرات الشفاهية . ترجمة أحمد موسى . دار الثقافة للطباعة والنشر . ١٩٨١ .

المحتويات

الاهداء :	٤
شكر وتقدير	٥
مقدمة الطبعة الثالثة	٧
مقدمة الطبعة الثانية	٨
المقدمة :	٩
الفصل الأول : التراث الشعبي والتنمية	٢٨
تقديم	٢٩
التراث الشعبي بالإمارات	٤٥
دورة الحياة البشرية	٤٦
عادات الولادة	٤٦
عادات الزواج	٤٨
عادات واعراف الموت	٤٩
عادات واعراف دورة الحياة الزراعية	٥٠
مرحلة الحراثة واعداد الأرض	٥٠
العادات العامة والمواسم	٥٥
العادات المتعلقة بالمرأة	٥٦
العادات المتعلقة بالنظام السياسي	٥٦
العادات المتعلقة بنشاط الغوص	٥٧
الصناعات والحرف اليدوية	٥٩
الاعياد واحتفالاتها :	٥٩
الاستخلاصات والنتائج	٦١
الهوامش والمراجع	٦٦

المحتويات

الفصل الثاني : التراث الشعبي بين الابعاد

النفسية والاجتماعية والبيئة ٦٨	الفصل الثاني : التراث الشعبي بين الابعاد
تقديم ٦٩	النفسية والاجتماعية والبيئة ٦٨
تنظيف المولود او المولودة والتزيين والحلقة ٨٩	تقديم ٦٩
حمى النفاس ٩٣	تنظيف المولود او المولودة والتزيين والحلقة ٨٩
الطب الشعبي ٩٧	حمى النفاس ٩٣
نماذج من أغاني الزار ١٠٢	الطب الشعبي ٩٧
نماذج من اغراض الشعر ١٠٦	نماذج من أغاني الزار ١٠٢
الفنون الشعبية ١١١	نماذج من اغراض الشعر ١٠٦
الفصل الثالث : الحمل ١١٧	الفنون الشعبية ١١١
تقديم ١١٨	الفصل الثالث : الحمل ١١٧
حساب الحمل ١٢٤	تقديم ١١٨
الإجهاض ١٢٩	حساب الحمل ١٢٤
معرفة نوع الجنين ١٣٠	الإجهاض ١٢٩
المعتقدات المتصلة بالحمل ١٣٣	معرفة نوع الجنين ١٣٠
محظيات الحمل ١٣٥	المعتقدات المتصلة بالحمل ١٣٣
الفصل الرابع : الوهم ١٤٢	محظيات الحمل ١٣٥
الوهم وأعراضه ١٤٤	الفصل الرابع : الوهم ١٤٢
الوهم وتفسيراته ١٤٨	الوهم وأعراضه ١٤٤
الوهم والوضع الاجتماعي للمرأة ١٥٠	الوهم وتفسيراته ١٤٨
الفصل الخامس : الولادة ١٥٢	الوهم والوضع الاجتماعي للمرأة ١٥٠

المحتويات

مرحلة ما قبل الولادة	١٥٤
مرحلة الولادة	١٥٧
مرحلة ما بعد الولادة	١٥٩
الفصل السادس : مرحلة ما بعد الولادة	١٦٢
تنظيف الأم بعد الولادة	١٦٣
تنظيف المولود وتحميشه	١٦٥
ملابس الأطفال وزينتهم	١٧١
تحمييم الطفل	١٧٤
حلاقة شعر الطفل	١٧٨
النفاس	١٨١
الفصل السابع : المشاهرة	١٨٩
المشاهرة	١٩٠
المشاهرة وسمياتها المحلية	١٩١
المشاهرة وقواعد الإجتناب والحالات المحظورة	١٩٣
المشاهرة وممارسات وإجراءات الوقاية والمعالجة	١٩٥
المشاهرة الظاهرة والتفسير	١٩٧
الخلاصة	١٩٩
الفصل الثامن : إخفاء نوع المولود	٢٠٠
إخفاء نوع المولود	٢٠١
الخلاصة	٢٠٨
الفصل التاسع : ولادة التوائم	٢٠٩

المحتويات

ولادة التوائم ٢١٠	٢١٠
طرق تنظيف التوائم ٢١٤	٢١٤
الخلاصة ٢١٧	٢١٧
الفصل العاشر : تسمية الطفل ٢١٨	٢١٨
تسمية الطفل ٢١٩	٢١٩
العوامل المرتبطة بتسمية الأطفال ٢٢٣	٢٢٣
التسميات والندور ٢٢٦	٢٢٦
التدليل والتصغير ومدلولاته ٢٢٨	٢٢٨
التسمية الشاذة والتحقيرية وأسبابها ٢٣٠	٢٣٠
الأدعية والأقوال الخاصة بالتسمية ٢٣٢	٢٣٢
التسمية بأسماء الراحلين ٢٣٣	٢٣٣
الفصل الحادي عشر : الرضاعة والفطام ٢٣٦	٢٣٦
مدة الفطام ٢٣٧	٢٣٧
الرضاع وغذاء الأم ٢٤٢	٢٤٢
الفطام ٢٥١	٢٥١
الفصل الثاني عشر : الحمل الكاذب ٢٥٤	٢٥٤
الحمل الكاذب ٢٥٥	٢٥٥
علاج الحمل الكاذب ٢٦٠	٢٦٠
الفصل الثالث عشر : العقم ٢٦٢	٢٦٢
العقم ٢٦٣	٢٦٣
الاساليب التي كانت تستخدم شعبياً لتأخير الحمل ٢٦٨	٢٦٨

المحتويات

الإحتفال بختان الذكر والإحتفال بختان الأنثى ٣٢١
الفصل السادس عشر : التنشئة الاجتماعية ٣٣٣
التنشئة الاجتماعية ٣٣٤
كيف تتم تهيئة الطفل للنوم ٣٣٥
الممارسات والأغاني المستخدمة لتنويم الطفل ٣٣٩
النوم المنفصل للطفل ٣٤٧
وصف لسرير الطفل (المنز) ٣٥٨
الخاتمة ٣٦٢
مراجعة تمت الاستفادة منها : ٣٩٣

المحتويات

الممارسات التي تقوم بها المرأة في حالة تأخر الحمل ٢٧٠
الممارسات التي كانت تتبع لتجنب العقم ٢٧٢
وصف الممارسات الطبيعية والغريبة لعلاج العقم ٢٧٤
ردود فعل الأقارب والزوج نحو تأخر الحمل والعقم ٢٧٩
كيف يمكن معرفة عقم الرجل ٢٨١
كيف يمكن إكتشاف عقم المرأة ٢٨٢
المحور الرابع عشر : الإجهاض ٢٨٤
أسباب الإجهاض ٢٨٥
علامات وظاهر الإجهاض ٢٨٦
أساليب العلاج الشعبية والدينية ٢٨٨
الإجهاض وردود الفعل المجتمعية ٢٩١
المحور الخامس عشر : الختان ٢٩٥
الختان ٣٠٥
الأمثال والأغاني الشعبية المناسبة للختان ٣١٠
سن الختان ٣١٤
كيفية الختان ٣١٥
الأدوية المستخدمة في علاج الختان ٣١٦
الأدوات المستخدمة في الختان ٣١٧
الختان الفردي والجماعي ٣١٨
هدايا الطفل بعد الختان ٣٢٠